الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية–قسنطينة– كلية الآداب والحضارة الإسلامية.

الرقم التسلسلي: ..... قسم التاريخ.

رقم التسجيل: .....

اللّصوصية في المغرب الأوسط 5هـ-9هـ/11م-15م

دراسة اجتماعية.

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في علوم الإنسانية–تاريخ–

تخصص: تاريخ المغرب الأوسط وحضارته في العصر الوسيط.

إعداد الطالبة: إشراف:

عفاف غرزول الأستاذ الدكتور: إبراهيم بن مهية.

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/عبد الجليل قريان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–	رئيسا
أ.د/إبراهيم بن مهية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–	مشرفاً ومقرراً
د/نصيرة عزرودي	أستاذ محاضر–أ–	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–	مناقشا
د/مسعود بريكة	أستاذ محاضر–أ–	جامعة محمد لمين دباعين–سطيف2–	مناقشا
د/آسيا ساحلي	أستاذ محاضر–أ–	جامعة 20أوت 1955–سكيكدة–	مناقشا
د/رضا بن النية	أستاذ محاضر–أ–	جامعة محمد لمين دباعين–سطيف2–	مناقشا

السنة الجامعية:

2023/2022م

1444/1443هـ

بسم الله الرحمان الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر والعرفان

في البداية أحمد الله وأشكره وأثني عليه على توفيقي في إتمام هذا العمل، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

أتوجه بالشكر والعرفان لروح الفقيد الدكتور **بلقاسم فيلالي** رحمه الله وطيب ثراه، وأسأل الله أن يجعل علمه وجهوده في خدمة العلم نورا له في قبره.

أتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني إلى الأستاذ الفاضل الدكتور **ابراهيم بن محية** الذي تكرم بمواصلة الإشراف على هذا العمل وتلقاه بالرعاية والتوجيه.

كما لا يفوتني في هذا المقام التقدم بجزيل الشكر للدكتور **بن النية رضا** الذي أفادني بنصائحه العلمية.

وجزيل الشكر موصول **لأعضاء لجنة المناقشة** على قبولهم مناقشة بحثي وصبرهم على قراءته وتوجيهاتهم وتصويباتهم فلهم فائق التقدير والاحترام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى عائلتي سندي:

إلى من قال فيهما الله تعالى:"وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا" الآية 23 سورة الاسراء.

إلى أغلى ما في الوجود **أمي** و**أبي**، اللذين قاسماني طريق البحث بدعائهما ودعمهما حفظهما الله لي ورعاهما.

إخوتي:

فواز -أدهم صلاح الدين

وأخواتي:

حنان -إكرام -آمال.

إلى من رافقوني في انجاز هذا البحث:

لؤي -جود -سراج (رحمه الله) -إياد -آيتن -صيب-جنة-تيم.

أهدي لكم خالص جهدي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المختصرات

ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
م	ميلادي
هـ	هجري
ط	طبعة
ص	صفحة
و	ورقة/وجه ورقة
ظ	ظهر
ع	عدد
مج	مجلد
ibid	المرجع نفسه
Op.cit	المرجع السابق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا- أهمية الموضوع:

أنتج انفتاح علم التاريخ على مختلف الحقول المعرفية الأخرى دراسات ظلت إلى وقت قريب حكرا على علم السياسة، علم الاجتماع، علم النفس وغيرها، وأصبح ولوج مواضيع العادات والتقاليد، العنف، الخوف، الجريمة، من منظور تاريخي يصب في حقل التاريخ الاجتماعي؛ وإن كان سبر أغوار هذا المجال تحيطه معيقات على مختلف المستويات من المغذيات، والمضمرات يصعب رصد تمثلاتها الميدانية، كونها نتاج إفرازات ذهنية ذات طابع سوسيولوجي وأنثروبولوجي، ورصْدها يتيح لنا التعرف على واقع المجتمع ومختلف تفاعلاته السياسية، النفسية، وحتى ملامحه الأنثروبولوجية.

اللّصوصية كظاهرة اجتماعية لم تعد مرتبطة بعلم الجريمة فقط، بل تحوَّل البحث فيها مع تحوُّل مسار الكتابة التاريخية في القرن العشرين بظهور مدرسة الحوليات حيث أخذت البعد السوسيوتاريخي، إذ سمح رواد المدرسة بنقل الكتابة من مستوى التاريخ النخبوي إلى التاريخ المسكوت عنه، الذي يرتكز على الذهنيات والعقليات، وفق مقاربات معرفية حولت البحث في اللّصوصية من مجرد جريمة إلى معطى اجتماعي يعكس حالة الأزمة الأمنية التي عاشها مجتمع المغرب الأوسط لذلك جاء عنوان الدراسة **"اللّصوصية في المغرب الأوسط 5-9هـ/11-15م دراسة اجتماعية"** في محاولة لإزالة التعتيم المصدري المتعلق بالموضوع والخروج من الطرح الكلاسيكي للموضوع.

ثانيا- أسباب اختيار الموضوع:

اجتمعت عدة أسباب في اختيار موضوع الدراسة، وانقسمت بين ما هو ذاتي، وما هو موضوعي، على النحو الآتي:

1-**العوامل الذاتية:** يعود الموضوع إلى مقترحات مرحلة الماستر، إلا أنه وقع الاختيار على غيره، ومما زاد تحفيزي على إنجازه أني تقاطعت معه أثناء بحثي في **مذكرة الماستر**-الخطاب المناقبي الكرامي في المغرب الأوسط دراسة سوسيولوجية[1]- في عديد من الجزئيات، ووقع عليه الاختيار في مرحلة الدكتوراه وتدعم من قبل فريق التكوين.

-اختيار الموضوع نابع من قناعة شخصية في طرق المواضيع ذات الصلة بعلم النفس ولمعرفة تطورها وحضورها الميداني من منظور تاريخي-نظرة سوسيولوجية-خاصة في العصر الوسيط.

-الرغبة في تقديم إضافة في حقل التاريخ الاجتماعي خاصة ما تعلق بمجال المغرب الأوسط.

2-**العوامل الموضوعية:** يصب الموضوع في حيز التاريخ المسكوت عنه خاصة وأنه يتعلق بالجريمة مما يشجعنا للبحث في دواعي التهميش ومدى ارتباطه بالجريمة أو طبيعة الباحثين.

[1]-مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، 2015/2014، (إشراف مسعود بريكة).

-محاولة تقديم رؤية عن طبيعة التلازم بين الظواهر اللاأخلاقية والمجتمع والتي صارت متكررة الحدوث وأصبحت جزء من يوميات ساكنة المغرب الأمر الذي يستدعي دراستها والبحث في مضمراتها ومدى استمرارها، مع محاولة الانعتاق من النظرة الكلاسيكية التي تجعل منها مجرد آفة اجتماعية يمارسها خارجون عن القانون.

-وجود دراسات مشرقية حول اللّصوصية في المجتمع المشرقي، وقد وصل بعضها إلى مصاف الحركات الاجتماعية المناهضة للسلطة، والواقع الاجتماعي عرفت بالصّعاليك وحركة الشطّار والعيارين، الأمر الذي دفعني للبحث عن طبيعة الممارسة اللّصّية في المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة.

ثالثا- الإشكالية:

في محاولة لضبط حدود الدراسة المعرفية والمنهجية، ورصد مظاهرها الاجتماعية والإحاطة بمختلف جوانبها جاءت الإشكالية الدراسة للبحث في العلاقة بين اللّصوصية والواقع الاجتماعي لساكنة المغرب هل تعتبر صناعة اجتماعية للتعبير عن واقع متأزم اتخذ صورة الجريمة، أم إنها آفة اجتماعية عارضة تعكس سلوكا إجراميا طبيعيا يظهر وقت الأزمة؟ وقد تفرعت عنها مجموعة من التساؤلات الفرعية نشير لبعض منها:

-ما مفهوم اللّصُوصية وما علاقته بتعدد المصطلحات المقاربة لها؟ هل اللّصُوصية مصطلح يرتبط بنوع مصدري محدد أم أنّه مصطلح متغير بتعدد المدونات التراثية؟

-هل اللّصوصية صناعة محلية أم تعود لظرفية خارجية ترتبط بلصُّوصية مجال المتوسط التي تضرب بجذورها للأمد الطويل؟

-ما هي العلاقة التي تربط بين اللّصوصية والواقع الذي فرضته الهجرة الهلالية في القرن5هـ/11م؟

-هل اللّصوصية إفراز لمعطى سياسي أمني يتعلق بالحرب، أم بالأحوال الاقتصادية أم أنها انعكاس لإكراهات المجال من الناحية الجغرافية والمناخية؟ ما هو دور الفراغ الروحي وغياب الوازع الديني في ظهور وانشار اللّصوصية؟

-هل أخذت اللّصوصية شكلا واحدا ويرتبط بمجال جغرافي معين أم أنها تنوعت بين المدينة والبادية؟

-ما هي الآثار التي تركها اللُّصوص على ساكنة المغرب الأوسط؟ وكيف كانت انعكاساتها على المؤسسة الأمنية للمغرب الأوسط؟

-كيف كانت ردود الفعل في مواجهة الآفة الاجتماعية؟ وهل ارتكزت على مشروع السلطة السياسية فقط أم أنّ مواجهتها تطلب تكاثف جهود عديد السلطات الاجتماعية؟

رابعا- هيكلة الدراسة:

سمحت لنا المادة العلمية المتوفرة والتي أطرتها الإشكالية السابقة بتقسيم الدراسة إلى أربعة فصول تتصدرها مقدمة وذيلت بخاتمة احتوت مجموع النتائج المتوصل إليها؛ تناول **الفصل الأول** الحقل الدلالي لمصطلح اللّصوصية، من حيث المفهوم والمدلولات المقاربة، وعالج في بعض جوانبه الآفة في المدونات

التراثية، والأشكال التي اتخذتها، وحاولنا تقديم تصور للّصوصية في الدراسات المعاصرة من خلال الطرح الأنثروبولوجي للموضوع.

في حين ناقش **الفصل الثاني** مغذيات اللّصوصية وأسبابها السياسية والاقتصادية ودور الفوارق الاجتماعية في تفعيل الآفة الاجتماعية ولم نغفل على إكراهات المجال في الدفع بظاهرة اللّصوصية من خلال جغرافية المجال الصعبة والكوارث الطبيعية.

أما **الفصل الثالث** والذي يعد صلب الدراسة مثّل محاولة لدراسة ميدانية تحاكي دراسات علم الاجتماع انطلاقا مما توفره المادة المصدرية في رصد بنية المشهد اللّصَصي المركب من اللُّصوص والمستهدفين والظروف المحيطة بهم، من المكان، الزمان، أساليب التلصُّص، ووسائل الجريمة، فيما استقل أحد المباحث برصد المجالات التي نشطت فيها الآفة من القبيلة إلى الطرق والمسالك مرورا بالمدينة، أما المبحث الذي يليه أدرج فيه الفئات التي مارست اللّصوصية وطابعها بين الطبقة الخاصة والعامة، أما في ختامه ناقشنا نوعا آخر من اللّصوصية المرتبط بالمجال البحري المتمثل في لصوص البحر.

فيما اهتم **الفصل الرابع** بجمع مختلف آثار اللّصوصية والجهود التي اتخذت لمواجهة الظاهرة، اختص في جزئية بالآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، أما الجزئية التالية إهتمت بالتدابير المتخذة في مواجهة اللّصوصية التي تراوحت بين الجهود الفردية، جهود السلطة السياسية، ومشروع النخبة العالمة من الفقهاء والأولياء في الحد من الظاهرة.

وألحقت الدراسة بمجموعة من الملاحق التي تنوعت بين نصوص، خرائط ومخططات تخدم الدراسة في بعض جزئياتها.

خامسا- منهج الدراسة:

للاستفادة من المادة العلمية المتاحة كان لابد من استخدام مناهج بحثية تراعي طبيعة الموضوع لإبراز خصائصه المعرفية والوظيفية، فقد اعتمد على المناهج التالية:

1-**المنهج الوصفي:** لما كان موضوع الدراسة يتعلق بظاهرة اجتماعية استوجب أن يرافقنا المنهج **الوصفي** في جل حيثيات البحث، خاصة فيما تعلق بنقل مشاهد ميدانية متعلقة بالسرقة وقطع الطرق من المتون المصدرية أين وصفت حالة الغارات، والأساليب المعتمدة في السرقة، مع وصف الحالات النفسية التي يتركها اللّصوص في نفسية ساكنة المغرب الأوسط، يضاف لها وصف البيئة التي نشطت فيها الظاهرة (الطرق والمسالك، المفازات...)، ووصف الخصائص المميزة لصوص البر عن قراصنة البحر.

2-**المنهج الاستقرائي التحليلي:** إنّ اعتمادنا على المصادر المكملة المتمثلة في النصوص الفقهية والمنقبية، فرض علينا استخدام المنهج **الاستقرائي** باستقراء النصوص الفقهية والمنقبية واستخراج ما يخدمنا في البحث، حيث استنبطنا مختلف أشكال اللّصوصية والأساليب المستخدمة فيها، أنواع المسروقات وأشكال التصرف فيها، وآلية مواجهة اللّصوصية، واعتمدنا عليه في تحليل وتفسير العلاقات التي تربط الهجرة الهلالية

وظاهرة اللّصوصية، واستخراج مختلف مظاهر التشابك بين الفوارق الاجتماعية وآفة السرقة وقطع الطرق، والكشف عن التلازم بين المسألة الأمنية وانتشار آفة السرقة والحرابة، ويأتي توظيف المنهج التحليلي في تحليل بعض مضامين النّصوص المصدرية لإبراز خصائص الظاهرة وما يحيطها من مظاهر الفقر، التسول، أخطار الطّرق، الواقع النّفسي للمتعرضين للسّرقة.

3-**المنهج الكمي الإحصائي:** مرة أخرى تفرض علينا طبيعة الموضوع، يضاف لها طبيعة المادة العلمية القليلة والمتناثرة بين ألوان عديدة من المتون المصدرية توظيف **الإحصاء**، بجمع أعداد حول الآفة التي تتعلق أساسا بتعدد المصطلحات الدالة على الآفة، وتوزيعها في المصادر، ويسمح تفكيك أعدادها في إعادة تركيب المشهد اللصّصي بصورة جلية وواضحة بتعقب طبيعة المجموعات الفاعلة، معرفة أوقات السّرقة وأمكنتها، طبيعة المسروقات، وسبل التصرف فيها، مما يقرب لنا مشاهد اللّصوصية بمقاربة موضوعية ووظيفية تسمح حتى بولوج جزئيات تبدو معقدة للوهلة الأولى لارتباطها بالذهنيات حيث يتم إحصاء الآثار السيكولوجية للجريمة، وطرق التعامل معها بجمع أعداد تعكس طرق مواجهتها لدى الأولياء والفقهاء، وأساليب خفر الطرق، كلها بتقديم أعداد يسهم تفسيرها في كشف اللبس عن مواطن عديدة للظاهرة في المغرب الأوسط، ولا نغفل مساهمته في تسهيل تحليل بعض مضامين النصوص المصدرية بتحويلها لأعداد.

سادسا- صعوبات الدراسة:

خلال إنجاز الدراسة اعترضتني جملة من الصعوبات يمكن حصرها في النقاط التالية:

-تعدد المصطلحات المتعلقة بـــ**"اللّصوصية"** وحدود التقارب الكبيرة بينها جعلت معاني التعدي، الغصب، السلب توظف في بعض المصادر بمفهوم السرقة واللّصوصية، ومرات بمفهومها الحقيقي ما صعب اختيار النصوص التي تخدم الموضوع، خاصة إذا انطلقنا من المصادر الفقهية في تحديد المفهوم الشرعي(القانوني) لها ومحاولة مطابقتها مع الممارسات الواقعية، يضاف لها التقارب بين التكتيكات الحربية من الغارة والسّلب والنّهب كأسلوب حربي والممارسة اللصّصية.

-الواقع السياسي الذي عرفه المغرب الأوسط وعدم وضوح ملامحه السياسية في المراحل الأولى للدراسة وغياب سلطته السياسة وانضواؤها إما تحت السلطة الحفصية أو المرينية زاد من صعوبة توظيف المادة العلمية التي في الغالب تميل للمغرب الأدنى والأقصى مما جعلنا نلجأ إلى مقاربة الاسقاط والتعميم، والتركيز على المدن التي تنضوي تحت سلطة المغرب الأوسط فغلب على بعض محاور البحث ما يمكن الاصطلاح عليه **"لصوصية مدن المغرب الأوسط"**.

-صعوبة تطويع المادة الفقهية لخدمة الموضوع إذ شكلت النسبة الكبيرة في بناء الموضوع في شقيه النظري والتطبيقي، لكن مشكلة التوطين الزماني والمكاني ظلت حاجزا أمام توظيف العديد من النوازل ذات الصلة بالموضوع.

-المادة المصدرية المتوفرة حول اللّصوصية جاءت مقتضبة جدا، وتطرح أشكالية انعدام التأريخ من الداخل لهاته الفئة فهي الفئة التي كتب عنها غيرهم؛ وعليه لم تنقل وقائع الجريمة كاملة إذ تقتصر على حادثة السرقة دون توضيح للأسلوب وطرق تنفيذ الخطط، تكوين صورة شبه متكاملة حولها تطلب التنقل بين المتون وجمع شذراتها للتمكن من معرفة خصائص المشهد اللّصّي.

-ارتباط الظاهرة بالجانب النفسي والسيكولوجي مهم في هذه الأبحاث إلا أنّه لم يُكتب عنه وظل مسكوتا عنه.

سابعا- عرض المصادر والمراجع:

1-المصادر: ساهم طرح مدرسة الحوليات المنهجي القائم على عتق الكتابة التاريخية من الوثيقة والخروج من دائرة قلة المادة المصدرية في طرق المواضيع الاجتماعية والتي إن وجدت معطيات حولها تبقى ترتبط في العموم بالنصوص الحديثة إلى الاعتماد على مصادر مكملة ترافق عملية الاستقراء وتحليل الوقائع الاجتماعية وما تحيط بها من ظروف لذلك تراوحت المصادر المعتمد عليها بين كتب الأسطغرافية والمصادر المكملة التي تراوحت في درجة أهميتها في دراسة موضوع اللّصوصية.

أ-المتون الفقهية: رغم ما تطرحه من إشكالية التوطين الزماني والمكاني لبعض النوازل إلا أنّها تعتبر مصدرا أساسيا في كتابة التاريخ الاجتماعي إذ لا تتوقف على الجانب القانوني من المفاهيم والأحكام بل تقدم صورا لتجسيدها الواقعي فهي تعطينا مشاهد حية عن السرقة والحرابة، واختلاف أشكالها بين المدينة والبادية، وساعدتنا مادتها في عملية الإحصاء؛ من أهم متون هذا النوع:

***جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام لأبي القاسم بن أحمد البرزلي(ت841هـ/1437م)**[1]، أمدنا بمعلومات حول مفهوم اللّصوصية ومدلولاتها المقاربة وحكمها الفقهي ووضح لنا أساليب الحرابة في المدينة واختلافها مع الحرابة عموما.

***الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى المازوني(883هـ/1503م)**[2]، ساهمت نوازل هاته الموسوعة الفقهية بتقديم أمثلة واقعية كثيرة لأعمال اللّصوصية والحرابة خاصة وأنه مصدر مغرب أوسطي بامتياز، وضحت به حالات قطّاع الطّرق والإغارة على القرى وما يحصل عليه اللّصوص، كما بينت أوقات السرقة وأمكنة ممارستها، مع الإشارة لجهود الفقهاء في مواجهة السّراق وقطّاع الطّرق.

***المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد بن يحي الونشريسي(ت914هـ/1508م)**[3]، لم تختلف معطياته عما زودنا به المصدرين السابقين من الناحية النظرية والتطبيقية يضاف له أمثلة عن لصوصية البحر وإن كانت في إشارة واحدة إلا أنها تبقى مهمة.

---

[1]-تح: محمد الحبيب هيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002م.

[2]-تح: مختار حساني، دار الكتاب العربي، 2009م.

[3]-تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981م.

ج-مدونات المناقب والتراجم: لما كانت متون هاته المصادر تعتمد ترجمة للعلماء والفقهاء والصوفية فإن أخبار السّراق واللُّصُوص جاءت فيها عرضا ولم تكن محورا أساسيا ذلك أنّ بعض من أصحاب الترجمات ممن تعرضوا للسّرقة وقطع الطّريق ذكروا أحوالهم معهم في خضم الترجمات واستفدنا منها بالدرجة الأولى طرق تعاملهم مع اللصوص، من أهمها:

* **التشوف لرجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لابن الزيات(ت627هـ)**[1]، المدونة تعد مدونة لصوفية للمغرب الأقصى بالامتياز-ترجم لـ279من الرجال والنساء- لكن ذلك لم يمنع من الاعتماد عليها كونها قدمت إشارات مهمة حول لصوص المغرب الإسلامي بحكم التقارب الجغرافي ووحدة السلطة السياسية المتمثلة في الدولة الموحدية، قدم شواهد لتمثلات اللّصوصية وقطع الطريق من سرقات في الطرق وداخل المدينة وعلاقة الأولياء بالسّراق وموقفهم من اللّصوص.

***عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني(ت704هـ/1304م)**[2]، في خضم تعريفه بعلماء بجاية-ترجم لـ35 عالم- ذكر مظاهر سرقات بسوق المدينة، ومساعدة الأولياء للمسروقين في استرجاع أغراضهم، حتى إنه أشار في معرض ترجمته للسرقة في الوسط السياسي.

***أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسنطيني، (ت810هـ/1408م)**[3]، في عرضه سلسة سند طريقة والده إلى الولي أبي مدين وأثناء رحلته الروحية استعرض أحداث متعلقة بواقع المسالك والطرق بين مدن المغرب الإسلامي، وأشار إلى السرقات في المساجد وعلى طريق الحج.

***روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**[4] **والنجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب**[5] **لعبد الله محمد بن أحمد بن صعد التلمساني(ت901هـ/1495م)**، الكتاب الأول مختصر من النجم الثاقب، وأثناء عرضه لمناقب الأولياء ذكر أحوالهم مع السّراق، وقد دعمنا بصور حول الحجاج في طريقهم لأداء مناسكهم وما يعتريهم من أخطار فيها خاصة تعرضهم لقطّاع الطّرق.

***البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان لأبي عبد الله محمد بن مريم التلمساني(ت1014هـ/1605م)**[6]، من أكثر كتب التراجم حيوية من حيث أخبار اللصوص ترجم لـ67 عالم بين فقيه وصوفي، ذكر أساليب السرقة وأوقاتها، والمسرح الذي نشطت فيه، وتدابير الأولياء والفقهاء في مواجهة الآفة.

---

[1]-تح: أحمد التوفيق، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، ط4، الرباط، 2014.

[2]-تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1989.

[3]-تح: محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.

[4]-تح: يحي بوعزيز، منشورات ANEP، ط1، الجزائر، 2002.

[5]-تح: محمد أحمد الدّيباجي، ط1، دار صادر، بيروت، 2011.

[6]-تح: محمد بن أبي شنب، المكتبة الثعالبية، ط1، الجزائر، 1910.

د-كتب الرحلة والجغرافيا: تنفرد متون الرحلة بكونها مصدر لاإرادي في كتابة التاريخ لم يؤلفها أصحابها بهدف التأريخ، تعتمد مبدأ المشاهدة والمعاينة فيغلب عليها الطابع الوصفي والسرد الواقعي للأحداث كونها تنقل مشاهدات يومية للطرق التي اجتازوها وبعض الإشارات حول السرقة بالمدن التي زاروها، فكانت شهداتهم حية عن اللصوص وقطاع الطرق سواء في حركتهم للتجارة أو الحج برا وبحرا التي راح ضحيتها في أحيان كثيرة أصحاب الرحلات في حدّ ذاتهم.

***الرحلة المغربية لأبي عبد الله محمد بن مسعود العبدري (ت بعد 700هـ/1300م)**[1]، في طريقه من إقليم حاحا بالمغرب الأقصى، إلى المشرق برسم أداء شعائر الحج، توقف العبدري في عديد المحطات منها تلمسان التي وصف حال الطرق بها وانتشار اللصوص بمفازاتها سواء في طريق الذهاب أو العودة، كما أشار إلى حال بعض المدن الساحلية مع قراصنة البحر مثل بونة.

***تاج المفرق في تحلية علماء المشرق لخالد بن عيسى (حيا 767هـ/1365م)**[2]، في حركته من الأندلس لأداء فريضة الحج أيضا قدم وصفا لحال الطرق بالمغرب الإسلامي، والأخطار التي يواجهها الحجاج وأشدها تعرضهم لغارات اللصوص وقطاع الطرق، ومدافعتهم لهم للنجاة بأنفسهم.

***الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم لعبد الباسط المالطي (ت920هـ/1514م)**[3]، تضمنت رحلته مجموعة مهمة من الإشارات الدلة على السرقة واللصوصية، سواء في البيوت والمسالك البرية والبحرية في تلمسان وبجاية، كان في كثير من مرات ضحية لهم؛ فسرد أساليبهم وطرق التخلص من مكرهم.

***وصف إفريقيا لحسن بن محمد بن الوزان(957هـ/1550م)**[4]، يصنف من وجهة نظري كمدونة رِحلية غنية بالوقائع الاجتماعية، نقل فيها مظاهر الفقر وعلاقته بانتشار الآفات الاجتماعية، قدم صور أنثروبولوجية للّصُوص حيث ذكر أوصاف للباسهم وطرق عيشهم، وبعض الأوصاف القيمية لهم المستمدة من بيئتهم، لم يغفل فيها عن الجانب النفسي للمتعرضين للسرقة.

هـ-المصادر الأدبية: يعزى اعتمادنا على هذا النوع المصدري كون التراث الأدبي الإسلامي قد خلف لنا كثيرا من المصادر التي تعد قاعدة أساسية يرتكز عليها في البحث حول السياق التاريخي لبعض الظواهر الاجتماعية كونها ترتبط بظواهر لغوية وأدبية تراوحت بين الشعر والنثر، سمح طرقها برسم صورة عن خلفيات السرقة واللّصوصية حيث شكلت نوع من أنواع الشعر عرف **بشعر الصّعاليك** ونوعا أدبيا

---

[1]-تح: عكي إبراهيم كروي، دار سعد الدين للنشر، ط2، دمشق، 2005.

[2]-تح: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المحمدية(المغرب).

[3]-نشره: روبار برنشفيك، la rose éditeurs، باريس، 1936.

[4]-تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983.

خاصا سمي **بأدب الكدية**، عرفها المجتمع في العصر الجاهلي والإسلامي، قدم أصحابها طرق ممارستها وأشكالها وبعض التفسيرات لأسباب انتشارها، ومن أهم هاته المصادر نذكر:

***الحيوان للجاحظ(255هـ/868م)**[1]، ساهم الكتاب في تقديم بعض الأساليب المستخدمة من طرف اللّصوص والسّراق في سرقتهم داخل المدينة وخارجها.

و-كتب التاريخ العام: يغلب على هذا الصنف الأخبار السياسية والعسكرية؛ إلا أن ذلك لم يمنع من وجود إشارات حول السرقة والتلصُّص، كما دفعتنا الضرورة في عملية تحقيب بعض الأحداث اللجوء إليها، استفدنا منها في أحداث الهجرة الهلالية، أثر الحروب وما صاحبها من مظاهر السلب والنهب في اختلال الأمن داخل المدن والطرق، وأهم تلك المتون تمثل في:

***البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي عبد الله محمد المراكشي (حيا712هـ/1312م)**[2]، تميز تأريخه باعتماد وفاة الفقهاء والعلماء، مرتكز الخبر عنده يقوم على اختلال الأمن واستفحال الحرب، فاعتمدنا عليه في مخلفات الحرب وأثرها في انتشار الآفات الاجتماعية، وكان أهم ما استخلصناه أنّ تحول الولاء من الدين والشريعة الإسلامية إلى الولاء المذهبي سمح بشيوع حدود خاصة على مرتكبي الجرائم الاجتماعية التي انتشرت كالسرقة، القتل، شرب الخمر...

***الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب ومدينة فاس لابن أبي زرع (حيا 729هـ/1328م)**[3]، ذكر الأحداث التاريخية مفصلة ثم يقدم مجملها في ختام كل فترة، اهتم فيها بالكوارث الطبيعية وتأثيرها على الزرع والناس ومظاهر الموت فيها والفساد الذي خلفته، كما ساعدنا المصدر في التحقيب مفصل للأحداث السياسية والعسكرية حيث وضح تجهيزات القتال والمواجهات العسكرية وما يرافقها من سلب ونهب، فركز علة أخبار الأمن في بداية الدول وغيابه في آخرها.

***بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى بن خلدون(ت780هـ/1378م) الجزئين الأول**[4]، **والثاني**[5]، ذكر عمليات السلب والنهب التي رافقت الحملات العسكرية ساعدنا في معرفة تفاصيل حول الحصارات العسكرية، دور الوضع السياسي، والكوارث الطبيعية التي أثرت على أحوال المغرب الأوسط.

***ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وما عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون(808هـ/1405م)**[6]، تبقى المدونة السياسية الأهم في تاريخ المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط،

---

[1]-تح: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1965.

[2]-تح: ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1980.

[3]-صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

[4]-طبع مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903.

[5]-تح: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

[6]-تح: سهيل زكار وخليل شحادة، دار الفكر العربي، بيروت، 2000.

إلا أنّ ذلك لم يمنع من وجود نصوص حول الواقع الاجتماعي والاقتصادي. رغم ما يحمل عليه خاصة في نظرته للهجرة الهلالية إلا أنه قدم مظاهر النهب والسطو التي رافقتها، وتأثير الأعراب على المسالك والطرق سواء في حركة الحج أو التجارة.

2-**المراجع والدراسات المعاصرة:** حققت لنا المراجع الاستفادة في تفصيل مادة المصادر وسد بعض الثغرات الموضوع، وانقسمت بين المراجع باللغة العربية وأخرى أجنبية.

أ-المراجع باللغة العربية: تمكنا من الحصول على دراسات عديدة ناقشت موضوع اللّصوصية، أو كانت أحد أشكالها محور أساسي في فصولها، وتجدر الإشارة أنّ الدراسات في هذا الشق تفرعت لدراسات وثيقة الصلة بالموضوع من حيث الموضوع والتخصص، وأخرى مراجع ثانوية وبعيدة عن التخصص أي تعود للفترة الحديثة والمعاصرة إلا أنها أفادتنا في جزئيات كثيرة والأهم من ذلك أنها وجهتنا منهجيا. تميزت هاته الدراسات بمجموعة من الخصائص يمكن تحديدها فيما يلي:

-انطلقت في تحليلها لموضوع اللّصوصية من الخلفية الأمنية أي مدى تأثير اللصوص على الواقع الأمن للدول.

-ناقشت الظاهرة كإفراز ذهني للأزمة التي عاشها المغرب الإسلامي، في حين اعتبرت بعض الدراسات أنّ اللّصوصية هي شكل من أشكال الأزمة التي يتخبط فيها المجتمع أخذت بعد الجريمة الاجتماعية.

-يُؤخذ على بعضها أنها لم تضبط مفهوم دقيق للّصوصية، يميزها عن مختلف الظواهر التي تقاربها فاعتبرت الغصب الشطط الضريبي كلها من أعمال اللّصوصية.

-تناول اللّصوصية كظاهرة اجتماعية تصب في حيز التاريخ المسكوت عنه وتاريخ المهمشين.

وأهم هاته الدراسات التي ندرجها من حيث الأهمية وترتيبها في خدمة الموضوع:

***الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار لعبد الأحد السبتي**[1]، يستفرد المرجع بكونه ملم بالموضوع من الناحية المنهجية، رغم أنه يعود للفترة الحديثة إلا أن ما يحسب له أنه انتقل من الفترة الوسيطة للتقعيد للدراسة والبحث في جذورها التاريخية، ووظف مصادر العصر الوسيط في معالجته لنظام الحماية **"الزطاطة"** وظاهرة قطع الطريق، من الناحية المنهجية قدم سبل التعامل مع النص المنقبي وكيفية الاستفادة من طابعها الرمزي في خدمة الموضوع، في الجانب المعرفي، كما توضح الغموض حول الخفر، وتطور نظام الحماية في المسالك عموما.

***نظام الشرطة بالغرب الإسلامي(نسقية المؤسسات والممارسات الأمنية) لسعيد بنحمادة**[2]، الدراسة تتعلق بجهاز إداري أمني وتطور فعاليته في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، لكنه خصص فصلا كاملا

[1]-دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 2009.

[2]-منشورات الزمن، ط1، الرباط، 2017.

من مجمل الفصول الخمسة ناقش فيه موضوع بحثنا، خصص جزء للمسألة الأمنية على المسالك والطرق تطرق فيها لأثر قطاع الطريق عليها، أما المحور الآخر فناقش السرقة داخل المدن، وتنقل في مختلف المجالات السياسية للغرب الإسلامي أيضا أي في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، والمغرب الأوسط وخصص أجزاء للأندلس فكانت دراسة شامة أفادتنا كثيرا في فهم أثر اللصوص والسراق في مجتمع المغرب الأوسط، ولا ننسى أنّ المعطيات المنهجية في تعامله مع المصادر قد سهلت علينا مراجعة مادة المصادر وتحليلها.

***السّرقة واللّصوصية في تونس زمن الحماية لبلقاسم بنعبد النبي**[1]، الدراسة في أصلها أطروحة ماجستير، وهي في طور الصدور ككتاب منشور، لم نطلع على الدراسة كاملة لكن الجزء الذي حصلنا عليه[2] خدمنا في جانب المفاهيم والاصطلاحات، خاصة في لصوص الأزقة باعتباره مصطلح تفرد به صاحب الأطروحة.

***اللّصوصية وقطع الطّريق ببلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط ليونس شكير**[3]، أطروحة دكتوراه لم نطلع عليها لعدم توفرها لكن سمح لنا الملخص المنشور حولها بمعرفة الخطوط العريضة التي ناقشها الباحث، وكان محور بحثه أنّ اللّصوصية من مظاهر الأزمة التي عرفها مجتمع المغرب الإسلامي التي تعكس، وتدرج في تفسيره من المفهوم إلى الأسباب والأشكال التي اتخذتها اللّصوصية وصولا إلى آثارها.

***المهمشون في تاريخ الجزائر الاجتماعي (اللّصوص وقطّاع الطّرق أنموذجا1830.1918) لفؤاد عزوز**[4].

***ظاهرة اللّصوصية في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين/ق13-15م بلحسان محمد**[5]، تعد أول أطروحة دكتوراه حسب علمنا ناقشت الظاهرة بالمغرب الأوسط حيث اختصت بالمرحلة الزيانية، في الجزائر قدمت الدراسة فائدة منهجية في اثراء الموضوع، وتوجيهنا لعديد الدراسات المتعلقة

---

[1]-أطروحة دكتوراه، جامعة صفاقس، تونس، 2016.

[2]-ساهم الحوار والنقاش العلمي مع صاحب الأطروحة **"د.بلقاسم بنعبد النبي"** في إثراء الموضوع وإزالة الكثير من اللبس والغموض حوله، وقد سمح لي بالاطلاع على بعض جزئيات دراسة تتعلق بالموضوع نفسه في مرحلة العصر الوسيط(اللصوصية بالمغرب الوسيط من الحلول الموحدي إلى الحلول العثماني القرن6-10هـ/12-16م)، وهي في طور النشر أفادتني منهجيا ووجهتني لدراسات ومصادر مهمة تخدم الأطروحة.

[3]-أطروحة دكتوراه، جامعة ابن الطفيل بالقنيطرة، المغرب، 2021/2020، وقد كانت لي فرصة اللقاء بصحاب الأطروحة **"د.يونس شكير"** والأستاذ المشرف عليها الدكتور **"محمد الغرايب"** حيث استفدت منه في مواطن عديدة خاصة الجانب المنهجي في طرق المواضيع المتعلقة بالفئات المهمشة.

[4]-أطروحة دكتوراه، جامعة محمد دباغين سطيف2، الجزائر، 2021/2020.

[5]-أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2022/2021، ويحسب السبق في دراسة الموضوع لمذكرة ماستر: سلمى نوري، **اللّصوصية في المغرب الأوسط5-9هـ/11-15م**، (إشراف د.رضا بن النية)، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزئر، 2016/2015، كان لها أهمية كبيرة في فهمنا للموضوع من الناحية المنهجية، ووجهتنا لبعض الدراسات المتعلقة بالموضوع.

بالموضوع، في هذا السياق تليها تدخل أيضا الأطروحة المعنونة بـــ: **الحرابة المغرب الإسلامي خلال القرنين 7و9هـــ/13-15م لزكرياء قرناح**[1]، هاته الأخيرة التي مالت مادتها العلمية للمغربين الأدنى والأقصى.

يضاف لها مجموعة من المقالات العلمية ذات صلة بالموضوع وساهمت في إثراء مادة المصادر وفتح آفاق البحث خاصة فيما تعلق بالأسباب ومظاهر اللّصوصية أهمها:

-بلقاسم بنعبد النبي، عرف الطريق في البلاد المغاربية في القرن 19م[2].

-بلقاسم بواشرية، اللّصوصية وقطاع الطرق في الأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين[3].

-فارس كعوان، ظاهرة اللّصوصية وقطع الطريق بمنطقة سطيف (من لصوص السلب والنهب إلى ظهور اللصوص الشرفاء أواخر القرن19م)[4].

ب-المراجع باللغة الأجنبية: سمح توظيف المراجع الأجنبية بتوسيع دائرة فهم الموضوع، خاصة في الجانب النظري من حيث المفهوم، ومفهوم اللص الاجتماعي، كان يغلب عليها الطابع الأنثروبولوجي وهذا ما تميزت به دراسات هوبس باوم في كتابيه: E.J Hobsbawm

-Primitive Rebels(bandit,Mafia, Millenarians, Anarchists, sicilianfasci, the city Mob, Rital, sermons et Oaths[5]*.*

-Bandits[6].

ويضاف لها مقال مهم حول اللّصوصية كظاهرة عامة في البحر المتوسط وربطها بظاهرة الفقرلـــFernand Braudel

-Misère et banditisme au 16esiécle[7]*.*

وفي مقالها:

-Rahma Bourqia, vol, *pillage et banditisme dans le Maroc XIXe siècle*[8]

التي حاولت من خلاله الربط بين مفهوم اللّص النبيل وظاهرة التلصُّص في المغرب الإسلامي، وحركة الصّعاليك في المشرق في الفترة الجاهلية والإسلامية وكان مرجعها في ذلك ما كتبه إيريك هوبس باوم.

---

[1]- أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2022/2021.

[2]-مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن مركز جيل للبحث العلمي، العام 3، ع21، 2016.

[3]-مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج5، ع10، الجزائر، 2017.

[4]-مجلة الحوار المتوسطي، مج10، ع3، الجزائر، 2019.

[5]-published by the university of Manchester at the universtity press, first publised,1959.

[6]-Revised Edition, (pantheon Books, New York, 1981.

[7]-Annales ecomomiees, sociétés, civilisation, 2eannée ,N.2,1947.

[8]-Hesperis-Tamuda, vol. xxix, fase.2,1991.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل: الدكتور **بلقاسم فيلالي رحمه الله**، الذي ما انفك يمدني قبل وفاته بتوجهاته العلمية خدمة للبحث، غفر الله له وجعل الجنة مثواه، ولا يفوتني في هذا المقام تقديم أسمى عبارات التقدير والشكر **للأستاذ الدكتور إبراهيم بن مهية** الذي قبل طلب الاشراف على هذا البحث، واستقبله برحابة الصدر، و لم يبخل عليّ بمساعدته العلمية، وآمل أن يكون هذا البحث نافعا للمكتبة التاريخية، وخطوة علمية في حقل التاريخ الاجتماعي للمغرب الأوسط، و**لله الحمد** في البدء والختام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

السياق الدلالي والتراثي لظاهرة اللّصوصية.

أولا. اللّصوصية: مفاهيم ودلالات.

1-المصطلح عند أهل اللغة.

2-الدلالة الاصطلاحية للّصوصية.

3-اللّصوصية في مرادفاتها والصيغ المؤشرة عليها (مُنجز إحصائي).

4-اللّصوصية في النصوص الأجنبية.

5-التعريف الإجرائي.

ثانيا. أشكال اللّصوصية.

1-السرقة الفردية.

2-اللّصوصية الجماعية (قطع الطريق).

3-الخطف.

ثالثا. اللّصوصية في التراثيات العصر الوسيط.

1-أدب التدوين حول اللّصوصية.

2-بنية النّص اللّصّي في المصادر.

3-اللّصوصية والتهميش.

رابعا. اللّصوصية في تصور الدراسات المعاصرة (الرؤية الأنثروبولوجية أنموذجا).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يفرض علينا خوض غمار الكتابة حول اللّصوصية، البحث في مدلول المصطلح من الناحية اللغوية والاصطلاحية، للتمكن من تناول مختلف الفصول التي تطرقها الدراسة، والتعرف على مدى التطابق بين مختلف المدلولات التي تحمل معنى اللّصوصية، وأكثرها استخداما في مختلف المصادر التراثية التي طرقت موضوع اللّصوصية عرَضا أو واقعا في كتابتها.

أولا ــ اللّصوصية: مفاهيم ودلالات.

1-المصطلح عند أهل اللغة.

لغة: يتفق الأصل اللغوي لمادة اللّصوصية في معظم المعاجم العربية على معنى واحد، وإن كان هناك اختلاف في التفصيلات يمكن إبرازها من خلال رصد مادة "لص" في المعاجم المختلفة:

المؤلف وسنة الوفاة	المعجم	المعنى اللغوي "لص"	ج/ص
الخليل بن أحمد الفراهدي ت 175هـ/786م	العين[1]	لَصَصْ: اللّصوصية والتَلصصُ واللّصوصية مصدر من اللّص، والتَلصيصُ، كالتَرصيص في البنيان واللَّصصُ في هذه اللغة كالرَّمص، وأرض مُلِصَّةٌ، كثيرة اللُّصوص واللَّصص: التصاق الأسنان بعضها ببعض، واللُّصُّ جمع الأَلَصُّ، وهو مقاربة الأسنان.	84/4
الجوهري ت393هـ/1002م	الصحاح[2]	لصص: اللِصُّ واحد اللُصوص، واللُّصُّ لُغة فيه، ولِصُّ بيّن اللّصوصية، وهويَتَلَصَّصُ، وأرض مَلَصَّة: ذات لُصوص. والأَلَصُّ: المتقارب المنكبين يكدان يمسان أذنيه، والأَلَصُّ أيضا المتقارب الأضراس، وفيه لَصَصٌ، والتَلْصيصُ في البنيان: لغة في الترصيص.	1430
ابن فارس ت395هـ/1004م	مقاييس اللغة[3]	لِصٌ: يدل على المقاربة، من ذلك اللَّصص وهو تقارب المنكبين، يكدان يمسان الأذنين، والأَلصُّ: المتقارب الأضراس أيضا، ويقال لُصِّصَ البنيان مثل: رمص ويقال: إن الجبهة الضيقة اللُّصاءُ، اللُّصاء من الغنم التي أقيل أحد قرنيها على الوجه، ومن الباب اللِّصُ لأنه يلصق بالشيء يريد أخذه وفعله اللّصوصية بفتح اللام، ويقال أرض مَلَصَّةٌ: كثيرة اللُّصوص.	205/5
جار الله الزمخشري ت538هـ/1143م	أساس البلاغة[4]	لُصٌّ، ولَصَّ**بَيِّنُ** اللّصوصية، وقد لَصَّ، يَلِصُّ بكسر اللام، وهو يَتَلَصصُ إذا **تكررت سرقته** وامرأة لَصَّةٌ، ورجل أَلَصُ الأضراس وبه لَصَصٌ، وأَلَصُّ الفخذين والمنكبين متقاربان تكدان تمسان أذنيه.	168/2.
ابن منظور ت711هـ/1311م	لسان العرب[5]	لَصَصَ، اللِّصُ: **السارقُ معروفٌ**، مصدره بين اللّصوصية والتَّلَصُّصُ، ولِصٌّ بَيِّنُ اللّصوصية وهو يَتَلَصَصُ.	4031.

[1]-تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003.

[2]-تح: محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009.

[3]-تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر، 1979.

[4]-تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998.

[5]-دار صادر، بيروت، 1906.

الفيروز ابادي الشيرازي ت 817هـ/1436م	المحيط[1]	لَصٌّ، فعل ستر وإغلاق الباب وإطباقه والسَارقُ، ج لُصُوص وأَلْصَاصْ وهي لَصَّجٌ لَصَّاتُ، ولَصَائِصْ، والمصدر اللّصص واللّصَاصَ واللّصوصية وأرض مَلَصَّةٌ كثيرهم، واللّصص تقارب المنكبين والأضراس.	314/2.
الزبيدي ت1205هـ/1790م	تاج العروس[2]	لصص: اللّص: فعل الشيء في ستر، ومنه اللص، وقيل: هو اغلاق الباب واطباقه، واللص السارق المعروف. التلصص: وهو اللّصوصية وهو التلصص، اذا تكررت سرقته، والتلصص: التجسس.	/18 -146 149.

الجدول رقم1: مصطلح اللّصوصية في المعاجم اللّغوية.

تفيد المعاني السابقة من الناحية المعجمية إلى أنّ الأصل اللغوي لكلمة اللّصوصية: هي التقارب والالتصاق، فعل يهدف للاختفاء للحصول على الغرض المقصود، وهو فعل يماثل فعل السّارق الذي يسرق ممتلكات الآخرين، عن طريق التستر على ما يقوم به، كأن يقارب بين كتفيه ومنكبيه أو يلتصق بالشيء، وبناءً عليه فاللّصالذي يحيل إليه المعنى اللغوي هو: السّارق الذي تكررت سرقته وصار معروفا بها، فهو يسرق ما يملكه غيره سرا ودون حق مشروع[3].

2- الدلالة الاصطلاحية للّصوصية.

البحث في مفهوم اللّصوصية من الناحية الاصطلاحية يحيل دائما إلى أنّ توظيف اللصوصية يأتي مقابل للسّرقة وتعد أكثر استعمالا وتوصيفا لها:

السّرقة في اللغة:

المعجم	المعنى اللغوي "سرق"	ج/ص
العين[4]	سَرَقَ: السَّرَق: أجود الحرير، الواحدة سَرَقَةٌ. والسَّرَقُ: مصدره والسَّرِقة اسم، والاسترَاقُ: الخَتْلُ الذي يَسْتَرِقُ السمع أي يقرب من السماء، فيستمع ثم يذيع، والكَتَبة: يسرقون من بعض الحسابات.	.240/2
الصحاح[5]	سَرَقَ منه مالا يَسرقُ سَرَقًا بالتحريك، والاسم السَرِق والسَرِقَةُ، بكسر الراء فيها جميعا، وربما قالوا سَرقه مالا، وسَرَّقَهُ أي نسبه إلى السَرِقة، استَرَقَ السمع أي استمع مستخفيا ويقال وهو يُسارق النظر إليه إذا اهتبل غفلته.	.1496/4
لسان العرب[6]	سَرَقَ الشيء سَرَقًا وسَرِقا واسْتَرَقَهُ، والاسم السَّرِقُ والسَّرِقَةُ، وربما قالوا سَرَقَهُ مالا، وفي المثل سرق السارق فانتحر. وفي حديث عدي: ما تخاف على مطيتها السَّرَق، وهو بمعنى السَّرِقَة، وهو في الأصل مصدر ومنه الحديث تَسْتَرِقُ الجنُّ السّمع: تَفتعلُ من السَّرِقَة، أي أنها تسمعه مختفية كما يفعل السَّارق وقد تكرر في الحديث فعلا ومصدرا.	1998

[1]-مطبعة الرسالة، بيروت.

[2]-تح: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1979.

[3]- محمد نبيل طرفي، ديوان اللّصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2004، 14/1.

[4]- الفراهدي، المصدر السابق.

[5]-الجوهري، المصدر السابق.

[6]-ابن منظور، المصدر السابق.

المحيط	سَرق منه الشيء يَسرقُ سَرَقًا وسَرَقة وسَرقا بالفتح واسْتَرَقَهُ جاء مستترا إلى حرز فأخذ مالا لغيره، والاسم السَرْقةٌ.	237/3

الجدول رقم2: مدلول السرقة في معاجم اللّغة.

يتفق المعنى اللغوي للسّرقة على حدَّين الأخذ والتخفي، فهي الأخذ بغير حق خفية[1].

***السّرقة في الاصطلاح:** أخذُ مال الغير المنقول دون رضاه[2]، ينبني التعريف الاصطلاحي للسّرقة على المفهوم الشرعي: فهي أخذ المال محترم لغيره على وجه الإخفاء من مالكه[3]، وشرح حدود التعريف يتطابق مع المعنى اللغوي(الأخذ والتخفي)، وفيه خصائص فعل السَّرقة، فأخذ المال أخرجت به الهبة أو العطيـــة أو الصدقة، ومحترم أُخرج غير المحترم كالخمر وآلة اللهو ونحو ذلك ولغيره، وأُخرج ما فيه الشركة، على وجه الإخفاء، وأخرج الغاصب والمختلس والخائن والمنتهب[4]، من ذلك قول ابن عرفة(ت803هـــ/1400م)في شرح قوله تعالى: "وَٱلسَّـارِقُ وَٱلسَّـارِقَةُ" [5]، قال السارق عند العرب من جاء مستترا إلى حرز فأخذ منه مـــا ليس له فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس، فإن مُنع مما في يده فهـــو مغتصـــب[6]، فشرط الاختفاء والاستتار لازم في تحديد فعل السّرقة لإخراج كل فعل يأتي على وجه القهر أو الغصب أو الخديعة[7]، وهو ما يستوجب تطبيق حد القطع على مرتكبها.

***شروط تطبيق حدّ السّرقة على السارق في الإسلام :** ورد في المدونة الكبرى العديد من المسائل التي يستشف منها الدقة والتضييق في تطبيق حد السرقة إذ يستوجب شروط تنقسم إلى محورين منها ما تعلـــق بالسّارق، ومنها ما يرتبط بالمَسروق، يمكن تمييزها من خلال تحليل تعريف آخر أدق للسرقة علـــى النحـــو

---

[1]-محمد نبيل طرفي، ديوان اللّصوص، 14/1، محمد بن سليم سفر المطرفي، جغرافية اللّصوصية في مدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1436هـــ، ص49.

[2]-إبراهيم القادري بوتشيش، إسهامات علماء القيروان في فقه القضاء الجنائي خلال العصر الوسيط، منشور ضمن العلوم والتقنيات بإفريقية في العهدين القديم والوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2012، ص9.

[3]-محمد بن عبد الله بن سبيل، حد السرقة في الشريعة الإسلامية، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، ع12، ص37. المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص428.

[4]-المرجع نفسه، ص37، 98. تتوافق مع السرقة بعض الأفعال في ميزة الأخذ، ولكن تأتي على وجه أخر مثل الإظهار والجهر بها، تتطابق مع السرقة في جزئية ولكن لها مسميات أخرى يطبق على مرتكبها أحكام أخرى وهي الاختلاس، والتعدي، ومن أخذ مال الناس من باب القوة واشتهر به وبكثرة فعله، وكان ماله من أنواع مختلفة من المكاسب غير المشروعة فيعرف في الاصطلاح الفقهي بمستغرق الذمة ولا يطبق عليهم حد القطع كما في السرقة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يُقطَع الخَائن ولا المنتَهِبُ ولا المختَلِسُ"، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1/ 864(رقمه: 2591، كتاب الحدود، باب الخائن والمنتهب والمختلس).

[5]-سورة المائدة الآية رقم38.

[6]-نقلا عن: ابن منظور، لسان العرب، ص1998.

[7]-الرصاع، شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تح: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993، ص649.

الآتي: **"السّرقة كل مال محرز بلغت قيمته نصابا إذا سرقه بالغ عاقل لا شبهة له في المال ولا في حـــرزه قطعت يده اليمنى من مفصل الكوع...وإنْ سرق مرارا قبل القطع فليس عليه إلا قطع واحد"**[1].

1-شروط تتعلق بالسّارق:

أن يكون الجاني بالغا عاقلا لقوله صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاثة: النائم حتى يســتيقظ والصغير حتى يبلغ والمجنون حتى يفيق"[2]، ولا يكون فاعلها مكرها مدفوعا عليها لقوله صـــلى الله عليـــه وسلم: "عفي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[3]؛ أي فعلها على وجه الاختيار وإن أرغم عليها سقط الحد عليه[4].

أن يكون المال الذي أخذ قد سرقه على وجه الإخفاء والاستتار.

ويستوي في تطبيق حد القطع الرجل، المرأة، الحر، السيد، المسلم، والكافر، ولا يقطـــع صـــبي ولا مغمى عليه إذا سرق في إغمائه، ولا عبد سرق من مال سيده ولا والد من مال ولده[5]، وأجـــاب مالـــك رضي الله عنه في وجوب تطبيق حد السّرقة على اليهودي السارق ذلك أنّ السّرقة من الفســـاد في الأرض وليس مما ينبغي أن يترك أهل الذمة عليها[6]، ولا يستثنى من تطبيق الحد العبد الآبق إذا بلغت ســـرقته قيمـــة القطع فتقطع يده[7].

2-شروط تتعلق بالمسروقات:

أن يكون المال المسروق نصابا فلا قطع في الشيء القليل، وهو الذي لم يبلغ النصاب الشرعي الـــذي حدده صلى الله عليه وسلم، بثلاث دراهم، وذلك عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صـــلى الله عليـــه وسلم أنها قالت: ما طال عليّ وما نسيت: **"القطع في ربع دينار فصاعدا"**[8]، وهو ما عمـــل بـــه الخلفـــاء الراشدون في الحرص على تطبيق الحدود، فالخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23-35هـــ/644-

---

[1]-الماوردي، الأحكام السلطانية، تح: أحمد جاد، دار الحديث القاهرة، 2006، ص331.

[2]-عن أبي هريرة، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يَعقل، أو يُفيقَ"، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، 658/1، (رقمه2041، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم).

[3]-عن أبي ذر الغفاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، ابن ماجة، المصدر نفسه، 659/1، (رقمه: 2043، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي).

[4]-زكريا إبراهيم الزميلي ومحمد عدوان، الإعجاز الشرعي في حد السرقة والحرابة، مجلة الجامعة الإسلامية، م4، ع1، القدس، 2006، ص27، 28.

[5]-الإمام سحنون، المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1994، 530/4.

[6]-مالك بن أنس، الموطأ، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1997، مج395/2.

[7]-المصدر نفسه، مج366/2، 397.

[8]-المصدر نفسه، مج395/2، ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن عائشة: قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقطع اليد إلا في ربع دينار فصاعدا"، ابن ماجة، المصدر السابق، 862/1، (رقمه: 2575، كتاب الحدود، باب حد السارق).

655م) قطع في ثلاث دراهم[1]، وذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (99-101هـ/717-719م) قال من بلغت سرقته ربع دينار فصاعدا قطعت يده[2].

الحرز وهو الموضع الذي يكون معدا لحفظ المال بحيث لا يكون الإنسان فيه مفرطا ومضيعا حرزه ولو كان بغير غلق، فيقطع من سرق أبواب المسجد أو أغلاقه أو أخشب سقفه أو مصابيحه المعلقة[3]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: **"لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل، فإذا أواه مراح أو الجرين، فالقطع فيما بلغ ثمن المجن"**[4]، ذلك أن حريسة الجبال لا قطع فيها لأن الجبل ليس حرزا لها إلا إذا أواها المراح قطع سارقها[5]، لأن شرط الحرز تحقق والمكان الذي يحميها، وعليه فالبيوت والدور هي الحرز فمن سرق منها قطع، ومن المعلوم أن الحرز تختلف أحواله باختلاف الأزمان والأمكنة والولاة والبادية والقرى والأمصار.

أن يكون السارق لا شبهة فيه يخرج به أخذ الأب مال ابنه ومن أخذ طعاما زمن مجاعة[6]، ومن سرق مال غريمه لا قطع عليه.

وكذلك العبد إذا سرق مال سيّده لا قطع فيه[7]، ولا قطع على من لم يخرج بالسرقة من موضعها[8] إلا أنه تقطع يد السارق في السرقة التي أخذت ولو لم ينتفع بها، ورجعت لصاحبها، وإنما سرقها حين سرقها ليذهب بها[9].

توفر هذه الشروط مجتمعة تستوجب تطبيق الحد على صاحبها، وهو القطع[1] بناءً على ما جاء في النص القرآني في قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ

---

[1]-الإمام سحنون، المدونة الكبرى، 527/4.

[2]-الإمام مالك، الموطأ، مج397/2، الإمام سحنون، المصدر السابق، 530/4.واختلف الفقهاء في طبيعة المال الذي تقطع فيه اليد، فذهب الشافعي إلى أنه يقطع في كل مال حَرُمَ على ساركه، وقال أبو حنيفة لا يقطع فيما كان أصله مباحا كالصيد والحطب والحشيش وعند الشافي يقطع فيه بعد تملكه وقال أبو حنيفة، لا قطع في الطعام الرطب وقال الشافعي يقطع فيه، وقال أبو حنيفة لا يقطع سارق المصحف وعند الشافعي يقطع، وقال أبو حنيفة لا يقطع إذا سرق من قناديل المسجد أو ستار الكعبة وعند الشافعي يقطع، وإذا سرق عبد صغير لا يعقل أو أعجمي لا يفهم قطع عند الشافعي، وقال أبو حنيفة لا يقطع، ولو سرق صبي صغير لم يقطع وقال مالك يقطع، راجع الماوردي، الأحكام السلطانية، ص331، 332.

[3]-ابن أبي البركات، بشائر الفتوحات والسعود في أحكام التعزيرات والحدود، نسخة مخطوطة، الخزانة الحسنية، رقم 103، و/92و.

[4]-جاء تفسير هذا الحديث حول الحرز أجاب في مسألتها الإمام مالك بن أنس: هل أُريد بثمن المعلق طعام لا يبقى في أيدي الناس فمن ثم دفع الحد؟ قال: قال ليس هكذا إنما أريد بذلك الحرز، ألا ترى أن الحريسة في الجبال لا قطع فيها، فإذا أواها مراح قطع سارقها؟ فهذا يدلك على أنه إنما أريد الحرز و لم يرد الطعام الذي يبقى في أيدي الناس أو لا يبقى. راجع: الإمام سحنون، لمدونة الكبرى، 536/4.

[5]-ابن رشد، البيان والتحصيل في الشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تح: أحمد الحبابي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1999، 209/16.

[6]-راجع ما جاء في المدونة الكبرى في سرقة العديم، المصدر السابق، 539/4.

[7]-الرصاع، شرح حدود، ص650، ابن أبي البركات، بشائر الفتوح، و/98و، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "...فليس عليه قطع خادمكم سرق متاعكم" لأن حالهم حال الخائن وليس على الخائن قطع راجع: الإمام مالك، موطأ، مج405/2.

[8]-ابن أبي البركات، المصدر السابق، و/98و.

[9]-الإمام مالك، المصدر السابق، مج397/2.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[2]، يقطع للجاني يده اليمنى من الكوع، فإذا قطعت يده اليمنى وعاود قطعت رجله اليسرى ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ثم إن عاد قطعت رجله اليمنى ثم إن عاد ضرب ونفي وسجن وقيل قتل وكل ما قُطع لزم تحميسه بالنار[3].

وتثبت السّرقة بالبينة والإقرار[4]، البينة بالشهادة، شهادة رجلين مسلمين حرين عدلين سواء كان السارق مسلما أو ذميا[5]، يشترط في قبول شهادتهما أن يَصفا السرقة والحرز وجنس النصاب وقدره ليزول الاختلاف[6]؛ ذلك أن التشريع الإسلامي ضيق في تطبيق الحدود من خلال درئها بالشبهات وفي المقابل متى توفرت الشروط وجب على السلطان تطبيق الحد متى بلغه فلا يقبل فيه شفاعة[7]. ولتطبيق حد القطع في السرقة حكمة سلوكية تهدف لإصلاح الجاني ووعظ غيره، وحكمة اجتماعية من خلال تحقيق الأمن للناس في أموالهم ومصالحهم.

3- اللّصوصية في النصوص الأجنبية:

---

[1]-ورد في القرآن الكريم ذكر السرقة في أكثر من موضع وفي سورة يوسف جاء ذكر حكم السرقة في الأمم التي قبلنا "بني إسرائيل" في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ من الآية70-79، يستشف من الآية أن السرقة سلوك منبوذ في المجتمعات القديمة بما في ذلك المجتمع الذي كان يعيش فيه يعقوب عليه السلام ة أبناؤه أو المجتمع المصري الذي انتقل إليه يوسف عليه السلام ويستخلص منها أن السارق عند بني إسرائيل كان يتمثل في الاحتفاظ بالسّارق واسترقاقه وتصييره عبدا من الزمن عند من سرق منه، عبد الحكيم بوزادي، التشريعات في العصور القديمة من خلال القرآن الكريم-أحكام القصاص والسرقة أنموذجين-، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، مج9، ع2، الجزائر، 2017، ص15، 16. وهذا حكم تم نسخه بتشريعاتنا من خلال إقامة حد القطع على السّارق، ولعل ذلك راجع إلى شدته وتأثيره نفسيا على السارق ونظرة المجتمع إليه خاصة أن الاسترقاق كان شائعا في ذلك العصر فلا يميز من استرق بالسّرقة أو غيرها، عكس القطع الذي يصبح وصما يلاحق صاحبه فيتجنب العودة لها وتكون ردعا لغيره.

[2]-سورة المائدة الآية رقم: 38.

[3]-ابن أبي البركات، بشائر الفتوحات، و90، 91، ابن رشد، البيان والتحصيل، 249/16.

[4]-الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، ص653.

[5]- لكن ابن سحنون أجاب في مسألة جواز شهادة غير العدول لأن المواضع التي يسرق منها السارق لا يحضرها العدول غالبا ولاسيما وقد كان أكثر سرقتهم بالليل وفي أوقات الغفلة التي لا يحضرها العدول ولا غيرهم، فتاوى ابن سحنون، تح: مصطفى محمود الأزهري، دار ابن عفان، ط1، مصر، 2011، ص256.

[6]-ابن رشد، البيان والتحصيل، 234/11، 235، محمد بن عبد الله بن سبيل، حد السرقة، ص57.

[7]-قال صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد حين شفع له في المرأة التي سرقت وأمر صلى الله عليه وسلم بقطع يدها، "يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"، تخريج الحديث: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث، وحدثنا محمد بن رميح أخبرنا اللّيث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، الامام أبي الحسن مسلم، صحيح مسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1991، 1315/1، (رقمه: 1788، باب قطع السارق الشريف وغيره).

أما إذا رجعنا للقاموس الأجنبي للبحث عن معنى اللّصوصية نجدها مشتقة من "Bandit" في معجم "Furetière" الذي كان أول من عرف هذه الكلمة في 1860م، وتعني "منفي سارق، قاتل يعبر البلاد بأيدٍ مسلحة"[1]، وتدل أيضا على عضو في مجموعة مسلحة من اللّصوص يهجمون على المسافرين[2]، هذا التعريف الذي يقترحه القاموس بالنسبة لكلمة "لِص" مسلح وقاطع طريق، وتوظيفه في الكتابة التاريخية يعتبره الكثير فخا دلاليا يجب تجاوزه في الدراسة ذلك أنه تعريف ينطلق من علاقة الفرد بالدولة/السلطة التي تميزه وتجعله "**خارج عن القانون**"[3]، ومنه يكون التعريف الاصطلاحي لممارس اللّصوصية: هو فرد متابع من طرف القانون هروبا من الإدانة المحتملة مما لا يعني أنه خارج عن المجتمع، بوصفه خارج عن القانون يجعله يرتبط تاريخيا بمبادرة من الدولة وليس من الفرد[4]، تعريف مركزي سلطوي يعبر عن وجهة نظر السلطة السياسية، فما تعتبره السلطة لصًّا قد يكون في نظر المجتمع غير ذلك، فهو **مصطلح مصطنع** من طرف السلطة لإقصائهم ويكشف بذلك عن أفخاخ مصطلحات أخرى مثل **"متمرد"** أو **"ثائر"** يمكن اختيارها أيضا[5]، النظرة التي تنطبق على حركة اللصُّوص التي انبثقت في المجتمعين الجاهلي والإسلامي من نفوس قد استشعرت الظلم والاضطهاد، وذاقت مرارة الحرمان والفقر، وأحست بانعدام المساواة الاجتماعية لذلك فقد آثر أصحابها **الثورة والتمرد** على الجبن والاستكانة لذلك[6]، متخذين من الشعر وسيلة للتعبير عن واقعهم وطبيعة حركتهم ومنهم من عرف بالشعراء اللّصوص أو الشعراء الصّعاليك.

الغموض الذي يكتنف مصطلح اللّصوصية قد يرجع إلى أن اللّصوصية استطاعت أن تغير تسميتها وشكلها وهذا حسب الفترات والظروف[7]، فمن الصعوبات التي يقدمها مؤلفو العصور الوسطى أنّهم يستخدمون كلمة قطاع الطّرق للتعبير عن مجموعة من المفاهيم تختلف تماما عن المعنى الأصلي للسّارق العادي[8]، لذلك لا يمكن الحديث عن أنموذج واحد للّصوصية وقد لا يدل المصطلح الواحد على اللّصوصية بل هناك مجموعة من المصطلحات تخضع لظرفية معينة لا يُتوقف في تعريفها وبيان مسافة التقاطع بينها للمعطى اللغوي والمعجمي بل تحتاج إلى البحث في الممارسة الواقعية للمصطلح، ودلالتها في مختلف النصوص المصدرية، وقد لا تحيل إلى تعريف واحد جامع ثابت الحدود.

---

[1]-Furetière Antoine,*dictionnaire universel*,(www. Furetière.eu).
[2]-*oxford learner's pocket dictionary*, new ediction,2003,p28.
[3]-Antonin plarier, *le banditisme rural en Algérie à la période coloniale (1871-1920)* ,histoire, université panthéon-sorbonne,paris1,français,2019,p11.
[4]-Antonin plarier, op.cit, p12-13.
[5]-ibid, p11, Panos Sophoulis**,** *Banditry in The Medieval Balkans (800-1500)*, palgrave macmillan, USA, 2020, p7-9.

[6]-محمد نبيل الطرفي، ديوان اللّصوص، 21/1.

[7]-Fernand Braudel, *Misère et banditisme au 16esiécle*, op.cit., p133.
[8]- Panos Sophoulis, op.cit, p7.

يشير F.Braudel أن اللّصوصية ليست واحدة بل اللّصوصية موجودة في كل مكان وبأوجه متعددة، سياسية، اجتماعية اقتصادية وإرهابية[1].

مَثل المفهوم الاجتماعي للّصوصية كتابات E.J Hobsbawm خاصة في كتابيه **"المتمردون البدائيون"**[2] و**"اللّصُوص"** حيث جاء تعريفها في هذا الأخير "شكل بالِ من التهيج الاجتماعي الذي تم إهماله في الأبحاث التاريخية"[3]، إنه شكل قائم بذاته رغم أن هذا الشكل يعبر عنه بالسرقة والنهب إلا أنه يحمل قيما نبيلة ويستحق أن نسميه بـ **"اللّصوصية الاجتماعية "** أو **"النّهب الاجتماعي"**[4] ، لأنه يمثل شكلا بدائيا من أشكال الاحتجاج الاجتماعي المنظم، ونوعا خاصا من الاحتجاج والتمرد القروي الذي ظهر أثناء المرحلة الانتقالية لتطور المجتمعات[5].وهو أنموذج متصل بما يسميه Hobsbawm **"اللص النبيل"**[6] الذي يتضمن عددا من المميزات:

-اللّص الذي يبدأ مساره بعد فترة كان فيها ضحية اللاعدل.

-يسرق من الأغنياء ليعطي للفقراء.

-لا يقتل وإذا فعل ذلك فهدفه الدفاع عن النفس أو لينتقم لشخص.

-ليس عدوا للملك أو الإمبراطور لكن عدو للسلطة المحلية (ليس لشخص الحاكم بل لسياسته، اللّص هنا ليس مجرد رجل بل هو رمز في أساطير قطّاع الطّرق الاجتماعيين)[7].

أنموذج Hobsbawm للّصوصية يدفعنا لطرح مجموعة من التساؤلات: طبيعة العلاقة التي جمعت اللّصوص بمجتمع المغرب الإسلامي؟ اللّصوصية في المغرب الأوسط حرفة أم سبيل لمواجهة واقع اجتماعي محدد؟ هل اللّصوصية في المغرب الأوسط أنموذج محلي أم هي نتاج واقع المجتمعات المجاورة في العصر الوسيط؟ الإجابة عن هذه التساؤلات قد تتضمنها الصفحات القائمة من البحث وقد تفتح الآفاق لإشكاليات أخرى.

إذن من خلال ما تم عرضه في الدلالة اللغوية والاصطلاحية **"اللّصوصية"** يمكن تقديم مفهوم إجرائي قد يساهم في فك بعض الغموض الذي يكتسيه المصطلح ويساهم في تصنيف المدلولات المشابهة والمقاربة له.

---

[1]- Panos Sophoulis, *Banditry*, p133.
[2]-*Primitive Rebels*, op.cit, p13.
[3]-*Bandits*, op.cit. ,p17-18.
[4]-*Bandits*, op.cit, p19.
[5]-Rahma Bourqia, vol, *pillage et banditisme dans le Maroc XIXe siècle*, op.cit, p192.
[6]-المبدأ الذي عملت به حركة الشطار والعيارين في المشرق الاسلامي، حيث كانت في بوادرها حركة شعبية أصلية ظهرت من بين العامة تمردت على الدولة والمجتمع، واستهدفت الثورة على الحكومة أو السلطة وذو المال، كلمة عيار قد ظلت تستخدم بمعنى "اللّص الشّريف" الذي كان يلجأ الى أعمال اللّصوصية لأنه يفشل في الحصول على تسوية لوضعه الاجتماعي، راجع أكثر: محمد رجب النجار، **الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص70. هو اللّص الذي تناولته دواوين الشّعر بصورة البطل الشجاع، لصٌّ اجتماعي لأنّه يتجنب نهب النساء والأرامل والفقراء من الناس.
[7]-E.J Hobsbawm, *Bandits*, op.cit, p127.

4-التعريف الإجرائي[1]:

اللّصوصية هي آفة اجتماعية[2]، وتعني السرقة المتكررة المعروف صاحبها، أفرزها واقع سياسي واقتصادي واجتماعي وديني، تهدف لتحقيق إشباع نفسي ومادي يحتاجه مرتكبها/الجاني وتأخذ صورتين فردية ومنظمة (قطع الطريق/الحرابة)، وهذا التعريف جاء بناءً على الملاحظات الآتية:

-لا يمكن الأخذ بالدلالة اللغوية للمصطلح فقط في تحديد مفهومه، فهي تجعله ثابت يتعلق بفترة زمنية معينة بل يجب أن يضاف لها الممارسة الواقعية للمصطلح، وما يطرأ عليه من تغيرات زمنية ومكانية، نتيجة تفاعل المصطلح مع البيئة، فهي ليست مسألة لغوية فحسب يرجع فيها إلى كتب اللغة إنما هي ظاهرة اجتماعية يرجع فيها إلى المجتمع وما كان ينضوي عليه من عوامل ساعدت على ظهورها.

-المعنى اللغوي للّصوصية والسّرقة يبين بعض الاختلافات بينهما؛ منها أن اللّصوصية تأتي مجاهرة وظاهرة أمام الناس ويعرف صاحبها نتيجة لكثرة ممارسته للسرقة وهذا ما ذكره صاحب معجم أساس البلاغة **"يَتَلَصَّصُ إذا تكررت سرقته"**[3]، وصار معروفا بها في قول صاحب معجم **لسان العرب "اللِصُّ: السَّارق المعروف"**[4]، فالسرقة تحافظ على جوهر تعريفها وهو الإخفاء والاستتار، وقد ترتبط السرقة بالمدينة **"المجال الحضري"** عكس اللّصوصية التي تكون **"البادية والريف"** مجالا لانتشارها، وهذا ما تحيل إليه الفتاوى التي وردت في النصوص الفقهية لموطأ الإمام مالك بن أنس والمدونة الكبرى للإمام سحنون رضي الله عنهما.

نافلة القول إنّ السّرقة أكثر مصطلح يدل على اللّصوصية ضمنيا لكنه من ناحية أخرى يشير لأنموذج مستقل من التلصُّص له خلفياته وتفسيراته (لصوصية المدن). هذا التداخل والتشابك نجده ينتقل إلى المدلولات المقاربة للّصوصية، الأمر الذي يفسر استخدامنا لبعض الصيغ المؤشرة لها لمصطلح مرادف باعتبار التطابق الذي تقدمه المادة الخبرية ويحيل إليه تحليل الممارسة الواقعية للفعل، لذلك وجب التدليل على المرادفات والصيغ المقابلة لها.

---

[1]-تعريف اللّصُوصية من ناحية **القانون الوضعي:** المشرع الجزائري لم يعرف السّرقة، بل جاءت المادة 350 في قانون العقوبات بقولها: كل من اختلس شيئا غير مملوك له يعد سارقا، راجع أكثر حول الموضوع: عمري عبد القادر، جريمة السرقة بين الشريعة والتشريع الجزائري، مجلة الدراسات القانونية، مجلة الدراسات القانونية، مج3، ع1، الجزائر، 2017.

[2]-الآفة في **اللغة:** كل ما يصيب شيئا فيفسده، من عاهة أو مرض أو قحط، يقال آفة العلم النسيان، المعجم الوسيط، ص32، ومن الناحية **الفقهية** قد تكون الآفة الجائحة أو النازلة إذا أصابت الزرع وأفسدته، ومن الجانب **الاصطلاحي:** يختلف تعريفها بناءً على خلفيتها قد تكون آفة اجتماعية أو زراعية أو حتى آفة خلقية وأخلاقية، بن خيرة رقية، بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين(ق11-12م) دراسة في ظاهرة الانحراف، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2017/2016، ص23، والآفة الاجتماعية تقابل الانحراف التي تعنى الظواهر السلبية تظهر في مجتمع لظروف معينة، تجمع بين السيكولوجي والقانوني والاجتماعي والاقتصادي، وحتى السياسي.

[3]-الزمخشري، أساس البلاغة، 168/2.

[4]-ابن منظور، لسان العرب، ص4031.

5- اللّصوصية في مرادفاتها والصيغ المؤشرة عليها –منجز إحصائي تحليلي-

في محاولة لضبط مصطلح اللّصوصية يجد الباحث نفسه أمام مجموعة من المصطلحات تتقارب مع مصطلح اللّصوصية سواء في المعنى أو الممارسة(السلوك)، توزعت هذه المصطلحات على مختلف المتون المصدرية التي اعتمدت عليها في الدراسة، مركزة في ذلك على ما تداولته المصادر المغربية أو ما كانت بلاد المغرب الإسلامي محورا أساسيا فيه[1]، وهذه المصطلحات منها ما تطابق تطابقا كليا ومنها ما هو تطابق جزئي فقط، وهي على النحو التالي:

المصطلح	مدلوله	التطابق	التكرار في المصادر	النص التطبيقي
قطاع الطرق.	الذين يعترضون أبناء السبيل فيقطعون بهم السبيل[2] يستعملون السلاح لتخويف المجتازين لأخذ أموالهم ومتاعهم	كلي	32	-وكان بها عبد أسود يقطع الطريق[3] -...يعرف بالفلاكي[4] الأندلسي وكان فتاكا شهما قاطع سبيل[1].

[1]-الدارس للمصادر المشرقية يجدها اختصت بمجموعة من المصطلحات التي ترادف فعل اللّصوصية قلّ ما تذكرها المصادر المغربية مثل: الصعاليك والشطار، وأخرى اختصت بها المصادر المشرقية دون المغربية منها: العيارين، النشّالة، الطَرارون، وهي على الترتيب، **العَيارُ في اللغة** يقال: رجل عَيّارٌ: كثير المجيء والذهاب في الأرض وربما سمي الأسد بذلك لتردده في مجيئه وذهابه في طلب الصيد، رجل عَيَّارٌ إذا كان كثير الحركة ذكيا، قال العرب تمدح بالعَيّار وتذم به، فيقال غلام عيَّار نشيط في المعاصي، وغلام عيَّار نشيط في طاعة الله تعالى ابن منظور، المصدر السابق، م3187/4 أما **اصطلاحا:** في تشير إلى حركة اجتماعية كان أكثرهم من الأحباش، وقد ظهروا أول ما ظهروا في أثناء الخلاف بين الأمين والمأمون على الحكم حاربوا مع الأمين، وأثبتوا مقدرتهم على القتال والاستبسال، واغتنموا ما أصاب بغداد من فوضى فأخذوا يسرقون التجار ليقيموا بما يسرقون منهم أرماقهم، ويسدوا جوعهم، لأنهم كانوا جائعين، حسن عطوان، **الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول**، دار الجيل، ط4، بيروت، 1997، ص8.ويعتبر **إبراهيم حركات:** "الصعاليك كانوا أشبه بمقدمة مباشرة لظهور العيارين فهم لم يكونوا مجرد عصابات صغيرة أو أفراد لا يُؤبَه لهم بل كانوا مجتمعا منظما أو قريبا من التنظيم، ولم تكن هذه الحركة مقتصرة على المشرق ولا على العالم الإسلامي، فقد كانت موجودة بشكل أو بآخر في عدة أقطار..."، **المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط**، أفريقيا الشرق، المغرب، 1998، ص76-79.راجع أخبار العيارين في: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1987، م396/5، 397. ويدرجها فهمي حسين: في نشاط العامة الذي يتخذ شكل حركات التمرد وتستهدف الحكام أحيانا والتجار أحيانا أخرى، كما كانت تقوم بحركات تستهدف النيل من جماعات أخرى من العامة وكانت الفئات الدنيا تسرع في التعبير عن رأي العامة في الأحداث الجارية، مستخدمة طاقتها في إسناد جملة من القضايا الاجتماعية والدينية، وكانت هذه الفئات الدنيا من العيارين والشطار، الذين كانوا غالبيتهم من العراة والمسلحين بالحجارة والعصي، ومن نزلاء السجون والسوقة وباعة الطريق والرعاع والأوباش والمطوعة والمبيضة الخارجين عن السلطة، **العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة(دراسة في التاريخ الاجتماعي)**، دار المنتخب العربي، ط1، لبنان، 1993، ص435، 436.//**النشال:** الذي يأخذ المال من جيوب الناس قي خفة، وعلى غفلة منهم، فهو لا يستغل الظلام ولكن يستغل الغفلة والمهاراته، محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص190.//**الطرار:** هو الذي يأخذ مال الغير في خفة وهم أيقظ، المرجع نفسه، ص190.وأيضا **الطرار:** هو البَطاطُ الذي يَبُط الجيوب والمناديل والأكمام ونحوها، محمد بن عبد السبيل، حد السرقة، ص55.يعني يتوفر فيه شرط الخفة في تنفيذ عملية السرقة.

[2]-ابن منظور، لسان العرب، 3678/4.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص39.

[4]-الفلاك: المفلوك الرجل الغير المحظوظ المهمل في الناس لإملاقه وفقره، الفلاكة يلزمها القهر والإكراه ومتى استولى القهر والغلبة على الشخص حدثت فيه أخلاق رديئة من الكذب والتخبيب وفساد الطوية، أحمد بن علي الدحلي، **الفلاكة والمفلكون**، مطبعة الشعب، ط1، مصر، 1905، ص3، 14-15،فهي تعني الفقر، ويرى الدحلي(ت838هـ/1434م) أنّ المفاليك-الفقراء- بعجزهم عن المعاش الطبيعي

الأعراب[2]		جزئي	38	–سئل عن شراء الأنعام من أعراب زماننـــا

فأهم يلجؤون إلى أعمال عقيمة يتكسبون منها ومن الحرف العقيمة وذلك نتيجة لعدم استطاعته الوصول الى العمل الطبيعي لكسب قوت يومه هو وأسرته أو لسهولة الاكتساب عن طريق الشعوذة والخداع الناس البسطاء بمثل هؤلاء، حمد بن عبد الرحمن الجنيدل، **دراسة للفكر الاقتصادي عند أحمد بن علي الدجلي من خلال كتابه الفلاكة والمفلكون اي الفقر والفقراء**، معاذ للنشر والتوزيع،ط1، الرياض، 1992، ص88، ولا يستبعد أنّ من تلك الأساليب التحايل على الناس وسرقتهم، واتخاذها–السرقة– من طرف البعض مهنة ويبدو ذلك من خلال الفلاكي الأندلسي الذي كان يمارس قطع الطريق في الأندلس قبل توبته منها في عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف الذي استخدمه في جيشه.

[1]–ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990، ص132، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية** في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديث، ط1، الدار البيضاء، 1979، ص113.

[2]–المصطلح من مادة عرب، والأعرابي البدوي، وهم **الأعراب**، ورجل أعرابي إذا كان بدويا صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلأ، وتتبع لمساقط الغيث، وسواء كان من العرب أو من مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب، فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء، اين منظور، **لسان العرب**، مج4/ 2864، المصطلح قديم يعكس في جذوره انتماء اثني لكن في معناه الواسع يعكس نمط عيش مرادف للبداوة، محمد حسن، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999، 89/1، معناه مطابق للمفهوم اللغوي الذي يعني سكان البادية، ومخالف للعرب سكان الحضر، في النص القرآني وصف الأعراب يعكس صورتهم الإيمانية(التخلف عن الجهاد، النفاق، عدم المعرفة بالدين...) هذا ما ورد مثلا في الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ سورة التوبة97 والآية 14 قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ من سورة الحجرات، راجع: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: عبد الله بن عبد الحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2006، 338/10–343، غير أنّ ابن خلدون كان يستخدم اللّفظين عرب وأعراب بمعنى واحد؛ استخدم لفظ العرب في وصفه طبائع الأعراب ومعايشهم، فهم الذين يعيشون خارج المدن ويشتغلون برعي الإبل ويتخذون الخيام مساكن لهم، ويظعنون من مكان لآخر حسب مقتضيات حياتهم وحياة أنعامهم التي يتوقف معاشهم عليها وهم المقابلون لأهل الحضر وسكان الأمصار، نجيب حماد الرماحي، **العرب لغة واصطلاحا**، المجلة الحولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2، 2016، ص7، وفي بعض المرات استخدم ابن خلدون لفظ العرب بشكل واسع ليشمل المجموعات البدوية المنتمية لأصول مختلفة، محمد حسن، **المرجع السابق**، ص90، في قوله "**العرب ومن في معناهم**"، ابن خلدون، **المقدمة**، تح: محمد رجب، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، ص107، لشمل بذلك كل المجموعات البدوية العربية وغيرها، في المصادر الفقهية المصطلح أخذ أبعاد مختلفة أيضا، الأعراب مصطلح يقصد به الجماعات ذات الأصل العربي وكذلك قبائل العرب الهلاليين الذين دخلوا إفريقية والمغرب مع القرن5هـ/11م، وهو تصنيف اثني، إلى جانب التصنيف السوسيواقتصادي كلمة أعراب تعني الجماعات التي تعيش في البادية مهما كانت لغتها وأصلها الإثني، المعنى الذي يحيل أنّ أعرابي يقصد به العربي الأكثر بداوة من البدويين، Elise voguet, dissidence affirmée ou rjet codifié de la umma Badawi et Arab les Nawàzil Màzuna, Alfa. Maghreb et sciences sociales, 2006, p149-150.le monde rural du Maghreb central(xiv^{e}-xv^{e} siécles), publication de la sorbonne, paris, 2014 ,p290. هذا ما يتقاطع مع مفهوم ابن خلدون الذي يقصد بهم الناجعة من رعاة الإبل، فالمصطلح يشير لنمط حياة البدو، هذا النمط من الحياة لا ينفصل عن نشاط **قطع الطريق**، السلوك الذي جعلهم مرفوضون من طرف الفقهاء ويعتبرون **محاربين** يجب جهادهم، الوصف الذي ربطته جلّ المصادر الفقهية بهم في اشارات كثيرة منها: "**أعراب** زماننا لا شغل هم إلا **شن الغارات** وانتهاب المسلمين" المازوني، الدرر المكنونة، 92/4، "أما **الأعراب** البغاة...**فإخافة الطريق** وسلب الأموال" نفسه، 184/4، "أهل قرية جاءها **أعراب** خيلا ورجالا بنجوعها" المازوني، نفسه، 386/1، "جماعة في مغربنا من **العرب**...ليس لهم حرمة إلا **شن الغارات** و"**قطع الطّرقات**"، المازوني، نفسه، 382/1، الونشريسي، المعيار، 436/2، يكاد لا يستخدم إلا في سياق الإغارة والنهب وقطع الطّريق.

في مرات كثيرة جاء مصطلح الأعراب ليكون بمعنى قريب من **مسغرق الذمة** أو **الغصب**، معنى فقهي يقصد به الناهبين الذين كونوا ثروتهم بالسلب والنهب الكثير للأشخاص، تأخذ المعاملة معهم شروطا خاصة، Elise voguet, dissidence, **op.cit**, p151، ومن الاشتقاقات

				الذين لا شغل لهم إلا شن الغارات وانتهاب أموال المسلمين من القوافل.[1] -سئل عن أقوام من المرابطين غار عليهم أقوام من العرب فأخذوا ما في أيديهم من الماشية[2].
المحارب	سيأتي التفصيل في مدلوله في أشكال اللّصوصية.	كلي	34.	-فمن لَقيه قال هذا لِص ومحارب[3] -شهادة اللفيف من الرجال والأحرار والعبيد والنساء على القطاع والمحاربين والغائرين والسالبين يقطعون على القوافل...[4]
الشطار	في اللغة: شَطَرَ عن أهله شُطوراً وشُطورة وشَطارة إذا نزح عنهم وتركهم مُراغما أو مخالفا وأعياهم خبثا والشَاطِرُ مأخوذ منه، وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثا[5].	جزئي	03	-...فوق رأسه امرأة شاطرة في العلية[6]. -حدثني يوما بعض الشطار ومن يرى الشجاعة[7].
الشفارين	في اللغة: الشفرة من الحديد، ما عُرِّض وحدِّد والجمع شِفار، والشَّفرة بالفتح السكين العريضة العظيمة وجمعها شفر وشِفار[8].	كلي	01	-وانظر المسمين بالشَفّارين ومنهم أنه يأخذ شفرة قاطعة جدا ويداخل الناس وينظر إلى ذرع الرجل...والظاهر عندي أنها حرابة[9]
خلال	/	كلي	01	-فقالوا له هذا خلال يأخذ أموال الناس ويدخل عليهم ليقتلهم[10].

الأخرى للمصطلح **العربان** الذي يطغى حضوره أكثر بداية من القرن7هـ/13م، قد يقصد به المصطلح الوارد في النصوص الفقهية جبارة العرب يعني كبار الأعراب حلفاء السلطة المسؤلين عن جمع الجباية ومخزن للجند المرتزق، ويرجع توظيف الأعراب كمصطلح مقابل للّصوصية لا يقصد منه السير في ركب النظرة التحقيرية لهذا العنصر إنما جاءت كونهما يتقاطعان في سلوك هؤلاء-الأعراب- الغالب عليها الحرابة وقطع الطريق وهذا حسب ما جادت به المدونة الفقهية؛ الأعراب مقابل للمغيرين من اللّصوص وقطّاع الطّرق، وإن كنا ننتقد الطرح القاضي بتعميم سلوك الأعراب على كافة العرب فإنّا لا نعدم أنّ هذه الفئة قد مارست اللّصوصية وقطع الطّريق وكانت سمة غالبة لها في مراحل كثيرة من التاريخ؛ لذلك نميل لاستخدام مصطلح "**بغاة الأعراب**".

[1]-المازوني، الدرر المكنونة، 91/4.

[2]-المصدر نفسه، 135/4.

[3]-االباديسي، المقصد الشريف والمتزع اللّطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح: سعيد أعراب، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1993، ص59.

[4]-المازوني، المصدر السابق، 211/4.

[5]-الجوهري، الصحاح، 697/2، ابن منظور، لسان العرب، 2263/25.

[6]-المقصد الشريف، ص113.

[7]-ابن مريم، البستان، ص34.

[8]-ابن منظور، لسان العرب، مج2288/4.

[9]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 182/6.

[10]-البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص12.

صعاليك	في اللغة، صَعلكَ، الصعلوك، الفقير الذي لا مالا لـــه وزاد الأزهـــري: ولا اعتمـــاد، والتَّصعلُك: الفقر.[1]	جزئي	01	-تساكن دليم الصنهاجيين الإفـــريقيين في صحراء ليبا وليست لهم قيادة ولا يتقاضون أي أجر، فهم صعاليك ولّصوص[2].

الجدول رقم3: حضور مدلولات اللّصوصية في النصوص المصدرية.

التعليق والتحليل:

جمعت النصوص التي تناولت مدلولات اللّصوصية من خلال31مصدرا موزعة على أربعة صـــنوف مصدرية (كتب التاريخ السياسي، كتب الرحلة، كتب المناقب، كتب الفقه والنوازل)، نلاحظ فيها تفاوتا في حضور مدلولات اللّصوصية بين قطاع الطرق، الأعراب، والمحاربين، الشفارين، ويرجع ذلك إلى طبيعة تكوين المؤلف(فقيه، مؤرخ، رحالة، ومن جمع بين السياســـة والتـــدوين...)، ويـــأتي اســـتخدام بعـــض المصطلحات علي سبيل الترادف والتقابل منها قطاع الطرق والحرابة فهي شكل من أشـــكال اللّصوصـــية المنظمة، تستخدم فيه الحرابة بالمفهوم الشرعي والفقهي، ولتحليل معطيات الجدول أكثر دقـــة حولتـــه إلى الشكل الآتي:

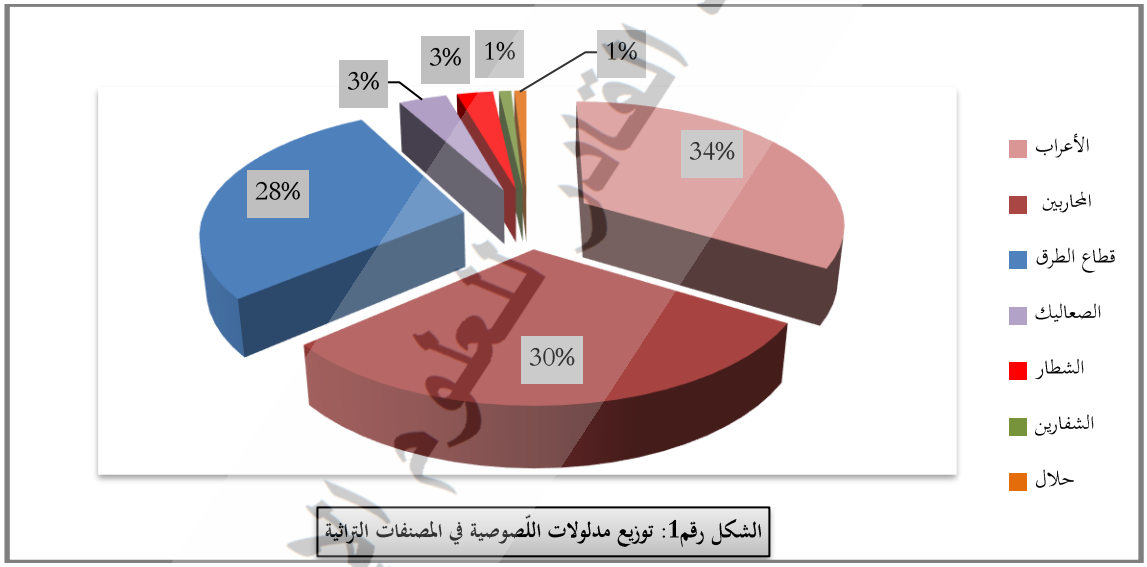

الشكل رقم1: توزيع مدلولات اللّصوصية في المصنفات التراثية

التعليق والتحليل:

نلاحظ أن المصطلحات الأكثر استعمالا هي على التـــوالي الأعـــراب 38مـــرة بمعـــدل(34%)، المحاربين/الحرابة بتكرار 34 مرة أي ما نسبته(31%) أما قطاع الطرق جاء بتكرار 32 مرة أي(29%)، وهذا يحيل إلى أنها تتطابق مع مدلول اللّصوصية تطابقا كليا مستثنين في ذلك مصطلح الأعـــراب بتطـــابق جزئي، يرجع للظرفية التاريخية التي تمت فيها عملية التدوين دور كبـــير، فاســـتفراد بعـــض المصـــنفات بمصطلحات معينة منها أن مصطلحي الأعراب والمحاربين كان أكثر استعمالا في الفترة مـــا بعـــد القـــرن

[1]-ابن منظور، المصدر السابق، مج2452/4.

[2]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 54/1.

5هـ/11م، ويرجع ذلك إلى دور الهجرة الهلالية إلى المجال المغربي، وما أحدثته من تغيرات سياسية واقتصادية ساهمت في بروز سلوك التلصُّص.

كما أن كتب الفقه والنوازل التي احتوت متونها كمّا لا يستهان به حول هؤلاء الممارسين لذلك السلوك، فأجاب الفقهاء عن استفسارات حولهم، وما تعلق بتأثيرهم على ساكنة المغرب الإسلامي من الناحية الاجتماعية، الاقتصادية، والأخلاقية، وقد برزت أكثر خلال القرنين7-8هـ/13-14م منها ما سئل فيه الفقيه أبو سعيد بن لب(ت782هـ/1380م) في قتل محارب منقطع قتل رجلا على وجه الحرابة[1]، وورد سؤال للفقيه محمد العقباني(811هـ/1408م) حول الأعراب أجاب فيه أنما سبيلهم سبيل أهل الطاغية والحرابة لشمول فسادهم[2]، وهي مسائل تعكس دور النوازل في إبراز الواقع الأمني للمغرب الإسلامي من خلال كثرة الفتاوى الواردة على الفقهاء في هذا السياق.

كان لمصطلح قطع الطريق (الذي يقابل الحرابة من الناحية الشرعية) حضور (مكرر32) بنسبة قدرها 29% بتطابق كلي مع مصطلح اللّصوصية، وكان أكثر تداولا في المصادر المنقبية والرحلة ذلك أن أصحابها كثيري التنقل والترحال[3]، سواء كانت رحلة تجارية، رحلة دينية(الحج) أو السياحة الروحية(المتصوفة)، فكانت متونهم مسرحا لتداول أخبار هؤلاء اللّصوص وقطّاع الطّرق عرضا أثناء وصف أحوالهم في التنقل، وهذا يدفع بنا لطرح تساؤل **هل توظيف المصطلحات في المصادر خاصة التاريخية يخضع للانتقائية؟**

في محاولة للإجابة عن التساؤل قمت بالبحث في توزيع مدلولات اللّصوصية في مختلف المتون المصدرية، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

	الأعراب	المحاربين/الحرابة	قطع الطريق	الشطار	الشافرين	الخلال	الصعاليك	المجموع	النسبة
كتب التاريخ السياسي	/	/	04	/	/	01	/	05	%5
كتب الرحلة	07	01	09	/	/	/	01	18	%16
كتب المناقب	08	01	11	03	/	/	/	23	%21
كتب الفقه والنوازل	23	32	08	/	01	/	/	64	%58
المجموع	38	34	32	03	01	01	01	110	%100

[1]-المازوني، الدرر المكنونة، 276/1.

[2]-المصدر نفسه، 184/4.

[3]- محمد عمراني، كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية، مجلة أمل، ع35، 2005، ص60.

الجدول4: توزيع مدلولات اللّصوصية على أنواع المصادر.

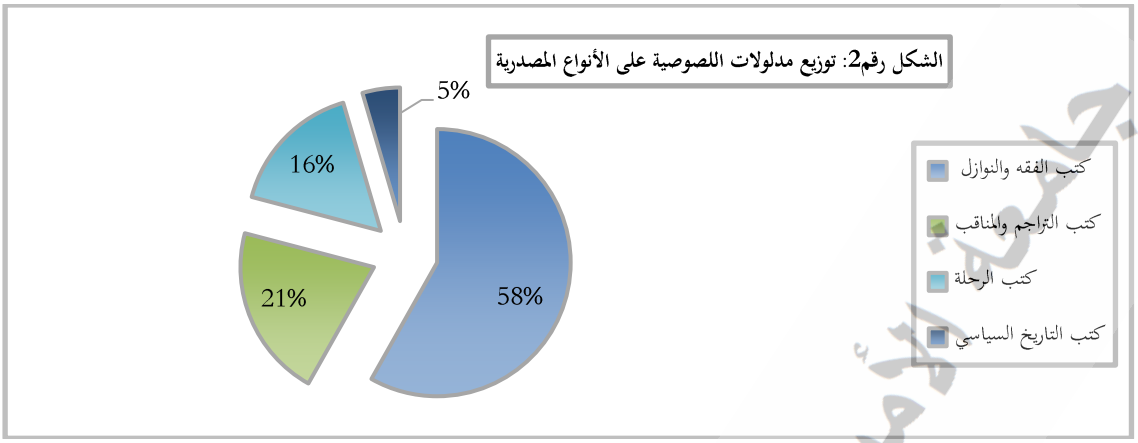

تحليل معطيات **الجدول2** والشكل المرافق له ارتأيت أن أفصلها في كل متن ما احتوى عليه من مصطلحات دالة على النحو التالي.

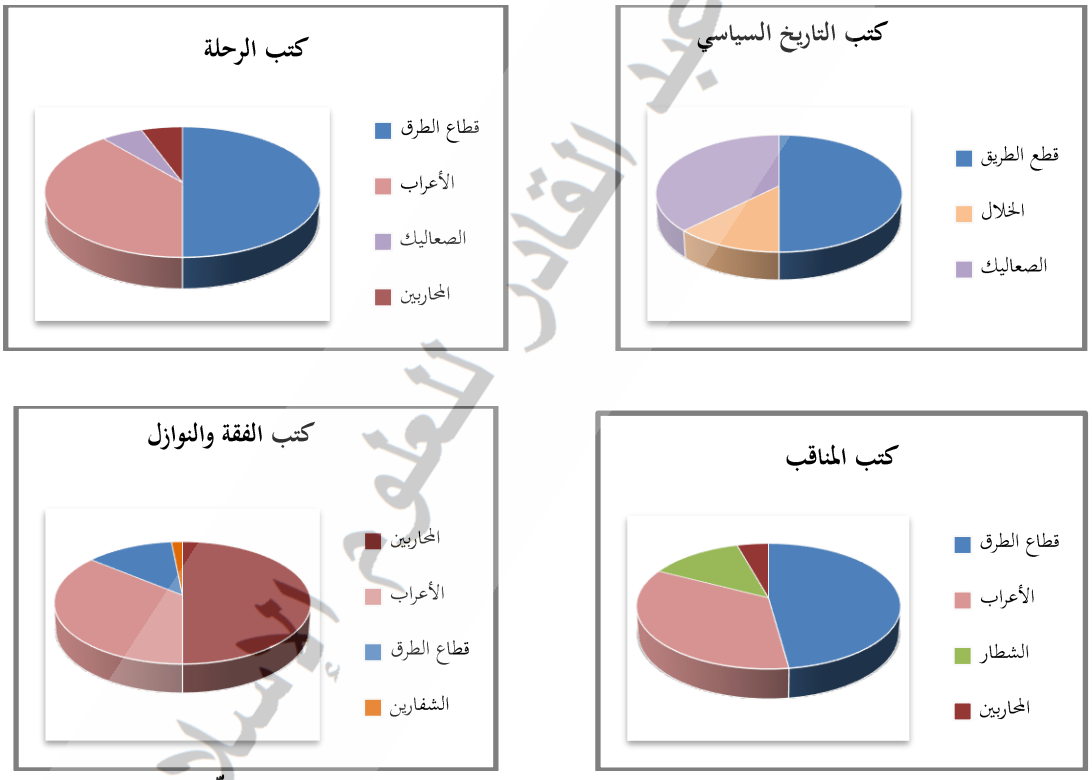

الشكل رقم3: حضور اللّصوصية في كل نوع مصدري.

التحليل والتعليق:

تباين استخدام المصطلحات في متون المصادر السابقة وبعضها غاب تماما، فمصادر التاريخ السياسي وظّف فيها مصطلح قطع الطريق 4 مرات، والجدير بالذكر أن هذا النوع المصدري استفرد في غالب الأحيان بمفردات تشير في جزئيتها، ويحيل تحليل سلوكها إلى ممارسة اللّصوصية وهي **"الغارة"**[1]، **"النّهب"**[1]

[1]-أَغَارَ على القوم إِغَارَةً وغَارةً: دفع عليهم الخيل وقيل الإغارة المصدر، والغَارة الاسم من الإغارة على العدو، وتَغَاورَ القوم: أَغَارَ بعضهم على بعض وغَاورَهم مُغَاورَة، وأغار على العدو يغيرُ إغارة ومُغارَة، وفي حديث من دخل إلى طَعام لم يُدع إليه دخل سارقاً وخرج مُغيرًا،

و **"السّلب"**[2] حيث يُفهم من معناها اللغوي أنها تعني الأخذ باستعمال القوة، أو ما يحصل عليه المنتصر في حرب أو قتال، فيكون الأخذ ظاهرا لا الاستتار، أتاحه اختلال الأمن للحصول على الأغراض دون الاختفاء، فتكون بذلك في كثير من المواضع تعني السرقة منها انتهاب المصحف الكريم زمن وقعة السعيد(646هـ/1248م) في جملة ما تم نهبه[3]، يضاف لها استعمال هذه المفردات بعد اللّصوصية وقطع الطريق في جملة ما يصيب الناس من سلب ونهب أثناء اجتياز السبل[4]، تأكيدا للفعل وشناعته، وبيان أنّ زمنه كان في حرب أو فتنة، فتكون الغارة والنهب والسلب من أشكال التلصُّص زمن اختلال الأمن، يحصل فيها الجاني على حاجته، منه ما تعرض له تجار قافلة حين غار عليهم قطاع السبيل فتبعوهم[5]، واستغلال الناس الواقع الأمني لانتهاب المحلات، وهو ما حدث لمحلة يغمراسن بن زيان(-633 681هـ/1236-1283م)سنة666هـ/1267م في وادي تلاغ **"...وانتهبت بني مرين محلته وأمواله، ومضاربه وعياله"**[6]، وهي تقارب معاني الحرابة وقطع الطريق إذا استعمل فيها السلاح والقوة.

وفي هذا السياق نجد مفردات يشير سياق تداولها إلى التلصُّص والسّرقة مثل **"حاز"** ما ذكره الولي الحسن بن مخلوف المزيلي(875هـ/1453م) **"فصاح على العرب الذين حازوا حماري"**[7]، ومنها **"الأخذ"** على سبيل القهر والسطوة لبيان أن الجاني على جانب كبير من الطغاية وهذا حال ما وصفه ابن مريم "وكان طاغيا جدّا لا يبالي بأخذ الأموال"[8]، في حين تعكس بعض المصطلحات صورة الجاني من الناحية الأخلاقية وتتطابق في ذلك –جزئيا–مع الممارسين للّصوصية والقطع الطّرق والحرابة وهي: **"الأشرار"** و **"الدعر"**[9]، "فالسّراق والذعرة ...يترقبون"[1]، ومنهم أيضا "قطاع الطرق الدُعّار"[1] وكذلك العصاة[2] الطغاة أهل الوقاحة والدعارة[3] ممن يأخذون أموال الناس بغير حق[4]. وهي جامعة لكل فعل مناف للأخلاق.

والمُغيرُ اسم فاعل من أغار يُغيرُ، إذا نَهَبَ، شبه دخوله عليهم بالسارق وخروجه بمن أَغَارَ على قوم ونهبهم. ابن منظور، لسان العرب، 3314/37.

[1]–النهب: الغنيمة وفي الحديث: فأتى بنهب أي بغنيمة والجمع نهاب، ونهوبٌ، ونَهَبَ النَّهَبُ، يَنهبُهُ نَهْباً، وانْتَهَبَهُ، أخذه، والنَّهْبُ: الغارة والسلب أي لا يختلس شيئا له قيمة عالية. ابن منظور، المصدر نفسه، 4553/50.

[2]–سلبه الشيء يسلبه سلبا، والاستلاب، الاختلاس، والسلب ما يسلب وفي الحديث من قتل قتيلا فله سلبه، وتقرر ذكر السلب وهو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قِرنه، مما يكون عليه ومعه ثياب وسلاح ودابة. ابن منظور، المصدر نفسه، 2057/23.

[3]–التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعياد، منشوراتANEP، الجزائر، 1985، ص134.

[4]–الدهماني، الأسرار الجلية في المناقب الدهمانية، تح: عبد الكريم الشبلي، كونتراست للنشر، ط1، تونس، 2015، ص11.

[5]–الشماخي، السير، تح: محمد حسن، المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2009، ص306/2.

[6]–ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص305.

[7]–ابن مريم، البستان، ص75

[8]–المصدر نفسه، ص233.

[9]–دَعِرَ الرّجلُ ودَعَرَ دعارة، فجر ومجر وفيه دَعَارةٌ، ورجل دُعرٌ ودُعَرَةٌ: خائن يعيب أصحابهُ، دَعِرَ الرّجل دَعرًا أذا كان يسرق ويزني ويؤذي النّاس وهو الدّعار: المفسد والدّعرُ، الفساد...رجل داعرٌ: خبيث مفسد، ابن منظور، لسان العرب، 4/ 1379.

التباين الذي يطرحه تعدد المصطلحات إذا استثنينا ثراء اللغة العربية من حيث المفردات نجد أنّ ذلك يوعز إلى تعدد مصادر الكتابة التاريخية، وتعدد الأنساق المرجعية والتقاليد الثقافية لأصحابها نتيجة للواقع الثقافي لعصرهم[6]، ذلك أنّ المؤرخ يتأثر بعصره وما يأخذه في عصره من معارف؛ كما يوعز أيضا لطبيعة المصطلح (فقهي، سياسي، اقتصادي، قانوني، اجتماعي...)، فالمصطلحات الاجتماعية المتعددة والتي تعبر عن ظواهر اجتماعية تحتاج لضبط مفهومها قبل تتبع مسارها التاريخي، ويستوجب البحث في طائفة خاصة من الظواهر التي سبق تعريفها ببعض الخواص المشتركة بينها، ومن الواجب أن ينصب البحث نفسه على كل الظواهر التي تتوفر فيها شروط ذلك التعريف، لتحديد معنى المصطلحات محل الدراسة كظاهرة الجريمة[7]مثلا التي تعتبر مصطلحا عامة وشاملا تتشابك مع المصطلح اللّصوصية في جزئيات ترتبط بالتفسير الاجتماعي للظاهرة والنظرة القانونية للفعل.

التعامل مع المفاهيم من الناحية السوسيولوجية يخلق صعوبات كثيرة لا يكون تجاوزها إلا بتفكيكها لاختيار المنهج المناسب في دراستها لا لإلغاء ما ترادفها من مدلولات وهذا ما يشير إليه أحد الباحثين"**...إن تناولنا لأي مصطلح من المصطلحات أو المفاهيم السوسيولوجية ما هو إلا لغرض البحث والدراسة والتحليل من أجل الوصول إلى ماهية ذلك المصطلح أو المفهوم...وذلك لغرض استخدامه وتحليل وتفسير ودراسة الظواهر الاجتماعية، إلا أن ذلك لا يعني الفصل الكامل بين تلك المصطلحات والمفاهيم المختلفة، حيث إن تركيب وتعقيد الظاهرة الإنسانية بصفة عامة والاجتماعية بصفة خاصة، يجعل تلك المصطلحات والمفاهيم كذلك مركبة ومتداخلة، لا تتعارض في غالب الأحيان، بقدر ما تكون مكملة لبعضها البعض في تفسير النظم الاجتماعية**".[8]وهنا يمكن تطبيق التحليل التاريخي كبديل للتحليل السوسيولوجي نتيجة للعجز عن التحكم في ظروف البحث الميداني فتكون المعطيات التاريخية سبيلا لدراسة الظواهر ووظيفة

---

[1]-ابن عبدون، رسالة في الحسبة، تح: ليفي بروفنصال، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص18.

[2]-الوسياني، سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة، ط1، مسقط، 2009، 727/3.

[3]-المازوني، الدرر المكنونة، 150/2.

[4]-المصدر نفسه، 352/4.

[5]-المصدر نفسه، 87/2.

[6]-نور الدين أمعيط، إشكالية المصطلح الاقتصادي في الكتابة التاريخية بالمغرب والأندلس (المصطلحات الضريبية خلال القرنيين 5و6هـ/11منموذجا)، منشور ضمن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس قضايا وإشكاليات، شمس برينت، ط1، الرباط، 2019، ص105.

[7]-طالب عبد الكريم كاظم القرشي، الظاهرة الاجتماعية عند إميل دوركايم (تحليل اجتماعي)، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، ع6، 2012، ص341.

[8]-ملود زايد الطبيب، علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابع من إبريل، ط1، ليبيا، 2007، ص37، 74.

السوسيولوجيا التاريخية إدخال الزمن كمتغير أساسي في التحليل السوسيولوجي[1]، البعد التاريخي هنا يصبح أساسيا لأن التاريخ يعطينا وسيلة للملاحظة والمراقبة[2] على المدى البعيد والمتوسط، وطرق الظواهر الاجتماعية من الناحية التاريخية لا يمكن الوقوف عليه إلا بعد تجاوز إشكال المصطلح، أين يجد الباحث نفسه أمام مجموعة من المرادفات تحمل سياقات سياسية ودينية(فقهية) لا يمكن الاستغناء عنها لأنها تساهم في بناء المفهوم الاصطلاحي للمدلول.

يلعب فيها تعدد المصادر دورا كبيرا نجد مثلا مصنفا واحدا يذكر أكثر من مفردة، وقد لا تكون لها نفس الدلالة أو العكس، منها كتب النوازل تجعل اللّصوصية مرادف للتعدي[3] والغصب في مواضع عديدة، وهذا ما يتوجب على الباحث في تاريخ الظواهر الاجتماعية ضبط تلك المرادفات.

رغم أن عملية توصيف أو تسمية الحوادث ليست سهلة وبسيطة: **"بل هي في غاية الخطورة إذ كل شيء من فهم وتفسير وحكم يبدأ بها وينتهي إليها قد يتلخص كل عمل المؤرخ في نعت الحدث"**[4]، فاللّصوصية تحمل توصيفات مثل الحرابة، التمرد، الثورة ... يتوقف اختيارها على اعتبارات عديدة سبق مناقشتها[5].

تطرح إشكالية تعدد استعمال مصطلحات مقاربة للّصوصية، مشكل الحدود الفاصلة بينها ليس ضبطا مفاهيميا أو تصنيفا للفعل بقدر ما يتعلق بتطبيق الحد أو القصاص أو التعزير[6] على مرتكبها، التقارب اللغوي لا يكاد يميز مما يجعل صعوبة التصنيف فتحال ضرورة على المفهوم الاصطلاحي؛ والفقهي بالدرجة الأولى، الأمر الذي ينطبق على مصطلح الغصب وعلاقته باللّصوصية؟

الغَصبُ، لغة: أخذ الشيء ظلما وعدوانا، أي تطلق على كل أخذ مستهلك بغير رضا صاحبه من شخص أو مال أو منافع ومثله التعدي كان سرا أو اختلاسا أو سرقة أو خيانة إلا أنه في **الاصطلاح** يعني: أخذ أعيان الممتلكات بغير رضا أربابها على وجه القهر والغلبة من ذي السلطان والغلبة[7]، فهي أخذ المال

---

[1]–محمد جسوس قضايا منهجية في البحث السوسيولوجي، تر: نجيب خالدي، منشورات الجمعية المغربية لعلم الاجتماع، الرباط، 2019، ص198.

[2]–المرجع نفسه، ص199.

[3]–التعدي التصرف في الشيء بغير إذن ربّه دون قصد تَملكه، راجع كتاب التعدي: الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، ص468.

[4]–عبد الله العروي، مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب والمفاهيم والأصول)، المركز العربي الثقافي، ط4، المغرب، 2005، ص243.

[5]–راجع **ملحق رقم1**: يوضع توظيف مدلولات اللّصوصية في الأنواع المصدرية.

[6]–التعزير ضرب دون الحد لمنع الجاني من المعاودة وردعه عن المعصية. ابن منظور، لسان العرب، **شرعا:** التعزير تأديب على ذنوب لم تشرع فيها حدود من وجه أنه تأديب واصطلاح، وزجر يختلف بحسب اختلاف الذنب، ويخالف الحدود في ثلاث أوجه؛ أحدها أنّ التأديب ذي الهيبة من أهل الصيانة أخف من تأديب أهل البذاءة والسفاهة. الماوردي، أحكام السلطانية، ص344.

[7]–البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 111/5.

قهرا من غير حرابة[1]، فالغالب أنّ المغتصب يتمتع بالقوة والغلبة(السياسية، النفسية)، يستعملها في الحصول على الممتلكات من مال ومتاع قصد تملكها والانتفاع بها بغير حق، وتفصيل **الرّصاع** في تعريفه للغصب يزيل الكثير من الشبهات بقوله: **"أخذ مال الغير منفعة ظُلما وقهرا لا لخوف قتال"**[2]، فقوله مال أخرج به غير **"المال"** في أخذ امرأة حرة وإن أطلقوا عليه غصبا فليس مقصودا عند الفقهاء اصطلاحا إنما لغة، وغير منفعة أخرج به التعدي، وقوله ظلما أخرج أخذه عن طيب نفس بغير باطل ويخرج منه أيضا إذا ظفر المَغصوبُ بماله عند الغاصب وأخذه قهرا، وكذا إذا أخذ من مال حربي وكذا إذا انتزع المال من يد عبده، وقوله قهرا أخرج به السّرقة والنهب وما شابه ذلك من الخيانة أما قوله لا لخوف قتال أخرج بها الحرابة[3].رغم أنّ المفهوم الفقهي للغصب يختلف عن المحارب ومنه تختلف وضعية كل منهما ف نظر المشرّع، فالغاصب على اقترافه لكبيرة ظاهرة لا يؤاخذ بوزر المحارب ولا يكفر مثله[4]مما يعكس الطابع النظري لتلك الأحكام وصعوبة وضعها موضع تطبيق فعلي[5].

والغصب أكثر ما تناولته كتب الفقه والنوازل خاصة تلك المسائل التي توالت على فقهاء المغرب الإسلامي فيما تعلق القبائل البدوية التي مارست الغصب في المجال المغربي في محاولة لحيازة المجال للعيش، تبين النصوص النوازلية أنّ المتمتعين بالغلبة والقهر هم من مارسوا عمليات الغصب من السلطان الظالم، عامل السلطان، أمراء العرب، شيخ القبيلة ممن يغرمون الوظائف المخزنية والجباية من النقد والزرع، وغالبا ما يكون عرضة لهم أهل الصنعة والحراثين في القرى والبوادي[6]، فأخذت أشكال غلبتهم أعمال اللّصوصية، النهب والغصب وهذا ما عبر عنه **جاك بيرك** "كانت هناك عمليات سلب ونهب: هجمات على القرى كان

---

[1]–الفرق بين الغصب والحرابة يتضح في جواب الإمام مالك رضي الله عنه حول الغاصب يكون محاربا؛ "أرأيت السلطان إذا غصب رجلا متاعا أو دارا أيكون هذا محاربا؟" قال: لا يكون هذا محاربا في قول مالك: "إنما المحارب من قطع الطّريق أو دخل على رجل في حريمه، فدافعه على شيء فكابره فهذا المحارب، أو لقيه بالطريق فضربه أو دفعه عن شيئه بعصا أو سيف أو غير ذلك فهؤلاء محاربون"، **المدونة الكبرى**، 188/4.

[2]–شرح حدود ابن عرفة، ص644.

[3]–الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، ص466، إلا أنّ هناك من الدّراسات في طرحها ربطت بين الغصب والتعدي واللصوصية وتجعلها في مقام الترادف، رغم الاختلافات الفقهية في مفهوم كل مصطلح، وحدود التقاطع مع اللّصوصية جزئية وليست كلية، راجع: بصديق عبد الكريم، **ظاهرة الغصب واللّصُوصية ببلاد المغرب الأوسط وأثرها على الحراك الاجتماعي في العهد الزياني**، مجلة عصور، مج20، ع1، وهران، 2021، ص88، 89، حياة بو صلاح، **حوادث الغصب بالمغرب الأوسط وأثرها على المجتمع الريفي** القرنين8-9هـ/14-16م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، مج16، ع4، الجزائر، 2020.

[4]–لطفي عيسى، بين الذاكرة والتاريخ في التأصيل وتحولات الهوية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015، ص50.

[5]–المرجع نفسه، ص47.

[6]–هناء شقطمي، الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط، من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أطروحة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012-2013، ص58، بصديق عبد الكريم، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثارها على المجتمع ما بين القرنين(6-9هـ/12-15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018، ص344.

يساهم فيها النساء، وقطع الطّريق أمام القوافل وسرقات من مختلف الأنواع: سرقات شرف، سرقة أتفه الأشياء، وهذا كان يتم في جو من العنف واللاأمن حيث عرف هؤلاء القوم بالجبابرة والغاصبين"[1].

فمن جملة ما أجابت عنه النوازل حكم المعاملات مع الغاصبين خاصة في المجال المالي من البيع والشراء[2]، وحكم من استغرقت ذممهم[3] بالغصوبات والسبيل في توبتهم في ثناياها يستشف منها إشارات تدل أنّ بعضهم كان جزء من ماله حصل عليه بالإغارة والحرابة.

يعني هذا أنّ من الغاصبين منهم محاربين، أي قد يجتمع في مال ومتاع الغاصب ما حصل عليه بفعل السّرقة والغصب، ما تفسره تداول مصطلح الغصب مع السّرقة والتلصُّص، فعمليات الغصب كانت تتدرج فيها أعمال نهب وقطع الطّريق واللّصوصية على الأقل في المرحلة الأولى لعملية التوسع الهلالي في بلاد المغرب الإسلامي(5-6هـ/11-12م) في شكل ضمني يتقارب فيه المحارب مع الغاصب[4]، وهذا ما اعتمدته في دراسة مسائل الغصب فتناولت فقط ما يخدم الدراسة أي ما كان فيه إشارة على أن المغتصب في ماله أو متاعه ما هو من السّرقة وقطع الطّريق.

ثانيا-أشكال اللّصوصية:

يتوقف تحديد نوع اللّصوصية على تحديد معيار التصنيف حيث تنقسم تلك المعايير إلى ما تعلق بالأفراد الممارسين لها من حيث **العدد** إن كان صغير أو مجموعة كبيرة فالأولى **سرقة فردية** أما الثانية فهي حرابة وقطع طريق تعرف **بالسّرقة المنظمة**، كما قد يعتمد النوع على الطريقة التي تتم بها اللّصوصية إنْ اعتمد على المهارات الفردية للّص وحيلته في الأخذ فقد تكون خَطْفًا (أكثر ما يرتبط بالخطف هو الأشخاص وليس المال والمتاع)، وإذا مارستها المجموعة وفق تنظيم وتخطيط فتصب في خانة اللّصُوصية منظمة.

---

[1]-Jacques Berque, l'intérieur du Maghreb (xv^e-xix^e siécle), éditions Gallimard, 1978.P47.

[2]-راجع المازوني، الدرر المكنونة، 62/3، 63، 58 و99/4، 101، البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 122/5، 171/5، الونشريسي، المعيار، 172/6-174.

[3]- مستغرق الذمة: **لغة:** مستغرقي جمع مستغرق وهو اسم فاعل من الاستغراق وهو الاستيعاب والإغراق مثل الاستغراق، فاغتراق أي استعابه في الزفير، ابن منظور، لسان العرب، 284/10، 285، وبالجملة فإن الغين والراء والقاف أصل واحد صحيح، يدل على انتهاء في شيء يبلغ أقصاه، من ذلك الغرق في الماء والغرقة، أرض تكون غاية في الري، واغرورقت العين والأرض، من ذلك كأنها قد غرقت في دمعها، ومن هذا الباب: أغرقت في القوس مددتها غاية المدّ، ابن فارس، مقاييس اللغة، ص708، **والذمة:** هي العهد والكفالة، جمعها ذمام، وهي أيضا بمعنى الأمان الضمان، الحرمة، الحق، يقال: رجل له ذمة أي حق، ابن منظور، المصدر السابق، 231/12، أما **اصطلاحا:** فمستغرق الذمة هو من كان كل ماله حرام وبلفظ آخر، أن يترتب في ذمته من الحرام ما يستغرق ما بيده من الحلال وغي من كان غالب ماله حرام، محمد بن مطلق الرميح، النوازل الفقهية المالية من خلال كتاب المعيار المعرب(دراسة نظرية وتطبيقية)، جامعة أم القرى، 2011، ص530-539.في مسائل مستغرقي الذمة راجع: البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 140/5، الونشريسي، المعيار، 139/6، 140.

[4]-لطفي عيسى، بين الذاكرة والتاريخ، ص51.

1-السرقة الفردية (لصوص المناسبات):

يتجه فيها اللّص للأخذ دون نِية الإضرار بالناس، وإنما الغاية الحصول على ما ينتفع به من طعام، مال، أو ما يمكن بيعه للاستفادة بثمنه، يعتمد فيها على الحيلة والذكاء والتخطيط في بعض الأحيان لإتمام الجريمة، ويتم تنفيذ العملية في بعض المرات اعتمادا على اللحظة التي تتيحها الظروف لتكون فرصة سانحة للسرقة منها الكوارث الطبيعية من جوائح وحرائق أو غفلة الناس يمكن الاصطلاح عليها بسرقة المناسبات أو السّرقة العشوائية، ويأتي تعريفها دائما في ربطها بسياق الأزمة **"تعتبر نشاط إجرامي يستفحل في فترات الأزمة"**[1]، فالأزمة بكل أشكالها تكون الوسط الذي تنشط فيه اللّصوصية الفردية خاصة على مستوى الأفراد.

استغل اللّصُوص والسّراق منهم حالات غياب الأمن في الأسواق خاصة للسّرقة وأخذ ما يمكن الانتفاع به، ففي ازدحام بسوق البحر ببجاية أخذت رزمة من الثياب لإحدى غسالات الثياب[2] استغل فيها اللّص حالة الازدحام وأخذ المتاع، كما انتبه سُراق لوجود فرس **حسن الوزان** وحده وغفلته عنه وسرقوا عنانه في سوق إقليم بني راشد(معسكر)[3]، والجدير بالذكر أن ما قام به هؤلاء اللّصُوص نابع من حالتهم الاجتماعية المزرية كونهما يشتغلان حمّالين في السوق والظاهر أنهم معروفون بذلك وهذا ما فسر به المسؤول عن السوق للوزان"**...إننا نعاني كثيرا لنجد أناسا يعملون كبغالين لأنها مهنة وضيعة وشاقة بالإضافة إلى أن الأجرة التافهة التي ندفعها لهم والتي لا تكفيهم قطعا، فسواء ربحوا كثيرا أو قليلا جدا، وسواء استأجرتهم أنا أو استأجرهم غيري فإنهم يسرقون ولأن كافة البغالين تعودوا على ذلك منذ طفولتهم، فنتركهم يسرقون وتعسا لمن لا يحترس منهم"**[4] فالأكيد أن اللّصّين عرفا أنّ الوزان غريب عن البلاد ولا يعرف أحوال أسواقها فاستغلاه في سرقتهما.

ترجمت النصوص المصدرية العديد من المشاهد في المغرب الإسلامي تعكس استفادة اللّصوص من الأحداث الطارئة لصالحهم منها السّرقة التي حدثت زمن حريق قيسارية مراكش سنة 607هـ/1210م استغل فيها السّراق حالة الهلع والهيجان وسط العامة عند نشوب الحريق فنهبوا كل ما استطاعت أيديهم الوصول إليه أورد صاحب البيان المغرب خبره: **"وفي هذه السنة كان الحريق الشائع الضرر الجاري بقيسارية مراكش وما اتصل بها وذاك ليلة الخميس الثالث عشر لجمادي الأولى والناس كما أووا غلى مضاجعهم وسكنوا إلى هدوئهم وهجوعهم فتمكنت النار بيابس العيدان وشفوف الثياب وأسرعت كالشهاب في سقف الأسواق فما هب الأقربون إليهم من نومهم ولا تلافاهم الصريخ من نومهم وإلا وقد**

---

[1]-بلقاسم بنعبد النبي، عرف الطريق في البلاد المغاربية، ص176.

[2]-الغبريني، عنوان الدراية، ص165.

[3]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 27/2.

[4]-المصدر نفسه، 27/2.

شب لهبها بين الآفاق وعلت ضجته المدينة وهتكت العامة بما والاها من الدروب المقفلة واتصل الصراخ والضجيج بالناصر لدين الله فخرج مسرعا من قصره وتخطى إلى الصعود بصومعة الجامع المتصل به فعاين أمرا لا مرد له ولا حيلة لمحتال إلا التسليم للكبير المتعال واقتحمت النار سفلة الغوغاء وضروب الغرباء فسلبوا بعض ما آلفوه مما سلم من الحريق وتسللوا به على كل طريق وأمد النار احتدم الهواء وموافقة زمن الصيف فما طلع الصباح وبقى من أمتعة مراكش ذبالة مصباح"[1].

وظّف السّراق الكثير من الحيل لتحقيق غايتهم منها التنكر والإلهاء، في سنة 543هـ/1148م تنكر مجموعة من قطّاع الطّرق في زي أصحاب المخزن مستغلين المجاعة والاختلال الأمني الذي رافقها واستقروا على الطرق الرئيسة ينهبون الناس بحجة أنها تأخذ لخدمة البلاد وجاءت بأمر من السلطان فستكان لهم الناس رغم شدتهم عليهم واقع تعبر عنه الرسالة التي كتبها عبد المؤمن الموحدي (524-558هـ/1129-1162م): "**... وإنّ من ذلك الرأي الذميم، والسعي المنقوم، ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعماراتها، والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها، يتسبب غليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش طي ما يوهمون به من النصيحة، ويستبطنون المكر في تصرفاتهم القبيحة، فيقولون للرجل منهم: عندك من حقوق الله كيت وكيت، وإنّ للمخزن جميع ما به أتيت ! ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج من جملة ماله، ويعتقد السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم مناله، وإنه لداهية، عاقرة، قاصمة للظهر فاقرة...**"[2]، و لم يتوقف دهاؤهم إلى هذا الحد بل تجاوزه في استخدام بعض المواد لإلهاء الناس عن أغراضهم[3].

جاءت بعض حيلهم لتبين درجة ذكائهم، حيث تمكنت مرأة شاطرة بحيلة محكمة التدبير من سرقة حزمة من الدراهم باستخدام أسلوب التجسس، فبعدما تجسست على صاحبها الأصم من أعلى النافذة، وهو بصدد عدّها "**فحل مربطا كان في وسطه، وفيه خريقة فيها أربعون درهما وقيراط وحل الخريقة وعد الدراهم فوق رأسه امرأة شاطرة في العلية قد أشرفت عليه من الطاق فعاينت عدة الدراهم فلما همّ بردها إلى مربطه، نزلت إليه وتعلقت به وقالت خريقة من الدراهم وقعت من يدي من الطاق فلتقطها هذا المغربي وكان أصم...فرفعا إلى الوالي فقال لها ما صحة دعواك؟ فقالت إن عددها أربعون درهم وفيها قيراط زائد ففتحت فوجدت كذلك فأمر الوالي بضربه...**"[4]، و لم تنحصر حيلهم هنا بل تعدت لاستغلال أوقات

---

[1]-ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب (قسم الموحدين)، تح: محمد الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985، ص257، 258.

[2]-ابن القطان، نظم الجمان، ص194.

[3]-ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص51.

[4]-البادسي، المقصد الشريف، ص113.

الصلاة وتأدية الناس لشعائرهم الدينية للحصول على المسروقات، وردت فيها مسائل على الفقهاء في حكم لمتخلف عن الصلاة الجمعة لخوفه من سرقة أثوابه وماله[1].

تعددت حيل وأساليب اللّصُوص مثل ثقب الحوانيت والمنازل والولوج إليها وسرقة ما فيها[2]، أو اختلاس الحلي من الصائغ والثياب من الحمام والبضائع من الباعة وغيرهم[3]؛ يأتي التفصيل في بعضها في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

2-اللّصوصية المنظمة:

يتميز هذا الصنف بالتنظيم والتخطيط لتنفيذ عملية التلصُّص السّرقة، إذ تمارسها مجموعات محترفة في قطع الطّريق، ويعتمد تعريف هذا الصنف على المدونة الفقهية لارتباطه بدلالة المصطلح الشرعي **الحرابة**.

الحرابة في **اللغة**: مأخوذة من حَارَبَ يُحَارِبُ، حَرِبَ فلان حَرَبًا، أخذ ماله فهو حَرِبٌ مَحْرُوبٌ حَرِيبٌ وحَرِيبة الرجل: ماله الذي يعيش به (والحَرِيب الذي سلبت حَرِيبته)[4]، والحِرابة كثير السّلب[5].

في الاصطلاح الفقهي: الحرابة عند **مالك رحمه الله**: **"...من قطع الطريق أو دخل على رجل في حريمه فدافعه على شيء فكابره فهذا محارب، أو لقيه بالطريق فضربه أو دفعه عن شيئه بعصا أو بسيف أو بغير ذلك فهؤلاء المحاربون"**[6]، وعند **ابن عرفة** (ت803هـ/1400م)**"الحرابة الخروج لإخافة سبيل لأخذ مال محترم بمكابرة قتله، أو خوّفه أو إذهاب عقل، أو خفية أو لمجرد قطع السبيل لا لإمرة ولا عداوة"**[7]، فالحرابة على هذا النحو اجتماع طائفة من أهل الفساد على شهر السّلاح، وقطع الطريق، وأخذ الأموال وقتل النفوس ومنع السابلة فهم محاربون[8]، تحيل بذلك إلى المدلول العام **للسرقة الكبرى** تميزا لها عن السرقة، التي تعني خروج طائفة مسلحة في دار الإسلام لإحداث الفوضى وسفك الدماء وسلب الأموال، ينطبق فيهم قوله تعالى:﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾[9].

---

[1]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 368/1.

[2]-ابن زيات، التشوف، ص 413، 418.

[3]-ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكام، تح: جمال مرعشلي، دار عالم الكتب، طبعة خاصة، الرياض،2003، 2/ 191- 195.

[4]-العين، 299/1.

[5]-المعجم الوسيط، 164.

[6]-المدونة الكبرى، 188/4.

[7]-ابن عرفة، المختصر الفقهي، تح: حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الحبتور للأعمال الخيرية، ط1، دبي، 2014، 267/10.

[8]-الماوردي، الأحكام السلطانية، ص105.

[9]-سورة المائدة: الآية 33.

فصل **الرصّاع** (894هـ/1489م) في مفهوم الحرابة على النحو الآتي: إخافة السبيل لأخذ المال أخرج به الإخافة لا لأخذ المال بل خرج لإخافة عدو كافر ويتعلق بالإخافة[1] لأن مجرد الإخافة يعتبر حرابة لما لها من أثر على النفس (التأثير النفسي) يصب في خانة الترويع. وحدد المال على أن يكون المال المأخوذ مال محترم لم يخالطه حرام فأخرج المال المشبوه ومجمع على تحريمه؛ أخرجه لإهلاكه كالخمر[2]، وقوله أو إذْهَاب عقلٍ لِيَدخل ما وقع في المدونة "...**وقال مالك: وهؤلاء الذين يسقون الناس السيكران أنهم محاربون، إذا سقوهم ليسكروا فيأخذوا أموالهم، قال: قال مالك: هم محاربون يُقتلون**"[3]، إشارة على أن المحاربين استخدموا حيلا في تنفيذ عمليات القطع للحصول على متعا المجتازين للسبيل. أما قوله قتل خفية لِيُدخل به الغيلة، فالمحارب يدخل فيه المغتال الذي يعترض الشخص ويخدعه فيدخله بيتا ويقتله ويأخذ متاعه وماله؛ إنما يقتله على ذلك فهذه الغيلة وهو يعد بمنزلة المحارب[4].أسلوب آخر يعتمد على الحيلة والمكر ليأخذ فيه المَسلُوب على حين غرة منه قد يكون مصيره القتل في الغالب مع الاستحواذ على أغراضه.

أمّا **الحكم الشرعي** للحرابة: حَدٌّ على أربعة أشكال؛ القتل أو الصلب أو القطع أو النفي، وقد وردت في كتب الأحكام السلطانية تفصيلات حول تطبيق هذه الحدود هل على الترتيب أم التخيير؟ بناءً على الاجتهادات داخل المذاهب الفقهية الأربعة(الشافعي، الحنفي، الحنبلي، المالكي)؛ لكن المتفق عليه أن الإمام إذا ظفر بقاطع الطريق قبل مجيئه تائبا فلا يجوز له أن يعفو عنه، فإن كان قتل أحدا فلابد من قتله وإن كان لم يقتل أحد فالإمام مُخير في اجتهاده بين قتله، وهو مصلوب أو يقطعه من خلاف أي تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى[5] أو نفيه إن كان حُرا ذَكرًا إلى بلد آخر يسجنه به حتى يتوب أو يموت في السجن وإذا جاء تائبا قبل أخذه فلا يحكم عليه بهذا الحكم، فيكون حكمه مطالبته بحقوق الناس إن ترتبت عليه يأخذه بها وإن لم يجب عليه شيء من حقوق الناس تركه[6].

والحرابة لا تتوقف على أخذ المال بل الذي يُخوف الناس على الطريق دون أخذه للأموال ما أكده ابن عرفة بلفظ ابن الحاجب(546هـ/1249م): "**الحرابة كل فعل يقصد به أخذ المال على وجه تتعذّر مع الاستغاثة عادة من رجل أو امرأة أو حر أو عبد أو مسلم أو ذمي أو مستأمن ومخيفها وإن لم يقتل**

---

[1]-الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، 654.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-المدونة، 556/4، 557.

[4]-ابن رشد، البيان والتحصيل، 373/16.

[5]-بشائر الفتوحات، 76/ظ.

[6]-المصدر نفسه، و/77، 78ظ، راجع اختلافات تطبيق حكم الحرابة في المذاهب الفقهية المشهورة، زكريا قرناح، الحرابة في المغرب الإسلامي، ص18-25.

ويأخذ مالا"[1]، يستشف منه أن مكان القطع قد يتعذر فيه إغاثة المسلوب، الممارس للحرابة لا يستثنى سواء من رجل أو امرأة، وحر وعبد ذلك أنه في السرقة يستثنى العبد الذي يسرق مال سيده، فشدة تأثير قاطع الطريق لا يمكن أن يحقق الاستثناء لأحد. وفي هذا السياق يعتبر الرجل الواحد محاربا إذا قتل على وجه الحرابة وأخذ مالا حيث ثبت عن الإمام مالك أن قتل رجلا واحدا قد قتل على وجه الحرابة وأخذ مالا في المدينة[2]، ويبدو أن المألوف أن الحرابة تكون في جماعة وفي النادر ما تكون في فرد واحد لذلك ورد السؤال عنها، فتأثير هذه الظاهرة على النفس والمال خاصة إذا استعمل القتل جعلت من اللّص محارب[3].

تثبت الحرابة على المحارب بالشهادة عليه ولو كان الشهود من المسلوبين وباشتهاره في ممارسة قطع الطريق واشتهار فعله عند الناس ويشهد بذلك شاهدان رأوا فعله[4].

المحارب على هذا النحو؛ قاطع الطّريق يدخل في نطاق اللّصوصية المنظمة، يجهز لها ويخطط مع استعمال السلاح تستهدف فيها المارين من القوافل التجارية، قوافل الحج، وحتى الأفراد ممن يحملون الأمتعة وتأخذ صفة التنظيم كونها مجموعات تلصّصية لها مجال معروف تمارس فيه نشاطها وفي زمن معلوم منهم لها رئيس[5]**كلصوص أنكاد**، ذكرهم حسن الوزان **"أنكاد مأوى لعصابة لصوص من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك حيث الطريق مؤدية من فاس إلى تلمسان وقلما ينجو التجار من شرهم لاسيما في فصل الشتاء، لأن الأعراب المستأجرين للحفاظ على الأمن في البلاد يكونوا قد رحلوا عنها آنذاك إلى نوميديا، ويبقى غير المستأجرين وحدهم ليتعيشوا منها"**[6] نص الوزان يحمل الكثير من الدلالات حول اللّصوصية المنظمة، من حيث المكان المعروف بوجود هذه العصابة(طريق فاس-تلمسان) وسبب استقرارها أنّ الطريق معروف بحركة التجار على اعتبار الأموال والمتاع التي تحملها قوافلهم، يضاف إليه أن اللصوص نوعين مستأجرين وغير مستأجرين مرتبطين بحركة الأعراب في الوقت الذي تتحرك فيه الجماعات المتحالفة مع السلطة في فصل الشتاء تستغل الفئة الأخرى غياب عنصر الأمن لتنشط متخذة من النهب والسرقة مصدرا للعيش.

---

[1]-الرصاع، شرح حدود، ص656.

[2]-المدونة الكبرى، 555/4.

[3]-أشار ابن رشد القرطبي للاختلاف بين السّارق والمحارب في قوله"...السّارق هو الذي يأخذ المتاع من حرزه والمحارب هو الذي يخرج على الناس ليقطع عليهم الطريق ويأخذ منهم أموالهم بسلاح أو بغير سلاح خارج المصر باتفاق، أو داخل المصر على اختلاف..."راجع: البيان والتحصيل، 385/16.

[4]-بشائر الفتوحات، 81و.

[5]-في الفترة الحديثة نجد النصوص صريحة وواضحة في شرح تركيبة قطاع الطرق ووظيفة كل فرد داخل المجموعة إذ تشكل منظومة متكاملة من التحضير لعملية السطو إلى تنفيذها وتوزيع المسروقات (الرئيس، الكشاف، الكمّانة، المكري...) راجع مقال بلقاسم بنعبد النبي، عرف الطريق في البلاد المغاربية، ص176، 177.

[6]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 11/2.

يظهر نشاط قطّاع الطّرق في الفترة التي شهد فيها المغرب الإسلامي توافد للمهاجرين الأندلسيين حيث عرفت العديد من الطرق تمركز مجموعات لَصَّصِية مهمتها قطع الطّرق على هؤلاء الوافدين خاصة في تلمسان وفاس[1]، مستغلين عدم معرفتهم بالبلاد للحصول على ما يحملونه، هذا ما يدفع بنا للقول أن اللّصوصية المنظمة أخذت شكلا مميزا في فترة نهاية العصر الوسيط إذ بدا واضحا التراجع السياسي للدولة وفقدان السيطرة على أمنها خاصة في المجالات البعيدة التي تشكل نقاط حدود مع السلطة السياسية المجاورة على الحدود مع المجال المريني أو الحفصي أين تجد تلك الجماعات مطلق الحرية في الحركة وممارسة قطع الطريق في ظل غياب المراقبة على المجال.

ولا تتوقف الحرابة على المجال الريفي بل يوجد المحاربون في المدينة ويسمون محاربوا المدينة، يرجع هذا التصنيف إلى استخدام السلاح فاللصُّ الواحد الذي يستعمل السلاح أو وسيلة تستدعي إخافة الناس يصبح صاحبها محارب، أخذت الحرابة في ذلك أساليب عديدة (الخانقة، الشفارين، وهجامة الليل...)[2].

3-الخطف:

في **اللغة:** الخَطْفُ: الاستلاب وقيل الخَطْفُ الأخذ في سرعة واستلاب، خَطِفَ يَخْطُفُ وخَطَفَ، الخَطْفُ: سرعة أخذ الشيء، ومرَّ يَخْطُفُ خَطْفًا أي مرَّ مرًا سريعا وتأتي بمعنى نَزَعَه وانْتزعَه[3].فالمعنى اللغوي يشير إلى السرعة في الأخذ، تعتمد على الخفة فالممارس لها يكون متمرس في فعل السرقة.

-اصطلاحا: هو أخذ الأشياء فجأة من ممتلكيها ثم الفرار، ويتطلب الجمع بين التركيز والمهارة وخفة اليد والجرأة، وسرعة الهروب[4]، في هذا الشكل يستغل اللّص في سرقته للأموال والمتاع غفلة الناس عنها ومهارته الخاصة التي يكتسبها في الغالب من تكرار السرقة، وفي كثير مرات يرتبط الخطف بالفئة المستهدفة المتمثلة في الأشخاص العُزَّل من الصبيان والنساء والضعاف من العبيد، إذ لا يتورع هؤلاء أبدا عن خطف صبي أعزل إن هم صادفوه في طريقهم فلا يختطفون في الغالب من الناس إلا من تقطعت بهم السبل أو من قَلّ حذرهم أو من اضطرتهم أشغالهم إلا الابتعاد عن مساكنهم[5]، تساهم البيئة في تحقيق هدفهم فينشطون في الليل وعلى الطرق التي يغيب فيها الأمن وخارج أسوار المدينة.

رغم أن الخطف ظاهرة اجتماعية مرافقة للقبائل في علاقتها فيما بينها خاصة زمن الاضطرابات وانتشار مظاهر الحرب إلا أنها الظاهرة التي يزداد حضورها خاصة في الفترة التي بدأت تتفكك فيها قوة القبيلة وأصبح عدم الاستقرار الاجتماعي صفة بارزة لمجتمع ما بعد القرن 5هـ/11م حيث انتشر الخطف في المجالات الريفية مستهدفا فئات بعينها، وهذا ما عبرت عنه الفتاوى الفقهية خاصة ظاهرة خطف

---

[1]-أمين معلوف، ليون الإفريقي، تر: عفيفة دمشقية، دار الفرابي، ط3، بيروت، 1997، ص94، 95.

[2]-سيتم التطرق إليها في الفصل الثالث في الجزء لمتعلق بأساليب الحرابة في المدينة.

[3]-ابن منظور، لسان العرب، 1201/24، الفيروز ابادي، المحيط، 130/3، المعجم الوسيط، ص244.

[4]-Louis Alonso Hernandez, *Culture et Marginalité aux XVIe siècles*, librairie C. Kluicksick, Paris, 1973, p14.

[5]-محمد الناجي، جند وخدم وسراري الرق في المغرب، تر: محمد الغرايب، منشورات فاليا، ط1، المغرب، 2018، ص154، 155.

الصبيان والنساء الحرائر أو الإماء[1]، أما عن طريقة الخطف فالأكيد أنه يباشرها محترفون يشهرون السلاح في وجه ضحاياهم حتى يذعنون لهم ولا يولون الأدبار أمام أي شيء في سبيل الظفر بفريستهم فهم أشـــخاص شداد غلاظ ظُلام[2].

ثالثا-اللّصوصية في تراثيات العصر الوسيط.

حضور أخبار اللّصُوص في النصوص التراثية الأدبية ارتبط بالشعر[3] خاصة، حيث اتخذوا منه وســيلة لإبراز حضورهم، ولعل ذلك مرتبط بالصورة البطولية، كما أنه يعتبر صورة رمزية تتيح التعبير، وهذا مــا تحمله دواوين الشعراء الصّعاليك واللّصوص في الفترة الجاهلية والإسلامية (الأموية والعباسية)، ما يدفع بنــا لطرح سؤال حول الكيفية التي عبر بها لصوص المغرب الإسلامي عن أحوالهم؟

1-أدب التدوين حول اللّصوصية.

رغم أن اللّصوصية من الآفات الاجتماعية المنبوذه، التي يذمها الشارع الإسلامي لما لها من أثار نفسية ومادية على المجتمع إلا أن ذلك لم يمنع من التأليف حولها، فالمدونة الأدبية المشرقية احتوت الكثــير مــن أخبار من يصنفون ضمن العامة والسوقة وأراذل الناس، ضمتها نصوص شعرية ونثرية منها أخبار **"المغفلين والحمقى"**[4]، **"البخلاء"**[5]، **"اللّصوص والسّراق"**، و**"أدب الكدية"**[6]، ذكرت فيه حيلهم، وطرافتهم بأسلوب أدبي ماتع ورمزي، لكن القراءة النقدية لتلك النصوص تؤكد أنها لم تكن طرافة بهدف التســلية، فكتــاب البخلاء نص مختال ظاهره ضحك وتنكيت وباطنه نقد لاذع للسلطة العباسية التي أعلت من شأن الكــرم المفرط-الإسراف- و لم يكن الجاحظ(255هـــ/868م) بالساذج، إنما شخصا لذوعيا ثاقب الرؤية مــاكرا ماهرا عرف كيف يراوغ السلطة الحاكمة التي هيمنت وأبادت المارقين والمختلفين معها[7]، وبالتالي قــراءة

---

[1]-المازوني، الدرر المكنونة، 127/2، وردت مسألة أخرى في الموضوع نفسه، 126/2، 150/2.

[2]-محمد الناجي، جند وخدم وسراري، ص155.

[3]-شعر اللّصوص يتميز بالطرافة، واندفاعه وتصويره لفئة من حياة الناس خُيل إليها أن اللّصوصية يمكن أن تحل مشكلة الغنى والفقر، فثاروا على مجتمعهم ثورة فردية فقتل بعضهم وسجن بعض وهرب بعض منهم إلى القفار والبسابس يعاشر الضباع والذئاب، وبقي بعض طول حياته فقيرا، راجع: أشعار اللّصوص، جمع وتح: عبد المعين الملوحي، منشورات دار أسامة، دت.

[4]-راجع ما يلي: أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، تح: باسم عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم بيروت، أبي الفرج عبد ارحمن بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، تح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1990.

[5]-في المدونة الأدبية هناك العديد من الكتب حول البخل منها ما هو مفقود ومنها ما هو متوفر تم تحقيقه راجع: أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2000.

[6]-تلك الطائفة التي جعلت الاستجداء والكسب الشرب بالحيلة معبرها للوصول إلى مال الآخرين، فحالة الفقر والبؤس الشديد، جعلتها ترى في الكدية المخرج الوحيد لها من هذه الوضعية المزرية، راجع حسين عبد الغني إسماعيل، ظاهرة الكدية في الأدب العربي (نشأتها وخصائصها الفنية)، مكتبة الزهراء، ط1، القاهرة، 1991، ص22.

[7]-غبرنلات وآخرون، التاريخية الجديدة والأدب، تر: لحسن أحمامة، المركز الثقافي للكتاب، ط1، المغرب، 2018، ص173.

النصوص الأدبية وفق سياقها الزمني يقدم صورة واضحة حول طبيعة العلاقة بين السلطة والمجتمع، خاصية تحسب للتراث الأدبي عكس غيره من النصوص.

إنّ النص الأدبي قادر أن يتضمن بداخله السياق الذي أنتج من داخله وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين **"فالنص الإبداعي-التراثي بشكل خاص-كيفما كان نوعه هو وليد عصره، تفاعل مع شروط والأنساق التاريخية والثقافية التي تأسست لظهوره أو أدت إلى تخلقه"**[1]، فالقراءة المتمعنة لتلك النصوص يمكن أن تفيد بما أغفلت عنه المدونة الإخبارية.

وفي هذا السياق تأتي قراءة إحالة الجاحظ في مقدمة كتابه البخلاء إلى كتاب آخر لم يصلنا في تصنيف **"حيل لصوص النهار وسّراق الليل"**، حيث ذكر في مستهل الكتاب "ذكرتَ-حفظك الله أنك قرأت كتابي في تصنيف **حِيل لصوص النهار وحِيل سّراق الليل**، وأنك سددت به كل خَلل وحصنت به كلّ عورة وتقدمتَ-بما أفادك من لطائف الخُدع ونبّهك عليه من غرائب الحِيل-فيما عسى ألّا يبلغه كيد ولا يجوزه مكر"[2]، هذه الإحالة ليست اعتباطية: إنما تدعونا إلى قراءة كتاب البخلاء كجرد لمناورات أنصار البخل، وهم قوم دوما يقضون محترسون، إلى درجة أنهم يعتبرون الآخرين لصوصا فعليين أو محتملين[3]، وتأتي أهمية كتابه في قوله"...**وذكرت أنك إلى معرفة هذا الباب أحوج وأن ذا المروءة إلى هذا العلم أفقر، وإني حصنت من الذم عرضك، بعد أن حصنت من اللصوص مالك، فقد بلغت لك ما لم يبلغه أب بار ولا أم رؤوم.**"[4]، الاطلاع على كتب أخبار اللصوص يُتيح للقارئ تحصين ماله والذود عنه[5]بمعرفة حيلهم وخدعهم للتمكن من الدفاع ضدهم.

كما لعب شعر الصّعاليك دورا بارزا في إظهار حالة الصّعاليك ومعيشتهم وأسباب لجوئهم للصّعلكة، وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى الفرق بين التلصُّص والتصعلك ذلك أن الأصل اللغوي الذي

---

[1]-غبرنلات وآخرون، التاريخية الجديدة، ص13.

[2]- الجاحظ، البخلاء، تح: طه الجابرى، دار المعارف، ط5، القاهرة، ص1، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ط2، 1965، ص3، ورد في آخر تحقيق الكتاب أنه يتبن آثار كتاب حل اللصوص بفضل ما عرف به الجاحظ من الترداد والتكرار وهي عادة عرفها معاصروه، وقد توفرت قطعتين يحسب أنهما من الكتاب الأصلي وقد أوردهما في موضعين مختلفين تمثلان بعض الشيء كتاب اللّصوص، ولنا أن نعتبرهما إلى حد ما أنموذجا له قطع، أما إحدى هاتين القطعتين فإنها تتضمن وصفا لبعض حيل اللّصوص فهي بذلك أشبه بموضوع الكتاب "ونحن نرى من كان في يده كيس أو درهم أو حبل أو عصا، فإنه متى خالط عينيه النوم، استرخت يده، وانفتحت أصابعه، ولذلك يتثاءب المحتال للعبد الذي في يده عنان دابة مولاه، ويتناوم له وهو جالس، لأنّ من عادة الإنسان، إذا لم يكن بحضرته من يشغله، ورأى إنسانا قبالته يتثاءب أو ينعس،، يتثاءب وينعس مثله، فمتى استرخت يده أو قبضته عن طرف العنان وقد خامره سكر النوم ومتى صار إلى هذا الحال، ركب المحتال الدابة ومر بها"، أما القطعة الثانية فهي جزء من وصية عثمان الخياط للشّطار من اللّصوص، فيما وردت قطعة ثالثة أوردها صاحب المحاسن والمساوئ في الباب الذي عقده للكلام عن مساوئ الجبن، ونستطيع أن نفرض أيضا أنّ هذه القطعة مأخوذة كذلك من كتاب اللّصوص، راجع حول الموضوع: الجاحظ، المصدر السابق، ص247، 250(شروح وتعليقات كاتب في آخر الكتاب).

[3]-عبد الفتاح كيليطو، الأدب والارتياب، دار توبقال، ط2، المغرب، 2013، ص19.

[4]-الجاحظ، البخلاء، ص4.

[5]- عبد الفتاح كيليطو، الأدب والارتياب، ص20.

استمدت منه الصّعلكة هو الضمور والهزال، وهو يوحي بافتقار المرء وعوزه، أما الأصل اللغوي الذي استمدت منه اللّصوصية التقارب والالتصاق في ملازّة وهو يوحي بخبث ودهاء وتحايل[1]، فمعنى التلصُّص أعم من التصعلك وعليه كل صعلوك لصّ، وليس كل لصّ صعلوكا[2]، ذلك أنّ الصّعلكة تنطوي على جملة من المبادئ الأخلاقية كالكرم والمروءة وشجاعة[3]، لم تكن تعبر عن أفعال مذمومة بقدر ما كانت تمثل ميدانا تختبر فيه شجاعة الرجال، ورغم أن اللّصوصية وقطع الطريق أصبحا في الإسلام جرائم تستحق العقاب إلا أنها استمرت في الوجود خاصة في ضل المجتمعات العباسية التي تمجد الفتوة[4].

الصورة البطولية التي تمتع بها الشعراء الصّعاليك كان لها دور في التحفيز على تداول أخبارهم وأشعارهم خاصة وأنها تعبر عن منزلتهم الاجتماعية من خلال فقرهم وطريقة تعاملهم مع هذا الواقع[5]، ومعظم ما ألف حول اللّصوص والسّرقة يصنف ضمن المفقود وهذا ما يوضحه الجدول الآتي:

المؤلف	عنوان الكتاب	حالته	المصدر
محمد بن حسن189هـ/804م	السرقة وقطاع الطرق	مفقود	ابن النديم، ص288[6].
أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي 190هـ/805م.	الخُرَّاب واللّصوص	مفقود	ابن النديم، ص138، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 2250/5[7].

[1]-يوسف خليف، الشعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1978، ص21، 22. ويشير صاحب الكتاب إلى أن مادة صعلك تدور في دائرتين، إحداهما الدائرة اللغوية التي تدل فيها على معنى الفقر وما يتصل به من حرمان في الحياة، وضيق في أسباب العيش وأخرى نستطيع أن نطلق عليها الدائرة الاجتماعية، تتطور فيها المادة لتدل على صفات خاصة تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه. المرجع نفسه، ص26.

[2]-محمد الطريفي، ديوان اللّصوص، 15/1.

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]-Rahma Bourqia,op,p195. الفتوة: أهم حركة اجتماعية استقطبت الشباب لعدة قرون، ويظهر أن هذه الحركة كانت تصحيحا لحركة العيارين بعد أن اجتاز هؤلاء مرحلة عدم الاستقرار بسبب جمعهم بين الطموحات السياسية وأعمال النهب وحتى اللصوصية، راجع إبراهيم حركات، المجتمع الإسلامي، ص76.

[5]-من الأبيات الشعرية التي تدل على حياة الشعراء اللّصوص وطرافتهم ونفسياتهم قول الشاعر لوط الطائي:

إنّا وَجدنَا طَرَدَ الهوامل
بَين الرُّسَيْسَين وبين عَاقلِ
خَيرا من التَّرداد والمَسائلِ
وَعدة العام وعام قَابلِ
مَلقوحةً في بَطن نَابٍ حَائلِ
ومن أَخي سُوء ومَولًى خَاذلِ

معنى الأبيات: وجدنا سرقة الإبل السارقة في نجد خيرا من التسول والوعد بعد الوعد عاما بعد عام بإعطائنا ما في بطن ناقة مسنة لا تلقح، وخيرا كذلك من أخوان السوء وأبناء العمومة والأشحاء، راجع: أشعار اللّصوص، المرجع السابق، ص9.

[6]-الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

[7]-(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993.

قطرب 206هـ/821م.	لصوص العرب	مفقود	ابن النديم، ص86.
أبو عبيدة معمر بن المثنى ت210هـ/825م.	لصوص العرب وكتاب الغارات	مفقودين	ابن النديم، ص79، 80.
الجاحظ255هـ/868م.	أخلاق الشطار حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل	مفقودين	-ياقوت الحموي، معجم الأدباء،2120/1. -البخلاء[1]، ص1.
أبو سليمان داود بن علي بن داود بن خلف الأصفهاني ت270هـ/833م.	كتاب السرقة كتاب المحاربة	/	ابن النديم، ص304.
الحسن السكري ت275هـ/888م.	أشعار لصوص العرب[2]	مفقود	البغدادي، 21/1 [3]
أبو العنيسى الصميري	كتاب الراحة ومنافع العيارة.	مفقود	ابن النديم، ص216.
أبو الفضل أحمد بن طاهر ت280هـ/893م.	كتاب سرقات الشعراء. كتاب سرقات النحويين من أبي تمام.	/	ابن النديم، ص210.
أبو محمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجائي حيا428هـ/1036م.	كتاب السلّ والسرقة	/	ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 822/1. البغدادي، 44/1، 45.
يوسف بن يعقوب بن السكيت	كتاب سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه.	/	ابن النديم، ص108.
ابن المعتز عبد الله	كتاب السرقات.	/	ابن النديم، ص169.
جعفر بن حمدان الموصلي	كتاب السرقات.	/	ابن النديم، ص213.
أبو ضياء بشر بن يحى النصيبي	كتاب سرقات البحتري من أبي تمام كتاب السرقات الكبير (لم يتمه).	/	ابن النديم، ص213.
أبو النصر محمد بن مسعود العياشي	كتاب الحدود في السرقة كتاب جزاء المحارب	/	ابن النديم، ص275.

[1]-في معجم الأدباء ورد العنوان باسم **"كتاب اللصوص"**، المصدر نفسه، 2118/1.

[2]-مجموعة من دواوين الشعراء والقبائل منها ديوان أخبار اللّصوص جمع فيه أشعار الشعراء المشاهير، آخر من ذكر الكتاب البغدادي(ق11ه/17م) أي أن الكتاب فُقد حديثا، محمد الطرفي، ديوان اللّصوص، 8/1.

[3]-عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولباب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

جدول رقم5: أشهر المؤلفات المشرقية حول السّرقة واللّصوصية.

التعليق والتحليل:

- الملاحظ أن المؤلفات تصب في خانة الشعر جاءت لذكر أخبار اللّصوص وما خلفوه من أشعار، ويبدو أن كتاب الأسود الغندجائي يحمل بين طياته الكثير من أخبار اللّصوص ويستشف منه تأثير البيئة الجغرافية على الطبيعة الإنسانية ذلك أن غندجان بلد فارس بمفازة معطشة[1] قليلة الماء لا يخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح[2]، طبيعة حفزت على انتشار السّل والسّرقة ربما لتحقيق مصدر العيش، وانتشار الظاهرة هو ما دفع المؤلف للكتابة حولها لبيان حيلهم وكيفية تجاوزهم.
- قراءة عناوين بعض الكتب بين أن اللّصوصية والعيارة تحقق الراحة من خلال اتخاذها سبيل للعيش وهذا دليل على براعة أصحبها في ممارستها، وفي شق آخر تبين تلك العناوين أنّ مضامين النصوص تقدم خدمة في ذكر أشهر حيل اللّصُوص.
- تنوعت المصطلحات الدالة على اللّصُوصية في استخدامات عناوين المؤلفات وهذا قد يعكس طبيعة تكوين المؤلفين ومرجعيتهم، اللّصُوص، السّراق، الحرابة، الشطار...
- في جهة أخرى تصب محتويات الكتب في الجانب الفقهي من خلال طَرق مسائل أحكام السرقة، والحدود، على مختلف المذاهب منها الشافعي جعفر بن قاسم الموصلي **"كتاب السّرقات"** والمالكي محمد بن الحسن **"كتاب السّرقة وقطع الطّريق"**.
- جانب كبير من هذه الكتب تناول السّرقة في جانبها العلمي **"السّرقة العلّمية"** ذكروا ما سرقه الشعراء من بعضهم[3] وما اشتهر به النحويين من السرقات وهذا ما تشير له عناوين الكتب.
- يستفاد من كتاب الجاحظ أنّ هناك فرقا بين اللّصوصية والسّرقة وعامل الزمن هو الفاصل، فالسّراق يتخذون من اللّيل سبيلا لسرقتهم ذلك أنهم يتحركون فرادى أو في شكل جماعات صغيرة يستخفون بالليل لتحقيق غرضهم في الاستلال والسّرقة مستدركين في ذلك ضعف قوتهم وغلبتهم، على عكس لصوص النهار فتمتعهم بعامل الغلبة والقوة دافع لهم للحركة في النهار فلا يخافون شيئا لتحقيق مآربهم، خاصة إذا كانوا يستندون إلى التخطيط والتنظيم.

حري بنا في هذا المقام التذكير أنّ المدونة المشرقية احتوت نصوصها أخبار اللّصوص ومن يدور في فلكهم في شكل إشارت مقتضبة؛ منها ما ذكره الجاحظ (ت255هـ/868م) أيضا في كتابيه البيان والتبين والحيوان، وعيون الأخبار لابن قتيبة(276هـ/889م)، وكذلك العقد الفريد لابن عبد ربه

---

[1]-ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، 216/4، معجم الأدباء، ص821/1.

[2]-البغدادي، خزانة الأدب، 44/1.

[3]-أشار ابن النديم إلى أن من الشّعراء من اشتهر بالسّرقة وكان بارعا في سرقة الأشعار والمؤلفات ونسبتها لنفسه، الفهرست، ص179، 191.

الأندلسي(328هـ/939م)، كما خصصت بعض المصادر فصولا وأقساما كبيرة لأحوال اللّصوص في عناوين **"أخبار السّرقة"، "أخبار قطع الطّريق"، "أخبار الغارات"** تحت عنوان رئيسي **"أخبار اللّصُوص"** منها كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني(502هـ/1108م)[1]، استهلت أخبارهم من العصر الجاهلي إلى العصرين الأموي والعباسي.

بالانتقال إلى المغرب الإسلامي نجده لم يشهد حركة تدوين متخصصة حول اللّصوص كمثيلتها في المشرق، رغم انتشار الظاهرة اجتماعيا، مما يدفعنا للافتراض أن ذلك راجع:

-لطبيعة العلاقة بين اللّصُوص والصّعاليك في المشرق مع السلطة والمجتمع، إذ تجاوز وضعها من عمليات لصوصية معزولة إلى حركات سياسية تطورت بمرور الزمن لمناهضة السلطة حتى أنّ بعضهم كان متابعا من طرف السلطة المركزية سواء الأموية أو العباسية؛ على العكس من ذلك بقي لصوص المغرب في قطيعة مع السلطة إلا في النادر.

-عُرف عن معظم الشطار والصّعاليك في المشرق أنهم مارسوا الشعر بل كان وسيلة دعاية عن واقعهم وواقع الطبقة العامة من المجتمع، مما أكسبهم تضامن شعبي في وسط المجتمع، ودفع بعضهم للتدوين حولهم، وضرب ببعض الصعاليك أمثال في الشجاعة والقوة وغيرها.

-اشتغال اللّصوص والصّعاليك بالشعر جعلهم يخلفون مصدر أدبي خاص بهم خلفوه بأنفسهم، استذكر فيه بعضهم إحدى سرقاته مع رفاقه من اللّصُوص، وحالته في تنفيذ السّرقات، ووضعهم المعاش من الفقر والجوع، فشكلت موروث يتناقله الرواة والإخباريون، وهنا يتبين أبرز فارق بين لصوص المشارقة الذين خلفوا تراثا مَكّنَ من التعريف بكثير من أخبارهم من الدّاخل، على عكس لصوص المغاربة اللذين كَتب عنهم غيرهم وهم خصومهم وممن يستنكرون عليهم أفعالهم، وعليه نبقى أمام نصوص ترى من زاوية واحدة.

لكن ذلك لم يمنع من وجود أخبار عن اللّصُوص واللّصوصية في المتون المغربية، بل وجدت إشارات حولهم وردت في بعض النصوص بصورة عرضية في إطار وصف واقعة سياسية أو عسكرية وأخرى جاءت فيها محورا أساسيا كنازلة فقهية. الأمر الذي يجعل من جل الأنواع المصدرية في المغرب الإسلامي محل بحث عن واقع اللّصوص واللّصوصية، وطرق معالجتهم للظاهرة، هذا ما يوضحه الجزء التالي.

2-مشتملات النّص اللّصّصي في مصادر المغرب الإسلامي.

لدراسة هذا العنصر اخترت إنجاز جدول إحصائي تتوزع فيه مختلف النصوص التي تناولت موضوع اللّصوصية مركزة في ذلك على اللّصوصية من حيث الممارسة لا من حيث المفاهيم والمدلولات، إلا فيما يخدم الموضوع:

[1]-هبة علي عبد الحسين، أخبار اللصوص في الأدب القديم، دار رؤية، ط1، مصر، 2021، ص28، 29.

	السّرقة	اللّصوص وقطّاع الطّريق	الإغارة	الحرابة	غير محدد	المجموع	النسبة
كتب التراجم والمناقب	30	33	07	01	07	77	%31
كتب النوازل	37	14	09	16	/	76	%31
كتب الرحلة	09	27	07	01	04	48	%19
كتب التاريخ العام	22	10	10	01	03	46	%19

الجدول رقم6: حضور الممارسة اللّصَصِية في النصوص المصدرية.

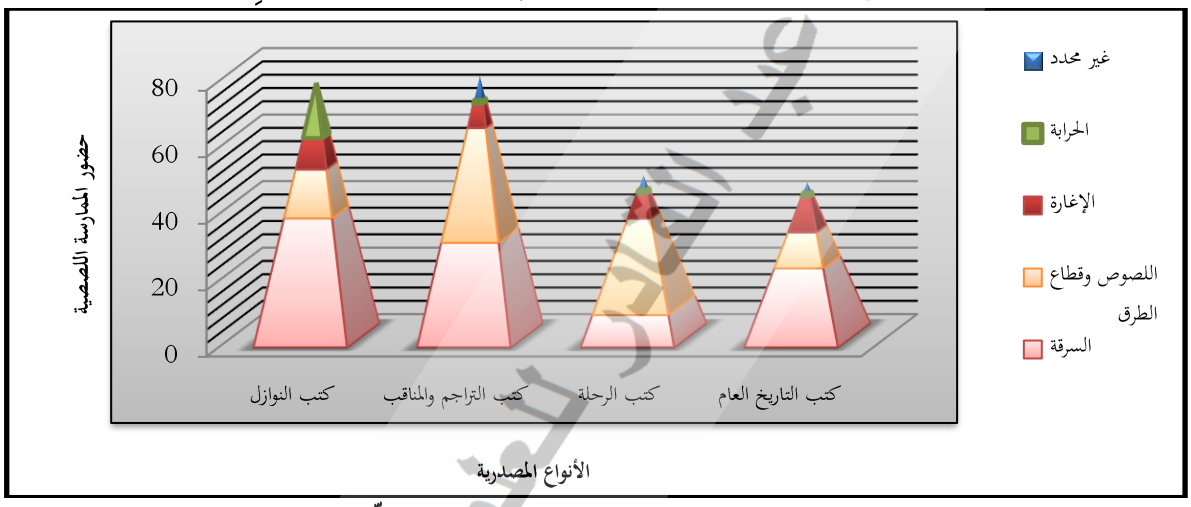

الشكل رقم 4: حضور اللّصوصية في مصادر التاريخ الإسلامي.

*** كتب الحدود والآداب السلطانية**[1]: تأتي دراسة اللّصوصية والحرابة في هذا النوع المصدري من حيث التصنيف الشرعي لها فهي تدخل في باب الجنايات الموجبة للعقوبات؛ البغي والرّدة والزنا والقذف والسرقة والحرابة والشرب الخمر، وهي تدخل في دائرة واسعة تعرف بالجرائم.

الجريمة تأتي من الجرم بمعنى كسب وقطع، ويظهر من الناحية اللغوية أن الكلمة خصصت من القديم للكسب المكروه غير المستحسن[2]، ومن ثم يعبر عن الجريمة في التحديد الفقهي بالجناية[3]، وهي مقسمة على

[1]– لم يمس الجانب الإحصائي هذا النوع المصدري باعتباره ناقش الموضوع من الناحية المفهوم والاصطلاح الشرعي فالنصوص الواردة كثيرة.

[2]–محمد أبو الزهرة، الجريمة والعقوبة 19ص.

[3]–في القانون الوضعي الجريمة: الجريمة في قانون العقوبات هي الفعل أو الترك الذي نص القانون على عقوبة مقررة له، فانه بمقتضى ذلك القانون لا يعتبر الجريمة إلا إذا كان ثمة نص على العقاب ولا عقاب من غير نص. المرجع نفسه، ص19، محمد محمود الجوهري وآخرون، علم الاجتماع الجريمة والانحراف، دار المسيرة، ط1، الأردن، 2010، ص15، 16.

أبواب بدرجة العقوبات حد أو تعزير أو قصاص، **"في باب الجنايات" "كتاب السرقة " "كتاب الحرابة"** كما نجد مسائل أخرى حول السرقة والحرابة موزعة في باب الغصب والتعدي[1].

السّرقة والحرابة من المفاهيم التي تتفرع عن مفهوم الجناية أو الجريمة، ويدخلان ضمن موجبات حفظ المال من جانب العدم، ويقصد به درء الاختلال الواقع أو المتوقع عنه، وهو ما دفع إلى إقامة حد السرقة بقطع اليد عند استيفاء شروط ذلك والزجر لمن كان دونها، علما أن المقاصد الشرعية منها ما هو موضوع للزجر صيانة للوجود كالقصاص في الأطراف من قبيل قتل المحاربين، ومنها ما شرع لصيانة الأموال كحد السرقة والحرابة[2](الحرابة حدها يجمع بين حفظ النفس/حفظ المال)، إذا كانت المسائل الفقهية ناقشت السرقة والحرابة من وجه الحكم الشرعي، فإنّ مسائل السياسة الشرعية المتداولة في كتب الآداب السلطانية اختصت بتسيير العلاقات بين المحكومين والحكام، مستندة إلى الاختلافات الفقهية داخل المذاهب منها التفصيل في حد السارق بعد توفر الشروط الموجبة للقطع بين الشافعية، الأحناف، الحنابلة والمالكية، والبحث في حد الحرابة ومناقشة إشكالية تطبيقه إما على التخيير أو التفصيل[3].

كما أن تحقيق المسألة الأمنية كان من بين نقاط اهتمام كتب الآداب السلطانية واعتبرته أساسا في قيام الولايات ورعاية المصالح العامة فيها، واهتمت بموضوع أمن المسالك، من خلال عدة جوانب تلتقي في بنية واحدة؛ يؤدي أمن المسالك إلى تنشيط التبادل، أي الحركة الاستيراد الضروري وتصدير الفائض فتتحسن أحوال الرعية وتستفيد مالية السلطان ويتولى السلطان حماية السبل من القطاع في إطار سياسة الرعية وبذلك يقترن العدل بالعمران[4]، فميزان القوة السياسية لسلطة حاكمة ما في العصريين القديم والوسيط هو مدى قدرتها على تحصيل الجباية وضبط الأمن[5].

هذا ما جاء في نص الماوردي **"وليهتم الملك كل الاهتمام بأمن السبل والمسالك وتهذيب الطرق والمفاوز لينتشر الناس في مسالكهم آمنين، ويكونوا على أنفسهم وأموالهم مطمئنين ولا يقتصر على حماية ما يستمده من بلاده وسواده؛ فلم يستقم أمر بلاد كانت المسالك إليها مخوفة لأنها تفتقر إلي مجلوب إليها، ومجتلب إليها، ومجتلب منها؛ ليكثر جلبهم فيما ليس لهم، وتخصب بلادهم بما ليس عندهم؛ فيكون نفعهم عاما وخصبهم دارا، ويصير رفق السلطان به أعظم من رفق رعيته، وعقباه أنفع له من أهل مملكته، لأنه**

---

[1]–راجع مثلا: الإمام سحنون، لمدونة الكبرى.

[2]–سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص26.

[3]–راجع: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص105–106، 332.

[4]–عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق، ص93.

[5]–إبراهيم حركات، المجتمع الإسلامي، ص259.

ليس يعم صلاح إلا ونصيبه منه أكثر، لأن عوام الأموال صائرة إليه، وصلاح الجمهور عائد عليه"[1]، ذلك أنّ الأمن هو عصب حركة الناس وحركة الأموال بينهم(البيع والشراء)، ودليلا على قوة الحاكم في بلاده الأمر الذي تشيد به النصوص الإخبارية في سعي الحكام أولّ اعتلائهم زمام السلطة لاستتباب الأمن داخل المدن وتأمين السبل منها ما ذكره **الصيرفي**(557هـ/1161م) في حركة يوسف بن تاشفين(500-537هـ/1106-1142م) إلى الأندلس"...فسر الناس واستبشروا، وأمنت البادية وتسايل أهل الحاضرة إلى القرى"[2] تأمين المسالك بين الحواضر والبادية نشط حركة الناس إلى هاته الأخيرة، وأشارا **بن أبي زرع** في ذكر بداية حكم أبي بكر بن عبد الحق(646-647هـ/1248-1249م)**"فاستقامت له الأمور بالمغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة والتهنئة وتهدنت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجارة"**[3]في النص تأكيد آخر أنّ الحركة التجارية مرتبطة كل الارتباط بالأمن داخل المسالك والطرق، ومن أعمال أبو يعقوب الناصر لدين الله المريني (بويع 685هـ/1289م) أنه **"سرح السجون...وأزال المكوس...وأمن الطرقات وأزال أكثر الرتب والقبلات التي كانت بالمغرب ...إلا ما كان في المفازات"**[4].

والحرص على تطبيق الحدود تنعكس أحواله على الرعية وتدوم به سياسة الدولة، وهي النصيحة التي كتبها أبو حمو موسى الثاني(760-791هـ/1359-1389م)"...**وكذلك الملك يطهر رعيته من أهل الفساد والذعارة ويخرجهم من بينهم أو يصلحهم من إقامة الحدود وإظهار السياسة فانه إذا فعل ذلك صلحت أحوال الرعية"**[5]، زاوجت كتب السياسة الشرعية بين الخطاب المعياري المستمد من النصوص الشرعية والسياسة الشرعية التي تصب في التنظيم الإداري وعمليات الزجر المرتبطة بالمحافظة على الأمن، وتفسير الأحكام[6] في محاولة للتوفيق بين السياسة والشرع وهذا ما اعتمده الماوردي في كتاب الآداب السلطانية، انتقل من النص الشرعي في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾[7]، لتحديد مفهوم المحارب وصولا لعقابه، فيما لم يكتف ابن

---

[1]-الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق المَلك وسياسة المُلك، تح: محي هلال السرحان وحسين الساعاتي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص258، 259، راجع أيضا: نصيحة الملوك، تح: خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، ط1، الكويت، 1983، ص255، 256.

[2]-الأنوار الجلية، ص118.

[3]-المصدر نفسه، ص294.

[4]-المصدر نفسه، ص375.

[5]-واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1862، ص112، 113.

[6]-عبد الأحد السبتي، بين الرطاط وقطّاع الطّريق، ص93.

[7]-سورة المائدة، الأية 33.

تيمية(728هـ/1327م) بعملية التصنيف السريع لأعمال الحرابة وأشكال زجرها بل أسهب بشكل ملحوظ في تتبع الحيثيات السياسية والاجتماعية والمجالية إلى درجة أنّ النص يبدو أحيانا أقرب إلى وثيقة تسلط الضوء على جوانب من مجتمعات المشرق العربي في عصر المؤلف[1]، فأمثلته في تحديد من تجب فيهم عقوبة المحاربين انطلق فيها من تجربة فعلية لأعمال الأعراب والتركمان والأكراد الذين يعترضون الناس في طرقات ونحوها[2]، وحدد في تفصيله حول فورقات تطبيق حد قطع الطّريق بين البنيان والصحراء بأمثلة عن فئات اشتهرت في المشرق بأعمال الحرابة منها؛ **المَنْسَرُ** في مصر والشام المعروفين ببغداد **بالعيارين**[3] .

وتدخل في حيزها **كتب الحسبة** التي لا تخرج مضامينها عن التنظيم الإداري في جانب الأسواق والمرافق العامة لأجل تثبيت الأمن فيها، حيث عرجت على مفهوم السرقة من خلال تناول مهام المحتسب والشرطة وأعوانهم فاصطبغ مفهومها بالصبغة الأخلاقية باستعمال: الأشرار، الذعار أهل الدعارة **"يجب أن يحدّ للحرس أن يمشوا أدوار كثيرة، ويبدلوا الطرق، فإنّ السّراق والذعرة والطائفين بالليل يرتقبون مشي الحرس وينطلقون بعد ذلك في طلب الشر والفجور"**[4]، وأشارت كتب الحسبة إلى نقض العهد من الذميين ومن بعض علاماته الخروج على المسلمين متلصّصين[5]، فعُد التلصّص وقطع الطّرق على المسلمين من قبل الذميين مؤشر من مؤشرات نهاية عقد الذمة بينهم وبين المسلمين وهذا جاء في باب **"شرح المحاربين من الذميين وأحكامهم من خلال المدونة"**[6].

دعوة نصوص الآداب السلطانية في إقامة الأمن مبنية على النص الشرعي الذي يشدد على الحدود وتطبيقها، ويقدم لنا النص الإخباري دلائل على أهمية هذه الدعوة لكن مدى استمرارية هذا الواقع على الفترات التاريخية هو الذي يدفعنا للبحث أكثر في تلك المضامين الكلاسيكية.

***كتب الفقه والنوازل:** أصبحت المصادر الفقهية تحظى باهتمام متزايد في الكتابة التاريخية، لما توفره من إمكانيات لسد الثغرات وإزاحة شيء من الغموض الذي يلف تاريخ المجتمع المغربي[7]، رغم ذلك يحملنا التعامل مع هذه النصوص مراعاة مجموعة من الخصائص من أجل تجنب فخ التعميم: **أولا** اصطباغ هذه الكتب بالطابع القانوني، حيث تبحث في حكم الشريعة في النوازل المعروضة لذلك سواء صدرت المسألة عن حالة حقيقية أو استرجعت تساؤلات السّلف فإنها تبقى مرتبطة بسياق واضح وبوسط محدد وعليه كل

---

[1]–عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقطّاع الطّريق، ص94.

[2]–ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تق: عبد السميع جباري، موفم للنشر، ط2، الجزائر، 1994، ص111.

[3]–المصدر نفسه، ص116.

[4]–ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص18.

[5]–العقباني، تحفة الناظر، 114.

[6]– المصدر نفسه.

[7]–حميد الفاتحي، الفقهاء في المغرب المريني (محاولة في إعادة تركيب مضامين التراجم)، منشورات الزمن، المغرب، 2018، ص31.

المعلومات التي تأتي بها النصوص –حتى المعلومات الوصفية– القضائية يجب قراءتها عبر نظرة الذي يقدمها[1]؛ **ثانيا** انعدام التعبير التاريخي في الغالب، يجعل الفتوى مجردة على مستوى الزمان والمكان والحال ومع ذلك فهي تحتفظ بمواقف النخب العالمة ودور الفتوى في الحياة الاجتماعية اليومية، مما يجعلها صالحة لدراسة تاريخ العقليات[2] والذهنيات وعلاقتها بالتطور التاريخي خاصة وأنها تتقاطع مع الطرح الأنثروبولوجي" **علم القانون لا يستطيع في المستقبل أن يتخلى عن الأنثروبولوجيا لأنّ هذه الأخيرة هي التي تكشف عن الدينامية المعيارية الخاصة بكل مجتمع وترتبط هذه المعيارية بالقوانين العامة للثقافة الإنسانية**"[3]، **ثالثا** قد يحتل السؤال في النازلة درجة كبيرة من الأهمية من جوابها بما يحتويه من إشارات مضمرة تكون في غالب الأحيان غير مقصودة، والقراءة الإحصائية للجدول تبين أنه أكثر مصنف تناول إشكالية السّرقة والحرابة بنسبة31%، قسمت النصوص الواردة فيه على محورين نصوص نظرية والثانية تصب في جانب الواقع **"فقه الواقع"**، تأتي بصورة تكاملية تضع النصوص الشرعية في وعاء التقنين تُسقط عليه الأحداث بمثابة شواهد اجتماعية خاصة وأنها تستطرد في وصف السّراق وزمن سرقتهم وحيل سرقتهم منها الوصف الدقيق لعملية السرقة ذكرها ابن الحاج(529هـ/1134م) "**جئت أنا وعلي الدرعي وصعدنا في الليل على السّور ودار الحاج المسروق ملاصقة للسّور، فنزل علي في دار الحاج وسرق الثياب منها ووقفت أنا على سقف بيت الدار إلى أن رمى لي علي المذكور حجر فاهتديت إلى الذي أراد...**"[4]قراءة النص الفقهي تشير إلى زمن السرقة(ليلا) والخطة التي اعتمدها السارقين لتنفيذ عملية السّرقة.

في شق آخر عالجت النصوص المعيارية مسائل تطبيق الحد في العبد السّارق من سيده[5]، والشروط الموجبة لتطبيق حد السّرقة[6]، وحكم من تعددت سرقته[7]، وحكم من جحد في السّرقة[8]، وتناولت مسائل أخرى أحكام الإقرار بالسّرقة والشهادة فيها[9]، في إطار نوازل الدماء والحدود والتعزيرات والحرابة، فكتب النوازل تتميز بدسامة مادتها المعرفية بالانتقال من الجمود النظري للقواعد النظرية للفقه إلى حركية التاريخ المجهري التي طرحت بشأنها المشكلات التي استفتي فيها الفقهاء[10].

---

[1]-Elise Voguet, le monde rural, op.cit, p16.

[2]– حميد الفاتحي، الفقهاء في المغرب المريني، ص31–32.

[3]-Elise Voguet, le monde rural, op.cit, p16.

[4]–ابن الحاج، نوازل ابن الحاج التجيبي، تح: أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ط1، تطوان، 2018، 286/2.

[5]–المصدر نفسه، 183/1.

[6]–المصدر نفسه، 571/3.

[7]–المازوني، الدرر المكنونة، 573/3، 574.

[8]–البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 156/6.

[9]–ابن الحاج، المصدر السابق، 286/2، الونشريسي، المعيار، 433/2.

[10]–سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص37.

***كتب المناقب:** يأخذ أدب التراجم عموما نمط كتابة الحوليات في مستوى ترتيب المواد والمعطيات، فالسنة الواحدة هي بالأساس سجل وفيات مشاهير الرجال من علماء وأولياء، وعندما ينتهي المؤلف من عرض التراجم فإنه ينتقل إلى ذكر حوادث السنة، بشكل لا يخضع في الظاهر لمنطق محدّد، إذ نلتقي بوقائع عسكرية إلى جانب أصداء كوارث طبيعية، وشذرات اقتصادية تهم الأسعار والمحاصيل الزراعية، إذن هي حوليات محلية[1]، تعكس واقع المترجم لهم وحال المجال الذي يتنقلون به، وقد عرف الجنس المعرفي الذي اهتم بمناقب الصالحين وكرامتاهم بـ**"أدب المناقب"** "Hagiographie "؛ اعتنى فيه أصحابه بسير الصالحين[2]، وشهد هذا النوع المصدري نموا مطردا من حيث التأليف خاصة بعد سقوط دولة الموحدين وما خلفته من تحول سياسي ومذهبي واجتماعي داخل المجال المغربي من عجز القوى الصاعدة(الحفصية، الزيانية، المرينية) عن إقرار الأمن أمام نشاط الأعراب واللّصوص والقراصنة[3].

واقع أمني أسفر عن التفاف العامة خاصة حول الأولياء انطلاقا من حيويتهم ونشاطهم داخل المجتمع والدولة، حضور تجسد من خلال الكرامة الصوفية وهو ما يعرف بخطاب الخارق أو العجيب والغريب في محاولة للسمو بهم مقام السلطة الروحية تأتي بعد الأنبياء والرسل، وهو ما جعلها في العديد من المناسبات تقدمهم كأشخاص يتمتعون بسلطة قاهرة وكأنداد للسلاطين[4]، وبرز دور الأولياء من الناحية الوظيفية من خلال الزاوية التي كانت تمثل الملجأ ومصدر الحماية لكثير من اعترض سبلهم اللّصوص وقطّاع الطّرق.

دراسة حضور أخبار اللّصوص وقطّاع الطّرق في هذا الموروث المنقبي(الذي مثل حضوره الكمي ما يعادل31%) يتجسد على ثلاث مستويات، تشير مضامينها من الناحية الاصطلاحية إلى مفاهيم صوفية عرفانية بالدرجة الأولى، تعبر عن مراتب سلوك الطريقة أو علامة في ثبوت تلك المراحل، السياحة الروحية-أدبيات السفر والتنقل- حيث تعد أخبار المريدين المتنقلين لشيخيهم **"القطب"** أو**"الغوث"** مصدر لا ينضب من أخبار الصعاب التي تواجههم منها اللّصوص والمحاربين تكون فيها بركة الولي مصدرا لحمايتهم؛ حتى سياحة الولي في الأرض تجسيدا لمراتب قطبيته بطي الأرض[5]، كتعبير عن تذييل الصعاب التي

---

[1]-عبد الأحد السبتي، النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2007، ص63.

[2]- محمد عمراني، كتب المناقب، ص52.

[3]-الطاهر بونابي، "أهمية المخطوطات المناقبية في كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2و3، الجزائر، 2004-2005، ص117.

[4]-محمد فتحة، الامتحان المتبادل في علاقة الولي بالسلطان، منشور ضمن كتاب السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغارب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2012، ص146.

[5]-كرامة صوفية تقوم على تغيير العلاقة بين المسافة من جهة والزمن من جهة ثانية، إذ يتمكن هؤلاء الصّلحاء من تجاوز مسافات طويلة في فترة محدودة وبجهد بسيط قد يكون بخطوة واحدة، لأجل ذلك يسمون **"بأهل الخطوة"**، محمد عمراني، كتب المناقب، ص59، 60.

يطرحها المجال المغربي، وغياب الأمن في تلك المسالك سواء الساحلية المحاذية لهجمات قراصنة البحر أو الداخلية التي لا تخلو من أعمال الحرابة، فهي تهدف إلى نفي إكراهات المجال، أو التغلب على قاطع الطريق[1]، مما يؤكد أن التدوين المنقبي يولي العناية للمجال أكثر مما يوليها للولي[2]، وهو ما نقلته سيرة الصالحين في مدونة **التشوف لرجال التصوف** (ت627هـ/1229م) في موسوعة جمعت سير الصالحين وضح فيها صعاب تنقل الأولياء والمريدين[3]، يضاف لها نصوص المقصد الشريف(حيا711هـ/1311م) وما تعرضه من كرامات من هذا قبيل التي ذكرت أخطار المجال البري والبحري[4]، ولا نغفل في هذا المقام عن سرديات ابن قنفذ(810هـ/1408م) حول مجال المغرب الإسلامي في شرحه سيرة القطب أبو مدين شعيب[5].

تحتوي متونهم أيضا على مستوى آخر كان فيه الولي في مواجهة بين السّراق بمكاشفة[6] لسرقتهم فتتحول المروية الأسطورية المتشبعة بالخارق إلى وثيقة تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها؛ إلا أنها تحتاج منهجا خاصا لقراءتها واستخراج سياقاتها التاريخية واستقراء دلالاتها[7].

دراسة موضوع الزوايا من ناحية توزيعها الجغرافي ينبه إلى الوظيفة الأمنية التي تضطلع بها الزاوية، حيث أشار أحد الباحثين أن مهمة حفظ الأمن المادي والنفسي تمثل إحدى غايات إقامة تلك المؤسسات في قنن الجبال حيث قام الأولياء بفض النزاعات القبلية المحلية على الماء والمراعي وصد اللّصوصية والحرابة[8].

المدونة المنقبية مصدر أدبي تاريخي مثقلة بالرمز والمقدس، تثير عدة مواضيع ترتبط بالأزمة[1] ناقشتها من خلال الكرامة حيث اعتبرت اللّصوصية وقطع الطرق أزمة أمنية محلية (مصادر منقبية ذات صفة محالية،

---

[1]–عبد الأحد السبتي، الزطاط وقاطع الطّريق، ص28.

[2]–المرجع نفسه، ص147.

[3]–ابن الزيات، ص 288، 289، 321، 421، 424.

[4]–البادیسي، ص51، 52، 61، 74، 75، 95، 110.

[5]–أنس الفقير وعز الحقير، ص6، 16، 105.

[6]–المكاشفة، أو بالتعبير الصوفي الكشف؛ النطق بالغيبيات والخروج عن الحسن، اتخذ عدة أشكال منها التنبؤ بالمستقبل والإصلاح على ما تخفي الضمائر من قول وفعل والعلم بالشيء ...وأدرج عند الصوفية ضمن العلم والفتح الرباني، محمد المازوني، **دراسات في علم التصوف المغربي**، جامعة ابن زهر، أكادير، 2012، ص52. ويجعل **الملالي**(حيا897ه/1492م) المكاشفات بفهم كلام الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما تضمن من الأسرار والأنوار التوحيدية، **المواهب القدسية في المناقب السنوسية**، تح: علال بوربيق، دار كردادة، بوسعادة، 2011، ص125.

[7]–راجع حول أهمية المصادر المنقبية في الكتابة التاريخية: عبد الأحد السبتي، أخبار المناقب ومناقب الأخبار، منشور ضمن التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 1988. محمد مفتاح، الواقع والممكن في المناقب الصوفية، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 1988.هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون في المدونة المناقب الصوفية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006.

[8]–محمد مفتاح، الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي (مقاربات وظيفية)، دار رؤية، ط1، مصر، 2014، ص73.

مناقب العباد، مناقب الريف، مناقب شلف) وأخرى مغربية يتشارك فيها المجال المغربي ككل في عصره الوسيط[2].

***كتب الرحلة والجغرافيا** : تختلف أنواع مصنفات الرحلة في العصر الوسيط انطلاقا من أهدافها إلى عسكريّة، علميّة، روحيّة، تجاريّة... وتكتسي هذه المصنفات أهميّة كبيرة في التدوين التاريخي في شقه الاجتماعي لأنها تحمل في ثناياها أخبارا ومشاهدات للمناطق التي زاروها وتسرد تفاعلهم مع عناصر المجتمع الذي نقلوا أخباره وعلاقته بالسلطة السياسية القائمة.

ومما يعطي مكانة لهذا النوع المصدري في الحقل المعرفي لدراسة السرقة والحرابة وآليات تدبيرها من قبل المجتمع والدولة-التي شكل حضور الممارسة اللصّصية نسبة19%-، أن مضامينها استفادت من النضج الذي همّ المعرفة الجغرافية منذ القرن 4هـ/10م، خاصة ما تعلق بتطور الجغرافيا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[3]، ولما كانت الرحلة تعتمد عنصر الحركة والتنقل كان المعطى الأساسي الذي وجه تدويناتهم هو عنصر قوة الأمن لما له من تأثير مباشر عليهم فكان مرتكز مشاهداتهم يشير إلى توفر الأمن من انعدامه من خلال العبارات: آمنة، الحروب، النهب، اللصوص وأهل الحرابة...

توصيفات قد تعكس أيضا التوجه الذي تصب فيه رحلة الرحالة منها رحلة ابن حوقل(ت367هـ/977م)التي تصب في المجال الاستخباراتي ذلك أنّ مشاهداته وتوصيفاته ارتكزت على حالة الحصون والأسوار والمسالك[4].كما اكتسب هذا الجنس المصدري أهميته من تكامله في تصوير اليوميات المجالية للّصوصية والحرابة، فإذا كان الجغرافيون يعتمدون الاستقصاء والتحقيق في جمع المعلومات والجزئيات عن المناطق التي يتحدثون عنها فإن الرحالة يستندون إلى المشاهدة العيانية والحسية، ومكابدة اختلاف البقاع والطباع[5]، فمعلوماتهم مبنية على التجربة فمنهم من كان عرضة للسلب والنهب فجاءت

---

[1]-تقدم الدراسات الاجتماعية في حقل التصوف على أنه ظاهرة أنجبتها الأزمة، الطاهر بونابي: **التصوف في الجزائر خلال القرنين6و7هـ/12و13م**، دار الهدى، الجزائر، 2004، **ودراسة أمل لدرع، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني**، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006. وهذا ما يذهب إليه إبراهيم القادري بوتشيش أنها إفراز لمرحلة ظلامية تنفجر فيها الأزمة، **الخطاب الاجتماعي في الكرامة الصوفية بالمغرب خلال عصري المرابطين الموحدين**، نشر ضمن جوانب التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1991، ص101. لكن هناك من يرى أن الربط بينه وبين الأزمة من شأنه أن يحوله إلى معطى ظرفي لا يظهر إلا مع حلولها ويختفي بزوالها، ويصبح بذلك التاريخ المغربي برمته تاريخ أزمة لأن الظاهرة بقيت مستمرة وأحد الثوابت في الفكر والتاريخ المغاربي. بنحمادة سعيد، **المجال الحيوي للأولياء بالمغرب (الأدوار الدينية والعسكرية والاجتماعية)**، نشر ضمن كتاب التصوف السني في تاريخ المغرب، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2014، ص145. يمكن اعتبار المتسبب في الأزمة هو أيضا مسؤول عن فعالية الأولياء فيها كأحد المبررات للاستمرار دون اختلالات أكثر، الإجابة تتوقف على موقف السلطة من الأولياء ونشاطهم الكرامي داخل المجتمع؟

[2]-انظر **ملحق رقم2**: يعكس تطور حضور اللّصوصية وقطع الطريق من خلال كتب التراجم والمناقب.

[3]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص46.

[4]-راجع: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص85، 86.

[5]-سعيد بنحمادة، المرجع السابق، ص47.

كتابته عن اللّصوص والمحاربين بناءً على التجربة الشخصية التي كان لها تأثير في عملية التدوين حول المجال الذي تخترقه أعمال اللّصوص وقطّاع الطّريق.

مما يدفعنا للاعتقاد أنّ تجاوز العبدري(ت بعد700هـ/1300م) في كتابته حول المغرب الأوسط إلى ما تعرض له من إخافة من طرف الأعراب في طريقه من فاس إلى تلمسان[1]، رغم أنه وضع عام كان انعكاسا للواقع السياسي في تلك الفترة اشتغل فيه الحكام بالصراع على حساب توفير الأمن داخل البلاد المغربية وهو تعبير لسان حاله"**...لا يؤمن بهم طريق، ولا يستنقذ بهم غريق...ولا ينصف بهم مظلوم، ولا يقرع بأسيافهم ظلوم، أو ليس من الأمر المرّ الخارج عن القياس، أن المسافر عندما يخرج من أقطار مدينة فاس، لا يزال إلى الإسكندرية في خوض ظلماء، وخبط عشواء، لا يَأمن على ماله ولا على نفسه، ولا يؤمل راحة في غده إذ لم يرها في يومه وأمسه، يروح ويغدو لحما على وضم، يُظلم ويُجفى ويهضم، تتعاطاه الأيدي الغاشمة، وتتهاداه الأكف، لا منجد له ولا معين، ولا ملجأ يعتصم به مسكين، يستنجد ويستغيث، وأنى له المنجد والمغيث**"[2].

في حين أن من كانت رحلاتهم مع قوافل تجارية جاء تعبيرهم عن واقع التجارة الداخلية والخارجية للمغرب الإسلامي بناءً على تأثير قطاع الطرق عليها ما عبر عنه ابن بطوطة(779هـ/1377م) في رحلته التي يستشف منها خصائص الرحلة التجارية وأهمية التكشيف في تأمين القوافل[3]، وأشار فيها لأخبار اللّصوص في مواضع متعددة داخل القافلة وعلى المراكب البحرية وداخل مكة المكرمة لأداء فريضة الحج[4]، نصوص أحوال الحج لم تخل منها النصوص الرحلية القادمة من الأندلس وعلى طول الطريق نحو البقاع المقدسة فابن جبير(ت614هـ/1217م) وصف أهوال الطرق البحرية من التقلبات الجوية وأعمال القراصنة، وأشار إلى الصّعاب في الطرق البرية بين المغارم الكثيرة على السالكين و أعمال النهب والسطو[5]، أما ابن الحاج المدجن(النصف الثاني من القرن8هـ/14م)ركز على غياب الأمن في الدولة الزيانية وآثاره على حركة الحجاج، بانتشار اللصوص وقطاع الطرق الذين لم يستثن وجودهم في محطات كثيرة من تنقله حتى وصوله البقاع المقدسة[6]، كلها نصوص تجعل من غياب الأمن مرادف لأعمال قطع الطريق واللّصوصية، ومنها أيضا رحلة ابن خلدون(ت808هـ/1406م) الذي عبر عن أعمال الأعراب وصعوبة التنقل لا تكون إلا بتوفر حماية منهم-الأعراب- كانت تعكس الوضع العام

---

[1]-العبدري، الرحلة المغربية، ص45.

[2]-المصدر النفسه، ص33.

[3]-رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1992، ص675.

[4]-المصدر نفسه، ص609، 608.

[5]-رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ص9، 30، 31، 34، 285-293.

[6]-أنساب الأخيار، وتذكرة الأخيار، تح: محمد بن شريفة، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 2008، ص96، 108.

لبلاد المغرب، وسيطرة الأعراب على منافذ الطرق المؤدية إلى البقاع المقدسة على طول الطرق والمسالك الواقع الذي أشار إليه الرحالة في كل من فاس، تلمسان، بجاية، تونس، وطرابلس[1].

وتطرق حسن الوزان(ت957هـ/1550م) للّصوصية وقطع الطريق بوصفه للواقع الاجتماعي العام في المغرب الإسلامي الذي اكتسحته مظاهر الفقر، الحاجة، الفاقة، والتسول، وغيرها.

***المصادر الإخبارية الكلاسيكية:** إذا كانت المصادر الإخبارية تهتم بتدوين أخبار السلاطين وسيرهم في دولهم مرتكزة على التزكية والمجاملة في وصف منجزاتهم وبطولاتهم، فإنا لا نجانب الصواب إذا قلنا أن اللّصوصية وقطع الطّريق ارتبطت كل الارتباط بمفهوم الأمن، وما لهذا الأخير من دور في الاستقرار وقيام الدول، ودليل على قوة السلاطين وشرعية حكمهم التي تكون في الغالب حسب النص الإخباري مستوحاة من مدى تحقيقهم للأمن، وهذا ما أكدت عليه النصوص الإخبارية في رصد الخطاب الأمني في بداية تقلد الحكام لمناصبهم، وتراجعه مع انتشار أعمال الفساد من اللّصوصية والحرابة دليل على ضعف السّلطة السياسية القائمة وعجزها في تحقيق الاستقرار السياسي الذي يؤثر على الواقع الاقتصادي والاجتماعي، ما يفسر الحضور المكثف للمسالك والدروب الآمنة ونظيراتها المخوفة في مصادر التاريخ الإسلامي، وإن غلب عليها الطابع التنميط في سرد الأحداث دون مراعاة الدول المتعاقبة وسياقاتها التاريخية الأمر الذي يبرر متوالية الأمن ولاختلاله عند الحديث عن نهاية دولة وقيام عصبية حاكمة أخرى[2].

اعتبرت كتب التاريخ السياسي (بحضور شكل 19%) اللّصوصية مؤشرا على ضعف السلطة مما يشرع سقوطها لتحل محلها سلطة قادرة على تحقيق ما عجزت عنه سابقتها، والإشارات الصريحة حول السرقات في هذا النوع المصدري تتعلق بأجهزة الدولة لأهميتها، وهي قليلة منها ما ذكره ابن أبي زرع حول سرقة بيت المال من قصبة مدينة فاس **"وفي سنة 666هـ سرق بيت المال من قصبة مدينة فاس، سرق منه اثنا عشر ألف دينار وثلاثمئة قلادة"**[3] لم يشر فيها إلى السارق ولكن اهتم بها لأنها تمس جهاز من أجهزة الدولة.

حتى تأسيس الحواضر في الغرب الإسلامي مرتبط بالعامل الأمني ودائما ما يُختار له موقع يصعب اختراقه إما لاستقرار الوحوش بها أو أنه مرتع للّصوص وقطّاع الطّرق، وحمل تأسيس مدينة فاس أول إشارة في المصادر الإخبارية حول اللّصوصية وقطع الطريق، وذلك في كتاب ابن أبي زرع لما ذكر اختيار المكان لبناء المدينة من قبل إدريس الثاني(188-213هـ/804-828م) مشيرا أن المكان كان ملكا للّص محارب فتاك قلما ينجوا المجتازون لمكانه ومواشيهم ساعدته طبيعة المكان للسيطرة عليه **"وكان بعين علون**

---

[1]-ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تح: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004، ص65، 115، 123، 209.

[2]- عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق، ص 26، سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص42.

[3]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص402.

شجر من طخش وعليق وكلخة وبسباس وأشجار برية وكان بها عبد اسود يقطع الطريق "[1]، وأول ما قام به السلطان هو قتل اللّص المحارب وصلبه في المكان وتحول اسم اللّص إلى طوبونيم **"عين علون"**؛ **"...وقبض عليه وجاء به إليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة هناك كانت على رأس العين المذكورة ...فسميت العين به إلى الآن"**[2]، وارتبط تأسيس المدينة بتحقيق عامل مهم للتوطن وكسب شرعية أخرى للحاكم المؤسس.

تأسيس مدينة مراكش سنة465هـ/1233م مرتبط هو الآخر بمكان كان مرتع للّصوص لم يجري تأمينه إلا بعد تأسيس المدينة **"وكان يوسف هذا رجلا شجاعا عادلا اختط بالمغرب مدينة مراكش وكان موضعها مكمنا للّصوص وكان ملكا لعجوز مصمودية"**[3]، ربط تأسيس المدينة بالأمن ضد اللّصوص وقطاع الطرق، ويحيل معنى اسم المدينة إلى **"امش مسرعا"** بلغة المصامدة حيث كان يقولها المارون لرفقائهم لأن الموضع مأوى للّصوص[4]، كونها ممر تجاري مهم لحركة القوافل المقبلة من السودان والذاهبة إليه، وكانت هذه القوافل تتعرض هناك لهجمات قطاع الطرق لذلك اعتاد التجار على مخاطبة بعضهم البعض بالمرور بسرعة كلما وصلوا إلى موضع مراكش[5]، تأسيس المدينة يركن للمعطى الاقتصادي والأمني، هو مبرر نفسر به أنّ قطاع الطرق غالبا ما يختارون خطوط السير للقوافل في مواضع إستراتيجية تمكنهم من السيطرة والسطو على التجار وتجارتهم.

البيذق في رحلته مع المهدي ابن تومرت اعتكف على ذكر تلك المضايقات التي تعرضوا لها من قبل قطاع الطرق وصور لنا اختلال مظاهر الأمن **"ولما خرج سيدنا المعصوم من سلا ....فلما نزلنا فيها تلك الليلة سرقت لنا الدابة التي كانت تحمل لنا الأسفاط، وذكر أنه سرقها عبيد يقال لهم أولاد تبرزوفت....فأردنا الجواز فمنعونا حتى نعطي المكس وهو المكرى..."**[6]وهنا تظهر صورة الإمام صاحب الدعوة الذي استنكر الفعل باعتباره لا يجوز شرعا، إشارة على عدم تطبيق الأحكام الشرعية من قبل المرابطين الفكرة التي أصبحت مرتكز الدعوة الموحدية لدحض الدولة المرابطية.

وفي حركة الملوك داخل المجال المغربي كان من جملة أعمالهم ما يظهر الاهتمام بالأمن والعمل على تحسينه لأنه مظهر من مظاهر قوة السلاطين، العمل الذي قام به السلطان المريني أبو الحسن(731-

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص39.

[2]-المصدر نفسه، ص39.

[3]-ابن عذارى، البيان المغرب، 112/4.

[4]-المصدر نفسه، ص123.

[5]-محمد ياسر الهلالي، التجار المغاربة في السودان الغربي وتأثيرهم في العصر الوسيط، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، 1990/1989، ص 22، بولقطيب الحسين، النشاط الاقتصادي لبعض حواضر المغرب الإسلامي وأواخر القرن الخامس وبداية السادس هجريين، نشر ضمن أشغال الندوة المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1988، ص182، 181.

[6]-البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص26.

752هـ/1331-1351م)، وقد خصص له ابن مروزق(781هـ/1379م) مقدمة مستقلة بين فيها أهمية تأمين السبل، وصنفه من أفضل الأعمال كما أن إخافة السبل من أقبح المعاصي، الأمر الذي لا يحتاج لدلائل فيه، مشيرا أنه كان من أولويات عمل السلطان وفصّل في طريقته لتثبيته الأمن عبر الحواضر الكبرى للبلاد: **"كان هذا العمل عند إمامنا المرحوم من أهم الأعمال وأكد ما تنصرف همتهم الشريفة إليه، فرأى أن يعمر طرق المسافرين من حضرته، بفاس إلى مراكش وإلى تلمسان وإلى سبتة وغيرها من البلاد بالرتب(وهي خيام)، يأمر بسكنها على مقدار اثني عشر ميلا يسكنها أهل الوطن ويجري لهم على ذلك إقطاع من الأرض يعمرونها على قدر الكفاية ثوابا على سكنى المواقع المذكورة، يلزمون فيها ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون من الآدم على اختلافها والمرافق التي يضطرون إليها، هم وبهائمهم ويحرسون ويحطون أمتعتهم فان ضاع شيء تضمنوه فلا يزال المسافر كأنه في بيته وبين أهله في ذهابه وإيابه وإقباله وقد جرى هذا النمط واستمر والحمد لله في بلاد المغرب"**[1]، في شق آخر سجل فصلا في كتابه حول إقامة الحدود على سبيل العدل في الحكم[2]، تأكيدا على حيوية الأمن في التمكين لشرعية الخلافة.

أعمال السلب والنهب التي تشرعها الحرب، كان لها الحضور الأكبر في النصوص الإخبارية كونها نصوص سياسية عسكرية تمجد البطولات والانتصارات التي توحي أن اختلال الأمن يشرع ظهور النهب والسرقة والتلصُّص، ويصبح فيها مفهوم السرقة يشير إلى وسيلة حربية تبين قوة المنتصر والنصوص التاريخية في ذلك كثيرة.

من خلال هذا الاستطلاع للّصوصية وقطع الطريق في المغرب الإسلامي من خلال مختلف النصوص الأسطغرافية والنصوص المكملة يمكن تقديم بعض الملاحظات:

-لا يكمن الحديث عن مصدر واحد خاص باللّصوصية وقطع الطريق في المغرب الإسلامي، مادتها متناثرة بين متون مصدرية مختلفة تتوزع بين الأدبية والفقهية والتاريخية.

-في غالب الأحيان يأتي الحديث عنها عرضا وليس محورا هاما في التدوين وهو ما يحيل إلى إشكالية طرحتها الدراسات الحديثة متمثلة في تهميش التدوين حول هذا النوع من الفئات الاجتماعية وأن تاريخهم يدخل ضمن المسكوت عنه.

وعليه يمن التأكيد أنّ الحديث عن مكونات النّص اللّصصي في المغرب الإسلامي لا يتوقف على بنية نصية محددة-على عكس النص اللّصصي في المشرق- كون مادته موزعة على ألوان مصدرية عديدة يأتي فيه

---

[1]-المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولنا أبي الحسن، تح: مريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص429. راجع أيضا ص 141، ورد فيها دور الخلفاء في تأمين المسالك في شعر لعبد الله بن مبارك:

إن جماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا.
كم يرفع الله بالسلطان معضلة في ديننا رحمة منه ودنيانا.
لولا الخلافة لم تأمن سبلنا وكان أضعافنا نهبا لأقوانا.

(البسيط)

[2]-ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص142.

الخبر حول اللّص واللّصوصية عارض ومقتضب وليس محورا فيه، يمكن أن **نستثني** منها مصـــادر **التـــراجم والنوازل** التي تخضع في العموم لنمط ومنهج ثابت في التدوين عنهم، مما يسمح بالقـــل أنّ الحـــديث عـــن اللّصوص في هذين المصنفين يأخذ بنية محددة.

3-التهميش واللّصوصية:

أفرزت الانتقادات التي وجهت إلى رواد مدرسة التاريخ المنهجي أو التاريخ الوقائعي[1] ظهور مدرسة الحوليات التي ذاع صيتها في أوروبا ابتداء من سنة 1929م تاريخ صدور أول عدد من المجلة التي تعكـــس توجهات هذه المدرسة وهي مجلة **حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي** وكما يوحي عنوانهـــا تعطـــي المجلة الأولوية للظواهر الاقتصادية والاجتماعية التي ظلت مهملة إلى ذلك الوقت[2]، وقد أثار الجيل المؤسس للمدرسة دراسة التاريخ وفق منهج جديد ومصادر جديدة، وهي محاور الانتقادات التي وجهت للمنهجيين والوضعانيين في كتابة التاريخ الذين جعلوا من الوثائق صلب دراستهم للتاريخ تحت شـــعار أنّ "لا تـــاريخ دون وثائق"[3]؛العبارة التي مثلت شعار هذه المدرسة، على العكس مـــن ذلـــك ذهـــب مـــارك بلـــوخ M.Bloch(1886-1944م) ولوسيان فيفرL.Febvre(1878-1956م) إلى تبني طروحـــات جديـــدة كانت بمثابة نداء من أجل تاريخ معمق وكلي يتجاوز حسب تعبيرهم ذلك التاريخ الفقير والمتحفظ أو كما عبرا عنه تاريخ مزيف متخف تحت قشرة مظللة[4]، إذ يرى الأول أنه لا ينبغي الاكتفاء بالوثـــائق وحـــدها كمصدر للتأريخ.

فالكتابة التاريخية لا تقتصر على النص المادي المكتوب، ويمكن استكمال دراسة الحركات السكانية والهجرات من خلال المقابر الأثرية في منطقة من المناطق أو حضارة من الحضارات فالمعتقـــدات ذلـــك أنّ المشاعر والعواطف يمكن أن تُنبئ بها الصور والرسوم والتماثيل أكثر مما يعبر عنها النص المكتـــوب[5]، يعـــبر

---

[1]-أطلقت عليها تسميات عديدة منها المدرسة التاريخانية أو التاريخ الرّنكي نسبة للمؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكهLeopold von Ranke (1790-1856) الذي تعد نظرياته مصدر لطروحات المدرسة المنهجية خاصة من ناحية منهج جمع الوقائع، راجع خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ص88.

[2]-فرنسوا دوس، التاريخ المفتّت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2009، ص110.

[3]-المقولة جاءت في كتاب"مدخل للدراسات التاريخية" المؤلف سنة 1898م من طرف شارل فيكتور لونغوا وشارل سينيوبوس، وهما مؤرخان كبيران أوصلا البحث التاريخي في صيغته الوضعانية إلى الأوج في فرنسا وأوروبا، كان لونغوا ابن المدرسة الوطنية للوثائق التي تخرج منها ودرَّسَ بها، مؤرخا وسيطيا، وأرشيفيا أولا وقبل كل شيء .وكان سينيوبوس، الذي تتلمذ على يد فوستل دو كلانج وإرنست لافيس، وقضى سنتين بجامعات برلين وليبزيغ وميونخ، مختصا في تاريخ الإغريق والرومان .راجع: محمد حبيدة، المدارس التاريخية من المنهج إلى التناهج، دار الأمان، الرباط، ص 46.

[4]-جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ضمن التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007، ص88.

[5]-وجيه الكوثراني، تاريخ التأريخ(اتجاهات-مدارس-مناهج-)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط2، الدوحة، 2013، ص209.

مارك بلوخ عن شمولية التاريخ وعمقه بأنه لا يتعلق بسرد الأحداث، أو باستخدام الانتقائية في التاريخ لفئة على حساب أخرى، أو لموضوع على حساب آخر، ويؤكد أنّ التاريخ كلمة لا تفرض أي محظورات مسبقة في طريق البحث الذي يتوجه للفرد أو المجتمع، أو يتوجه للتشنجات اللحظية أو التطورات الدائمة لا تشكل الكلمة بحد ذاتها أي عقيدة، فبحسب معناها الأصلي لا تُلزمنا كلمة "تاريخ" إلا بالتساؤل[1].

ويتفق لوسان فيفر مع زميله في منهج المساءلة ولكن يوسع المجال يقدم فيه الحاضر القاعدة للتقدم نحو الماضي واستكشاف خباياه ذلك أن التاريخ هو الجواب عن الأسئلة التي يطرحها إنسان اليوم حتما على نفسه، فالحاضر يساعد على البحث عن الماضي ويسمح بإثرائه[2].

وأكثر الانتقادات وأشملها تلك التي وجهها فرنسوا سيميان F.Simian الذي ينبذ عبادة ثلاث أصنام لدى قبيلة المؤرخين وهم: الصنم السياسي، الصنم الفردي والصنم التاريخي[3]، ما يدعم تشكل فهما جديدا للبحث التاريخي، محدثا بذلك قطيعة جذرية مع التاريخ التقليدي الذي يهتم بصورة خاصة بالأفراد وبالفئات العليا من المجتمع ونخبه، وبالوقائع وبالمؤسسات التي تهيمن عليها النخب، على عكس من التاريخ الاجتماعي الذي يهتم بالكتل التي ظلت على هامش السلطة[4]، لذلك أطلق عليها **مدرسة التاريخ الجديد**، الجديد من حيث منهجية، مصادره والمواضيع المطروقة، والآفاق التي صار يتطلع إليها،، انطلاقا من هذه الانتقادات التي وجهت للمدرسة التقليدية انفتحت مواضيع مدرسة الحوليات على علوم كثيرة منها علم الديمغرافيا، الاقتصاد، علم النفس، والأنثروبولوجيا، ونتج عن مزاوجة بينها تخصصات مشتركة من قبيل الديمغرافيا التاريخية، الأنثروبولوجيا التاريخية، علم النفس الاجتماعي...

ولعل أكثر ما يهمّنا في هذا الموضوع تلك النقلة التي حدثت على مستوى المواضيع المطروحة، التي صارت أكثر عمقا ودقة وصرنا نقرأ مثلا عن: الحلم، الجمال، التغذية، الجسد والجنس، وبتسليط الضوء على حقل الذهنيات نجده من أكثر المفاهيم غموضا واتساعا، إلا أنه أحدث في الآن نفسه نوعا من التوازن مع التاريخ الاقتصادي واللّين أعطت متنفسا للتاريخ[5]، إلا أنها لم تكن المتنفس الوحيد للحولين فقد اتجه الجيل الثالث من رواد هذا التوجه إلى مجال لا يقل أهمية عما سبقه، بل كنتاج فرضه الانفتاح على العلوم الأخرى خاصة بعد توظيف المنهج البنيوي في الدراسات التفسيرية للتاريخ.

إنّ التاريخ البنيوي هو تاريخ الناس عامة، تاريخ الناس وليس تاريخ العامة، لأنه لا يقصي أولئك الذين يحضون بمواقع متميزة في صلب السلطة، العلم، الثروة ولكن يجب فقط وضعهم في الموقع المناسب،

---

[1]-مارك بلوخ، مهنة المؤرخ، تر: حسين اسماعيل، مدونة الإحيائية الجديدة: Neorevivalism.com.

[2]-فرنسوا دوس، التاريخ المفتت، ص104.

[3]-جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ص107.

[4]-خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ص87، ألون مونسلو، دراسة تفكيكية للتاريخ، تر: قاسم عبده، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2015، ص42.

[5]-جاك لوغوف، المرجع السابق، ص120.

موقع أقليات محدودة تَتمعّش من ظروف استثنائية[1]، وهو التاريخ الداخلي الذي يتبع تطوره على الأمد الطويل، في هذه البيئة العلمية برز تاريخ المهمشين، أو تاريخ المسكوت عنهم أو التأريخ من الأسفل[2]، مقاربة تقدم فهما آخراً للتاريخ كنوع مغاير من الكتابة التي ترتكز على الدهليز بدل السطح وغرضها فهم الناس العاديين الذين عاشوا في الماضي[3]، ومن ثم فهي تؤسس للتاريخ الاجتماعي الذي يهتم بالكتل الاجتماعية التي بقيت على هامش السلطة[4]، هذا يعني أنّا لا نتوقف على مفهوم واحد للمهمش لأنّ التهميش يرتبط في مفهومه بالمضامين وكذا بالسياقات التي يرد فيها[5]، وعليه فهناك الهامشي من المنظور سياسي، وهو الذي جُعلت السلطة مركزا فيه، وهو يقع خارجها، وقد يكون تهميشا مرتبا له نتيجة موقف معين من قبل هذا الهامشي اتجاه السلطة، وقد يكون مربوطا بفترات زمنية محددة، فيما قد يكون تهميشا على سبيل الإقصاء والتجاوز، وبالتالي فإنّ تعريف الهامشيين يتم بالنسبة إلى المجتمع المهيمن تنالهم تعبيرات عديدة: ممن **"ليس لهم مقر دائم"**، وهم **"يوجدون في كل مكان"**، وممن **"لا يصلح للدنيا"**[6]، على غرار الصعاليك الذين كانوا في باريس خلال القرن 16م يوصفون بأنهم لا يصلحون للدنيا[7]، ولا شك أنّ النظرة الدونية هذه مردّها الأساسي ضعف الجانب القيمي الأخلاقي الذي يكون محور تصنيفهم مثلما عبر عنه جان كلود شميت J.Claud Semitt **"يمكن للفرد أو المجموعة أن تساهم في علاقات الإنتاج مع رفضها نماذج المجتمع الأخلاقية أو يمكن أن تكون مقصاة من تراتبية قيم ذلك المجتمع"**[8].

نلحظ انعكاس هذا الواقع بشكل جلي في الكتابات التاريخية التي نقل فيها الإشارة إلى هذه المجموعات، تحت تأثير النظرة الدونية باعتبارهم **"رعاع"**، **"سوقة"**، **"جهلة"**، **"سافلة"**، و**"الدهماء"**، كثيرا ما التصقت بهم العديد من النعوت السلبية، وإذا ما اصطدموا بالسلطة المركزية وأوامرها؛ فهم **"عصاة"**، **"فسقة"**، و**"مفارقون للجماعة"**، بل وخارجون عن الشرع[9]، لذلك تعد التنويعات التي جاءت بها مدرسة

---

[1]–كريزيستوف بوميان، تاريخ البُنى، ضمن التاريخ الجديد، ص220–222.

[2]–تطور "التاريخ من الأسفل" في بداية هذا التوجه في الكتابة التاريخية بفضل مجهودات المؤرخين الأنجليز، إذ استخدام عبارة التاريخ من الأسفل إلى مقالة نشرها إدوارد طومبسون سنة 1966م، وكان قد نشر قبلها بثلاث سنوات بحثا عن تكوين الطبقة العمالية الانجليزية، كانت غايته إنقاذ تاريخ المهزومين والضائعين من براثن الإهمال وإبرازه للوجود، راجع أكثر: خالد طحطح، البيوغرافيا والتاريخ، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، الدار البيضاء، 2014، ص49 وما بعدها.

[3]–المرجع نفسه، ص49.

[4]–فليب أرياس، تاريخ الذهنيات، ضمن التاريخ الجديد، ص282.

[5]–عبد الإله بنمليح، تهميش الرقيق في بلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط: الفعل ورد الفعل، ضمن كتاب دراسة المجالات المهمشة وتاريخ المغرب، منشورات المختبرات (مختبر المغرب والعوالم الغربية)، ط1، الدار البيضاء، 2011، ص97.

[6]–جان كلود شميت، تاريخ الهامشيين، ضمن التاريخ الجديد، ص467.

[7]–المرجع نفسه، ص 461.

[8]–ا جان كلود شميت، تاريخ الهامشيين، ضمن التاريخ الجديد، ص441.

[9]–خالد اليعقوبي وخالد طحطح، التاريخ من الأسفل، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2019، ص220، دلال لواتي، عامة القيروان في عصر الأغالبة، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2015، ص13(المقدمة).

التاريخ الاجتماعي دليلا على أن التاريخ يكتب بشكل مطرد على أنه شكل من أشكال الالتزام السياسي إزاء الجماعات المهمشة: عرقيا، إثنوجرافيا، نوعا، طبقة، جنسا وإقليما[1]، انطلاقا من أن تلك الشرائح الشعبية ليست لها إمكانيات لإنتاج ثقافة[2].

ارتكزت أولى أعمال هذا الاتجاه حول الناس العاديين مثل الفلاح، الطحان، والاسكافي، والصعاليك، واللّصوص وقطّاع الطّرق...، وجاءت دراستهم على مرحلتين الأولى متأثرة بمنهج الحوليين المؤسسين من خلال التعمق في سيرة الفرد ثم انتقلت الأبحاث إلى الاهتمام بعالم التجربة اليومية كما هو الحال في المكروتاريخ وتاريخ الحياة اليومية[3].

إذا كانت مدرسة الحوليات قدمت المناهج وفتحت المجال أمام المصادر(المصادر المكتوبة، التاريخ الشفوي والذاكرة الجماعية...) وأنتج روادها تاريخا حول فئات متعددة من المهمشين[4]، فإن البحث في هذا المجال مازال بكرا جدا في المشرق، تبنته بعض الدراسات المتفرقة تعود للمؤرخ المصري محمود إسماعيل وتلامذته[5]، الذين ركزت بحوثهم على التاريخ السري، وتاريخ الحركات الاجتماعية والجماعات غير المنتظمة، لم يخل فيها تصنيف المهمش من دائرة السلطة المركزية واعتبارها مركز استحواذ في اتخاذ القرار وتملك سلطة الإقصاء وكانت هذه النقطة منطلقا لعديد الدراسات حول العامة، الشطار والعيارين، السحرة والحراشيف...، وحتى حول تلك الفئات التي لم تشكل إزعاجا للسلطة لم يكن لها صوت مسموع في

---

[1]-ألون مونسلو، دراسة تفكيكية للتاريخ، ص43.

[2]-فرنسوا دوس، التاريخ المفتت، ص262.

[3]-خالد طحطح، البيوغرافيا والتاريخ، ص50-52 راجع أيضا: قيس ماضي فرّو، **المعرفة التاريخية في الغرب(مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية)**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، الدوحة، 2013، ص205، 206.المكروتاريخ أو التاريخ المجهري عبارة أطلقها مجموعة من المؤرخين الإيطاليين الأكثر انفتاحا على الثقافة الشعبية خلال السبعينيات وهو تاريخ يهتم بمواضيع الحياة الخاصة وبما هو شخصي إنه تاريخ مصغر أو تاريخا المجهري، وضع من بين أهدافه في المقام الأول التجربة المعيشية لصغار الناس وبوسطائهم، راجع: خالد طحطح، البيوغرافيا والتاريخ، ص52.

[4]-مستلهمين مادتهم من بعض الدراسات أدبية والذاكرة الجماعية التي تذكر أخبار المجذومين، اليهود، الهراطقة، الساحرات، ومن هم في فلك الانحراف والجريمة على غرار الدراسات الأدبية الخيالية حول الفقراء لأوستاش ديشيان(E.Deschamps)في فرنسا والمؤلف المجهول لكتاب المتشردين في ألمانيا حوالي 1500م، وفي إيطاليا قام تيرنو بيني(T.Pini)في كتاب مرآة المجانين بجرد مختلف فئات المتسولين المزيفين الذين حاولوا استعطاف الناس على أبواب الكنائس، أنظر في هذه الكتابات: جاك لوغوف، **التاريخ الجديد**، وجان كلود شميت، تاريخ الهامشيين، ضمن التاريخ الجديد.

[5]-الدراسات الأكاديمية حول المهمشين ناقشت التهميش من وجهة التراتبية الاجتماعية فطرقت موضوع العامة وما يدور في فلكها منها دراسات: محمود إسماعيل، **المهمشون في التاريخ الإسلامي**، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2004، إبراهيم القادري بوتشيش، **الإسلام السري في المغرب العربي**، سينا للنشر، ط1، مصر، 1995 (أعيد نشره سنة 2014 بعنوان: **المهمشون في الغرب الإسلامي**)، محمد حسن حركات، **العامة بمدن افريقية في العهد الحفصي، نشر ضمن المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، بيت الحكمة، ط1، تونس 1999، أحمد طاهري، **عامة قرطبة في عصر الخلافة دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي**، منشورات عكاظ، 1989، فهمي سعد، **العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع هجريين**، أحمد محمودي، **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2009، دلال لواتي، **عامة القيروان في عصر الأغالبة**.

انتاجات المؤرخين[1]، إشكالية متعلقة بذهنية المؤرخين القدامى ونظرتهم إلى المجتمع المبنية على أنه مسير من طبقة واحدة ممثلة في؛ "أهل السيف" و"أهل القلم" وما دون ذلك فغثاء لا يستحق الاهتمام والتسجيل لهم[2]، فالتهميش يكون لاعتبارات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية دينية وقد تكون مجتمعة وهو ما جاء في تعريف الباحث إبراهيم القادري بوتشيش له **"التهميش يكتسي معنى مركبا يشمل السياسة والاقتصاد والمجتمع والثقافة، وهو في جوهره عملية إقصائية تستهدف إقصاء طرف لطرف آخر، وعدم إدماجه في المجتمع، ثم حرمانه من كافة حقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وطمس ثقافته وتراثه تمهيدا لمحو هويته أو إذابتها في هوية الذات المهمشة"**[3].وضمن هذا السياق تم تصنيف اللّصوص وقطّاع الطّرق الذين نالهم ما نال غيرهم من الفئات المهمشة باعتبارهم يدخلون ضمن عالم البؤس والجريمة وأخبارهم تصب في حيز الخارجين عن القانون أو الشرع بالتعبير الوسيطي، وكان فيها لسلطة العرف دور في حفظ أخبارهم وانتقالها كونها تدخل في فلك الفتوة والشجاعة وأخبار الفروسية في المجتمع القبلي.

يمكن تسجيل بعض الملاحظات عن التدوين حول المهمشين عموما اللّصُوص وقطّاع الطّرق خاصة:

-الكتابة حولهم نابعة من التكوين الثقافي للمؤرخ الذي ينظر إلى التاريخ على أنّه مجموعة من ترسبات متتالية للأحداث والأشخاص والدول والعائلات الوجيهة[4]، وكل ما يعكر مسيرتها ويمس بذاتها الأخلاقية يعاني الإقصاء.

-التكوين الثقافي للمهمشين(اللّصوص وقطّاع الطّرق) لم يرق لمستوى يمكنهم من تدوين أخبارهم باستثناء ما احتوت عليه مضامين المدونات الأدبية من الشعر والمقامات التي احتوت أخبارهم لإبراز الصور الأدبية من التفاخر والهجاء وبعض المظاهر المتعلقة بالمجتمع القبلي مثل الفروسية، فالكتابة حول تاريخ الهامشيين تطرح صعوبة تقنية ترتبط بغياب الوثائق فعامة الناس لا يخلفون وثائق خاصة بهم، وفي المقابل صمت المصادر الرسمية عن أخبار أغلبية الناس، وهذه سمة تنطبق على مجمل المصادر منذ الأدبيات الأولى التي أعقبت ظهور الكتابة وحتى نهاية القرن19م[5]، أما الإشارات التي ذكرت في بعض النصوص فتحمل من التحامل الكثير على هذه الفئة وجمعها قد لا يسمح ببناء صورة متكاملة حولهم، ويزيد هذا تعقيدا إذا أفردنا بالدراسة مجال المغرب الإسلامي أو المغرب الأوسط.

---

[1]-إبراهيم القادري بوتشيش، من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين نظرات في تحديد الأدوات المنهجية للمؤرخ، ضمن دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، ص56، إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور لهم من الأسفل، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2014، ص29.

[2]-محمود إسماعيل، المهمشون في التاريخ، ص14.

[3]-المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص20.

[4]-إبراهيم القادري بوتشيش، من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين، ص55.

[5]-خالد اليعقوبي وخالد طحطح، التاريخ من الأسفل، ص72، 73.

-الانتقائية أثناء عملية التدوين واعتماد التراتبية المبنية على النظرة الدونية تأخذ الصبغة القيمية والأخلاقية فيتم توصيفهم بالرعاع والسوقة، وهي من التوصيفات التي مست العامة عموما فالعامة الرعاع والهمج والغوغاء لأنهم كالجراد إذا ماج بعضها في بعض والغوغاء أهل السفه والخفة، وهم الأوباش والطّرارون والغواة والسفهاء والدهماء[1] تسميات تحيل إلى أنّ المهمشين قد يكون المغضوب عليهم من جهة السلطة وتهميشهم جاء نتيجة لمواقفهم اتجاهها في مراحل تاريخية معينة منهم (لصوص أنكاد تناولتهم النصوص ابتداء من علاقتهم بالسلطة السياسية القائمة الذين استخدموا في خفر الطرق التي يستقر بها قطاع الطرق).

-تاريخ الفئات المهمشة في المشرق الإسلامي كانت له الحظوة مقارنة بمثيلتها في المغرب الإسلامي هذه الأخيرة التي عرفت مرحلية في الكتابة حولها، ففي المشرق نجد أصداء أخبارهم في النصوص التاريخية منها نصوص المسعودي(ت346هـ/957م) في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر تعتبر كتاباته من الإشارات الأولى في التاريخ المشابه لمنهج الحوليات وهذا حسب ابن خلدون(ت808هـ/1405م) بين أنه قدم أنموذج **"لتاريخ كل الناس"**[2] مستخدما دلالة **"أحوال الأمم"** بالتعبير الخلدوني **"شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده في عصر الثلاثين والثلاثمائة غربا وشرقا، وذكر نحلهم وعوائدهم، ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفِرَق شعوب العرب والعجم، فصار إمامًا للمؤرخين يرجعون إليه، وأصلا يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه"**[3]، محيلا بذلك على ما تسميه المدرسة السالفة الذكر بالمنهج البيئوي والأنثروبولوجي التي يهتم أصحابها بدراسة أنماط السلوك والعادات والأعراف في ضوء المعطيات الجغرافية والبيئية[4]، وفي المجال الأدبي نجد كتابات حول الحمقى والمجانين والعوام[5]، وفي شق آخر ظهرت أخبار المسكوت عنهم في كتابات الفلسفة للمشرقيين منها ذكر أحوال الفقراء في رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا[6]، تقابلها إشارات متفرقة في مصنفات مختلفة تحمل أخبار تلك الفئة في الغرب الإسلامي، منها ما ذكره ابن خلدون حول المتسولين والسحرة والكتريين وجملة من صانعي وسائل المعاش[7]، وهي صورة تنعكس على واقع الكتابة حول اللّصوص وقطّاع الطّرق، التي ذكرتها مصادر مشرقية(الشطار، والعيارين، ....)، في مقابل صمت المصادر المغربية عنها في المرحلة الأولى للعصر الوسيط،

---

[1]-فهمي سعد، العامة في بغداد، ص139.

[2]-كريزيستوف بوميان، تاريخ البُنى، ص220.

[3]-ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد رجب، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، 2010، ص27.

[4]-إبراهيم القادري بوتشيش، من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين، ص53، 54.

[5]-راجع المبحث الثاني من هذا الفصل ذكرت فيه نماذج من هذه التراثيات الأدبية.

[6]-مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، 1405هـ، 429/3.

[7]-إبراهيم بوتشيش، من التاريخ السلطاني، ص54.

لكن بالعودة إلى مصادر المكملة التي نشط فيها التدوين في النصف الثاني من العصر الوسيط: النوازل، المناقب، والوثائق التي تساهم في إزالة بعض التعتيم حول هاته الفئات.

-نتيجة للانزلاقات التي وقعت فيها الكتابة الكلاسيكية التي ترعرع أصحابها في البلاطات السياسية الذين اتسمت نظرتهم بالأحادية اتجاه أُناس لم تستطع الانتباه لهم أو تعمدت تجاوز ذلك الحضور الذي كان يجسده الهامشي، هذه **"الهامشية الاجتماعية"** التي عبر عنها هوبس باوم (E. Hobsbawm) بقاطع الطّريق صاحب القلب الكبير الذي يثأر للضعفاء والمقموعين، ولا يأخذ إلا متاع الأغنياء ويترك محاصيل الفلاحين الصغار[1]، مفهوم يشير إلى أنه لا فرق بين المجرم والثائر[2]فهو تصوّر جديد يعيد النظر في مُسلمة الفرق الشاسع بين **"المجرم"** و**"الثائر"**، إذ أنه يرى أنّ النظر إلى الأوّل ممثلا في اللصوص وقطاع الطرق ضمن دراستنا هذه كخارجين عن القانون بصورة تلقائية ودائما فيه عدم إنصاف لهذه الفئة إذ يمكن اعتبارهم كمشاركين في الحياة ومرتبطين بأحداث واقعية.

فمقاربة التاريخ المجهري أو التاريخ من الأسفل" **تساعد على إقناع أولئك الذين ولدوا بدون ملعقة ذهبية في أفواههم بأن لهم ماض مثلهم مثل الآخرين وبأنهم أسهموا بدورهم في صناعة الأحداث وعليه فهم يستحقون أبحاثا تضيء جزءا من تاريخهم حتى لا يضل قابعا في الظلام**"[3]، ذلك أنّ كثيرا من التفاصيل الدقيقة على غموضها واقتضابها وافتقارها إلى خيط وصل بينها، يمكن أن تتحول إلى شواهد وأدلة يُستند إليها[4]-ولو بدرجات متفاوتة-إذا ما أحسنا مساءلتها بدءا بالتقصي المتبصر للسياق الظّرفي الذي أوجدها مع تنويع في الأدوات المنهجية خاصة ما تقدمه الأنثروبولوجيا من مفاتيح كثيرة لإبراز واقع تلك الفئة من اللامفكر فيهم.

رابعا: اللّصوصية في تصور الدراسات المعاصرة -الرؤية الأنثروبولوجية أنموذجا-.

جاءت أطروحة التاريخ المسكوت عنه في سياق التحولات المعرفية التي أحدثتها مدرسة الحوليات في الكتابة التاريخية على مستوى العلوم الاجتماعية والإنسانية، حيث انتقلت تلك العلوم من مرحلة الصراع إلى علاقة التعاون، والتثاقف، والتناهج في إطار ما أصبح يعرف **"بتداخل التخصصات"** أو**"تعدد التخصصات"** وهذا في خضم دعوة مدرسة الحوليات التي لم تهدف إلى التجديد في مصادر الكتابة ومنهجها فقط، بل دعت إلى توسيع حقل التاريخ باتجاهات مختلفة، باتجاه الأنثروبولوجيا التاريخية عبر دراسة الفلكلور والعادات ومظاهر السحر وباتجاه مجال تاريخ العقليات[5].

---

[1]-جان كلود شميث، تاريخ الهامشيين، ص471.

[2]-المرجع نفسه، ص472.

[3]-خالد اليعقوبي وخالد طحطح، التاريخ من الأسفل، ص69.

[4]-المرجع نفسه، ص223.

[5]-وجيه الكوثراني، تاريخ التأريخ، ص209، 210.

لم يبقى الاحتكاك المعرفي بين مختلف العلوم رهن تبادل الرؤى بشأن نقاط التقاطع، بل أصبح بمرور الوقت فضاء للتفاعل فيما بينها، مما سمح بخلق تخصصات جديدة مركبة من علمين فيها الوصف والموصوف[1] مثل: التاريخ الاجتماعي، الديمغرافيا التاريخية، والأنثروبولوجيا التاريخية، ونجد مبررات انفتاح العلوم الاجتماعية والإنسانية على بعضها البعض أنها تلتقي-هذه العلوم-ومن ضمنها التاريخ في مجموعة من التقاطعات على رأسها الموضوع العام الذي يتلخص في النشاط الإنساني، وإلى جانب تداخلها الدلالي في مجموعة من المفاهيم، من قبيل: المجتمع، الحضارة، الذهنيات، الثقافة الشعبية، البنية، الزمن، وغيرها[2]؛هو ما عبر عنه أحد الباحثين: "**...العلوم الإنسانية في تصورنا متداخلة من حيث موضوعاتها وفروعها ونتائجها ومنهاجها وإن كان تاريخ تطورها وتبلورها حكم بأن يكون كل واحد منها مستقلا عن الآخر، فإنّ هذا الاستقلال لا يعني سوى التنظيم العقلاني للمعرفة العلمية المتعلقة بالإنسان بتخصيص علم لكل مستوى من مستويات فعاليته**"[3]، كما أغنى هذا التفاعل قدرة تلك العلوم على مساءلة المادة المصدرية واستنطاقها وتجددت الإشكاليات المطروحة ونسق تناولها، وأرهف المؤرخون منذ بداية القرن الماضي السمع للإنصات إلى من ظل صوتهم خافتا وراء صيحات عُلْيَةُ القوم والحاكمين ومن يدور في فلكهم، وتعددت التسميات الممنوحة لها بين تاريخ المنظور إليه من الأسفل وتاريخ معكوس، وتاريخ ملامس لسطح الأرض وتاريخ خاص بالمهمشين[4].

بدأت أخبارهم من خلال مساءلة الوقائع التاريخية باعتبارها واجهة يختفي وراءها الدور الحقيقي للتاريخ الذي تدور أحداثه في الكواليس والبُنى الخفية التي يتوجب الكشف عنها وتحليلها وتقديم تفسير لها[5]، فتسمح السوسيولوجيا للمؤرخ بتفسير الظواهر الاجتماعية التي يتهمها البعض بسمتها النظرية المفرطة ولضعف استنادها إلى الوثائق[6]وبالتالي أصبح السلوك الإنساني محل بحث تاريخي في صورته الواعية واللاواعية، هاته الأخيرة سمح بروزها في واجهة البحوث التاريخية تطبيق المنهج الأنثروبولوجي وانتقلت البحوث التي كانت حكرا على علم الاجتماع والعلم النفس الاجتماعي إلى ميدان البحوث التاريخية بمسحة أنثروبولوجية فطرقت مواضيع: الأسطورة، التغذية، والمآثر، الصورة، الكتاب، الجنس...، وأصبح البحث في تاريخ العادات والتقاليد من صلب التاريخ الاجتماعي.

---

[1]-مديحة صبيوي، مداخل التجديد في الكتابة التاريخية كتابات عبد الأحد السبتي نموذجا، ضمن تقاطعات التاريخ والأنثروبولوجيا والدراسات الأدبية، دار أبي الرقراق، ط1، الرباط، 2018، ص357.

[2]-المرجع نفسه، ص358.

[3]-محمد وقيدي، التاريخ بين العلم والمنهج، مجلة أمل (التاريخ ومسؤولية المؤرخ)، ع21، 2000، ص9.

[4]-خليل السعداني، الهنود في إسطوغرافية الولايات المتحدة الأمريكية، ضمن دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، ص75.

[5]-جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ص87.

[6]- محمد حبيدة، المدارس التاريخية، ص165. (ترجمة النص رقم 17).

أثير النقاش حول الأفكار من ناحية الممارسة وليس من ناحية التنظير، وتحول البحث في تاريخ الأخلاق لا يهتم بالفكر الأخلاقي وإنما ما يدخل في حيز التطبيق والممارسة أو ما اصطلح عليه بالأخلاق المطبقة أو العادات الأخلاقية التي هي من اختصاص علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا[1] متجاوزا سمتها النظرية عبر التفسير والمقارنة لتجديد السمة القديمة **"تاريخ الأخلاق"** ويمكن بذلك تعريف الأنثروبولوجيا التاريخية كتاريخ للعادات، عادات فيزيائية، سلوكية، غذائية وعادات ذهنية[2]، قلبت الأنثروبولوجيا نظام تفكير المؤرخ من أكثر من صعيد إذ انتقل الاهتمام من مستوى البنيات المادية إلى مستوى الإشارات اللاواعية، وهو صلب موضوع الأنثروبولوجي الذي دائما ما يكون مجال عمله مرتبط بعامل العتامة الذي يميز كل واقع اجتماعي[3].

في هذا الإطار تدخل دراسة اللّصوصية وقطع الطّرق ليس كسلوك إنساني غير منتظم، وإنما كممارسة اجتماعية أخذت بعد العادات في بعض المجتمعات خاصة المجتمع القبلي، حيث يتم دراسة العرف والعادة كموجهين للسلوك الإنساني[4]، فعَوضت الطبائع والسلوكيات الاقتصاد والمؤسسات[5]، تطرق مواضيع تتعلق بلباسهم وكيفية أكلهم، من خلال تنظيم حياتهم العائلية، يتبين أكثر الجنسين ممارسة للّصوصية، ومن خلال المعتقدات والطقوس التي يجب اكتشافها تظهر أن العادات هنا مشحونة بالتاريخ لأنها تعوض المؤسسات[6]، فتصبح عادات الإغارة والخطف والخفر وحماية القوافل ضمن منظومة اجتماعية يبحث في طرق وأساليب ممارستها برصد التجهيز للإغارة وآليات قطع الطّرق، معبرة عن ذهنية مجتمع في فترة زمنية لا يمكن القول أنها محددة ولكنها بتعبير **بروديل** تشكلت عبر أمد طويل[7]، فيساعد المنهج الأنثروبولوجي تقصي تلك العادات والبحث في بنيتها الماضية وتأثيرها في المسارات التاريخية القادمة متجاوزين عمليات التحقيب الكلاسيكية التي لم تفصل بين الأحداث والوقائع التاريخية فقط بل تعدت إلى الظواهر والسلوكيات وجعلتها حبيسة فترة زمنية ومجال محدد وعزلتها عن حركيتها التاريخية، باعتبارها سلوكيات موروثة(أي ثوابت) أو ظواهر التأقلم أو التجديد[8].

---

[1]–محمد عبد الجابري، العقل الأخلاقي العربي (دراسة نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2001، ص24.

[2]–محمد حبيدة، المدارس التاريخية، ص186.

[3]–المرجع نفسه، ص186.

[4]–محمد عبد الجابري، المرجع السابق، ص103.

[5]–محمد حبيدة، المرجع السابق، ص104.

[6]–أندريه بورغيار، الانثروبولوجيا التاريخية، ضمن التاريخ الجديد، ص 238.

[7]–قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية، ص201.

[8]–المرجع نفسه، ص236.

تقدم المقاربة الأنثروبولوجية خدمة للدراسات التاريخية من خلال تفسير معطيات الثابت والسكون في الحياة وسلوكيات الأقوام والشعوب والقبائل ودراسة رموز الثقافة وأنظمتها في الفن والأساطير والطقوس والعادات والتقاليد وأشكال التبادل والهدايا(سلعا وأفكارا) وذلك من خلال اللغة والكلام[1]، فهي دعوة للتخلي عن التاريخانية واعتماد مفهوم البنية لفهم أعمق للثقافات[2]، بعيدا عن إطلاق الأحكام الأخلاقية والمعايير القيمية لتصنيف الظواهر والسلوكيات فالأنثروبولوجيا لا تتوقف على مجال خاص ولا تصنف المجالات المحمود ومنبوذ، إنها تستجيب لإجرائية تربط دائما التطور بالصدى الاجتماعي وبالسلوكيات الناتجة عنه أو المتغيرة بفعله[3] لذلك يعد أكثر المجالات اقترانا بتاريخ العقليات.

تأتي دراسة اللّصُّوص وقطّاع الطّرق في إطار دراسة المجموعة من خلال تقاطعات الأفراد الذين لهم مميزات مشتركة مثل الانتماء لنفس المهنة أو الحرفة أو الطائفة أو التخصص أو الوظيفة الاجتماعية، يتم توظيف هذه المعطيات في البحث البروسبوغرافي[4] لاشتراك هذه المجموعة في نمط العيش القائم على السرقة والسلب والنهب...

مثلت الأنثروبولوجيا التاريخية فوز السيكولوجي على الفكري والعفوي على التأملي والعامي على العلمي، وذلك بالاقتراب من الإثنولوجيا[5] والانفتاح على علم النفس الاجتماعي[6]، فدرست موضوع السرقة واللّصوصية باعتبارها إشكاليات تصب في صميم المجتمع ومن إفراز عالم الجريمة والانحراف، ظواهر كان لعلماء الاجتماع فيها تفسيرات ونظريات كثيرة، لكن المسحة الأنثروبولوجية سمحت للمؤرخ بخوض غمارها لمعرفة بيئة انتشارها، الفئات الأكثر ممارسة لها، وأي الجنسين(الذكر/الأنثى)تعاطيا مع عالم الجريمة والانحراف بعيدا عن التصورات القيمية المعيارية مستفيدين مما تقدمه الدراسات الكمية في هذا الحقل.

وضع اللّصوصية في إطارها الأنثروبولوجي انطلاقا من أنّ الموضوع يدور حول فئة اجتماعية ذات اتساع ضعيف، تسمح لنا بمعرفة أسلوب عيش اللصوص من حيث المهن التي قد امتهنوها قبل ممارسة اللّصوصية، أو يزاولونها بالموازاة مع أعمال التلصُّص، بناء على ما تقدمه هذه المقاربة سمحت لنا بالكشف عن مادة مصدرية على اقتضابها تعكس واقع المجموعات اللصّصية في المغرب الإسلامي، اللّصوصية لا تُفهم

---

[1]–وجيه الكوثراني، تاريخ التأريخ، ص221، 222.

[2]–المرجع نفسه، ص223.

[3]–محمد حبيدة، المدارس التاريخية، ص186.

[4]–خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ص95.قيس ماضي فِرّو، المرجع السابق، ص205.

[5]–حول الإثنولوجيا راجع: جاك لومبار، مدخل إلى الإثنولوجيا، تر: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1997، فليب لابورث ـ تولرا وجان بيار فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، تر: مصباح عبد الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2004.

[6]–محمد حبيدة، المرجع السابق، ص106.

إلا عبر الوسط الاجتماعي الذي تنشأ فيه، فهو مصدر أساسي للِصّ بحيث لا يمكن لـــه أن يوجـــد دونـــه والمجتمع الذي يندمج به يوفر له الحضور[1].

تنضوي موضوعات نمط عيش اللّصوص ضمن مقاربات الأنثروبولوجيا التاريخية التي تؤثث لخصائص الحياة اليومية ومسارها، وقد سمحت الملاحظات المسجلة بإبراز بعض مميزات حياة اللّصوص، بينت أنّهـــم معروفون في بيئتهم من حيث الوسط الذي يعيشون فيه، رغم أنها لم تشر لوجود منازل خاصة بهم وحالهم بها، إنما ركزوا على وصف الطرقات والمسالك التي استقروا بها، تمركزوا بالغابات البعيدة عـــن العمـــران ويبدو أنها طبيعة جل المجموعات اللّصّصية بحوض البحر المتوسط "الغابات الكبيرة والجبال هي مخابئ أيـــن يختبأ اللّصُوص، إذ يرتكز وصف اللّصوصية على ميزة الانعزال، حيث تفهم عبر كلمات مخـــابئ ملاجـــئ وأماكن أخرى لا يمكن للسلطات أن تصل إليها"[2]، يتوسطون المفازات[3] والأمـــاكن الموحشـــة والطـــرق الخالية، وهو مكان استقرت فيه مجموعة لصّصية معروفة وردت فيه نازلة "...عن موضع كان خاليا وهو في قارعة الطريق...يجلسون فيه للحرابة"[4]، فيما تنقل بعضهم بين القفار[5] التي يعدم فيها الناس إلا من دعـــتهم ضرورة السفر، واستقر سّراق المدينة في الفنادق حسب ما لاحظه الوزان **"وأخطر منهم الخارجون علـــى القانون الذين تعج بهم هذه الفنادق نفسها فالقتلة واللّصوص والمهربون والقوادون وأهل جميع الرذائـــل يشعرون فيها بالأمان وكأنهم في أرض خارج حدود المملكة وسبب عدم تدخل الشرطة هـــو أنّ هـــذه الفنادق تقدم للسلطان مجانا الأشخاص اللازمين لتحضير طعام الجنود في كل مرة يذهب فيهـــا جـــيش السلطان في حملة، ويترك لأصحاب تلك الفنادق حرية التصرف على هواهم لقاء مساهمتهم هذه في الجهود الحربي"**[6] وكان حال بعض فنادق تونس، بجاية، تلمسان، وفاس، وأكثر ما ينتشر هـــؤلاء علـــى أطـــراف المدينة[7]، وضواحيها حيث سكن بعضهم ضواحي مستغانم[8].

أما في لباسهم فقد رصدت إشارات لطبيعة لباسهم التي تأخذ الشكل البالي، يعرفهم الناظر إليهم أنهم من اللّصوص والسّراق لأنهم يرتدون ملابس بالية ورثة، في وصف للباس أحد الأولياء في ريـــف المغـــرب الأقصى ختمه بأنه من التقى به ظنه أنه لصّ أو محارب"**...وكان يستتر بلباس العامة من البرابـــر كســـاء صوف مطرفة الأجوان، ويعمل على رأسه جلموسا غليظا ويتقلد بسراف–وهو سكين صغير–فمن لقيه**

---

[1]-Fernand Braudel, *Misère et banditisme*, p 144.

[2]-ibid, p132.

[3]– ابن الزيات، التشوف، ص288، 289، العبدري، الرحلة المغربية، ص45، 562، الوزان، 11/2، مرمول كربخال، إفريقيا، تح: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، 1984، 103/1.

[4]–المازوني، الدرر المكنونة، 363/4.

[5]–التجاني، رحلة التجاني، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتب، تونس، 1981، ص132.

[6]–أمين معلوف، ليون الإفريقي، ص99.

[7]-Fernand Braudel, op.cit, p131.

[8]–الوزان، وصف إفريقيا، 51/1، مرمول كربخال، المصدر السابق، 103/1.

قال هذا لص أو محارب"[1]، يعني أنّ اللّصوص والمحاربين كانوا يتميزون بلباس شبيه بلباس العامة يتقلد فيه صاحبه بالسكين، مما يعكس انتمائهم لمستوى معيشي متدني، ووصف الوزان لملابسهم لا يخالف ما ذكرناه سبقا بأنها من أراذل الملابس[2] وأكثرها سوءا، لا يتوارى بعضهم إلا بخرق، ويبدو أنّ شكلهم كان معروف إذ وردت نازلة حول حارسين بالليل تنكر أحدهما لصاحبه بصورة سارق وظهر عليه فمن خوفه منه قتله[3]، فيما وردت إشارة أنّ المفسدين من أهل الشر والذعر خاصة ممن يسكنون البادية يتميزون بشعر طويل ويرافقهم السلاح دائما من السكاكين والخناجر[4]، وتعتبر علامة مميزة لشرهم وسوء سيرتهم.

من حيث الأوصاف الفيزيولوجية[5] تبقى الإشارات منعدمة يفهم من بعض السياقات الدلالية عنهم أشداء في البنية الجسدية كونهم **"أشدهم إذاية"**[6]، **"فتاكون دون شفقة ولا رحمة"**[7]و**"أشرار"** يغلب عليها الأوصاف القيمية أراذل أشر أحقر وبالغ بعضهم بوصفهم بالوحوش[8]، وإن كان ربما يرجع إلى وحشيتهم في ممارسة القتل والسلب والنهب، كما أنّ طبيعة التدوين لدى المؤرخين تأثر على توصيفهم فاللغة المستعملة في النصوص التي تصف النهب تكون كثيرة المفردات عندما يتعلق الأمر بتسمية اللّصوص فالمصطلحان المعتادان **"سّرقة"** و**"لّصوص"** نادران في خطاب المؤرخ بحيث نجدها تظهر مفردات مثل المنحرفين الفاسدين، أهل الزيغ البغاة، قطّاع الطّرق السفهاء[9]، مما يعكس جدلية العلاقة بين المؤرخ والسلطة وعلاقة اللّصوص بالسلطة، أين يعتبر اللّصوص منحرفين من وجهة نظر السلطة التي تقدم الأنموذج الأمثل للصالح والخبيث فكلما اقتربنا من قمة السلطة المركزية كلما قاربنا من مكانة وأنموذج الصالح أي الأنموذج المثالي للطاعة الذي لا يخالف القواعد السياسية[10].

لم تعطنا المصادر وصفا دقيقا لمعيشة اللّصُوص خاصة في المرحلة الأولى من تاريخ المغرب الإسلامي، إلا ما أشارت إليه المصادر المكملة في بعض الشذرات حول بؤس معيشتهم فربطت بعض المصادر بين بؤس

---

[1]-البادیسي، المقصد الشريف، ص59.

[2]-وصف إفريقيا، 51/1، 54، مرمول كربخال، إفريقيا، 103/1، 107.

[3]-الونشريسي، المعيار، 301/2.

[4]-ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص55.

[5]-في هذا الشق عالجت النظريات الحديثة المفسرة للجريمة في حقل علم الاجتماع الجنائي دوافع الاجرام وأرجعها رواد المدرسة الوضعية الى تشارك المجرمين في صفات طبيعية ووراثية وكان منهم شيزاري لومبروزو Cesare Lombroso (1835-1909) في كتابه الإنسان المجرم الذي صدر في 1876بين فيه أنّ للمجرم يتميز بمظاهر جسمانية شاذة وسمات نفسية معينة وحاول جمع الصفات العضوية التي توجد لدى المجرمين من السارقين والقتلة ومحترفي الدّعارة وأكدّ أنّ لهم صفات نفسية وملامح سلوكية خاصة تميز المجرم عن غيره وعلى أساسها حدد أصناف المجرمين(المجرم بالولادة، المجرم المجنون، المجرم بالعادة، المجرم بالصدفة، المجرم بالعاطفة)، راجع حول هاته النظرية: جمال معتوق، **مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي(أهم النظريات المفسرة للجريمة والانحراف**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2016، ص92-102.

[6]-العبدري، الرحلة المغربية، ص45.

[7]-وصف إفريقيا، 51/1.

[8]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[9]-Rahma Bourqia, op.cit, p197.

[10]-Rahma Bourqia, ibid, p198.

المعيشة واللّصوص **"يعيشون عيشة بائسة كاللّصُوص"**[1]، وأنهم يعانون الحرمان لا يمتهنون إلا المهن الوضيعة وبعضهم لا يأخذ أجر عليها، وأشهر مهنة ذكرتها المصادر أنهم رعاة فهم إما غير مستقرين أو شبه مستقرين، أي منهم من كان يعمل بالفلاحة، ومنهم من كان يشتغل حملا في الأسواق[2]، وعليه قد تكون طبيعة الحرف التي شغلوها من دفعتهم للممارسة السرقة والتلصُّص، لأنها لا تدر عليهم المال الذي يحقق لهم المعيشة الطيبة.

تبقى إشارات مقتضبة ومحدودة لكنها لا تخلو من الأهمية خاصة في فتح آفاق البحث في ربط اللص ببيئته ومجتمعه، مما يساهم في معرفة أسباب والدوافع المحركة لممارسة جريمة اللّصوصية، ومحفزاتها سواء السياسية أو الاجتماعية وغيرها، كما تقدم بعض المفاتيح الأساسية في تفسير مواضع انتشارها وعلاقة المجال بالنشاط اللصَّصي، وهذا ما نحاول الإجابة عليه في الفصل التالي.

[1]-مرمول كربخال، إفريقيا، ص107/1.

[2]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 27/2.

الفصل الثاني:

نشاط اللّصوصية في المغرب الأوسط بين المغذيات الطبيعية وإكراهات أزمات المجتمع.

أولا. المعطى السياسي لانتشار اللّصوصية.

1-الانفلات الأمني وسيادة الفوضى.

2-الهجرة الهلالية بين الفاعل والمفعول به.

ثانيا. اللّصوصية والشطط الضريبي.

ثالثا. إفرازات الفوارق الاجتماعية بين فئات المجتمع.

رابعا. أثر المجال في نشاط سلوك التلصّص.

1-جغرافيا المكان والعمل اللصّصي.

2-العلاقة بين الكوارث الطبيعية ومؤشر اللّصوصية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يقتضي خوض غمار ظاهرة اللّصوصية والبحث في حضورها التعريج على أسبابها والظرفيات التي أدت إلى ممارستها، وحفزت من نشاطها في محاولة لمعرفة هل اللّصوصية ترتبط بالمعطى السياسي والاقتصادي كما هو متعارف عليه باعتبارها ظاهرة اجتماعية أم أنها نتاج علاقة تكاملية بين مجموعة من الأسباب؟

أولا: المعطى السياسي لانتشار اللّصوصية.

شكل القرن 5هـ/11م في المغرب الإسلامي نقطة مهمة من حيث اختلال موازين القوى السياسية، جاءت نتيجة اندفاع المجموعات القبلية ممثلة في الهجرات العربية من المشرق، وحركة صنهاجة الجنوب من جنوب الصحراء أثرت على الوضع السياسي، بكثرة الحروب إما لفرض السلطة لتوسيع المجال(السلطة)، أو للحصول على مجالات للرعي والماء(القبيلة).

1-الانفلات الأمني وسيادة الفوضى.

الحرب ظاهرة عسكرية يتكرر وقوعها، تُخلف آثارا على مجريات الحياة الاقتصادية، الاجتماعية والحضارية لعدد كبير من الناس أولهم العسكريين[1]، وتتبع ظاهرة الحرب يحيلنا لرصد نتائجها الاجتماعية بنوعيها السلبي والايجابي[2]، فمن سلبياتها حالة اللاأمن التي تخلفها إذ اعتبرت الحروب من أبرز الكوارث التي هددت أمن الإنسان بالمغرب الإسلامي حتى اعتبرها بعض جائحة من صنع الإنسان **"فعل الآدمي الذي لا يمكن تضمينه ولا الاحتراس منه"**[3]، في السياق نفسه تتفق جل المصادر أنّ المغرب الإسلامي عرف حروبا كثيرة لا تنته إلا بسقوط الدول واضمحلالها وقيام أخرى على أنقاضها فقيام الدول ونهايتها مقرونة بالحدث العسكري[4]، وهذا حسب دورة ابن خلدون في قيام وسقوط الدول[5].

في المغرب الإسلامي عموما لا يمكن استثناء فترة من الفترات لم تشهد فيها حروبا سواء تمرد على الحكم أو لفرض السيطرة والتوسع على المجال، وأخرى تتعلق بالمجموعات القبلية لتثبيت امتيازاتها، الأمثلة التاريخية حول مظاهر الحروب كثيرة، فالحملات التي خاضها الجيش الحمادي في أواخر عهد الدولة لإخضاع المجموعات الزناتية أثرت سلبا على مجتمعه؛ بسبب غياب الأمن تعطلت الأنشطة التي يمارسها السكان بالمدينة[6]، واستعملت قبائل زناتة في تمردها ضد السلطة الحمادية أعمال النهب وقطع الطّريق

---

[1]-إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع العسكري، دار وائل للنشر، ط2، عمان، 2016، ص43.

[2]-المرجع نفسه، ص44.

[3]-عادل المطيرات، أحكام الجوائح في الفقه الإسلامي وصلتها بنظرتي الضرورة والظروف الطارئة، منشورات جامعة القاهرة، مصر، 2001، ص172.

[4]-حسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب الموحدين، مطبعة النجاة، الدار البيضاء، ص93.

[5]-راجع **ملحق رقم3:** يوضح دورة ابن خلدون في قيام الدول وسقوطها وعلاقتها باللّصوصية وقطع الطريق.

[6] -بوقاعدة البشير، الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م-547هـ/1152م دراسة تاريخية، ميم للنشر، الجزائر 2015، ص265.

فجُهزت لهم الحملات العسكرية لإخضاعهم[1]، وفي حركة قبائل صنهاجة جنوب الصحراء نحو المغرب في سنة 464هـ/1072م بقيادة الأمير أبو يعقوب يوسف بن تاشفين(453-500هـ/1061-1106م) الذي تحرك بعسكر جرار إلى بلاد المغرب، ورجع إلى ملوية ناحية جراوة ودوخ ما مرّ عليه من القبائل ودخلت كلها في طاعته[2]، فتحت هذه الحملات العسكرية التوسعية الفرصة لنشاط أعمال لنهب والتخريب مارسها الجيش النظامي وأخرى نفذها قطاع الطرق مستغلين انشغال السلطة المركزية بالحروب.

وفي الفترة الموحدية في سبيل توحيد المجال المغربي مع الأندلس نشطت الحروب التي شهدت مواقع عديدة؛ كموقعة الآراك(591هـ/1195م)[3]، في عهد يعقوب المنصور بن يوسف(ت 595هـ/1199م)، وفي ما بين سنوات 600هـ/1203م، و604هـ/ 1209م كانت حركة محمد الناصر ابن يعقوب بن يوسف(595-610هـ/1199-1211م) إلى بلاد افريقية وتوسع فيها[4]، شهدت هذه التحركات العسكرية حروبا كثيرة تداولت فيها العبارات التالية: **"ووقع النهب والسبي...وامتلأت أيدي الناس بالسقط والثياب والأسلحة"**[5]، **"واشتد جزع المسلمين وتولى الضرب وعظم الضرر وانقطعت السابلة وخافت الطرق"**[6]، **"وقتلوا منهم خلق كثير وسلبت أموالهم وتبدلت أحوالهم"**[7]؛ مما يؤكد أنّ الحرب وإن كانت معطى سياسيا ملازما لقيام وسقوط الدول، إلا أنّ حالة اللاأمن التي تفرضها تكون بذلك محفز لعنف آخر تمثله جريمة اللّصُوصية وقطع الطّرق.

ورغم محاولة السيطرة والتحكم في المجال إلا أنّ الدولة في هذه الفترة شهدت ثورات وفتنا عديدة، كانت فرصة سانحة للإغارة والنهب، الظاهر أن الحروب والصراعات التي نشبت بين الأمراء الموحدين قد أضرت بالأنشطة الإنتاجية[8] التي حفزت قطّاع الطّرق لتحقيق رزقهم عبر التلصُّص والحرابة، وضع عبر عنه ابن عذارى: **"كانت أكثر بلاد المغرب غالية الأسعار بسبب كثرة الفتن ...وبسبب عدم الحماة والأنصار لتلك الجهات والأمصار...بسبب ما كان بين أمراء الموحدين من الحروب والوقائع والفتن وزعازع، فكثر الغلاء والجلاء في البلاد الغربية...حتى انقطع السبيل وعدم فيه الدليل...وكان أشد ضررا على الناس عرب رياح بالاختلاس والافتراس"**[9]، وكانت النتيجة أن **"ضاعت المصالح وتطاولت أيدي المعتدين، وعاث أهل**

---

[1]-إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1980، ص 175.

[2]-ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، 22/1.

[3]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص222.

[4]-نفسه، ص232، 233.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، 52/4.

[6]-المرجع نفسه، 34/4.

[7]-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص248.

[8]-حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني609-869هـ/1212-1465م، (إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، 2009، ص262.

[9]-البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص351.

البغي في الأرض، وكثر في أقطار المغرب ونواحي مراكش قطع السبل والمحاربون والساعون في الأرض فسادا"[1]؛ خلال السنوات الأخيرة من الحكم الموحدي خاصة في عهد المستنصر الموحدي (610-621هـ/1213-1224م)، الذي انشغل عن أمور الرعية والدولة، التي زاد من سوءها الانفلات الأمني المرتبط بتوالي هجمات النصارى خصوصا في المناطق النائية[2]، هذا ما بينه المقري في انتشار اللّصُوص في الأماكن البعيدة التي يصعب على السلطة مراقبتها **"انتشار اللّصوص وأهل الشّر في المواضع المنقطعة النائية عن العمران"**[3]؛ أحوال دفعت بها في الأخير نحو الانهيار وسقوط وتشكلت على إثرها الدول الثلاث: الحفصية، المرينية والزيانية.

وقوع هاته الأخيرة-الزيانية-في مجال جغرافي وسط جعلها محل تجاذبات بين الطرفين الحفصي والمريني[4]، يضاف له الصراع العسكري الذي كان بين السلط الثلاث خاصة الزيانية-المرينية حول المسارات الحيوية للطرق التجارية للسيطرة عليها والقيام بدور الوساطة فيها[5]، واقع سهل لقطّاع الطّرق النشاط على مستوى تلك المسارات التجارية، ويمكن توضيح أثر الحروب والفوضى السياسية عبر النهب والسلب من خلال الجدول الآتي:

التاريخ	المكان	مظاهر الحدث العسكري	المصدر
457هـ/1064م	المغرب الأوسط	فنهزم الناصر وقُتل من أصحابه خلق كثير وانتهبت أمواله ومضاربه، وقتل أخوه القاسم بن علناس.	ابن عذاري، البيان المغرب، 290/1، النويري، نهاية الأرب، 122/24.
666هـ/1267م	موقعة تلاغ بين المرنيين والزيانيين.	وقصد-يعقوب بن عبد الحق- تلمسان في جيوش عامرة فتلقى الجمعان بوادي تلاغ...فكانت بينهم حروب عظيمة...فهُزمت بنو عبد الوادي وفرّ يغمراسن على وجهه...وانتهبت بني مرين محلته وأمواله ومضاربه وعياله.	ابن أبي زرع، الأنيس، ص305. ابن الأحمر، روضة النسرين،
670هـ/1272م	موقعة إيسلي المرنيين والزيانين.	خرج يوسف بن يعقوب المريني في غزو تلمسان وقتال يغمراسن بن زيان، والتقى الجمعان في إيسلي بمقربة وجدة وهزم-يغمراسن بن زيان وقتل ولده وأحرق محلته بنفسه في طريق العودة إلى تلمسان وانتهبت الناس محلته وأمواله وأثقاله وعيالة	ابن أبي زرع، الأنيس، ص307.
679هـ/1280م	تلمسان	هزم يغمراسن فيها وولى هاربا مهزوما...فقتلت جنوده وكسرت	ابن أبي زرع، الأنيس،

[1]-ابن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1984، (السفر8)، 176/1.

[2]-هشام المتوكل، اللّصوص في المغرب الإسلامي خلال العصر الموحدي(أثر الأزمات على الانحراف السلوكي)، دورية كان التاريخية، ع49، 2020، ص67.

[3]-المقري، نفح الطيب من غصن الأندلسي الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، مج203/1.

[4]-ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص59.

[5]-حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص263.

		جنوده، ودخل إلى حضرته...ونهب الناس جميع محلته ولم يزل النّاس طول ليلتهم إلى الصباح ينتهبون سائر البلاد والنواحي وباتت طبول أمير المسلمين في محلته تضرب في الخيام حتى أخذت أموال العرب بأسرها وامتلأت أيدي مرين من شائها وبعيرها.	ص337.
698هـ/1298م	تلمسان	لما ترك يوسف أخاه يحى على وجدة وأمره بحرب تلمسان وأحوازها وندرومة وما والاها فكان لا يرفع عنها يدا بالغارات فضاق أهل ندرومة بذلك.	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص386.
714هـ/1314م	تلمسان	وفي سنة 714هـ خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان من فاس لغزو تلمسان فسار حتى وصل وادي ملوية في أمم لا تحصى وجيوش عظيمة...وسار هو بمحلته خلفها في بلاد يغمراسن يأكلون زروعها وينهبون أموالها ويقتلون حماتها.	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص399.
حركة أبي الحسن 735هـ/1334م	تلمسان	ثم مرّ بندرومة فقاتلها بعض يوم بعض يوم واقتحمها، فقتل حاميتها واستولى عليها آخر سنة خمس وثلاثين وسبعمائة...حتى أناخ على تلمسان واشتدت الحرب وضاق نطاق الحصار...وانطلقت أيدي النهب على البلد فلحقت الكثير من أهله معرّات في أموالهم وحرمهم.	ابن خلدون، العبر، 7/339-340.
753هـ/1352م حركة أبو سعيد بن عبد الرحمن لتلمسان.	تلمسان	موقعة شلف من عام 753هـ تقوم في السفر الأول دخول الجزائر وعلى أهلها عنوة وما لقى أهلها من روعة السطو وذُّل وأنّ بني عبد الواد أخذ كل أحد في البلاد طريقة وترك أهله وصديقه	يحى بن خلدون، بغية الرواد، 1/246-247، مجهول، زهرة البستان، 19، 20، ابن خلدون، العبر، 7/253.
حركة أبو عنان إلى قسنطينة 758هـ/1356م	قسنطينة وبلاد الزاب.	...إلى أن حلّ بجهات قسنطينة...فلما قرب من تبسة البلد المذكور وتعرضت له الأعراب بما حشدت من الحشد الموفر فعندها علم بنو مرين أنّ الأعراب عولت عليهم والأمراء قد تسيرت لهم، رجفت قلوبهم رعبا وخافوا أن تكون أموالهم للأعراب نهبا.	مجهول، زهرة البستان، ص22، ابن خلدون، العبر، 6/532.
حركة عبد العزيز بن أبي العباس(796-799هـ/1393-1396م)	تلمسان	ولحين وصول هذا الخبر أضرب السلطان أبو حمو عن ذلك الشأن الذي كان فيه وكدّ راجعا إلى تلمسان وأخذ في أسباب الخروج للصحراء...وقد أظلم الجو بالفتنة ونقطعات السبل.	ابن خلدون، الرحلة، ص121.
799هـ/1396م حملة أبو حمو على بجاية	بجاية	وأخذهم سكان الجبال من البربر بالنهب من كل ناحية وقد غشيهم الليل فتركوا أزودتهم ورحالهم.	ابن خلدون، الرحلة، 98.
ثورة داخلية 866-873هـ/1461-1468م	تلمسان	...فأقاموا أياما محاصرين لتلمسان ودخل دخل بعض اللمتلصّصين منهم البلد ليلا فقام عليهم أهل البلد فقتلوا بعضهم وفرّ الباقون.	مجهول، زهرة البستان، 267.
/	حملة المرنيين على بجاية	فما لبث أن قصد طائفة من عرب رياح يطلب منهم النصرة على بجاية فأسعفه الصعاليك والرعاع ولم يساعده أمير ولا مطاع فأتى	مجهول، زهرة البستان، ص374.

		بجاية ينازلها بالصّعاليك ويقاتل الأحرار بالمماليك.	

الجدول رقم7: الحروب ونشاط العسكري وعلاقته باللّصوصية وقطع الطريق في المغرب الأوسط(5-9هـ/11-15م)

التعليق والتحليل: تتيح الأحداث العسكرية الواردة في الجدول مجموعة من المؤشرات تساعد في فهم علاقة الحرب باللّصوصية:

* يمنح عدم الاستقرار واختلال الأمن الذي تنتجه الحرب الفرصة لقطاع الطرق لفرض ممارساتهم اللّصَصية، ففي حصار تلمسان من طرف السلطان المخلوع أحمد العاقل 867هـ/1463م، أثناء حكم أبو عبد الله المتوكل(866-890هـ/1462-1485م) دخل المدينة لصوص مستغلين ظلمة الليل وانشغال الناس بأمر الحصار الذي دام أربعة عشرة يوما، لكن قام عليهم أهلها فقتلوا بعضهم وفرّ الباقون[1]، كما أنّ حالة الحرب في موقعة السعيد(646هـ/1248م) انتهب فيها المصحف الشريف وبيع في الأسواق بعدها[2]، في حين أنّ اهتمام الناس بأمر الحرب وخروج الجيوش من المدينة برسم الغزو والحرب مثل أفضل فرصة يستغلها السراق لنهب المدن الفارغة، حال بجاية التي خرج جيشها في حصار مدينة مليانة وبقيت شاغرة عاث فيها مفسدون خارجا وامتدت الأدي ووقع بها عرج عظيم[3].

* تعطي الحروب الفرصة للقبائل للتهرب من قوانين السلطة المركزية وإلزام الشرع والخضوع للعرف بشن الغارات على القرى والمدن والمزروعات والأنعام وإفساد الإنتاج فقد أشار ابن الزيات إلى الغارات السرية التي كان يقوم بها الأعراب عندما ضعفت دولة الموحدين ونهبوا أموال وأنعام أحد الصوفية وعاثوا في دكالة وأهلها يمينا وشمالا[4]، ولا يقتصر الأمر على القبائل بل حتى الجيوش في طريقها للغزو تمارس السلب والنهب في إطار تُشرعه قوانين الحرب، فحركة الجيش المريني سنة 714هـ/ 1314م من فاس إلى تلمسان "سار أمير المسلمين أبو سعيد عثمان من فاس إلى تلمسان حتى وصل وادي ملوية...وسار هو بمحلته خلفها(الجيوش) في بلاد يغمراسن يأكلون زروعها وينهبون أموالها ويقتلون حماتها"[5]، ولا نغفل أنّ بعض قادة الجيوش قد استعانوا بالصّعاليك في جيوشهم بضمهم إليها فحركة القائد يحى بن علي بن عبد الرزاق على بني توجين شارك فيها الصّعاليك بطلب منه **"واتلفت عليه أصحاب الجنايات والصعاليك أهل الإذايات فشن بهم الغارات...وأخذ في الفساد والخراب...ويخرب المداشر"**[6]، الأسلوب نفسه اتخذه الوزير عبد الله بن مسلم المريني في حركته للبلاد الشرقية **"فما لبث أن قصد طائفة من عرب رياح يطلب منهم**

---

[1]-التنسي، نظم الدر والعقيان، ص267.

[2]-المصدر نفسه، ص134.

[3]-الغبريني، عنوان الدراية، ص129.

[4]-ابن الزيات، التشوف، ص383، 409.

[5]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 399.

[6]-مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني الدراجي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص108.

النصرة على بجاية...فأسعفه الصعاليك والرعاع...فأتى بجاية ينازلها بالصعاليك ويقاتل الأحرار بالمماليك"[1]، لا يستبعد أنّ أسلوبهم في السّرقة واللّصوصية قد رافقهم عند انضمامهم للجيوش، علاوة على ذلك كانت الجيوش المنتصرة عُرضة هي الأخرى لنهب وسلب القبائل التي تقطع مجالاتها في عودتها إلى مراكز انطلاقها، الجيش المريني في طريق عودته من حربه مع الجيش الزياني -في السنة المذكورة سابقا 714ه- كان مصيره النهب من قبل قبائل معقل "**وانقطعت الطرق عليهم ثم إن معقل حالت بينهم وبين بلادهم**"[2].

*حالة الانتصار التي تفرزها الحرب تدفع المنتصر لنهب المنهزم واعتبار ممتلكاته غنيمة، وتشرع نهب محلته وجيشه[3]، فالجيش الزياني المنهزم في إيسلي قرب وجدة عام 760هـ/ 1272م في طريق عودته انتهبت الناس محلته وأمواله وأثقاله وعياله[4]، استغل فيها الناس انهزامه وفراره ونهبوا المحلة وحصلوا على ما بها من متاع.

*بسبب الرغبة في تحقيق الأمن والاستقرار يتجه ولاء الناس زمن الحرب للكفة القوية التي لها القدرة على الوقوف في وجه القبائل المغيرة واللّصُوص والقاطعين للطرقات، حيث يخلق هذا المظهر حالة من اللااستقرار واللاأمن يضطرب فيها وضع المجتمع[5]، ما عاشه المغرب الأقصى مثلا في أواخر الدولة الموحدية حيث لم يجد أبي سعيد عثمان بن عبد الحق(614هـ/1217م) صعوبة كبيرة في بسط نفوذ المرنيين على البداوي والضواحي والأرياف، وساعد المرينيين في ذلك" **أنهم كانوا لا يمثلون مذهبا دينيا يدعون الناس إليه كالمرابطين أو الموحدين وإنما كانوا يركزون جهودهم على بسط الأمن والاستقرار في المناطق التي يمتد إليها نفوذهم وسلطانهم**"[6]، فحضور اللّصوص وقطّاع الطّرق أثناء الحروب يتحول إلى معطى بنيوي مرافق لها وملازم لها تستخدمه السلطة كوسيلة دعائية لجلب الولاء.

وفرت الحروب والثورات مناخا ملائما لنشاط اللّصُوص وازدياد حركة الإغارة والنهب، فيختل المجتمع بتعطل مصادر المعاش من الزراعة وتجارة ويحل محله المعاش غير الطبيعي.

2- الهجرة الهلالية بين الفاعل والمفعول به.

أ- الهجرة لهلالية فاعل.

---

[1]-مجهول، زهر البستان، ص374.

[2]-المصدر نفسه، ص83.

[3]-ابن عذارى، البيان المغرب، 28/4، ابن القطان، نظم الجمان، ص141.

[4]-نفسه، ص307، ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2001، ص66، 67.

[5]-بلقاسم بواشرية، اللّصوصية وقطّاع الطّرق في الأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع10، الجزائر، 2017، مج282/5.

[6]-محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 1987، ص 13.

تعتبر الهجرات العربية إلى المغرب الإسلامي من المواضيع التي أسالت كثيرا من الحبر، خاصة ما تعلق بالهجرة الهلالية في القرن 5هـ/11م[1]، فالاندفاع القبلي الذي تحركت به هذه المجموعات البشرية رافقته أعمال تخريبية عبر النّهب، السّلب، والقتل، كان من أكبر انعكاساتها سقوط مدن بأكملها وتخريبها. ممارسة هؤلاء الجماعات للنّهب والسّلب يأتي إدراجه في خانة التفسير الاقتصادي للهجرة في حد ذاتها، حيث يعد انتقالهم من صعيد مصر نتيجة التحفيز الذي تلقوه من الأمراء الفاطميين حول الخيرات التي يزخر بها مجال المغرب الإسلامي، للتخلص من شظف العيش الذي ألفوه وبحثا عن الكلأ.

قدمت المدونة التاريخية حول الهجرة الهلالية صورة تمتاز برؤية دونية لهذه المجموعات وإن كان منطلقها الانتماء الحضري للأصحاب المؤلفات في مقدمتهم ابن خلدون 808هـ/1406م، كان وصفهم لدخولهم برقة 443هـ/1051م أنهم استوطنوها وعاثوا في أطراف البلاد[2]، وخربوا المدن التي في طريقهم **"كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه، حتى وصلوا إفريقية"**[3]،لما أجاز الفاطميون لبني هلال العبور نحو إفريقية اتبعوا مسلكين مختلفين حسب السيرة الهلالية اتخذ الطريق الأول المجال الصحراوي بينما سلكت مجموعات أخرى الطريق الساحلي، إلا أنّ احتكاك بين السكان المحليين والقبائل العربية لم تخل منه أعمال التخريب والقتل حتى أن هجرتهم استعاضت بمسميات **"الكارثة"، "النكبة"**[4].

---

[1]–الدراسات الأكاديمية التي ناقشت الإشكالية عديدة وسلطت الضوء على التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أحدثتها الهجرة الهلالية، بعضها جاء منساق وراء فكرة التخريب والتراجع الحضاري بسب الهجرة الهلالية متأثرين بطرح المستشرقين ومنها ما جاء ناقد لهذا التيار وأشهر هذه الدراسات، منها: –أبو ضيف مصطفى، **القبائل العربية في عصري الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

_إسحاق إبراهيم، **هجرات الهلاليين من جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا وبلاد السودان**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1996.

–محمود أحمد أبو صوة، **مأزق البداوة**، منشور ضمن تاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي في العصر الوسيط، منشورات ELGA، مالطا، 2002.

–بوسماحة عبد الحميد، **رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية**، دار السبيل، الجزائر، 2008، ج1و2

–عمارة علاوة، **الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع10، قسنطينة، 2009.

–كرطالي أمين، **الانعكاسات السياسية والاقتصادية للوجود الهلالي في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)**، مجلة عصور، جامعة وهران، مج17، ع2، 2018.

-Jacques Berque, *les hilaliens repentis ou l'Algérie rurale au xv^e siécle d'pres un manuscrit jurisprudentiel*, Annal histoire sciences sociales, 25^e Année, N°.5, 1970.

[2]–ابن الأثير، الكامل في التاريخ،259/8.

[3]–ابن خلدون، العبر، 31/6.

[4]–الدراسات التي ركزت على هذا التوجه هي على وجه الخصوص الدراسات الانقسامية الكولونيالية مثلها أرنست مارسيه(1840-1907)Jean Ernest، إميل فليكس غوتيه(1864-1940)Emil Félix Gautier، وجورج مارسيه(1876-1962) Georges Marçais، شارل أندري جوليان(1891-1991)Chqrles-André-Julien، الذي شبههم بالدّودة التي تنخر الثمرة، وجاك مونييه وإن كان بعضها يصنف ضمن المعتدل إلا أنها استخدمت الطرح الخلدوني فيما يخدم توجهها الاستعماري، راجع: محمد الشريف، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة، مجلة المغرب والأندلس، جامعة عبد الملك السعدي، ع1، 2006، **عمارة علاوة**، الهجرة

الجدير بالذكر أن دراسة موضوع الهجرة لا يمكن تناوله كوحدة موضوعية واحدة بل يجب تقسيمها إلى مراحل كون دخول هذه الجماعات القبلية أخذ مراحل عديدة لاستقراره في بلاد المغرب رغم أن المصادر التي طرقت الموضوع، متجاوزة المرحلية التي مر بها الاستقرار الهلالي والظروف العامة للبلاد المغرب أثناء هجرتهم، حيث دخلوا البلاد في فترة صعوبات مما جعل استقبالهم واستيعابهم من الأمور غير الممكنة في تلك الظرفية التي تميزت أساسا باختلال التوازن بين الإنسان والعنصر الطبيعي[1]، خاصة وأنهم عناصر بشرية لها مميزاتها من حيث نمط العيش القائم على الغزو والغارة، كما أنّ موضوع الهجرة يدخل في حيز التحركات البشرية وعلاقتها بتوسع وانحصار مجال الدّول **"إنّ قيام دولة يؤول في الواقع إلى انتصار تحرُّك بشري غالب يرمي إلى اتجاه معيَّن غالِب كذلك، ومعنى هذا أنّ لكل تحرُّك غالب تحرُّكات مواكبة وأخرى مناوئة أو معارضة قد تختلف أهميتها باختلاف الظرفية والأحوال"**[2]، وعليه تبقى الهجرة وأعمال القبائل البدوية مرتبطة بواقع وظرفية قوة الدولة وضعفها.

في المقابل إذا أخذنا في الاعتبار التفسير القائل أنهم سُلّطوا على البلاد كانتقام من الخليفة الفاطمي المستنصر(427-487هـ/1036-1094م) باستخدام التحفيز المالي الذي شجعهم على الحركة بعد إعلان الأمير الصنهاجي المعز بن بادس(406-453هـ/1015-1061م)القطيعة المذهبية السنية عن الشيعة الفاطمية مثلما أشار ابن عذارى"...**لما آل الأمر إلى التصريح بلعنة بني عبيد على المنابر وأمر المعز بن بادس بقتل أشياعهم أباح بنو عبيد للعرب مجاز النيل وكان قبل ذلك ممنوعا لا يجوزه أحد من العرب ثم أمر لكل جائز منهم بدينار فجاز منهم خلق عظيم**"[3] فهذا يبرر سلوكهم التخريبي وأعمالهم القائمة على السلب والنهب؛ يشير النويري أيضا أن الوزير المستنصر أمرهم بالعيث والإخراب"...**ودخلت العرب فوجدوا بلاد خالية طيبة كثيرة المرعى كانت عمارتها زناته فأبادهم المعز، فأقاموا واستوطنوها وعاثوا في أطراف البلاد**"[4]، حتى التفسير الاقتصادي الذي يُرجع اندفاع الجماعات العربية نحو المغرب كسبيل للبحث عن الرزق والكلأ بعد معاناتهم في صعيد مصر، يعد أيضا مبرر لسلوكهم في المرحلة الأولى أي حتى القرن 7هـ/13م؛ لأعمال النهب واللّصوصية كونها جماعات تعاني الحاجة والفقر، وتفتقد لوضعية اقتصادية

الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الوسيط (قراءة نقاش تاريخي)، منشور ضمن دراسات في التاريخ الوسيط والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

[1]-إبراهيم جدلة، المجموعات القبلية البدوية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء العهد الحفصي، أشغال الملتقى الدولي الثاني حول: القبيلة –المدينة–المجال في العالم الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2003، ص162.

[2]-محمد القبلي، حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر، منشور ضمن جوانب من تاريخ المجال والسكان بالمغرب، مؤسسة عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1998، ص77.

[3]-البيان المغرب، 288/1.

[4]-نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، 117/24.

تساعد على الاستقرار لذلك أخذت من أسلوب المزاحمة على المجال، الغارة وقطع الطريق لضمان البقاء، فتتابعت بنو رياح والأثبج وبنو عدي فدخلوا إفريقية وقطعوا السبيل وعاثوا في البلاد وعزموا على الوصول إلى القيروان[1].

استهدفت أعمالهم ما يؤكد أنهم يعانون الفقر؛ نهبهم للذّور والمارين بالسبيل "**...وشنوا الغارات على البلاد وقطعوا على الرفاق وأفسدوا الزرع، وقطعوا الأشجار وحاصروا المدن فضاق الناس وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم، وحل بإفريقية من البلاء ما لم ينجل بها مثله قط**"[2]، ويتّبع **الباحث الطاهر بونابي** المرحلية أيضا في دراسة الهجرة الهلالية، ويبين خصائص كل مرحلة على النحو التالي: "...من الحرابة إلى حيازة المجال ويمتد هذا المحور الزمني من نهاية النصف الأول من القرن 5هـ/11م إلى نهاية القرن 7هـ/13م؛ وتتميز بافتكاك المجال الرعوي والزراعي من قبائل صنهاجة في الزاب والحضنة والسهول الداخلية والساحلية الشرقية من زناته السهول الداخلية الغربية والساحلية وجنوب الصحراء، أو ما يمكن أن نسميها بمرحلة اكتساب المجال، وما ساد ذلك نشاط تخريبي من الإنتاج الزراعي والنشاط التجاري والعمران"[3]، فصعوبة التكيف التي واجهتها القبائل العربية جعلتها تبقي على بداوتها حتى أواخر القرن 7هـ/13م حيث تبدأ عملية التوبة والاندماج داخل المجال، بمفهومها السياسي من خلال تفكك العصبية، ومفهومها الاقتصادي باتخاذ الزراعة –الفلاحة– نمط للكسب بدلا من الغارة وقطع الطّريق.

وقبل التفصيل في خصائص هذه المرحلة نتوقف لذكر حضور مظاهر التخريب والنهب التي رافقت الهلاليين في حركتهم من خلال استقراء الجدول التالي:

المصدر	النص	الصفحة
ابن الأثير (ت630هـ/1232م)	–"...**وعاثوا** في أطراف البلاد".	295/8.
	–"...فتتابعت رياح والأثبج وبنو عدي إلى افريقية **وقطعوا السبيل وعاثوا** في الأرض وأرادوا الوصول إلى القيروان".	296/8.
	–"...فلما خرجوا من عنده لم يجاوزوه بما فعل من الإحسان بل **شنوا الغارات وقطعوا السبيل وأفسدوا** الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن...وساءت أحوالهم **وانقطعت** أسفارهم"	296/8. 296/8. 296/8.
	–"...**وأخذت** العرب الخيل والخيام وما فيها من المال وغيره"	297/8.
	–"...وشرعت العرب في **هدم** الحصون والقصور وقطعوا الثمار وخربوا الأنهار".	297/8.
	–"...وفي سنة 449هـ نهبت العرب القيروان"	
ابن	–"**خرب** العرب بعد خروج مؤنس بن يحي الرياحي من عند المعز ووصف لهم كرامة	

[1]–المصدر نفسه، 118/24، عادل النفاتي، المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب حفريات في أدب الرحلة القرن16، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015، ص46-47.

[2]–ابن عذارى، البيان المغرب، 289/1، النويري، المصدر السابق، 119/24.

[3]–مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط، سلسة الكتب الأكاديمية، لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة، 2017، ص124، 125.

عذارى(حيا712هـ/1312م)	السلطان والإحسان لهم".	.288/1
	-"...فلما انتهوا إلى قرية تنادوا هذه القيروان **ونهبوها** من حينها".	.288/1
	-"...وجمع صنهاجة وغيرهم من القبائل فإنهم فروا **وانتهبت** العرب مضاربهم ...ودخل العرب معسكر المعز **فحازوه** وفيه من الذهب والفضة والأمتعة والأسباب والأثاث والخف والكراع...".	.290/1 .291/1
	-"...ورجع العرب في أمانهم الذي أعطوا أهل البوادي **وانتهبوا** جميعها وانتقل أهلها إلى القيروان".	.291/1 .299/1
	-"...**انتهبت** العرب مدينة القيروان **وخرّبها** وكانت من أعظم مدن الدنيا".(449هـ)	
	-"...فانهزم الناصر وقتل من أصحابه خلق كثير **ونهبت** أمواله ومضاربه..."(457هـ)	
النويري(ت733هـ/1332م)	-"...ودخلت العرب فوجدوا بلادا خالية طيبة كثيرة المرعى كانت عمارتها...فأقاموا واستوطنوها **وعاثوا** في أطراف البلاد".	.117/24
	-"...وتتابعت بنو رياح والأثبج وبنو عدي فدخلوا افريقية، **وقطعوا السبيل وعاثوا** في البلاد وعزموا على الوصول إلى القيروان".	.118/24
	-"...خرجوا من عنده(المعز)ولم يجازوه لما فعل معهم بل **شنوا الغارات** على البلاد، **وقطعوا** على الرفاق، وأفسدوا الزرع، وقطعوا الأشجار وحاصروا المدن ...وساءت أحوالهم **وانقطعت أسفارهم**".	.119/24 .119/24
	-"...واحتوت العرب على الخيل والعدد والمخيم والأثقال والأموال".	.119/24
	-"...**ونهبت** العرب القيروان".	.122/24
	-"...وتسكنت العرب وأخربوا البلاد **ونهبوا** الأموال".	
ابن خلدون(ت808هـ/1406م)	-"...وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية **كالجراد المنتشر**، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه".	.20/6
	-"...وكانت الهزيمة على المعز، وفرّ بنفسه وخاصته إلى القيروان **وانتهبت** العرب جميع مُخلفه من المال والمتاع والذخيرة والفساطيط والرايات، وقتلوا فيها من البشر ما لا يحصى".	.21/6
	-"وهلكت الضواحي والقرى بإفساد العرب **وعيثهم** ...**وأكثروا النهب** واشتد الحصار...وعمّ **النهب** في البلاد **والعيث** في البلاد".	.21/6
	-"واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها وشملوا **بالعيث والنهب** سائر حريمها ...ثم ارتحلوا إلى المهدية فنزلوها وضيقوا عليها بمنع المرافق وإفساد السابلة ...واضطرب أمر افريقية وخرب عمرانها **وفسدت سابلتها** ..."	.22/6
	-"...وملك كل ما عقد له سميت الرعايا بالأمصار عسفهم **وعيثهم باختلاف الأيدي**...فثاروا بهم وأخرجوهم من الأمصار إلى ملك الضواحي والتغلب عليها، وسليم بالخسف في النهب والعيث وإفساد السابلة هكذا إلى هلم"	.27/6
	-"...**واستباحت** العرب وزناته خزائن الناصر (بعد موقعة سبيبة) ومضاربه ...ثم التحق بالقلعة فنازلوها، **وخربوا** جنباتها وأحبطو عروشها **وعاجوا** على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصافا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير وغوروا المياه واحتطبوا الشجر **وأظهروا في الأرض الفساد**...".	.45/6
	-"واستطال على الدولة وكثر **عيثهم** فنبذ المستنصر عهدهم..."	

جدول رقم 8: حضور مظاهر التخريب في المرحلة الأولى للهجرة الهلالية(5-6هـ/11-12م) نحو المغرب الإسلامي.

المصدر	التكرار الكلي	التخريب والنهب	قطع الطريق
ابن الأثير	10	07	03
ابن عذارى	07	07	/
النويري	10	07	03
ابن خلدون	20	18	02
المجموع	47	36	08

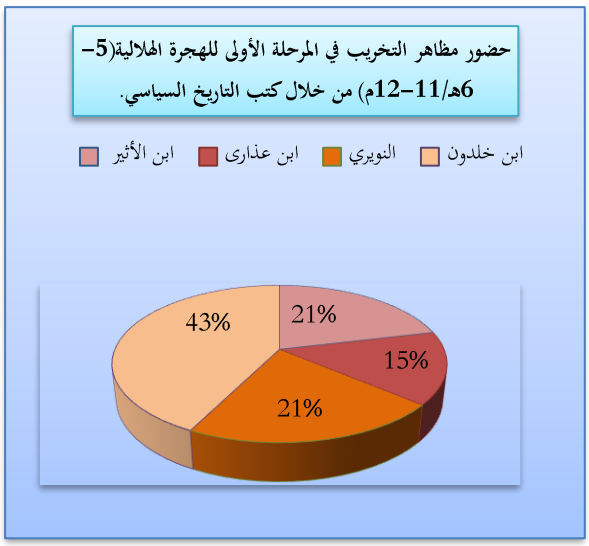

التعليق والتحليل:

*يجب الإشارة أن النصوص الموجودة في الغالب ناقل بعضها عن بعض وقد يضاف إليها بعض الإشارات وأخرى تحذف أو تدمج في سياق واحد النهب والفساد معبرة عن مجمل أعمال الأعراب؛ كما هو حال نصوص النويري (733هـ/1332م) التي نقلها عن ابن الأثير(630هـ/1232م) فتعادلت الإشارات الموجودة 10 في مواضع أي ما نسبته 21% لكل منهما، كما لا يمكن إغفال أن المصنفات تنتمي إلى حقل التاريخ السياسي، تاريخ الانتصار والحرب والجند، وأكبر نسبة في حضور أعمال الفوضى والتخريب سجلت عند ابن خلدون بمعدل 20 إشارة أي ما يعادل نسبة 43%.

*الجدول يبين نشاط الأعراب في المراحل الأولى لدخول إفريقية وحراكهم داخل المجال المغربي؛ الإشارة تؤكد أن نسبة التخريب كبيرة بمعدل 47 إشارة حيث ارتكزت إستراتيجيتهم في السيطرة على الضواحي والتحكم في الطرق وشلّ حركتها عن طريق السلب ونهب بمعدل8 إشارات دلت عليها **"وشنوا الغارات وقطعوا السبيل"**[1] و**"ضيقوا عليها بمنع المرافق وإفساد السابلة"**[2]، فامتلكوا الأطراف وصولا إلى مركز المدن من القيروان والمهدية، والقلعة؛ عبر العيث وقطع السبيل**"...هكذا فاصنعوا ببلاد المغرب املكوها شيئا فشيئا حتى لا يبقى عليكم إلا القيروان فاتوها فإنكم تملكونها"**[3]، حتى أن تغيير العاصمة الحمّادية إلى الساحل من القلعة إلى بجاية يكمن وراء تأثر الطّرق التجارية بالغارات التي تشنها الناجعة الهلالية على المدينة وقطع الطريق مما دفعهم لتحويل العاصمة نحو الساحل(بجاية) سنة 484هـ/1091م زمن حكم الأمير المنصور بن الناصر(481-498هـ/1088-1104م)، يمكن تأكيد أنّه تغيير شامل مسّ الحركة التجارية الداخلية التي تحولت إلى تجارة بحرية بداية من هذا القرن5هـ/11م.

[1]-ابن الأثير، الكامل، 296/8.

[2]-ابن خلدون، العبر، 22/6.

[3]-النويري، نهاية الأرب، 118/24، ابن خلدون، العبر، 32/6.

فالطّرق الداخلية لم تعد آمنة والحركة التجارية واصلت تراجعها ونشطت الحياة الرعوية[1]، نتيجة للتحولات المجالية والتغييرات في شبكة المسالك بدأت المجالات الحضرية تتقلص وبعضها اندثرت[2].

*النهب، الفساد، والتخريب مظاهر عسكرية ترافق الحرب وملازمة لها فاختلال الأمن وانتشار الفوضى تحفز على النهب والأخذ، ويتسابق فيها الجند المنتصر للحصول على غنائم الحرب، طابع الجماعات الهلالية في حروبها مع السلطة السياسية القائمة في المغرب الإسلامي.

*النهب والفساد مسّ المجالات القريبة من الكلأ والمياه باعتبار القبائل المتنقلة ضواعن وملكوا المجالات عن من يظعن فيها[3]، وتسلطوا على المدن وحصلوا على الثمار والزروع واشتملت ما استحوذوا عليه من الخيام، والأمتعة...

*أعمال التخريب والسلب للقبائل الهلالية في نطاق اقتصاد القبيلة الناجعة القائم على الغزو والغارة[4]، فلا يمكن أن تخلوا أعمالهم من توصيفات السلب، السرقة والقطع، فعمليات الزحف كانت عبارة عن غزو قام به أفراد مجتمع له مميزاته الاجتماعية والاقتصادية ضد أفراد آخرين، حيث تم اجتثاث الأشجار وكذلك الإنسان[5]، وشملت الغارات جل مناطق العبور التي مروا بها، خاصة وأنّ الظاهرة الرئيسية التي ميزت هذه القبائل عدم الاستقرار[6]، عدم الاستقرار حفزها أكثر لممارسة قطع الطريق والتخريب للحصول على مصادر العيش.

لا يمكن فصل بين مراحل اندماج العناصر الهلالية حيث تعتبر المراحل (القطع والنهب، التحالفات، التوبة والاندماج) متداخلة يصعب تحديد التمايز والانتقال الزمني، تحول تدريجي خضع لطبيعة المجموعات البشرية المندفعة في المجال المغربي وبطبيعة المجال وظروفه السياسية ففي المرحلة التالية بعد القرن 7هـ/13م نجد أيضا القبائل الهلالية تستمر في القطع وممارسة الغصب والحرابة وهذا ما يتم توضيحه في النقطة التالية.

ب- الهجرة الهلالية مفعول به.

يُراد من هذا الطرح البحث في سياسة السلطة المركزية اتجاه العنصر الوافد ودورها في التحفيز على أعمال التخريب والحرابة، إذ اتجهت سياستهم إلى المهادنة وهو حال المعز بن بادس الذي استحقر

---

[1]-صالح علواني، موقعة سبيبة 457هـ/1065م جيديران جديدة، أعمال الندوة العلمية المنظمة بالقصرين من 5الى 8أفريل (مقال صادر بـ"القصرين ذاكرة وتاريخ"، تونس، 2009، ص8

[2]-روبار برونشفيك، إفريقية في العهد الحفصي من القرن13 إلى القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، 32/1، 33.

[3]-ابن خلدون، العبر، 32/6.

[4]-Rahma Bourqia, op.cit, p192.

[5]-يوسف النكادي، خصوصيات وتحولات المجال الريفي في بلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري، منشور ضمن المجال البدوي المغربي (الخصوصيات والتحولات)، مكتبة دار السلام، ط1، الرباط، 2007، ص27.

[6]-إبراهيم جدلة، المجموعات القبلية، ص171.

دخولهم وفي محاولة لكسبهم واستمالتهم استدعاهم إلى بلاطه لكن محاولته باءت بالفشل[1]، في المقابل يوعز الكثير نجاح الحمادين في التصدي للغارات الهلالية إلى سياسة أمرائها القائمة على المهادنة والتحالف فبلكين بن محمد ترك لهم الأرياف والسهول مقابل تسخير أبنائهم في صفوف جيشه للاستفادة من طاقتهم الحربية لهذا نجده يستخدمهم في جيشه عند محاصرته تلمسان ومحاربة زناته وأثناء غزوته الكبيرة على المغرب الأقصى ونهبه فاس[2] 454هـ/1062م، وعليه فالسياسة التي انتهجها الحمّاديون تقوم على الترويض بالتحالف معهم تارة ورشوتهم بالمال تارة أخرى الأمر الذي أجل سقوط دولتهم[3].

إن الخاصية الرئيسية التي ميزت القبائل منذ وصولها إلى افريقية عدم الاستقرار[4]، خاصية دفعتها لممارسة قطع الطريق والتخريب للحصول على الرزق، لذلك نجد أن التحالف العسكري مقابل الأعطيات والإقطاعات للرعي والفلاحة أصبح مصدر عيش الأعراب، فاشتد التنافس بينها للحصول على التحالفات والأعطيات، فتم تجنيدهم في الجيوش ليس كجند نظامي قار بل كانوا عبارة عن فرق رديفة تمثل قبائل بأكملها ويستخدمها السلطان وقت الحاجة مقابل منحهم امتيازات هامة ما عبر عنه ابن خلدون **"انبسطت أيدي العرب على الضاحية وأقطعتهم الدولة حتى الأمصار وألقاب الجباية ومختص الملك ومازالوا يغالبون الدولة حتى غلبوا على الضاحية، قاسموهم في جبايات الأمصار بالإقطاع"**[5].

كان الناصر بن علناس (453-481هـ/1062-1088م) قد خصص لهم سنويا جزءا من المحصول الذي يجنيه؛ مقابل عدم التعرض له ولعاصمته، فبسطوا نفوذهم على نجود وبسائط المدن الجبلية فاستقرت بالأطلس الشرقي بين قسنطينة والقل وميلة وباغاي ومجانة، ويلاحظ أن بني سليم استقرت بالقرب من الساحل بينما عمرت هلال المناطق الداخلية، غنموا غنائم كثيرة من مال وسلاح ودواب وتم لهم السيطرة على البلاد، فإنهم قدموا في ضيق وفقر فاستغنوا بعد ذلك وكثرت أموالهم، ودوابهم وسلاحهم[6].

سياسة التحالف مع العرب الهلالية والتحالفات المضادة، رسخت لحالة الحرب اللامتناهية كون العناصر الهلالية تعيش على ما يُدره زعماء التحالفات من الأموال والاقطاعات؛ وضعية اصطلح عليها بحالة **"الحرب المزمنة"**، فتعاطي القبائل البدوية للارتزاق العسكري كنشاط رئيسي وارتباط جزء منها بالسلطة

---

[1]-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 296/8.

[2]-بن فريحة عبد الملك، القبائل العربية ومكانتها في الدولة الزيانية، أطروحة ماجستير، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015/2014، ص60.

[3]-عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، دار الشروق، بيروت 1983، ص193-194، بن فريحة عبد الملك، المرجع السابق، ص 65، يوسف نكادي، خصوصيات وتحولات، ص32.

[4]-إبراهيم جدلة، المجموعات القبلية، ص171.

[5]-ابن خلدون، العبر، 156/6.

[6]-بن فريحة عبد الملك، المرجع السابق، ص 65.

المركزية دور في جعل الحرب تتخذ شكلا لا متناهيا[1]، ففي حالة الحرب بين تميم بن بادس(453-501هـ/1062-1108م)والناصر بن علناس(453-481هـ/1062-1088م) تحالف الطرفين مع الأعراب، وأُلحقت الهزيمة بالأمير الحمادي الناصر بن علناس وحلفه من الأثبج في موقعة سبيبة سنة547هـ/1152م نتيجة للخيانة السياسية التي تعرض لها من قبل بني هلال بعد أن استمالهم تميم بن بادس وأجزل في العطاء لهم[2] في الوقت الذي رفض فيه بن علناس مشورة ونصح أخيه القاسم بن علناس في إرسال المبعوثين للأعراب واستمالتهم بالهدايا عوض مواجهتهم بالسلاح[3].

يتضح أسلوب الأعراب لهلالية التخريبي بعد موقعة سبيبة التي كانت الأخطر على المغرب الأوسط حيث استباحت الأعراب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه وقَتل أخوه القاسم ونجا إلى قسنطينة ورياح في اتباعه حتى نزل بالقلعة فنازلوها وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها وعاجوا على ما هناك من الأمصار مثل طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنتها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع فتركوها قاعا صفصافا لأقفر من بلاد الجن، وأوحش من جوف العير وغوروها المياه واحتطبوا الشجر[4] تحولت بعد هذه الموقعة سمة التحالف هي المميزة لهذه المرحلة من تاريخ المغرب الإسلامي[5].

دخول الأعراب كحليف في الحروب زاد في اختلال توازن الحالة السياسية خاصة وأنها جعلت من ذلك مصدرا لعيشها، ففي كل مرحلة تغيير فيها السلطة نلاحظ اقتسام الأدوار بين مجموعات متحالفة للسلطة وأخرى ضدها، العامل المحرك للطاقات القتالية المتناحرة هو الحصول على الامتيازات المادية بالدرجة الأولى فالمجموعات الحليفة للسلطة لا تدفع الضرائب بل إنها تفرض الضرائب لصالحها[6]، فأصبح نشاطهم يكاد ينحصر في العمل العسكري(الارتزاق) وإما الجباية[7].

بعد موقعة سطيف(547هـ/1153م) انتهج السلطان الموحدي عبد المؤمن بن علي(524-558هـ/1129-1163م) سياسة نقل العرب الهلالية للمغرب الأقصى، ودفعها للمشاركة في أعماله الجهادية في الأندلس[8]، مستغلا طبيعتهم الحربية لمصلحة الدولة وطاقاتهم التخريبية ضد أعدائها الداخليين

---

[1]-مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص117.

[2]-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 45/10.

[3]-ابن عذارى، البيان المغرب، 428/1، 429.

[4]-ابن خلدون، العبر، 45/6.

[5]-راجع **الملحق رقم4:** يوضح مجموع العلاقات التي ربطت السلطة بالأعراب الهلالية.

[6]-إبراهيم جدلة، المجموعات القبلية، ص181.

[7]-ابن الشماع، الأدلة البينة، ص102.

[8]-استخدم السلاطين الموحدين معهم أسلوب الدعاية عن طريق نظم الأشعار الحماسية في مدحهم والإشادة بشرف أرومتهم ومضاد عزائمهم وكفايتهم في الحروب ينشدونها على مسمع منهم تحميسا لهم وتشجيعا وهو من نوع وسائل الحرب السيكولوجية، راجع عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1986، 401/1.

والخارجيين[1]، استلحق عددا كبيرا منهم بعسكره و لم يعد من حركته إلى المغرب الأقصى إلا وهو يجر وراءه من عرب رياح وجشم وعدي وقبائلهم ما يضيق به الفضاء على عدد الذباب وعدد الحصى[2]؛ بقيت الإقطاعات توزع وتقسم لهم[3] خاصة في حال الانتصارات العسكرية التي يحققها الجيش؛ امتازت هذه الأراضي بأنها واسعة خصبة ومزودة بموارد مائية وتم اقتطاعها عن أقاليم دون الملاك، المستفيدين منها لا يستغلونها مباشرة بل تمكنوا من تشكيل دومينات كبيرة وحصلوا منها على مداخيل مهمة[4].

ارتفعت قيمة الأعراب واقتطعوا الأراضي الواسعة وجباية القبائل المستضعفة وحصلوا على الهدايا والأموال وقربوا لأهل الحل والعقد سواء بالنسب أو الاستشارة، أما في وقت السلم فيسعى الحكام إلى الاستغناء عن خدماتهم ويحاولون تجريدهم من امتيازاتهم واقتطاعاتهم وبالتالي يلجأ الأعراب للثورة وقد فشلت القوات الموحدية في كسر شوكة العرب الثائرين الذين أخذوا في شن الغارات على أطراف مراكش وقطع الطّريق على أهلها مترلين بالموحدين هزائم متكررة مما أدى إلى اضطراب أحوال البلاد[5]، وكثيرا ما يستغلون الحركات المناوئة للحكم القائم والانضمام إليها أو الملوك الطامعين في التوسع على حساب غيرها من السلطة السياسية حفاظا على ما بأيديهم من الامتيازات[6]، فانَضموا لحركة بني غانية في المغرب الأدنى(580-630هـ/1184-1234م)، وشاركوا في التمردات والثورات ضد الموحدين منها تمرد محمد بن هود الماسي 541هـ/1146م في السوس، والثورة 575هـ/1179م التي ثار فيها علي بن المعز المعروف بالطويل بقفصة، وثورة ابن الأشل ببلاد الزاب سنة 589هـ/1193م.

قامت سياسة الزيانيين في تقريبهم للعرب الهلالية منذ عهد يغمراسن بن زيان(633-681هـ/1236-1283م) على التحالف مع قبائل زغبة الذين جمعتهم وزناته عصبية الحلف وذوي عبيد الله من عرب المعقل المجاورين لبني عامر بن زغبة المستقرين بجوار تلمسان[7].

أقطعت الدولة زغبة النواحي والسهول والأمصار مقابل المحالفة والمساندة والطاعة حتى يتمكن أمراؤها من مقاومة الغزو الخارجي من ناحية والاستحواذ على السلطة والقضاء على منافسيهم المتطلعين للحكم من ناحية أخرى[8]، عدم استقرار القبائل وارتباط اقتصادهم بالوضع الأمني للدولة جعل المناطق

---

[1]-عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب، 397/1.

[2]-ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين)، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت، 1987، ص144.

[3]-ابن عذارى، البيان، 101/1، 122.

[4]-élise voguet, *chef de tribus et murabitun des élites rurales du maghreb médiéval*, MEFRM, 124/2, 2012, p378.

[5]-مصطفى أبو الضيف، القبائل المغربية، ص109، élise vogut, lbid, p378

[6]-المرجع نفسه، ص117.

[7]-ابن خلدون، العبر، 58/6، 59، Jacques berque, *l'intérieur du Maghreb (xv^e-xix^e siècle)*, éditions Gallimard, 1978, p44-45.

[8]-مصطفى أبو الضيف، المرجع السابق، ص155.

البعيدة عن مركز السلطة نشطة بالحروب والغارة وقطع الطريق، فالقبائل المعادية تستغل حركة القبائل الأحلاف في الصيف للحركة والتروح على غيرها وتساعد المتمردين والطامعين في التوسع على المغرب الأوسط من بني مرين[1]،خريطة توزيع الاقطاعات الزيانية للقبائل العربية تبين تمركزهم في الأماكن البعيدة عن نظر السلطة، وهي الأماكن التي يكثر فيها العيث والفساد في حال غياب السلطة أو ضعفها.

في مرحلة القوة كانت قبائل ذوي عبيد الله من المعقل تدفع الضرائب للدولة الزيانية وعسكروا مع قوات السلطان في حروبه إلى أن ضعفت الدولة، فاستقروا بالتلول وملكوا وجدة، أقطعتهم الدولة جباية البربر المستقرين بجوارهم مثل بني سنوس بجانب ما فرضوه عليهم من الإتاوات ووضائع حتى أنهم فرضوا ضريبة على الطريق بين تلمسان وبلاد هنين على الساحل وأطلقوا عليها ضريبة الإجازة فلا يمر بالطريق مسافر إلا بتصريح منهم بعد تسديد الضريبة المقررة[2].

أضحت للقبائل العربية وسائلها في الضغط على السلاطين الزيانيين فكلما أرادت مصلحة معينة اقتصادية كانت أم سياسية قامت بإثارة الفوضى حتى تلبي ما أرادت وأغراضها، قوة القبائل العددية وانتشارها في المناطق الداخلية مكنها من السيطرة على الطرق لذلك منحت لها السلطة حق خفر وحماية الطرق، فكانت النتيجة أنها من تمارس قطع الطريق والحرابة في حال ضعف الدولة وغياب القبائل الحليفة للسلطة.

تشير المعطيات السابقة أن الاندفاع الهلالي كان محفزا لنشاط اللّصوصية وقطع الطريق رغم ذلك لا يمكن ربط هذه الظاهرة بالأعراب فقط، بل هي منظومة قبلية تشترك فيها مع الجماعات الزناتية والصنهاجية التي تمارس الضّعن، عند دخول القبائل الهلالية إلى المغرب كان هؤلاء لا يزالُ يقومون بالرّحلتين بين الجبل والسهل فالنمط السائد هو النّجعة لذلك جاءت القبائل العربية لتسير في الاتجاه نفسه[3]، وقد تحالف الأعراب مع الزناتيين ومارسوا النهب والسلب على غرار الثائر المغراوي المنتصر بن خرزون 468هـ/1076م الذي حالف عرب عدي في طرابلس ودخل المغرب الأوسط بالمسيلة وما جاورها متخذا من أعمال السلب والنهب وقطع الطريق سبيلا لذلك[4]، كما قام بالنّهب بالاشتراك مع عرب بني عدي بطن آخر من بطون زناته، وهم بنو توجين الذين كان على رأسهم آنذاك مناد بن عبد الله[5]،

---

[1]–ابن خلدون، العبر، 65/6، –Geogces Marçais, *Les Arabes en berbérie du xi^e au xvi^e siècle*, thèse pour le doctorat et lettres (présentée à la Faculté des lettres de l'université paris, paris, 1913,p 268-270.

[2]–المصدر نفسه، 61/6.

[3]–محمد الطويل حجاج، عودة إلى القبائل الهلالية، مجلة أمل(التاريخ–الثقافة–المجتمع)، ع2، المغرب، 1992، ص134.

[4]–ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص251–252، ابن خلدون، العبر، 173/6، الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1962، 323/1.

[5]–ابن عذارى، البيان المغرب، ص430–431، ابن خلدون، العبر، 174/6.

وشاركت زناته مع العرب في نهب مضارب الناصر بن علناس في موقعة سبيبة547هـ/1152م[1]، ويعطي صاحب الأنيس المطرب وصف لحركة المجموعات الزناتية في مرحلة ضعف الدولة الموحدية سنة 613هـ/1216م لا تختلف عن وصف ابن خلدون لاندفاع العناصر الهلالية نحو المغرب الأوسط بعد هزيمة سبيبة حيث ذكر **"فدخلت بنو مرين المغرب يسوقهم لملكه ...وانتشروا في بلاده كالجراد...حتى أبادوا جيش الموحدين عام المشغلة"**[2].

في هذا السياق يشير تحليل الباحث **محمد الطويل حجاج** أن "**التسلسل التاريخي يفيد أن الاضطرابات والشرور التي تحدث عنها ابن خلدون وتأثر بها في تونس وغيرها تشير إلى فترة الضعف الموحدي أي فترة تفكك الإمبراطورية الموحدية، ولم يكن للقبائل العربية في المغرب دور متميز في هذه الفترة بل كانت كباقي العصبيات الأخرى (صنهاجة-زناته-مصمودة) في صراع من أجل البقاء والدفاع عن النفس وكانت من جهة أخرى صراعا بين القبائل تغذيه القيادة الموحدية**"[3]؛ إشارة واضحة على أن أعمال النهب والفوضى التي تحدثها القبائل رهينة ضعف الدولة وضعية مرتبط بسياسة الدولة اتجاه القبائل البدوية حيث تعمل على استخدامها في نزاعاتها كطرف يوازن الحالة الأمنية لكن نتيجة لسياسة تفريغ المجال وتعويضها بالقبائل العربية، أو سياسة التصدي لعيث القبائل بإدخال عنصر قبلي منافس يجعلهم ينشغلون عن السلطة بالغارات على بعض مؤثرة بذلك على الطرق التجارية والمجالات الريفية والرعوية، فالدولة بسياسة التحالف والمهادنة جعلت وضعها الأمني رهين الواقع الاقتصادي للجماعات الهلالية.

نستفيد مما سبق أن وضعية السلطة وقوتها سبب في انتشار الجماعات الهلالية، فالسلوك الذي مارسته القبائل العربية طبيعي بالنظر لحالة التفكك التي وصلت إليها الدولة الموحدية وضعف الدويلات الموروثة عنها[4]، كما أن سياسة التحالفات أعطت الحرية وسمحت بالاستقلالية للأعراب ومنها تأكيد سلطتهم على المستوى المحلي وصلت في مراحل إلى منافسة السلطة، وعقد تحالفات مضادة للسلطة تستغل ضعف هاته الأخيرة لشن الغارات وتتضاعف معها أعمال قطع الطريق عندما تصبح سلطة الحاكم غير فعلية ما يؤكد أن هناك أقاليم غير خاضعة لسلطة السلطان[5]، تقتصر علاقتها بالسلطة الحضرية إلا بالجباية[6]، والبعض من الفضاءات البدوية أراضي غير مترعة السلاح، ومجال يفلت من كل قوة إكراهية[7]، سهل حركتها وممارسة الحرابة وقطع الطّريق.

---

[1]-ابن خلدون، العبر، 44/4، 45.

[2]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص283.

[3]-عودة إلى القبائل الهلالية، ص133، 134.

[4]-المرجع نفسه، ص130.

[5]-Elise voguet, *dissidence affirmée*,op.cit, p149.

[6]-Allaoua Amara, *communautés rurales et pouvoirs urbains au Maghreb central (VII-XIVe siècles)*, REMMM126, p195.

[7]-Elise voguet, op.cit, P149-150.

زعماء القبائل المتحالفة مع السلطة شكلوا أهم جزء في فرق الجيش عبر عنهم بمصطلح الفقهي **"جبابرة العرب"**[1] الذين انضموا للسلطة متبوعين برجالهم، هذه السياسة نميز فيها تراتبية الجماعات الهلالية بين الإقطاعيين المستقرين الذين حصلوا على امتيازات في شكل أراضي مقابل الارتزاق العسكري[2]، ويحصل شيوخ القبائل كذلك على ثروات مالية بفضل مداخيل جبائية عديدة فامتياز جمع الجباية سهل لهم الاستفادة من اختلاس الضرائب لصالحهم[3]، في مقابل فئة أخرى من الأعراب الضعاف –القبائل الغارمة– الذين لم تنصفهم توزيعات الغنائم أو استمرار حالة الاستقرار داخل المجال لفترات طويلة تلجأ للغارة ويظهرون كقطاع الطرق يهاجمون القرى ويسلبونها ويقطعون الطريق على المسافرين ويسلبونهم ممتلكاتهم[4].

توزع المجموعات القبلية وتغلغلها في المناطق الداخلية جعلها تتحكم في مسارات الطرق التجارية وأصبحت بذلك التجارة مورد آخر ومصدر لثراء هؤلاء البدويين حيث استفادوا من الحركة التجار بتأمينهم للطرقات لصالح العابرين، ومنهم من شارك في مواكب حراسة القوافل خاصة تلك التي تربط تونس بقسنطينة[5]، نتيجة لعدم مراقبة هذه القبائل وتمتعها بسلطة واسعة جعلها تتحول للحرابة ومهاجمة هذه القوافل في شكل استمرارية لعرف النظام القبلي القائم على الغارة، خاصة بعد القرن 8هـ/14م حيث تمتعوا بالحظوة سمحت لهم بالهجوم على القوة المادية والرمزية للسلطة المركزية، تنامت هذه القوة على مراحل كان لها تأثير واسع على الوضع السياسي والاقتصادي لمجال المغرب الإسلامي والأوسط وسمح بظهور ما يمكن الاصطلاح عليه **"النهب المنظم"**[6].

الاستقلالية التي منحت لشيوخ القبائل والمرابطين سمحت بتأكيد سلطتهم على المستوى المحلي وكذلك بمنافسة السلطة المركزية حصلت على هذه المكانة حسب الظروف التي أخذت شكل (المهادنة، التمرد، والصراع أو الخضوع للسلطان)، مكانتهم مستمدة من موقعهم في جماعاتهم الخاصة، وهي هوية اجتماعية فرضت بعدة طرق، من خلال وظائف منحتها لهم السلطة(الجباية)، وانضمامهم لإقليم السلطان(الإقطاع)، كما استفادوا من امتيازات اقتصادية حيث جمعوا ثروة طائلة وضعتهم على رأس الجماعات الريفية والبدوية.

عدم استقرار تلك المجموعات القبلية كان في صالح السلطة السياسية لضمانهم في خدمتهم في حالة الحروب والتمردات للانفصال، وفي حال تحالفها مع أحد الأطراف الصراع فهي تخدم مصالحها، إذ

---

[1]–المازوني، الدرر المكنونة، 80/4، 103، 183، البرزلي، جامع مسائل الأحكام،194/5.

[2]-élise vouet, *Appropriation et distributions de biens fonciers: l'enjeu politique et économique des terres mortes « mawat » au Maghreb médiéval à la fin du Moyen Age*, Revue Nord_N°18 série collection Art et Archéologie, 2013, p131.

[3]-Elise voguet, *chefs de tribus*, op.cit, p378

[4]-ibid, p377.

[5]-ibid, 379.

[6]–عمارة علاوة، الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع10، قسنطينة، ص18.

يحصلون بعد كل انتصار على أموال وامتيازات من ضرائب وأراضي، مع حصولهم على تصريح غير مباشرة في سلوكهم للإغارة في فترات السلم، ودفع الرواتب للجند العربي مقابل الخدمات يبين مدى حاجة السلطة الزيانية إلى تجميع المحاربين حول تلمسان كل هذه العوامل كانت تخدم بني هلال المغرب الأوسط.

ثانيا: اللّصوصية والشطط الضريبي.

أثرت الحرب بشكل مباشر على الوضع الاقتصادي لمجتمع المغرب الإسلامي، وساهمت في إضعافه، وضع أخذت فيه الضرائب والجبايات مظهر أساسي لاختلال السياسة المالية التي يتجرع آثارها عامة المجتمع، وإشارة على دخول الدولة إلى عمر التفكك والسقوط حسب التعبير الخلدوني **"وتختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران وينقبض"**[1]، حينها تلجأ الدولة للبحث عن مصادر جديدة لسد العجز والضائقة المالية، فتُحدث المكوس والمغارم المختلفة، وتتنوع في فرضتها على أصحاب الحرف في الأسواق، والفلاحين ملاك الأراضي والتجار الداخلين بسلعهم للمدينة.

سياسة الإنفاق غير المنظمة، التي يعتمد مورد بيت المال فيها على اقتصاد الغزو، وما تدره الأراضي الجديدة التي تضم للدولة يؤثر على خزينة الدولة خاصة في تجهيز الجيوش، التي أخذت أشكالا عديدة تختلف حسب الخليفة وتوجهه في صرف الأموال، فقد ظلت رواتب الجنود ومساعداتهم واقتطاعاتهم تنهك خزينة الدولة، وإن كان شعار كل خليفة يتولى الحكم هو التخلص من المغارم والضرائب غير الشرعية إلا أنها لا تتعد أن تكون دعاية إعلامية لتثبيت السلطة وكسب الطاعة للسلطان[2]، وأول ما تواجه السلطة أزمات سياسية وعسكرية تتجه لفرض المكوس والتشدد فيها نتيجة وضع عام يعكس حالة اللاأمن السياسي والاقتصادي.

في عهد يحي بن محمد الناصر **"اضطربت عليه البلاد وغلت الأسعار وخيفت الطرق، وفشي الفساد والخراب في المغرب لكثرة الفتن"**[3]خاصة بعد معركة العقاب 609هـ/1500م التي عمت آثارها السلبية على السياسة المالية للبلاد حيث كثرت الضرائب غير الشرعية وثقلت على الناس واختل الأمر في المراكز البعيدة التي تصبح مصدرا لا ينضب من الجباية، فأول ما يعتلى السلطة أحد الخلفاء يكون من أعماله رفع

---

[1]-ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد السلام شدادي، منشورات CNRPAH، الجزائر،2006، 248/1.

[2]-راجع أعمال السلاطين عند توليهم الحكم في الدولة المرابطية عمد صاحب الدعوة الدينية عبد الله بن ياسين عند دخوله سجلماسة سنة 447هـ/1055م"...حتى دخل سجلماسة...وأصلح أحوالها...وأزال المكوس وأزال المغارم المخزنية" ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص128، وحين تقلد يعقوب بن يوسف بن علي(580-595هـ)انتهج السياسة نفسها في أول عهده بالسلطة "وأكرم الفقهاء ودعا الصلحاء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال...وفرق في الموحدين وسائر الأجناد أموالا كثيرة...وكانت أيامه أيام دعة وأمن ورخاء ورفاهية وبنية حسنة"، المصدر نفسه، ص217.ويذكر الإدريسي أن العهد الأول للدولة الموحدية كان خاليا من كل ضريبة لا يقرها الشرع: "...ولما ولى المصامدة وصار الأمر إليهم قطعوا القبالات بكل وجه، وأراحوا الناس منها واستحلوا قتل المتقبلين، ولا تذكر القبّالة في شيء من بلد المصامدة"، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، مج1/ 236، ابن القطان، نظم الجمان، ص134.

[3]-المصدر نفسه، ص248.

الجبايات والمظالم عن الحواضر والبوادي "**الكَلفُ والمحُدثات بالبوادي والحواضر واقتصر على الحقوق الواجبة التي جرى عليها قديما العمل المتواتر**"[1].ومع ازدياد تدهور الحكم تحول فرض المكوس والمغارم عملا انتقاميا التجأ إليه الخلفاء لتأديب المدن والقبائل الخارجة عن السلطة[2]، ولما تُظهر المدن والقبائل التّملص من أداء الضرائب في طور الضعف يُستعمل الجيش كأداة في تحصيلها، لم تسلم الرعية من الجور في فرض الضرائب ومن تعسف الجباة واشتطاطهم في استخلاصها، ومن عيث الجيش وتعديه على أموال الناس وأملاكهم[3]، فجهزت الحمالات لجباية الأموال الضرورية للقيام بأعباء الملك[4]، فالحكم في دول المغرب الوسيط عندما كان يختل عنده التوازن يلجأ إلى البحث عن مداخيل جديدة[5]، تفرض فيها ضرائب جديدة لا تُراعي المستوى المعيشي لساكنتها بين من هم أكثر ثراء ومن يعانون الفقر والحاجة، لذلك يتوجه بعضهم إلى سلوك سبل مخالفة للقيم الأخلاقية الاجتماعية مستغلين غياب الأمن للتلصُّص والسَّرقة، ممارسة الحرابة لسد حاجاتهم وتعويض ما تأخذه الدولة، كشكل من أشكال الانتقام أو الثورة والتمرد الاجتماعي على الدولة وسياستها.

الدارس للضرائب وعلاقتها بالمجتمع يجب أن يتجاوز الطرح القائم على وصف حالات الفرض وأسبابها وأشكالها بل يجب أن يتجه إلى معالجة موضوع الضرائب وتأثيرها على الحالة الأمنية للمجتمع وذهنية للمجتمع في التعامل مع الضرائب غير الشرعية من خلال البحث في انعكاسات السياسية المالية في بنيات المجتمع الإسلامي وعن دورها في الحراك الاجتماعي، ووقعها على الجانب النفسي للإنسان وأثر ذلك في سلوكياته وبالتالي طرق جدلية الضرائب واللّصوصية، فازدياد فرض الضرائب لا تراع فيها اختلاف الملكيات بين الغني والفقير، أنتج سياسة ضريبية مضطربة أفقرت شرائح كبيرة من المجتمع حيث مست جوانب كثيرة، قام السلطان المريني أبو الحسن المريني(731-752هـ/1331-1351م) بإلغائها عقب حملته على تلمسان737هـ/1336م إذ أنها لم تراعي الضروريات الاقتصادية ومستوى الحياة الاجتماعية، وإنما كان هدفها ضمان دخل قوي لتعزيز حركة الدولة حتى تستطيع أن تتفوق على الحروب والفتن الداخلية، باستثناء عدد محدد من السلاطين الذين اتبعوا سياسية إصلاحية[6]، تحول فرض الضرائب

---

[1]-ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص448.

[2]-عبد الحق الطاهري، نظام الحكم عند الموحدين الوسائل والمؤسسات، أفريقيا الشرق، المغرب، 2018، ص189.

[3]- عبد الحق الطاهري، نظام الحكم عند الموحدين، ص187.

[4]-ابن عذارى المراكشي، البيان (قسم الموحدين)، ص448.

[5]-عبد الحق الطاهري، المرجع السابق، ص189.

[6]-الغبريني، عنوان الدراية، 173، أمال لدرع، الحركة الصوفية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الزياني(633-927هـ/1236-1555م)، أطروحة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005، ص111.عبد الحق الطاهري، نظام الحكم عند الموحدين الوسائل والمؤسسات، ص189.

غير الشرعية إلى ثابت من ثوابت دول المغرب الإسلامي الوسيط، رغم ما كان يدّعيه مؤسسوها وخلفاؤهم من الاكتفاء بالحقوق المادية التي ينصّ عليها الشرع[1].

تؤكد الأسطوغرافيا الموحدية على أن المرابطين أفرطوا في فرض الضرائب المحدثة إلى حد فرضوا ضريبة المكري[2]، وإذا كانت الضرائب ترفع في بداية الدولة فإنها في آخرها تأخذ أشكال عديدة وقيمات مختلفة وتفرض على الحاضرة والبادية، منها القبالات المفروضة في الأسواق، تأتي لتعويض عجز بيت المال عن القيام بمصالح عامة[3]، تغطي الالتزامات العسكرية للدولة سيما أنّ السلطة السياسية تعيش في آخرها حالة الترف والبذخ[4] يسرف فيها الحكام على مجالس اللهو وغيرها، ومع بداية الحركة الموحدية ضاعفت من التزامات الدولة العسكرية مساعدة على توقف الزراعة فقلت المجابي ومن ثم فرضت الضرائب على الرعايا في العدوتين[5].

السياسة الجبائية خلقت شرخ بين عناصر المجتمع، إذ ظلت جماعة الموحدين الأولى الحاكمة والغالبة، بينما ظلت جماعات الموحدين الأخرى، محكومة ومغلوبة على أمرها الشيء الذي حال دون توحيد نفسي لسكان مختلف أنحاء الدولة، ويمكن إرجاعه من الأسباب التي لم تساعد أيضا على انتشار الدعوة الموحدية التي كانت في نظر الكثيرين أداة لتكريس الاستعلاء الجبائي[6].

الوضع الاقتصادي في الدولة الزيانية لم يكن يختلف عن سابقته-الدولة الموحدية- فاختلال موارد الدولة ونقص مصادرها دفعها لفرض ضرائب جديدة كضريبة **"الجبل المطرى"**؛ وهي مطالبة من يخرج مسافر من وطنه بسبب الفقر والحاجة ولم يترك شيئا له، يطالب بدفع هذا المغرم من البلاد التي يذهب إليها وإن غاب لسنوات طويلة يطالبون ذريته بدفعه عنه[7]، كما فرضت ضرائب أخرى على أهل البوادي مثل ضريبة نصف الأثمن، وغرامة الأزواج الحارثة، إضافة إلى وظيفة مغرم الماء التي كانت سائدة في تلمسان والجدير بالذكر أن جباية الضرائب خلال العهد الزياني لم تسهم في ظلم الرعية فقط وإنما ساهمت في إفقار الكثير من السكان بدوا وحضرا[8]، خاصة في آخر عمر الدولة كما عبر عن ذلك ابن صعد **"فكلما ارتفعت**

---

[1]-عبد الحق الطاهري، الدولة الموحدية، أسس الشرعية والمشروع السياسي، ص192. محمد القبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ص243.

[2]-البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص26.

[3] -عز الدين عمرو موسى، النشاط الاقتصادي، ص165، محمد القبلي، حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط مقدمات أولية وقضايا، نشر الفنك، الدار البيضاء، 1998، ص33، 34.

[4]-عبد الحق الطاهري، المرجع السابق، ص189.

[5]-عز الدين عمرو موسى، المرجع السابق، ص166.محمد قبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1، الرباط، 2011، ص175-176.

[6]-عبد الحق الطاهري، المرجع السابق، ص191.

[7]-ابن مرزوق، المسند الصحيح، 285.

[8]-بختة خليلي، الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتسع الهجريين و15/13م واقعه وآثاره، أطروحة ذكتوراه، جامعة محمد اسطمبولي، معسكر، 2016/2015، ص133.

الضرائب غلت الأسعار واشتدت وطأة الفقر إلى البؤس في المرحلة الأخيرة من عمر دولة بني عبد الواد حتى اضطر الفقراء والمساكين والضعاف إلى أكل الكلاب"[1]، إذا كان الفقر والحاجة قد دفع الناس لأكل الكلاب يمكن القول أنه ساهم في دفع البعض إلى ممارسة سلوكيات مغايرة لسد جوعه وتوفير رزقه اليومي من خلال السّرقة وقطع الطّريق، فالضرائب تأثر على ديناميكية المجتمع إذ كلما زادت قيمتها ينخفض مستوى العمل، ويقل الاعتمار،[2] ويلجأ الناس إلى سلوك طرق أخرى في سبيل تحقيق الرزق.

عانى مجتمع المغرب الأوسط في وقت الأزمات السياسية وضعف السلطة في مراقبة المجال من تعسف الجباة وطريقة جمعهم لها صورة تعكسها نظرة المجتمع للجباة وكيفية توصيفهم حيث وصفهم ابن عبدون: **"شر خلق الله وهو بمثابة زمبور الذي خلق للضرر ولا للنفع...ملعون من الله ومن الناس أجمعين"**[3]، وازداد الوضع سوءا بتحويل الجباية للأعراب الهلالية أو كما اصطلح عليهم في النصوص الفقهية **"جبابرة العرب"** مقابل أعمالهم العسكرية التي تستفيد منها الدولة، حيث أقطعت الدولة الموحدية عرب بنو يزيد بلاد حمزة وبني حسن من أوطان بجاية بعد عجز الجند النظامي عن جباية مدينة بجاية قام عرب بني يزيد بها فكافأتهم الدولة بالإقطاعات الكثيرة بجوار المدينة[4].

خلال ضعف الدولة الزيانية استغل هؤلاء الأعراب الوضع وفرضوا الضرائب على بطونهم [5]من القبائل الضعيفة غير المستقرة التي أصبحت تعرف بالقبائل الغارمة، أما قبائل ذوي عبد الله الذين استقروا بالتلول ملكوا وجدة أقطعتهم الدولة جباية البربر المستقرين بجوارهم مثل بني سنوس بجانب ما فرضوه عليهم من إتاوات ووضائع حتى أنهم فرضوا ضريبة على الطريق بين تلمسان وبلد هنين على الساحل وأطلقوا عليها **ضريبة الإجازة** فلا يمر بالطريق مسافر إلا بتصريح منهم بعد تسديد الضريبة المقررة[6].

في المقابل شكلت الانتصارات التي يحققها الجيش الزياني على أعدائه المرنيين فرصة سانحة للاستفادة الأعراب من الامتيازات المتمثلة في جمع الضرائب والإقطاع من الأراضي[7]، تسبب الفرض المجحف للضرائب في فرار أهل القرى وترك منازلهم أو إلى إيداع مؤونتهم في أماكن آمنة لا تطولها أيدي البدو والمحاربين[8] وتجمع القبائل المتحالفة مع الحاكم في الجهات البعيدة الضرائب بالإضافة إلى مهمة قطع

---

[1]–النجم الثاقب، ص90.

[2]–سهام دحماني، النظام الضريبي للدولة الزيانية(633هـ/1236م–962ه/1554م)، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2018/2017، ص448.

[3]–رسالة في الحسبة، ص30.

[4]–ابن خلدون، العبر، 41/6، مصطفى أبو الضيف، القبائل العربية، ص156.

[5]–مصطفى أبو الضيف، المرجع نفسه، 156.

[6]–ابن خلدون، العبر، 61/6.

[7]-Geogces Marçais, *Les Arabes en berbérie* op.cit, p 296.

[8]–محمد حسن، البادية والمدينة، 657/2.

حركات التمرد[1]، مستخدمة طريق عديدة تقوم على التعسف والغصب، وفرض إتاوات خاصة بهم، وهذا ما عبرت عنه النوازل الفقهية التي طرحت حول حكم التعامل مع هؤلاء الجبابرة والغاصبين في جمع الضرائب، يوضحها الجدول التالي الذي جمعت فيه النوازل التي صرحت مباشرة بالتعسف والعنف في جمع الضرائب من خلال كتاب الدرر المكنونة للمازوني:

النازلة	الصفحة.
"...عن رجل كلف عليه عامل وطنهم غرم مال ظلما وخوفه بالضرب الموجع مع السجن"	.63/3
"سئل محمد بن مرزوق عن رجل أخذه ظالم وسلط عليه بعض خدامه فيأتيه الخدم ويقول له خلص نفسك وصار يتردد ويرعوه بالشر..."	.65/3
"سئل أبو الفضل العقباني عن رجل كان من جبابرة العرب وأهل المخالفة ...فانه تقدمت منه غصوبات وأخذ أموال الناس بالنهب وغيره ..."	.103/4
"سئل علي بن عثمان عن رجل ...خبيث المكسب كثير التخليط ممن يتولى أمور الرعية ويأخذ منهم الخطايا على خبايتهم ويحرث تحت من حكمه من الرعية حوادث مسند لها الأرض..."	109/4، 110
سئل عن والي مات وترك مالا الذي كان يغرمهم الوالي منهم من هو حاضر ومنهم من مات..."	.112/4
"...العرب معلوم وحالهم أنهم يعتدون في انتزاع المال بالباطل ممن يشتكي به إليهم..."	.127/4
"سئل محمد بن مرزوق عن رجل من أعيان القبائل يعطيه السلطان أرضا ينتفع بها بحياتها فعمد لمن تحت ساحته في زمن الحرث فيأخذ لهم زرعا اغتصابا ويأمرهم أن يحرثوا في أرض اغتصابها يقرهم ويكلف العمل فيه على الخماسين..."	.131/4
"سئل أبو الفضل العقباني عن رجل رفع خصمه لحاكم معروف بالظلم والعداء في أموال الناس"	.134/4
سئل الشيخان أبو زيد وموسى بن الإمام عن سلطان ظالم وعامله أو شيخ على قبيلة بفرض فريضة على بلده أو على بعض رعيته من أهل قرية أو بادية أهل الصنعة أو الحراثين من غرامة نقود أو زرع أو تعيين خدمة في بناء أو غيره أو حراسة شيء أو صلب عدد من الوصات يسافرون لبلده وشبه هذا من الوظائف المعتادة في هذا الزمان..."	.128/4
"...ثم جاء هذا العربي وطلب أهل الوطن بزكاة مواشيهم فأخذ عن كل واحد منهم دينار فأخذ من بعضهم أكثر مما طلبه به وأحاله بما شط على غيره من لم يعطيه"	.130/4
سئل أهل الطاغية والحرابة لشمول فسادهم أن خالفوا على الإمام جميع البلاد والعباد وليس لهم في جميعهم السوء إلا استخراج المطامع منه إما عينا أو غرضا يفكونها من يده ويدخلونها في مجابيهم ولهذا لا تجد أحدا منهم إلا وهو يولي بأوامر الملوك المتقدمة..."	.337/4

الجدول رقم9: مظاهر التعسف في فرض الضرائب من خلال نوازل المازوني.

يتبين من خلال الجدول: عملية جمع الجباية رافقتها تجاوزات كثيرة، وتتسم بالخطورة سواء من طرف الجباة أو وسطائهم، فأسلوب **العنف** لم تخلوا منه عملية الجباية عن طريق: التهديد، الضرب، السجن، حتى أنّ منهم من كان يستعمل وسائل للتعنيف كالسياط[2]، وبلغت التجاوزات حدها الأقصى في تقدير قيمة الجباية وطريقة حسابها[3].

[1]-دومنيك فاليريون، ميناء بجاية مغاربي(1067-1510م)، تر: عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، 202/1.

[2]-رسائل موحدية جديدة، تح: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، القنيطرة(المغرب)، 2001، ص242.

[3]-المازوني، الدرر المكنونة، 109/4، 110.

يعتبر الفلاحون، صغار الملاك، والعاملون في الأراضي أكثر المتضررين من الضرائب كونها قيمتها لا تتكيف مع مستوى الإنتاج الاقتصادي، والوضع الاجتماعي للطبقات الضعيفة، مما ينعكس على الإنتاج الفلاحي الذي ظل يعرف انخفاضا وتدهورا[1]، خاصة في ظل استفحال ظاهرة الاضطرابات السياسية وانعدام الأمن.

يظهر من المسائل السابقة أنّ المجال البدوي والريفي عموما اعتبر كمصدر مطيع للجبايات والاستئثار بالمحصول[2]، وغلات الأرض، إما بالغصب أو التعسف في فرض الجباية وجمعها، مما يدفع للجزم أنّ تلك الممارسات غير المدروسة والمجحفة في حق الرعية قد ساهمت في أعمال اللصوصية وقطع الطريق في الفضاء البدوي.

يتضح مما سبق أنّ الفرض المتعسف للضرائب أثّر بشكل واسع على الواقع المالي لمجتمع المغرب الأوسط خاصة تلك الفئات التي ترزح تحت دائرة الفقر، حيث جعلتهم دائما في حالة حاجة مما دفع ببعضهم لممارسة السرقة والتلصُّص، في المقابل أيضا نجد فئات من **الوسط السياسي** استغلت فرض الضرائب لتكوين **ملكيات خاصة**، مع ممارسة نوع آخر من السرقة المتمثل في سرقة أموال الدولة عبر **الاختلاس** الأمر الذي يأتي التفصيل فيه في موضع آخر من هذا البحث.

ثالثا: إفرازات تدني المستوى المعيشي بين فئات المجتمع.

كشفت السياسة المالية وطرق توزيع الضرائب على وجود تباين في ملكية المال وتوزيع الثروة داخل المجتمع والتي أفرزت تراتبية متميزة تحكمت فيها جملة من الظروف، طبيعية (الجاه، نوع النشاط الاقتصادي الممارس...) وأخرى طارئة، فتظهر فئة غنية(ثرية) قد تساهم الظروف الطارئة في ازدياد ثرائها، في مقابل تزيد من فقر الفئة الفقيرة، فيعتبر مؤشر تدني المستوى المعيشي في المجتمع معيار مهم لتتبع **الممارسات العدوانية** التي تتخذها الفئات الفقيرة وسيلة لتحقيق حاجاتها المعيشية اليومية في شكل السرقة والخطف وقطع الطّريق.

يتوقف البحث في استقرار المجتمع بشكل كبير على مدى نجاعة المشاريع الاقتصادية، فالمجتمع الذي تتمتع فيه الرّعية بمستوى معيشي مرتفع يؤثر في سلوكه وطريقة تفكيره مما ينعكس بدوره على المجتمع[3]، وبالرجوع لمجتمع المغرب الأوسط نلاحظ أن مؤشرات الانتعاش الاقتصادي متذبذبة ومرهونة بمجموعة

---

[1]-آمال لدرع، الحركة الصوفية، ص110، سكاكو حورية، التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنين(6-10هـ/12-16م) دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة أبي البكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013، ص83، سهام دحماني، النظام الضريبي، ص458، 459.

[2]-محمد براص، صورة البادية عند الإخباريين المغاربة، الناصري نموذجا، منشور ضمن المجال البدوي المغربي، الخصوصيات والتحولات، منشورات مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية، ط1، المغرب، 2007، ص70.

[3]-أحمد عبد الرزاق عبد العزيز، الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، أطروحة ماجستير، جامعة الزقازيق، مصر، 2011، ص5.

من الظروف منها ما تعلق بقوة السلاطين وسياستهم المالية اتجاه الرعية، تلك السياسة المالية المجحفة التي أدلت بوقعها الشديد على طبقة العامة.

تعد الطبقية الاجتماعية ميزة للعصر الوسيط، عرفتها الدول المركزية بالمغرب الإسلامي حيث تستند إلى مفاهيم الثروة والجاه في ارتقاء سلم التراتبية الاجتماعية، تأرجحت فيه طبقة العامة بين أدنى المراتب، التي تكونت نتيجة فوارق المستوى المعيشي، فأغلب العناصر المكونة لطبقة العامة مستواها المعيشي ضعيف ودخلها محدود[1]، تربطها بالسلطة علاقة ثنائية تجمع بين أداء الواجب العسكري وضرورة دفع الضرائب.

ونتيجة للواقع السياسي غير المستقر وما يفرزه من مظاهر المعاناة الاجتماعية والاقتصادية ظل عامة المجتمع يعانون من مختلف أشكال الإقصاء التي تكس اتساع الهوة بين الطبقات الاجتماعية، وتأكد أنها أكثر متضرر من الحروب وآثار الكوارث الطبيعية سواء كانت في المدينة أو الريف، وتبقى التفسير الأساسي لمظاهر التمرد على الواقع الذي يأخذ شكل السّرقة والتلصُّص والنّهب كلما سمحت الفرصة، وقد عبر Fernand Braudel عن عمق الفروقات الاجتماعية وشموليتها في مجال المتوسط خلال القرنين9هـ/15م و10هـ/16م "**كل شيء كان مستقطبا بين طبقة نبلاء ثرية مكونة بدقة من عائلات قوية وجمهور من الفقراء معدومين وبؤساء، حشرات بشرية ولا شيء يرضيهم حتى صدقات الكاثوليك لنهاية القرن، هذه المأساة ضربت إيطاليا، اسبانيا، وفرنسا، وبلاد الاسلام، هذه الأزمة أعطت ألوانها المتناقضة لحياة البشر**"[2]، وتحديد المظاهر الاجتماعية التي أفرزها التباين في توزيع المال والجاه حصرناها في النقاط الآتية:

1-**الفقر:** يعد الفقر ظاهرة **سوسيواقتصادية**، وهي ظاهرة ليست غريبة عن المجتمعات، إذ يعتبر من المشاكل الاقتصادية وعيبا اجتماعيا ملازما للمجتمعات الطبقية[3].

وبالعودة إلى مفهوم الفقر[4] نجده يحيل إلى الفقير الذي لا يكسب قوت يومه وقد حددته كتب الفقه في الشخص الذي تجب فيه الصدقة والزكاة[1]، حيث يصنف الفقراء ممن لا قوت لهم ولا ملجأ لهم، وقد

---

[1]-زاير أبو الدهاج، العقيدة والدولة في المغرب الوسيط فلسفة السلطة وحركة التاريخ، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2013/2012، ص175.

[2]-*Misère et banditisme*, op.cit, p141.

[3]- محمد استيتو، الفقراء في المغرب نماذج من القرنين 16و17م، منشورات الزمن، المغرب، 2006، ص4.

[4]-يعتبر مصطلح الفقر من المعاني الفضفاضة والتي تحمل ضبابية كبيرة في المصادر الوسيطية، الكراي القسنطيني، الفقر والفقراء في تونس(1945-1948)، نشر ضمن المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص535، صليحة مقاوسي، **الفقر الحضري أسبابه وأنماطه**، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2007، ص26، نتيجة لهذه الطبيعة الهلامية لمصطلح نجد أنه يحمل طبيعة اختيارية وهذا ما يقدمه المفهوم الصوفي حيث يشير إلى الزهد والتعفف والتقشف في سلك المراتب الصوفية، ما توضحه المصنفات المنقبية منها كتاب **إحياء علوم الدين** لأبي حامد الغزالي(505هـ/1058م)، وعليه لم يقتصر الفقر على المفهوم الاجتماعي وإنما يعد أنموذج ديني يختار فيه المريدين الفقر طوعا في شكل تمييز بين الغنى المادي والفقر الروحي الذي تبقى فيه ذهنية العامة متذبذبة بين المقدس والمدنس، للاطلاع أكثر راجع: العيد غزالة، **الفقراء والمهشمون بإفريقية في العهد الحفصي**، الدار المتوسطية للنشر، ط1، تونس، 1021، ص48، 71.

كانت تعج بهم المدن والأرياف، وقد وصف الغبريني حالهم في بجاية[2] و أشار إليهم **صاحب البستان** في تلمسان[3]، وتهتم المصادر بذكرهم في معرض وصفها لحالة السلاطين في حركتهم أين تكثر أعطياتهم في بدية سلطانهم لكسب ودهم وولاء العامة فيغدقون عليهم بالأعطيات من الطعام والشراب والملبس منها أعمال السلطان المريني أبو العنان(729-759هـ/1328-1357م) في حركته لقسنطينة وبجاية 758هـ/1356م حيث "**أمر أن يعمل بفوائد تلك الأحباس طعام لظاعن والمقيم من الناس وأن توسع معايش المساكين أولي الإفلاس والضعفاء الذين لجئوا إلى الملك العظيم...وأمر أن يصدق جميعه على الضعفاء من أهل قسنطينة والمساكين**"[4]،وكان حال السلطان أب الحسن المريني من بعده مع أهل تلمسان في حركته إليها إذ اجتهد في بذل العطاء لهم وتوفير ما يحتاجونه "**...أعطى لضعفاء أهل تلمسان اثنا عشر ألف دينار واثنا عشر ألف كساء ومن الطعام مطامير لا تحصى كثرة** "[5].

وعليه الفقر من الناحية الاجتماعية (la pauvreté sociale) يعرف على أنه حالة العجز عن الإتيان بالقوت وعدم قدرة الفرد في الحصول على الحد الأدنى من مستويات العيش فهو حالة الحرمان المادي في درجتها الدنيا[6] أنتجته عدم المساواة الاجتماعية[7]، يضاف لها التحولات الاقتصادية التي يشهدها المجتمع خاصة في آخر الدولة حيث تستفحل الفوارق بين طبقات المجتمع، فتعرف الطبقة الخاصة مختلف مظاهر البذخ والترف[8] في حين تقبع العامة في مظاهر الغلاء والتدهور المعيشي حين تنتهي الفترات الذهبية للحكم تفتح الباب على مصراعيه أمام الأزمات التي تعود لتلقي بثقلها على عامة المجتمع[9].

---

[1]-زين العابدين زيروخ، الفقراء والسلطة بالمغرب خلال الحكم السعدي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1، الجزائر، 2021، مج22، ع1، ص47، العيد الغزالة، المرجع السابق، ص49.

[2]- عنوان الدراية، ص126، 148.

[3]-ابن مريم، ص35، 306.

[4]-النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ص171.

[5]-ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص192،193.

[6]-مسعود بريكة، الفضاء الثقافي لبجاية دراسة سوسيولوجية في تركيبة الوسط العلمي للبجائيين النصف الثاني من القرن6-10هـ/12-16م، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص335، تتبع مصطلح الفقر والدلالات المقاربة له يحيل إلى بعض المصطلحات المقاربة لكنها تحتوي فورقات منها الفاقة، الإملاق، العوز، الاحتياج، المعدم والمسكين، هذا الأخير الذي يعد فيه الفقر أحسن حالا منه لأنه قد يجد بُلغَة عيش بخلاف المسكين، الكراي القسنطيني، **الفقر والفقراء**، ص540، والتمييز بين الفقير يشبه التفريق بين الفقر المطلق(المدقع)، والفقر النسبي، إذ يرتبط الأول بالجوع والحرمان من الوصول إلى ما يسد حاجته للمواد الأساسية في حين أنّ الثاني يمثل البؤس وشدة الفقر يفتقد فيها للسكنى والطعام وحاجات أساسية أخرى، راجع أكثر: صليحة مقاوسي، **الفقر الحضري**، ص27.

[7]-المرجع نفسه، ص29.

[8]-إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص189، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، ط1، مصر، 1995، ص163.

[9]-إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري، ص164.

بالعودة للدراسات التي ناقشت ظاهرة الفقر وأحوال الفقراء لا تكاد نستثني منها دراسة إلا وجعلت من وضع الحاجة والمعاناة في تحقيق المعاش اليومي سبب مباشر في تصاعد منحى الجريمة في المغرب الإسلامي[1]، رغم أن منطلقات بحوثهم اختلفت بين التفسيرات الأخلاقية والاقتصادية وأخرى نفسية[2]، لكن ما يهم في هذا السياق عمق الربط بين مؤشر اللّصوصية والفقر؛ خاصة وأنّ بعضهم جعل من اللّصوص صنف من أصناف الفقراء والمعوزين لكثرة الارتباط بينهما[3]، حيث ركن بعض من أرهقه الفقر إلى سد حاجاته عن طريق السّرقة والاعتداء على ما في يد الغير[4]، فالجوع يبيح أخذ مال الغير[5]، إذ غالبا ما تنعكس هذه الوضعية على صاحبها صحيا وتعليميا ونفسيا مما تجعله يتصرف بعنف أو يستعمل طرق غير شرعية في الكسب[6]، فالفقراء الذين فقدوا أي أمل في التفوق الاجتماعي[7] آثروا الانحراف الأخلاقي وسلوك طريق الرذيلة وهذا ما تؤكده النصوص المصدرية التي ربطت بين ظاهرة الفقر والسلوك العدواني:

الرقم	النص المصدري.	المصدر
1	ورحلت من بلادهم طرابلس بلاد خوف وجوع.	ابن المدجن، ص104.
2	تسكن الهدج صحراء مجاورة لتلمسان تدعى أنكاد ليس لهم ممتلكات ولا إعانات ولا يعيشون إلا على القتل والنهب.	حسن الوزان، وصف افريقيا،63/1.
3	عروة بضواحي مستغانم فهم وحوش ولصوص يرتدون أرذل لباس...ولا إعانة مالية لهم.	نفسه، 51/1.
4	والرعاة سواء منهم سكان الجبال وسكان السهول يعيشون معيشة ضنكا ويبقون في بؤس وخصاصة على الدوام وهم حفاة ولصوص وجهال لا يردون ما اقترضوه من مال.	نفسه، 88/1.
5	قبائل ديلم يعيشون في صحراء ليبيا مع الصنهاجيين الأفارقة وحيث أنهم لا يملكون شيئا خاصا بهم ولا يمكنهم الحصول على إتاوة من أحد، لذلك فإنهم يعيشون عيشة بائسة كاللصوص أشرار.	مرمول كربخال، إفريقيا، 107/1.

[1]- راجع الدراسات التالية: محمد استيتو، الفقراء في المغرب نماذج من القرنين 16مو17م، بختة خليلي، الفقر بالمغرب الإسلامي، بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية، العيد غزالة، الفقراء والمهمشون بإفريقية في العهد الحفصي.

[2]-تفسر ظاهرة الإجرام عموما بمعطى نفسي أيضا مستمد من طرح عالم النفس النمساوي الشهير سيغموند فرويد، العوامل النفسية التي تتكون خلال مرحلة الطفولة المبكرة نتيجة لعلاقات خاصة والتصرفات المتبادلة داخل الأسرة، إذ تبقى رواسب هذه الحوادث عالقة بشخصية الفرد أو تنغرز جذورها في حياته العاطفية وتصبح دافعا لا شعوريا لسلوكه وتصرفاته، فالجريمة هي تعبير عن طاقة غريزية لم تجد لها مخرجا اجتماعيا فأدت إلى سلوك لا يتفق والأوضاع التي يسمح بها المجتمع، لكن الأخذ بها مستقلة حسب أحد الباحثين المصريين العوامل الاجتماعية التي تفد من الخارج وتتفاعل مع المكونات الفردية لتكوين الشخصية، **راجع:** بدر الدين علي، **الجريمة والمجتمع**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص28، 29.

[3]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر، 2002، 225/1، إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري، ص161.

[4]- رضا بن النية، أشراف المغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633-962هـ/1236-1555م)، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2018/2017، ص414، 415.

[5]-ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، دار السلام، ط1، مصر، 2008، 601/2.

[6]-بريكة مسعود، الفضاء الثقافي في بجاية، ص335.

[7]-محمد الناجي، الجند والخدم، ص138، Panos Sophoulis, op.cit, p1

6	أعراب صحراء برقة بين بلاد البربر ومصر فقراء بؤساء لطبيعة المنطقة القاحلة والجافة...وهؤلاء القوم هم أكبر لصوص العالم لأنهم يسلبون كل من تمكنوا منهم...وبدى عليهم الشحوب من قلة التغذية.	نفسه، 112/1.

الجدول رقم10: علاقة ممارسة اللّصوصية بظاهرة الفقر من خلال وصف إفريقيا للوزان.

***التعليق والتحليل:**

-قبل تحليل معطيات الجدول يجب الإشارة أنه في خضم جمع النصوص المتعلقة بالفقر تنبهنا إلى أنّ الفقر المنتشر ببلاد المغرب مرتبط بمعطيات طبيعية يفرزها المجال، فطبيعة الإنتاج الذي تفرضه الأرض والمناخ هو ما دفع بعض السكان لدائرة الفقر، فأهل بسكرة مثلا فقراء لأنّ أرضهم لا تنتج غير التمر[1]، وفي شق آخر تأتي معطيات متعلقة بسياسة الدولة اتجاه الرعية حيث تكون الضرائب والإتاوات المفروضة عليهم سبب في ارتفاع معدل الفقر فكثير من أرياف المغرب الأوسط يتشدد الأعراب المجاورون لهم في جمع الضرائب خاصة على الضعفاء منهم فيزيدون من فقرهم وسوء حالهم، الوضع الذي عرفه أهل مازونة فجميعهم فقراء لأن الأعراب يثقلون كاهلهم بالإتاوات[2]، هذا ما يمكن أن نصطلح عليه **"صناعة الفقر"** من طرف الدولة مما يدفعنا بقبول طرح بروديل أن **"المدن البائسة هي المنتجة للّصُوص"**[3]، بمعنى أنّ المجالات التي تهملها الدولة وتتغافل عن واقعها الاجتماعي تتحول لمجالات فقيرة تكثر فيها مظاهر الانحراف الأخلاقي.

-ثنائية الفقر والثراء حاضرة في المصادر الجغرافية في وصفها للمدن والأرياف وذكر أحوال الإنتاج، فسكان المدية أثرياء[4] وسكان إقليم بني راشد من أهل الريف يعيشون تحت الخيام معتنين بماشيتهم ولهم عدد وافر من الجمال والخيل وهم أثرياء جدا يؤدون بعض الإتاوات إلى ملك تلمسان[5] في حين وصف سكان تبحيرت بالفقراء لا يقتاتون إلا من الشعير والدخن[6]، ومن المدن من تحول حالها من الغنى إلى الفقر حال بجاية التي وصفها ابن المدجن في القرن 8هـ/14م بالثراء "مدينة كافية بنفسها عن غيرها وأهلها يكادون يبطرون من الشبع"[7] لكنها على عهد الوزان تحولت للفقر[8]، في المقابل نجد بعضها استمرت وضعية الفقر فيه وكانت ملازمة له كمدينة المسيلة التي بقي الفقر سمة غالبة لأهلها[9].

---

[1]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 138/2.

[2]-المصدر نفسه، 36/2، راجع **ملحق رقم5:** جدول يبين علاقة طبيعة الفقر التي يعاني منها المجتمع في المغرب الأوسط.

[3]-Fernand Braudel, *Misère et banditisme*, op.cit, p135-136.

[4]-حسن الوزان، المصدر السابق، 41/2.

[5]-المصدر نفسه، 26/2.

[6]-المصدر نفسه، 15/2، مرمول كربخال، إفريقيا، 296/2.

[7]-أنساب الأخيار، ص102، 103.

[8]-حسن الوزان، المصدر السابق، 52/2.

[9]-المصدر نفسه، 52/2، مرمول كربخال، المصدر السابق، 381/2.

-بالرجوع لمعطيات الجدول نجد أنّ الفقراء كانوا يعيشون ظروف مزرية وصعبة عبرت عليها صفات البؤس الفاقة، الخصاصة، الذل، وقد يكون سبب في تفسير لجؤها للسّلب والنّهب وقطع الطّريق.

-اللّصوصية في ارتباطها بالمعيار المادي على ثلاثة أوجه هناك من يسرق عن حاجة بسبب فقره وعوزه المادي، وسرقته في هذه الحالة مؤقتة قد تنقطع إذا ما غاب سببها، أو أنّها تكون مناسباتية، يعني يسرق عندما يحتاج فقط، وتكون دائمة مستمرة في شكل مهنة أو حرفة، وفي شقها الثالث تكون رد فعل اجتماعي يمكن الاصطلاح عليه "**التمرد الاجتماعي**"، وهذا ما يأتي تفصليه في النقاط التالية:

أ-لصوصية الضرورة: تدفعها الضرورة لتحقيق حالة الجوع الآنية فتلك السرقات البسيطة(تافهة في نظر البعض) التي تدفعها الخصاصة خاصة إذا تزامنت مع انتشار المجاعات والكوارث الطبيعية والفتن السياسية[1]، فالمشاركين في الأعمال الإجرامية أجبرتهم الحاجة لقطع الطّرق[2]، وضعية معبرة عن واقع اجتماعي يرزح أفراده في دائرة الفوارق الاجتماعية التي تدفع به حالة الجوع وانعدام الغذاء لأخذه من يد غيرهم بالسّرقة والخطف، فالسّرقة هنا ليست غاية بل رد فعل على حالة الفقر وعدم القدرة على مدافعة الضغوطات التي يعيشها، وأكثر من يقوم بها من يصنفون ضمن أصحاب السّرقات الفردية، أفعال النهب في هذا السياق كانت ترتكب يوميا من أجل الحصول على لقمة العيش[3]، وتجدر الإشارة أنّه ليس كلّ فقير لصّ، أو كل لصّ فقير ذلك أنه كما يوجد من دفعتهم الحاجة للسرقة وبعض جعلوا من السرقة مهنة لهم رغم أنهم يصنفون من ميسوري الحال[4].

ب-اللّصوصية كمهنة: أهم خاصية لهذا النوع أنّ أصحابها قد لجئوا إليها كسبيل لمجاراة أهل السلطة والحصول على محاباة ذوي الجاه[5]،ينتظم أصحابها في مجموعات تعمل على مستوى أكثر مهنية تتكون في كثير من الأحيان من رجال ذوي مكانة اجتماعية[6]، وأشارت لهم النصوص بأن اللّصوصية بالنسبة لهم مهنة يتعيشون منها[7] وحرفة نشئوا عليها خلفا عن سلف[8]، يمتهنون التلصُّص لارتقاء نحو سلم السلطة، حيث يمارسها اللّصوص كأسلوب عيش اختاروه لأنفسهم هدفهم الرئيس الاستيلاء على ما في أيدي الناس، وربما ما يسلبونه في بعض غارتهم قد يكفيهم الدهر كله، رغم ذلك فإنهم لا يتوانون عن السرقة كلما أتيحت لهم الظروف ذلك، ومن ثم فهم يسرقون عن مهنة اتخذوها نشاط شبه دائم لهم ينشط فيها أصحاب اللّصوصية المنظمة من قطّاع الطّرق خاصة.

---

[1]-ابن حوقل، صورة الأرض، ص93، محمد الناجي، الجند والخدام، ص154، أحمد عبد الرزاق عبد العزيز، الفقراء في القاهرة، ص3.

[2]-Panos Sophoulis, *Banditry in The Medieval*, op.cit, p116.

[3]-Antonin plarier, *le banditisme rural*, op.cit, p156.

[4]-بختة خليلي، الفقر بالمغرب الإسلامي، ص238.

[5]- محمد الناجي، الجند والخدم والسراي، ص160.

[6]-Panos Sophoulis, op.cit, p116.

[7]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 11/2.

[8]-الونشريسي، المعيار، 437/2.

ج-اللّصوصية كتمرد اجتماعي: بالرجوع إلى الوضع الاجتماعي للفقراء وتخبطهم في وسط تقل فيه أدنى شروط العيش إذ لا يملكون لا قوت ولا ملجأ[1]، لا نستبعد أنّ ظاهرة اللّصوصية والسرقة مجرد رد فعل ضد واقعهم الاجتماعي المزري فلا يخفى علينا أنّ هذه الفئة كانت ترزح تحت وطأة الفقر في ظل مجتمع كانت له مسوغاته الطبقية في تصنيف فئاته الاجتماعية المختلفة[2]، فيأخذ التلصُّص وسيلة غير مباشرة لإثارة انتباه الآخرين إليهم، عبر أخذ مال غيرهم، كرد فعل من هؤلاء الفقراء على فساد النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة، وانتقاما من الدول والحكومات المدافعة عن تلك النظم[3]، في شكل انتفاضة حول الظروف غير السلمية كاتساع الفروقات بين الفئات البائسة والأقليات[4]، يفسرها أنّ أثر المستهدفين من اللّصُوص في سرقاتهم الملاك الكبار من أصحاب الأجنة والأثرياء وأرباب المواشي[5]، فهم طوائف تقتص من الهيئة السياسية والاجتماعية عن طريق لصوصية السيف أو العقل، وبمقدورهم تهييج العامة عند الضرورة بشكل جماعي[6]، وهذا مثال واقعي ينطبق عليه مفهوم اللّص النبيل أو اللّصوصية الاجتماعية حسب مفهوم هوبس باوم الذي تطرقنا له قبلا في الفصل النظري.

لا يتوقف الفقر عن كونه معطى **سوسيواقتصادي** في تفسير اللجوء للسرقة والتلصُّص بل يعد دافع نفسي عميق كون الشعور بالحرمان في نفس اللصّ يدفعه للسّرقة لسد حاجته لأنّ المجتمع حرمه من أبسط ما يتمتع به الفرد، فيسرق انتقاما من مجتمع يسوده الظلم[7]، فتتحول السّرقة لمحفز لإشباع الرغبات النفسية بإبراز مظهر القوة لتحقيق ذاته[8].

تتجلى الآثار السلبية للفقر في ظهور عقد نفسية تسمى **"عقدة الفقر"**، التي تتكون نتيجة الإحساس بالفقر[9]، ونظرة المجتمع للفقر والفقراء حيث يصنف على أنه عيب اجتماعي ينبع منه الإحساس بالمذلة والهوان، واعتبر عند العامة والخاصة أمرا مرفوضا[10]، رسخت في الأذهان صورة المذلة والفقر وزادت من ترسيخ تلك العقد التي يعتبر السلوك العدواني متنفس لها خاصة في ظل غياب المؤطرات الأخلاقية التي تكيف سلوك الفرد، فعدم الرضا كشعور نفسي يدفع بصاحبه للحصول على ما يرفعه من مقام الاحتقار

---

[1]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة بالمغرب، ص24.

[2]-بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية في الأندلس، ص177.

[3]-محمد استيتو، الفقر والفقراء، ص85، Fernand Braudel, op.cit, p134

[4]-عبد العزيز التمسماني خلوق، الظروف العامة للّصوصية في مغرب القرن التاسع عشر ومشكلة الأمن بطنجة، مجلة دار النيابة، السنة الأولى، المغرب، 1984، ص27.

[5]-إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص190.

[6]-أحمد عبد الرزاق عبد العزيز، الفقراء في القاهرة، ص97.

[7]-هبة الله علي الحسين، أخبار اللّصوص، ص65.

[8]-محمد نبيل الطرفي، ديوان اللّصوص، 14/1.

[9]-هبة الله علي الحسين، المرجع السابق، ص65.

[10]-العيد غزالة، الفقراء والمهمشون، ص71.

والذل إلى مصاف أصحاب الجاه والثراء وإن كانت الوسيلة غير مشروعة، وهذا ما يفسر اعتماد بعضهم على السرقة وقطع الطّرق.

2-التسول: تصنف ظاهرة التسول على أنها إفراز للأزمات الاقتصادية واجتماعية التي تعيشها الدولة وانعكاس للتمايز الاجتماعي الذي تمخض عنه بروز تناقضات اجتماعية وقطاعات غير قادرة على تحصيل عيشها وعاجزة عن الاندماج في عملية الإنتاج[1]، فتلجأ للاستجداء والاستعطاء أي طلب الأعطية[2]، مارسها أفراد أو أسر إما للحاجة الشديدة أو هربا من مسؤوليات الحياة، فهم طاقة بشرية غير منتجة ويعتبر سلوكهم في ذهنية المجتمع منحرف ومكروه في الشرع[3]، بانتماء هذه الشريحة الاجتماعية لفئة الفقراء فإنّ الحاجة هي التي حركتهم للسؤال في الأماكن العامة بخاصة أيام الأعياد لاستدرار عطف الناس[4]، وفي الغالب ما يكون الاستجداء مرافقا للأوضاع الاستثنائية التي تفرضها الطبيعة كمجاعات والأوبئة فيمارس الفقراء التسول ومنهم من يدعي الفقر كمبرر لسلوكه، وهذا ما ستنكره الفقهاء ونبهوا إليه وجعلوه في باب التّحايل في التكسب والاستكثار من الأموال[5]، يبدو أنّ بعضهم كان يستغل غفلة الناس للسّرقة وأخذ أموالهم في المساجد والطرقات والأسواق، فالملاحظ أنّ هذه الأماكن التي يتوزع فيها المتسولون[6] تنشط فيها السّرقة أيضا، في حين يعتبر بعض الدارسين أنّ أهل الحرابة والتسول يصنفون ضمن مجموع المهمشين الذين اختاروا هذا النوع من العمل كوسيلة للاسترزاق وجعلوا من ظروف الاقتصادية والاجتماعية من الإقصاء والتهميش عذرا لامتهانهم هذه الأعمال غير أخلاقية بترويعهم للناس[7].

إذا كانت ذهنية بعض المتسولين من الفقراء تقوم على طبيعة التواكلية، التواكل في تحصيل الرزق من خلال ادعاء الفقر واللجوء للتسول فإنّ هذا قد يكون مبررا للجوئهم للعدوان بالأخذ والخطف.

3-اختلال الأجور (أجراء وفقراء): تحكم نمط النشاط الاقتصادي وطبيعة الوظائف والمهن في المستوى المعيشي من خلال الأجور التي يحصلون عليها، وموضوع الأجور يقودنا ضمنيا للحديث عن العمل المؤجر ويبدو أنّ المنتفعين من الأموال والنقود الرائجة هم السلاطين وعائلاتهم وجندهم ففئة كبار الجند في كل من بجاية وتلمسان فترة ما بعد الموحدين تمتعت بمستوى معيشي رفيع من حيث قيمة الدخل

---

[1]-إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري، ص164، العيد غزالة، الفقراء والمهمشون، ص112، 113.

[2]-نفسه، ص113.

[3]-بخته خليلي، الفقر بالمغرب الإسلامي، ص238.

[4]-ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص24، المازوني، الدرر المكنونة، 379/5، عبد الرزاق عبد العزيز، الفقراء في القاهرة، ص95.

[5]-الدلائي، مسألة في كثرة السؤال زمن المسغبة، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، رقم 342/6، و/3و.

[6]-إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري، ص172.

[7]-العيد غزالة، الفقراء والمهمشون، ص118.

يتشارك فيها الأعطيات والهبات والراتب[1]، يضاف لهم من الأشخاص الذين يحصلون على رواتب محددة من طرف السلطان أو بواسطة بعض الأحباس[2]، قد تكون ثابتة بقيمة مالية أو عينية كجزء من العمل الذي يزاولونه يصنفون كمنتجين في حين ينظر للشرائح الفقيرة أنها لا تملك دور في عملية الإنتاج وهو سبب إقصاءهم من الخارطة الاجتماعية، لكونها تشكل عبئا ثقيلا على كاهل السلطة[3]، رغم أنّ المهن التي يشغلونها ذات أهمية اقتصادية إلا أنها توصف بالنشاطات الحقيرة والأعمال الخسيسة لا يعكس الأجر فيها ضخامة الجهد المبذول، فالأجور المعمول بها في الطبقات السفلى أقل بكثير وضئيلة[4] لا تحقق الحد الأدنى من الأساسيات اليومية من مأكل وملبس، وهكذا يبدو أنّ المهن النفيسة هي التي تتسبب في الإثراء السريع أما المهن الخسيسة فهي التي تمتاز بالتعب والشقاء وقلة المردود[5].

نلاحظ منهم صغار الفلاحين، الرعاة، والبنائين فهم فقراء[6]، يضاف لهم الطلبة في تلمسان حسب حسن الوزان الذي يؤكد من خلال لباسهم حالتهم الاجتماعية **"والطلبة أفقر الناس لأنهم يعيشون عيشة بئيسة في مدارسهم"**[7]، ويعاني الزبالون والسقاء الذي يبيع الماء بأزقة المدينة، والحطاب الذي يجمع الحطب ويبيعه[8] من سوء أحوالهم، وفي سوق معسكر وردت إشارة أنّ الحمالين بسوقها مشهورين بالسّرقة[9]، وضعية وصفها المشرف على المدينة **"لأنها مهنة وضيعة وشاقة...فإنهم يسرقون دائما لأنّ كافة البغالين ببلادنا تعودوا على ذلك منذ طفولتهم"**[10]، عدم توفير هذه المهنة لحاجات أصحابها دفعتهم لممارسة السّرقة في الأسواق.

4-الفقر الروحي الفراغ الروحي: لا يتوقف الفقر على الفقر المادي بل دائرته واسعة حيث نجد الفقر المعنوي حيث تفتقد فيه فئات المجتمع للوازع الديني مما يحفز سلوكها الانحرافي الذي ينشط نتيجة لانشغال السلطة عن وضع المجتمع وغياب رقابة الفقهاء، مع تعاظم الشعور بخيبة الأمل لدى الكثير[11] من عامة المجتمع فيتجهون إلى بدائل لوضعهم المزري؛ يأتي في مقدمتها الانحراف الأخلاقي عن طريق الزنا،

---

[1]-سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588-927هـ/1192-1520م)، أطروحة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009/2008، ص50.

[2]-إبراهيم جدلة، المجتمع الحضري فإفريقية في العهد الحفصي، طبع مطبعة قطيف، قفصة، 2010، ص102.

[3]-إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري، ص161.

[4]-إبراهيم جدلة، المجتمع الحضري، ص102.

[5]-المرجع نفسه، ص224.

[6]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 44/2.

[7] -المصدر نفسه، 21/2.

[8]-إبراهيم جدلة، المجتمع الحضري، ص223.

[9]-حسن الوزان، المصدر السابق، 27/2.

[10]-المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[11]- محمد جنبوبي، الأولياء في المغرب، منشورات كنال أوجوردوي، المغرب، 2004، ص 39.

شرب الخمر، والسرقة، يصاحبها أيضا تعاطي مواد مُسكِرة أخرى كالحشيش، هاته الأخيرة كانت ظاهرة منتشرة في بجاية 698هـ /1298م مارستها فئة يتصف أهلها بالدعارة والفسوق[1]، بل تجاوز الأمر نمن تعاطيها إلى المتاجرة بها، ما اشتهر عن تجار قسنطينة في قوافلهم المتجهة نحو نوميديا[2].

وفي محاولة لسد الحاجات اليومية اتجه الفقراء إلى السرقة، سواء من البيوت أو البساتين واقع عبرت عنه النصوص المنقبية، فيظهر محمد بن أحمد بن الشريف المليتي(985هـ/1577م) أنه اختص بمراقبة وردع هؤلاء السراق[3]، ويتعرض ابن مرزوق(ت871هـ/1466م) إلى سّراق كثيرين ويكون سبب في هدايتهم[4]، فالناس أصبحوا لا يثقون في قدرة الدولة على تلبية متطلباتهم[5]، واقع يعكس أزمة الثقة بين السلطة والعامة.

نافلة القول غياب الأمن والاستقرار السياسي عطل عجلة الاقتصاد في ظل التفاوت الطبقي الذي أفرز بدوره تراتبية اجتماعية، أحست فيها الطبقة المعدومة بظلم نفسي واجتماعي واقتصادي؛ انجرت عنه أزمة أخلاقية أدت إلى فساد كلي عبر عن الفراغ بين هرم السلطة وقاعدته، جسدته الفئات المتضررة بسلوك العدوان.

رابعا-أثر المجال في نشاط سلوك التلصُّص:

1-جغرافيا المكان والعمل اللّصّي:

في تقسيمه للأقاليم المعمورة من الأرض ركزّ ابن خلدون على العوامل البيئية ومدى تأثيرها في سكان الأقاليم من حيث الشعور(الفرح، الحزن، الانبساط)، والسلوك(التقشف، طبيعة العمل، الانحراف)، مبينا في ذلك الاختلافات الطبيعية والطارئة التي تميز النطاقات الحارة، المعتدلة، والباردة، وخصائصها من جانب الأخلاق والطبائع في ثنائية بين المعتدل والمنحرف "...وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة **المتوسطة** مخصوصة **الاعتدال**، وسكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا...ويتصرفون في معاملاتهم بالنقدين العزيزين **ويبعدون عن الانحراف** في عامة أحوالهم...وأما **الأقاليم البعيدة** من الاعتدال...أنّهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا بلادهم وأدمها غريبة التكوين مائلة إلى **الانحراف**"[6].

---

[1]-ابن الطواح، سبك المقال في فك العقال، تح: محمد سعود جبران، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، ط2، طرابلس، 2008، ص247،284.

[2]-حسن الوزان، المصدر السابق، 59/2.

[3]-ابن مريم، البستان، ص 271.

[4]-ابن مرزوق المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008، ص 163،164.

[5]-عبد الجليل قريان، التعليم في تلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص206.

[6]-ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد رجب، ص68، 69. في الفترة المعاصرة تفرعت الجغرافيا إلى فروع عديدة منها الجغرافيا الاجتماعية التي تستند إلى الأقاليم الموجودة على سطح الأرض بناءً على ما تشترك فيه من ظواهر اجتماعية معينة، يتم التركيز فيها على الأنماط المكانية: التوزيع الجغرافي للظواهر الاجتماعية كمعيار لتحديد الأقاليم الجغرافية، ليست دراسة منهجية للمجتمع ونسبته إلى البيئة إنما تحليل لأسباب الاختلاف الاجتماعي وعلاقتها بالعوامل الجغرافية الأخرى، هي امتداد جغرافي يربط المعطيات والمشكلات الاجتماعية لتفسيرها في ضوء البيئة المكانية التي

يتأسس الطرح الخلدوني في تحليل طبائع العمران على علاقة الإنسان والبيئة مع التأكيد على أثر البيئة على التكوين النفسي والفكري للإنسان[1]، فالموقع الجغرافي يسمح بتحديد المناخ والتربة والنباتات والثروات الطبيعية، الأمر الذي يساهم في خلق أنماط سلوكية مختلفة، كما أنه يساهم في تشكيل ملامح الشخصية الإنسانية وتحديدها في كل إقليم جغرافي بحسب موقع ذلك الإقليم[2]، وبالتالي تساهم البيئة الجغرافية في تحفيز سلوك الانحراف وممارسة الجريمة، يتجاوز فيها الطرح الخلدوني التفسير الديني والأخلاقي إلى ما اصطلح عليه بـ"**الحتمية المناخية**"[3]، ويضاف إليها ما يطرأ على شؤون المعاش وطبائع العمران من مقتضيات الاقتصاد، السلطة والثقافة[4].

إذا كان ابن خلدون قد صاغ نظريته في القرن8هـ/14م حول العمران البشري والاجتماع الإنساني فإنه لا يمكن تجاوز استفادته من طروحات سابقيه من الجغرافيين الوصفيين في صياغتها، ذلك أنّ المعرفة الجغرافية عندهم تقوم على الوعي بالمكان ليس لمجرد الوصف التأملي للوصول لحقيقة الكون ووجود الله، بقدر ما كان وصفا للمجتمع في حركته للكشف عن سبل انتظامه ومختلف الظواهر الاجتماعية التي تشدّه وتؤثر فيه[5]، لذلك تعد كتب المسالك والممالك ، وكذا الأنواء من أهم المصادر التي تشرح العلاقة بين البيئة والنهب وازدياد معدله، من خلال التدقيق في طبائع المعاش ومختلف علاقات البشر بمحيطهم الطبيعي وكذا الاجتماعي[6]، فبينوا أثر المناخ والأرض في المنتجات ومختلف الأنشطة الاقتصادية وفي حياة التأنس في المدن والأمصار والقصبات[7]، وبذلك يحيل موضوع الأخلاق والمعاش والجريمة على

حدثت فيه، معالجة بذلك أثر المكان على المشكلة أو الظاهرة، راجع أكثر: مضر خليل العمرو ومحمد أحمد عقلة المومني، **جغرافية المشكلات الاجتماعية**، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1999، ص16، 17، بركات النمر المهيرات، **جغرافيا الجريمة(علم الإجرام الكارتوجرافي)**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2000، ص47-50، هذا الطرح هو امتداد لأفكار دعاة التاريخ الجديد على رأسهم بروديل الذي ادعى في سياق البحث في تاريخ المتوسط المناخ وتغيراته الملاحة والموانئ، الهضاب، والسهول استصلاحا وزراعة والجبال، بهجرات البشر إليها وامتناعها عن السيطرة، البداوة والانتجاع، شبكات الطرق...صحيح أنّ هذه المستويات من الظواهر كانت تدرس بصورة متمايزة وكلا على حدة، ولكن الدراسة كما يدعو إليها بروديل يجب أن تكشف عن حقل التقاطع والتمفصل بينها، جاك لوغوف، **التاريخ المفتت**، ص213.

[1]-مضر خليل العمرو، جغرافية المشكلات الاجتماعية، ص13.

[2]-حسين عليوى ناصر الزيادي، جغرافية الجريمة مبادئ وأسس، دار الحصاد، ط1، دمشق، 2015، ص157.

[3]-الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، المغرب، 2002، ص18.

[4]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص68.

[5]-لطفي دبيش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية-قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالة والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس هجري، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2011، ص358.

[6]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص 66، لطفي عيسى، المرجع السابق، ص359.

[7]-لطفي عيسى، المرجع نفسه، ص363.

مبحث أصيل في الفكر الإسلامي ببلاد المغرب والأندلس باعتباره جزءا من العقل الأخلاقي العربي الـــذي يتأسس على نظام القيم وليس على النظام المعرفي[1].

وفي محاولة لرصد ظاهرة اللّصوصية نلاحظ أنّ الظاهرة عُرفت بها مجالات جغرافية دون غيرها، وعليه فالبيئة الجغرافية تحمل توزيعا متباينا للسلوك الانحرافي والإجرامي، فإذا كان السطح يؤثر علـــى معـــدلات الجريمة بشكل مباشر أو غير مباشر[2]، فالبيئة الجغرافية غير المتساوية من حيث الخصب واتساع المجـــالات الصحراوية والجبلية ساهم في نشوء اللّصوصية، انعكست فيها صعوبة البيئة على تصرفات قاطنيهـــا وبنـــاء شخصياتهم، وطبائعهم التي ترتكز على مبدأ القوة والصلابة، وحتى حب العنـــف والعدوانيـــة[3] في بنـــاء العلاقات الاجتماعية، فاللّص يتفاعل مع وسطه البيئي[4] بنفس الطريقة التي يتفاعل بها مع واقعه السياســـي، الاجتماعي كما سبق ذكره، يمكن توضيح العلاقة بين التلصُّص والمجال الجغرافي مـــن خـــلال معطيـــات الجدول التالي:

الرقم	النص	طبيعة المجال	المصدر
1	ولما انتهينا إلى **المفازة** في طريق تلمسان وجدنا طريقها منقطعـــا مخوفـــا، لا تسلكه الجموع الوافرة إلا على حذر واستعداد.	مفازة	العبدري، الرحلة المغربية، ص45.
2	حتى قطع بنا تلك **المفاوز** واكتسينا برود الأمن بعد تلك المفاوز.	مفازة	نفسه، ص74.
3	**مفازة** التي في طريقها الى رباط تازة...وهي **منقطعة موحشة** لا تخلـــو مـــن **قطاع الطريق** البتة.	مفازة	نفسه، ص562.
4	**البرية** بين الحجاز ومصر البرية الكبيرة وهي مسيرة أربعين يومـــا...وليس في البراري أطول منها ولا **أقفر**...وفيها قوم من العرب **صعاليك** يتنقلون مـــن موضع إلى موضع ما لهم قوت إلا ما يمتارونه من بعيد.	برية	نفسه، ص331.
5	...ثم خرجت من المدينة(بونة)...سالكا سبيل **جبل** الحفاء ومالكا من الرجاء ما برح به الخفاء...وأسفر لنا وجه العبوس...عن **قطعة من** العرب كقطـــع اللّيل حملت علينا كحمل السيل، فكان زوال كل ما ملكناه أسرع من لحسة الكلب لأنفه.	الجبل	البلوي، تـــاج المفـــرق، 164/1.
6	...ونجد لعربان **جبل الزاب** كماة ورماة وقد صفوا متقدمين...لما كان قـــد تولى من بغيهم وفسادهم **وقطعهم للطّرق**.	الجبل	نفسه، 145/2.
7	...وتلك **المفازة** التي بات بها مخوفة جدّا من الســـباع والعـــدو البحـــري، **واللصوص** فلا يكاد يجوزها إلا الجمع الكثير.	مفازة	الباديســـي، المقصـــد الشريف، ص141.
8	وكان بعين علون شجر من طخش وعليق وكلخ وبسباس وأشـــجار بريـــة وكان بها عبد أسود **يقطع الطريق**...لا يقدر أحد على سلوكها من أجـــل علون المذكور والتفاف الأشجار وخرير المياه والأنهار وكثرة الوحوش المؤذية	برية/مفازة	ابـــن أبي زرع، الأنـــيس المطرب، ص39.

[1]–محمد عبد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2001، ص20.

[2]–حسن عليوي، جغرافية الجريمة، ص159.

[3]–هبة الله علي عبد الحسين، أخبار اللّصوص، ص64.

[4]-Antonin Plarier, *le banditisme rural*, op.cit, p133.

	به.		
9	...وهو أني سريت بالليل مع قافلة في **مفازة** وبين يدي دابة، فعرجت لي وما شككت في قتلي **وسلب مالي**.(تاجر يهودي)	مفازة	ابن قنفذ، أنس الفقير، ص7.
10	فبينما هو في بعض **الشعاب** حان عليه وقت صلاة الظهر أو العصر...وإذا **بلصين** عمدا أحدهما إليه...	الشعاب	المازوني، صلحاء شلف، ص148.
11	...بر متسع بعيد المسايف(المسافات) وقليل الماء وكله صحراء...مسيرة خمس أشهر كلها خلوات وخوف وعطش ورمال وفيافي منقطعة يا سلام سلم مسافرها من الحجاج والتجار.	الخلوات/ الصحراء	ابن المدجن، ص96،97.
12	والصحراء من الصحاري التي بالمغرب حتى إلى بلاد طرابلس وهي بلاد خوف **وقطاع طريق ولصوص وسرّاق**.	الصحراء	نفسه، ص104.
13	القطاع والمحاربين والغائرين والسالبين يقطعون الطريق على القوافل ويهجمون على من يلقونه **بعيدا عن العمارة** وشبه هذا **مما يقع بالخلوات**.	الخلوات	المازوني، الدرر المكنونة، 211/4.
14	سئل عن موضع كان **خاليا** وهو في قارعة الطريق **يقطعون** فيه غلى المسافرين ويجلسون فيه للحرابة.	أماكن الخالية	نفسه، 363/4.
15	...عن ثلاثة رجال خرجوا من منزل...فاتبعهم من هذا المنزل ثلاثة رجال **سراق** فلحقوهم في **فحص** فيه سدر كثير فناشبوهم القتال حتى شق السراق على المسافرين.	فحص فيه سدر	الونشريسي، المعيار، 528/6، 529.
16	مسلم تسكن **مفازة** المسيلة الممتدة نحو مملكة بجاية ويأخذون إتاوات من مسيلة وبعض القرى	مفازة	حسن الوزان، وصف افريقيا، 51/1.
17	عروة القاطنون بضواحي مستغانم فهم وحوش ولصوص يرتدون أرذل لباس ولا يبتعدون عن **الصحراء** إذ لا موطن لهم في بلاد البربر ولا إعانة مالية.	القفر	نفسه، 51/1.
18	تكون خراج قسما من ذوي عبد الله ويسكنون في صحراء بني كومي وفجيج...لكنهم **لصوص** يكادون يفتكون بكل ما تصل إليه أيديهم.	القفر	نفسه، 56/1.
19	تسكن الهدج **صحراء** مجاورة لتلمسان تدعى أنكاد ليس لهم ممتلكات...ولا يعيشون إلا على **القتل والنهب**.	القفر	نفسه، 56/1.
20	تمتد مملكة تلمسان غربا في **سهل قفر** وعر يابس لا ماء فيه ولا شجر، وتمتد على مسافة ثمانين ميلا طولا وما يقرب من خمسين ميلا عرضا، ويعيش فيها عدد كثير من الغزلان والوعول والنعام، وهي مأوى **لعصابة لصوص** من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان...ويقضي أيضا الشتاء في هذا **القفر** عدد كبير من الرعاء، لكن السباع تفترس أو تعطب كمية وافرة من الغنم وحتى الناس إن استطاعت.	القفر	نفسه، 11/2.
21	جبل الأوراس كتلة **جبلية** شاهقة أهلها مغفلون **ولصوص** فتاكون.	الجبل	نفسه،102/2.
22	**أرض** فسيحة **خالية** يابسة لا شجر ولا ماء خاصة في الطريق المؤدية من تلمسان إلى فاس، وهي أوغل قسم لهذا الإقليم في الغرب، يبلغ طوله ثمانية وعشرين فرسخا، وعرضه ثمانية عشر فرسخا، تكثر فيه طيور الغدران، وهناك العديد من الأعراب المتسكعين مهنتهم **السلب والنهب** في المسالك الكبرى.	مفازة	مرمول كربخال، إفريقيا، 292/2.

الجدول رقم11: المجالات الجغرافية التي نشطت فيها اللّصوصية وقطع الطريق في المغرب الأوسط.

التعليق والتحليل:

-القراءة في الجدول تظهر تنوع في المجالات التي تنشط فيها اللّصوصية(القفر، البرية، الجبل، الصحراء...)، إلا أنها تشترك في كونها المظاهر الجغرافية التي تمتد على أطراف الدولة، فالمجال الترابي للمغرب الإسلامي وشساعته صعب التحكم فيه من الناحية الأمنية، خاصة وأنّ المسالك التجارية تمتد على مسافات بعيدة[1]، تخترق المفاوز والصحاري مما صعب مراقبتها، ومتابعة نشاط اللّصوص بها خاصة على الفترة الموحدية التي امتد فيه سلطان الدولة إلى أوسع نطاق جغرافي، نشطت على أطرافها أعمال السلب والنهب فالمناطق الحدودية نشطة باللّصوص[2]، وإن كان المجالات في المغرب الاسلامي غير محددة وتتميز بالهلامية يخضع فيها المجال السياسي لمجال تحرك الجماعات القبلية، في هذا السياق يمكن أن نصطلح على اللّصوصية **"لصوصية الحدود"**.

-المجالات التي انتشرت فيها اللّصوصية تتميز بخصائص مناخية خاصة أثرت في السطح ومنها في سلوك سكانها، يتضح من الجدول أنّ هاته المجالات عبارة عن مفاوز يجتازها التجار والحجاج بصعوبة[3]، يقتصر العيش فيها على الوحوش والحيوانات المفترسة من السباع والضباع[4]، فهي بريات متسعة قد تكون كثيرة الغطاء النباتي من الأشجار والحشائش منها المجال الذي أسست فيه مدينة فاس برية مستقر للّص أسود قاطع طريق[5]،سهلت ميزتها مهمة اللصوص من حيث القدرة على الاختباء والترصد للمسافرين، أما القفار ذات الطبيعة الجافة، ولا ماء بها أكثر سكانها من المنتجعة وقد ربط ابن خلدون بين هاته البيئة ونشاط الغارات **"العدوان أكثر ما يكون من الأمم الوحشية الساكنين بالقفر ...لأنهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم، ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب"**[6]، منها قفر أنكاد بين تلمسان وفاس الفسيح يعتبر مجال **خالي** لا شجر لا ماء شجع نشاط عصابة من اللّصوص مهنتها السلب والنهب في المسالك الكبرى[7]، فالغابات الكبيرة والجبال هي مخابئ للّصوص، خاصة وأنّ وصف اللّصوصية يرتكز على ميزة الانعزال، في أماكن لا يمكن للسلطة الوصول إليها[8]، من القفار، البريات، الجبال، الصحاري الواسعة.

---

[1]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص69.

[2]-Fernand Braudel, op.cit, p135-136.

[3]-ابن المدجن، أنساب الأخيار، ص180.

[4]-البادیسي، المقصد الشريف، ص141.

[5]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص39.

[6]-المقدمة، تح: محمد رجب، ص221.

[7]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 11/2، مرمول كرباخال، إفريقيا، 292/2.

[8]-Antonin Plarier, op.cit, p132.

-يسمح لنا الجدول بتقسيم المجالات الجغرافية التي ينشط فيها اللّصوص إلا ثلاث محاور أساسية، البرية، الجبل، الصحراء، يأتي شرحها على النحو الآتي:

أ-البريات: المفاوز البرية، تعددت مسمياتها بين الشعاب، البريات، المفاوز، بعيدة عن المراكز العمران، وقد تكون على أطراف المدينة، قليلة السكان، ساهم سطحها الكثيف بالأشجار في استقرار اللّصُوص بها، ويكفي من اسمها أنها تسمى مفازات لأنّ المار بها يكاد ينجو بنفسه وماله إذا قطعها، فالمفازة التي في طريق تلمسان **"منقطعة موحشة لا تخل من قاطع طّريق"**[1]، تُسهل هاته البيئة الاختباء للصُّوص خاصة أنّ يد السلطة بعيدة عنها وتضعف المراقبة الأمنية فيها كونها مجالات حدودية نشطة من حيث حركة الأعراب وصراعهم، يبقى نشاط اللّصوص بها كبير يزداد مع الأزمات السياسية والكوارث الطبيعية.

ب-الجبل: أحد أبرز الأشكال التضاريسية الموجودة في بلاد المغرب، لها خصوصيات من حيث الغطاء النباتي، والتركيبة السكانية رغم قساوة المناخ فيها إلا أنّها تعد مأهولة بالسكان[2]، في العموم المناطق الجبلية صعبة جغرافيا، تتجسد الصعوبة في وحشتها وكون القرى بها متباعدة ممتنعة السبل منقطعة وقليلة الحركة[3]، إذا كانت الخصائص الطبيعية جعلت من الجبال حصن منيع وجهاز أمني طبيعي وجودها في تأسيس المراكز الحضرية يشكل ركيزة دفاعية فهي موطن للاتقاء من الأخطار العسكرية[4]، في المقابل أيضا كانت الوجهة الأولى للحضر للاحتماء من هجمات الأعراب خاصة بعد سيطرتهم على البسائط، فهي الملاذ الآمن من تعسفهم، وجور الحكام ومطالبهم الضريبية المجحفة[5].

رغم هذه السمة غالبة للجبل وكونه مصدر للأمن إلا أنه لم يمنع من نشاط اللّصوص وقطاع الطريق به، فالمناطق الجبلية التي تفتقر للأمن شكلت مواضع للعصابات من المفسدين تثير الخوف وتحدث اضطرابا في مجتمعات بلاد المغرب، ينتجعاها هؤلاء الأشرار من أهل الشرّ واللّصوص وقطّاع الطّرق[6]، ساعدت طبيعتها على حركتهم واستمرارهم وتحدد نشاطهم إذا تعرضوا للملاحقة إذ يلجؤون للجبال والأوعار القريبة[7]، كما وفرت لقطّاع الطّرق تنفيذ الكمائن للتجار والحجاج المارين بها، حال اللّصوص بجبل الزاب الذين كمنوا للحجاج المارين به[8]، وأيضا كان الجبل بمدينة بونة مستقر لمجموعة من الأعراب هاجمت قافلة الحجاج التي تنقل فيها البلوي عام(736هـ/1335م)[9].

---

[1]-العبدري، الرحلة المغربية، ص562.

[2]-عادل النفاتي، المجتمع والجغرافية، ص81.

[3]-لطفي دبيش، الإنسان والمكان، ص347.

[4]-المرجع نفسه، ص438.

[5] -عادل النفاتي، المرجع السابق، ص81.

[6]-كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1997، ص51.

[7]-إبراهيم حركات، المجتمع الإسلامي والسلطة، ص264.

[8]-البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المحمدية(المغرب)، 145/2.

[9]-المصدر نفسه، 164/1.

ج-الصحراء: عموما تختزل الصحراء صورة الطبيعة الموحشة[1]، وبالتالي يقل فيها السكان، بل هناك من المناطق ما هو خال تماما من السكان، مثل بعض المناطق في الصحراء الليبية والمجابات الكبرى[2].

وقد اعتنت المدونة الجغرافية بوصف الصحراء وإبراز خصائصها من حيث السطح والمناخ، وبرزت الحياة فيها منافية لحياة الحضر، لقلة المياه والزرع، ولشدّة الحرّ، ومنها شظف العيش فيها[3]، مع امتداد الطرق والمسالك الطويلة بين حواضر الشمال وإفريقيا جنوب الصحراء، فقد تداولت المصادر أخبار اللصوص وقطاع الطرق المنتشرين بتلك المسالك التي تدعمها البيئة بالنشاط، إذ يؤثر المجال على حركة القوافل سواء شدة البرودة أو الحرّ، لأنهما يعسران سبيل الرّحلة ويعيقان سيرها[4].

إذا كانت المدن الواحية قد أشرفت على تسويق التجارة باعتبار تجارها وسطاء تجاريين مثل تجار الملح بتغازى بصحراء المغرب الأقصى والنحاس بتادمكة بصحراء المغرب الأوسط، بتأمينهم نقل السلع من مكان إلى آخر عبر أراضيهم[5]، فإنّ القفار البعيدة كانت مجال تنهب فيه القوافل، فقد كانت غارات القبائل الصحراوية سببا في تعطيل القوافل، بما أنّ معظم هذه المسافة عبارة عن مفاوز قليلة المياه والمراعي أي عبارة عن كثبان رملية واسعة غالبا ما تشكل مأوى للمعتدين الذين ينظمون غارات مفاجئة على القوافل التجارية، تجردهم بذلك من محتويات ثروتها وغالبا ما يحدث هذا في أثناء عودة القافلة وهي محملة بالتبر[6]، أشار البكري في وصفه لصحراء من الصحاري في الطريق لبلاد السودان **"ويذكرون أنّ هناك رمال عظيمة تعرف بالجزائر كثيرة النخل والعيون لا عمران فيها ولا أنيس بها وأنّ عزيف الجن يسمع بها الدهر كله، أقام بها غزاة السودان ولصوصهم لانتهاز الفرصة في المسلمين"**[7]، لا يتوانى اللّصوص عن استغلال البيئة الصّحراوية في تحايلهم على المسافرين ونهبهم حيث يعمدون للترصد للناس في أماكن وجود الماء باعتباره مادة أساسية يحتاجها أصحاب القوافل الصحراوية، حيث تتم تلك الغارات بعد اختفاء المغيرين داخل البئر وقطع الدلو ليحرموا القافلة من التزود بالماء وبالتالي هلاكها بالعطش ثم يتم السطو على ممتلكاتها[8].

---

[1]-لطفي دبيش، الإنسان والمكان، ص443.

[2]-جميلة بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن9م إلى 11م، منشورات بلوتو، ط1، الجزائر، 2011، ص34.

[3]-لطفي دبيش، المرجع السابق، ص442.

[4]-المرجع نفسه، ص449.

[5]-المرجع نفسه، ص442.

[6]-جميلة بن موسى، تجارة الذهب، ص69.

[7]-البكري، المسالك والممالك (الجزء الخاص ببلاد المغرب)، تح: زينب الهكاري، مطابع الرباط نت، الرباط، 2012، ص84.

[8]-المصدر نفسه، ص70، أحمادو تال ديالو، النقل ووسائله بالغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتب فقه المالكية، أطروحة دكتوراه، جامعة الزيتونة، تونس، 2006، ص146، 147.

لم يختلف حال الحجاج الذين يقطعون الطريق الصحراوي سواء في مجال المغرب أو المشرق الإسلامي، يتعرضون للّصُوص والصّعاليك المنتشرين في القفار والفيافي[1]، والأماكن الخالية من الناس ليجردوهم -الحجاج- من زادهم وأموالهم.

يمكن القول أنّ مجال المغرب الإسلامي مجال متنوع من حيث مظاهر السطح، ويتميز بالصعوبة من ناحية التنقل والحركة فيه لشساعته، لكنه في المقابل المجال الذي سهل مهمة اللصوص وقطاع الطرق، خاصة وأنه مجال يصعب التحكم فيه من الناحية السياسية وضبط حدوده ومراقبتها.

2-العلاقة بين الكوارث الطبيعية ومؤشر اللّصوصية:

الكوارث الطبيعية أو الجوائح، تشمل الأزمات الطبيعية التي يواجهها الإنسان من زلازل، السيول، المجاعات، والأوبئة، وفي الغالب تكون مفاجئة تحدث بفعل الطبيعة، تُخل بالتوازن الطبيعي وينعكس ذلك على واقع المجتمع[2]، مخلفة وضعا استثنائيا تكثر فيه مظاهر اللاأمن، وضعف السلطة في ضبط أمور رعيتها في أعقاب هاته الأزمات.

تجمع بين الكوارث الطبيعية والسلوك الإجرامي عموما علاقة طردية يتنامى فيها السلب والنهب كلما ارتفع معدل الجوائح، ذلك أنّ فترات الفوضى والكوارث الطبيعية شكلت مرتعا خصبا للسبي والتعدي والاغتصاب والانتحار[3]، لتراجع منظومة الأمن الاجتماعي وانعدام الرقابة متخذة من الحاجة والعوز لضروريات الحياة مبرر منطقي لها[4]؛ فالتذبذبات المناخية في العموم تفرز وضع خاص تبرز فيه السّرقات وقطع الطّريق في بعض المواسم أكثر من غيرها، فالمواسم الفلاحية المرتبطة بجني المحاصيل(الصيف) تكثر فيها السّرقات، وكذلك الأمر في فصل الشتاء حيث يتحول طول الليل فيه وقلة الغذاء دافع للحصول على الطعام ووسائل التدفئة، بما يفهم منه نوع من الحتمية الأخلاقية المرادفة لتغيرات الطقس[5]، هذا انطلاقا من رأي ابن خلدون"...**وتَتبع ذلك في الأقاليم والبلدان تجد في الأخلاق أثرا من كيفيات الهواء**"[6]، وعليه يبقى للمناخ تأثير أيضا في سيادة الرفاهية والجوع في المنظومة الاجتماعية[7]، تدفع فيها مظاهر الجوع

---

[1]-ابن المدجن، أنساب الأخيار، ص97.

[2]-انظر **ملحق رقم6**: مخطط يوضح آثار الكوارث الطبيعية على المجتمع.

[3]-عبد الإله بنمليح، الانتحار في تاريخ المغرب الوسيط، منشور ضمن الوفيات والموت مقاربات تاريخية وأنثروبولوجية، مطابع الرباط نت، الرباط، 2017، ص65.

[4]-حسين علوي ناصر، جغرافية الجريمة، ص182.

[5]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص66.

[6]-المقدمة، تح: محمد رجب، ص72.

[7]-الحسين بو لقطيب، جوائح وأوبئة، ص18، 19.

والحاجة تحت طائلة الجوائح الناس للعدوان على غيرهم، ويصبح من السهل عليهم ممارسة السرقة من الموت جوعا[1].

عرف المغرب الأوسط في عصره الوسيط العديد من الكوارث الطبيعية، بعضها كان خاصا بمجاله، وبعضها كانت أزمات طبيعية عامة شملت بلاد المغرب والأندلس، واعتبرت من جملة العوارض التي تعترض الدولة في آخر دورتها الحضارية لتعجل في النهاية بزوالها[2]، زاد من خطورتها تزامنها في الغالب مع أحداث سياسية متعلقة بالحروب والصراعات السياسية، منها مجاعة588هـ/1192م تزامنت مع حصار بني غانية لبجاية، وفي الحصار المريني لتلمسان سنة 698-707هـ/1299-1307م، وإن كان الحديث عليها في المصادر يأتي عرضا وبصفة رتيبة وسريعة إلا أنّ ذلك لا يقلل من آثارها الاجتماعية والاقتصادية حتى على مستوى السلوك والذهنيات التي ألقت بثقلها على طبقة العامة خاصة ممن يرزحون تحت دائرة الفقر، فالاضطرابات المادية التي تخلفها تسمح بتحرك اللّصوص للسرقات[3] أيضا، والقراءة في الجدول الآتي تسمح برسم صورة حول واقع مجتمع المغرب الأوسط مع الكوارث الطبيعية:

الرقم	الزمان	المكان	النص	طبيعتها	المصدر
1	407هـ/1017م	بلاد المغرب والأندلس وإفريقية.	كان بالمغرب والأندلس وإفريقية قحط شديد ومسغبة عامة ووباء كثير.	الوباء/ القحط/المجاعة	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص118.
2	411هـ/1020م	بلاد المغرب	اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من تيهرت إلى سجلماسة وكثر الفناء في الناس.	القحط	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص118.
3	498هـ/1105م	بلاد المغرب والأندلس	وفي هذه تناهى القحط في بلاد الأندلس والعدوة حتى أيقن الناس بالهلاك	القحط	ابن عذارى، البيان المغرب، 45/4.
4	512هـ/1119م	بلاد المغرب	وكان في هذه السنة غلاء عظيم ووباء وبلغ ربع الدقيق بتلمسان عشرين درهما.	القحط/الوباء	ابن عذارى، البيان المغرب، 307/4.
5	535هـ/1141م	المغرب	أتت على الناس مجاعة عام خمس وثلاثين وخمسة.	مجاعة	ابن الزيات، التشوف، ص183.
6	536هـ/1142م	المغرب	حملت الوديان واشتد البرد.	السيل	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 412.
7	450هـ/1146م	بلاد المغرب	كانت في تلك السنة شدة عظيمة، مجاعة هلك فيها الناس.	مجاعة	التجاني، رحلة التجاني، ص241.

[1]-مليكة عدالة، ظاهرة الفقر بالأندلس في العصر الموحدي، مجلة عصور، ع25/24، الجزائر، 2015، ص138.

[2]-سمية مزدور، المجاعات والأوبئة، ص19.

[3]-محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، جذور للنشر، ط1، الرباط، 2006، ص165.

8	588هـ/1185م	بجاية	فأقام السيد (أبو زيد) على هذه الحال والمجاعة تشتد والوباء يزيد حتى عمّ الموتان.	المجاعة/الوباء	ابن عذارى، البيان المغرب، ص181.
9	610هـ/1213م	بجاية بالمغرب والأندلس.	ووقعت مجاعة ببجاية وذهب أبو زكريا يحى بن أبي علي المشهور بالزواوي. -وفيها كان الوباء العظيم	مجاعة/الوباء	الغبريني، عنوان الدراية، ص135. -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص273.
10	614هـ/1217م 615هـ/1218م 616هـ/1219م	المغرب	في سنة أربع عشر وخمس عشرة وفي سنة ستة عشرة وستمائة، كان المحل العظيم والمجاعة التي شكاها الظاعن والمقيم وتناهى الحال في نزيد السعر إلى ما لا نهاية له وكان ابتداء الحال فيه السنتين المتقدمتين لهذه السنة المؤرخة.	المجاعة	ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص266، 267.
11	617هـ/1220م	المغرب	كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد.	القحط/الجراد	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص273، الذخيرة السنية، 57.
12	619-637هـ/1222-1240م	بلاد المغرب	كانت المجاعة العظمى التي خلا فيها المغرب وتوالت به الفتن وعدمت الأقوات.	المجاعة	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص41.
13	624هـ/1226م	المغرب والأندلس	اشتد الغلاء بالمغرب والأندلس فبيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار، وفيها كان الجراد المنتشر بالمغرب.	المجاعة/ الجراد	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص274.
14	630هـ/1232م	المغرب	وفيها خلت بلاد المغرب وكثر فيها الجوع والوباء ووصل فيها وسق القمح ثلاثين دينار.	المجاعة/الوباء	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص277.
15	632هـ/1234م	المغرب	فضاقت الأرض بما رحبت على الناس لانقطاع المرافق والمواد وارتفعت الأسعار وعدمت الأقوات...وانتهى المد الواحد من القمح الحفصي الى سبعة دراهم كبار.	المجاعة	ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص318، 319، 325.
16	634هـ/1236م	المغرب	وفيها الغلاء المفرط الذي انتهى فيها الربع الواحد من الدقيق إلى سبعة وثلاثين درهما.	/	ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص339.
17	635هـ/1237م	المغرب	اشتد الغلاء والوباء بالعدوة فأكل	المجاعة/الوباء	ابن أبي زرع، الأنيس

			الناس بعضهم بعضا وكان يدفن في الحفرة الواحدة المئة من الناس.		المطرب، ص362.
18	637هـ/1240م	بلاد المغرب	كانت بلاد المغرب غالية الأسعار بسبب قلة الأمطار.	القحط	ابن عذارى، البيان المغرب، (قسم الموحدين)، ص351.
19	679هـ/1281م	بلاد المغرب	وفيها كانت المجاعة وصل القمح فيها عشرة دراهم للصاع.	المجاعة	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص405.
20	688هـ/1289م	تلمسان	ثم وصلنا تلمسان فوجدناها بلدا حكت به زمانه الزمان وأخلت به حوادث الحدثان، فلم تبقى به علالة ولا تبصر في أرجائه للضّمان بلالة.	المجاعة	العبدري، الرحلة المغربية، ص47، 48.
21	692هـ/1293م	بلاد المغرب	كان أصاب الناس أعوام اثنين وتسعين وستمائة قحط.	القحط	ابن خلدون، العبر، 290/7.
22	693هـ/1294م	بالمغرب وإفريقية ومصر	كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم...هلك فيها خلق كثير وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد، والدقيق ست أواقي بدرهم.	المجاعة/ الوباء	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص384، 409.
23	711هـ/1312م	بلاد المغرب	كان بها قحط فاستسقى الناس له وخرج الأمير لإقامة الاستسقاء.	القحط	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص398.
24	723هـ/1323م	بلاد المغرب	كانت الأمطار الغزيرة ببلاد المغرب والثلوج كثيرة فعدم فيها البياض والحطب فبيع البياض بمدية فاس بدرهمين للرطل.	السيل	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص401، 412.
25	724هـ/1324م 725هـ/1325م	بلاد المغرب	وفيها كان القحط وارتفع السعر وبدأت المجاعة وكان الغلاء العظيم والمجاعة الشديدة...وغلت الأسعار في جميع الأمصار.	القحط/المجاعة	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 401،413.
26	749هـ/1348م	بلاد المغرب والأندلس	قد بلغنا على ألسنة الثقات أنه هلك في يوم واحد بتونس ألف نسمة وتلمسان سبع مئة نسمة ونيّف، وأنه هلك ببلنسية يوم العنصرة القريب ألف نسمة...	الطاعون	ابن الخطيب، مقالة مقنعة، ص144[1]. ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد رجب، ص27. ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص265. المازوني، الدرر

[1]-السائل عن المرض الهائل، تح: حياة قارة، منشورات دار الأمان، ط1، الرباط، 2015.

					المكنونة، 309/3.
27	758هـ/1357م	قسنطينة	...رغم اشتداد السيل وترك الناس لأموالهم واعتصامهم بالجبل ...وأعان السيل والليل على الاختلاس والاستلاب.	السيل	النميري، فيض العباب، ص260. ابن مريم، البستان، ص177.
28	776هـ/1374م	المغرب	-في هذه السنة كانت المجاعة العظيمة بالمغرب وعمّ الخراب به. -واشتملت هذه السنة على مجاعة شديدة، أكل الناس بعضا.	المجاعة	ابن قنفذ، أنس الفقير، ص105. يحي بن خلدون، بغية الرواد، 575/2.
29	منتصف القرن7هـ/13م	بجاية	كنت ببجاية فأصاب الناس جوف عظيم وقلت المياه وجفّ أمسيون، ووصل الرقّ إلى أربعة دراهم.	القحط	الغبريني، عنوان الدراية، ص149.
30	842هـ/1439م	تلمسان	جفاف ومجاعة	القحط/المجاعة	ابن صعد، روضة النسرين، ص222.
31	القرن 9هـ/15م	تلمسان	وذكر لي بعض من أثق بهم أنّه سمع من بعض الناس أنّه كان بتلمسان في تقدم الزمان غلاء شديد تعطلت بسببه الصلاة...لانشغال الناس بأمر الجوع.	المجاعة	ابن مريم، البستان، ص33.
32	القرن9هـ/15م	تلمسان	وحدثني من أثق به أنه زاره زوار من بلاد المغرب في عام مسغبة...والناس في أمر عظيم من الجوع.	مجاعة	ابن مريم، البستان، ص289.
33	القرن9هـ/15م	تلمسان	ذكر المتقدمون أنّه وقع غلاء كبير في تلمسان حتى تعطلت منه المساجد.	/	ابن مريم، البستان، ص307.

الجدول رقم12: بعض الكوارث الطبيعية التي عرفها المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط(5-9هـ/11-15م).

***التعليق والتحليل:**

بالرجوع للأسطوغرافيا التقليدية نجد أنّه في أواخر القرن6هـ/12م شهد المغرب الإسلامي والأندلس موجة متصاعدة من الأزمات الطبيعية إما متزامنة أو متتالية[1]، من القحوط والمجاعات والسيول الجارفة، مع موجات انتشار الجراد، أما الأوبئة فكانت هي الأخرى دورية تظهر كل خمس سنوات أو عشر سنوات حسب ما ذهب إليه **حسن الوزان** أنّ الوباء يظهر في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات أو

[1]-راجع **ملحق رقم7**: يوضح شكل بياني للجدول يوضح أكثر ارتفاع معدل الجوائح (في القرن7و8هـ) التي عرفها المغرب الأوسط بين القرن5-9هـ/11-15م.

خمس عشرة سنة أو خمس وعشرين سنة[1]، مثلت البيئة الحاضنة التي تشتد فيها اللّصوصية، يمارس الفقراء من الناس السرقة أو ينضمون إلى اللّصوص وقطاع الطّرق لتحصيل الغذاء[2]، كون التغيرات المناخية بفترات الكوارث الطبيعية يصعب فيها الحصول على الغذاء، فالكوارث استنزفت المجتمع ديمغرافيا وأرهقته ماديا ونفسيا، وتحولت فيها السرقة والغصب إلى سلوك طبيعي مرافق للأزمة الاقتصادية، تبرره المظاهر التالية:

-**تعطيل الأسواق(نقص الغذاء):** ورد في الجدول العديد من العبارات الدالة على قلة القوت **"عدمت الأقوات"** و**"أكل الناس بعضهم بعضا"**، نتيجة لنقص السلع وندرة بعض منها، حيث تقل حركة البيع والشراء بالأسواق، لتعذر جلب المنتجات الأساسية الزراعية والحيوانية من البادية[3]، بسبب الجوائح فأسواق تلمسان تعطلت بفعل الثلوج الكثيرة التي نزلت بالمدينة **"نزلت ثلجة عظيمة وتعطلت منها الأسواق وانهدمت منها الديار"**[4]، وما يثبت صعوبة واقع الأسواق التحول في نمط الأغذية التي أصبحت تباع بها ففي مجاعة 698-707هـ/1299-1307م بيعت بأسواق تلمسان لحوم الجيفة والقطط والحيات والسباع والكلاب والفئران لحاجة الناس"...**وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمن المثقال...والهر الداجن بمثقال ونصف، والكلب بمثله، والفار بعشر دراهم، والحية بمثله"**[5]، إذا كان الناس قد سلكوا نمط غذائي يقوم على هذه الأطعمة لا يستبعد لجوؤهم للسّرقة والخطف في سبيل سد حاجتهم من الجوع.

ساهمت الأزمات في تعطيل نشاط الأسواق خاصة أنّ التجار انقبضوا عن أسباب الكسب والمعاش، وهو رد فعل طبيعي يحول دون المجازفة برؤوس أموالهم ومصادر رزقهم[6]، وكذلك تقلص التبادل التجاري خاصة المواد الغذائية الأساسية من حبوب وتمور وغيرها، لشدة المجاعات والأوبئة وارتفاع نسبة الموت في صفوف القوى العاملة[7]، مخلفة أكثر آثارها على الناس والضعفاء منهم ممن يمنعهم مستواهم المعيشي من الادخار لمثل هذه الفترات الصعبة.

---

[1]-وصف إفريقيا، 85/1، أحمد السعداوي، المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين 8-9هـ/14-15م، REVUE DE L'INSTITUT DES LETTRES ARABES,T.58,n°175,1995، ص126.

[2]-محمد السيد فياض، عناصر النهب واللّصوصية في مصر في العصر الفاطمي(358-567هـ/968-1171م)، مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، مج23، ع1، مصر، 2015، ص63، بخته خليلي، الفقر بالمغرب الإسلامي، ص233، بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية، ص177.

[3]-سمية مزدور، المجاعات والأوبئة، ص207.

[4]-ابن مريم، البستان، ص40.

[5]-ابن خلدون، العبر، 128/7، ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص69.

[6]-عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس(ق6هـ-8هـ/12-14م)، دار الطليعة، ط1، بيروت، 2008، ص97.

[7]-أحمد السعداوي، المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون، ص126.

-غلاء الأسعار: لا تختلف الدراسات في الربط بين غلاء الأسعار للمواد الأساسية ومظاهر الأزمات الطبيعية خاصة أنّ المصادر تستعيض عن تسمية الجوائح بتسميتها بـ**"سنوات الغلاء"**، وقد ورد في الجدول رقم5 إشارات ربطت مباشرة بين الكوارث الطبيعية وارتفاع الأسعار، كونها المظهر الغالب الذي يميز سنوات القحط والمجاعة والأوبئة أو غيرها، حيث تساهم الندرة في المواد الغذائية الأساسية إلى رفع أسعارها وهذا ما عرفته أسواق المغرب الأوسط زمن المجاعات[1]، مما يعكس تراجع الإمكانيات المادية للناس بسبب الغلاء الفاحش الذي يرافقها إذ تصل فيه إلى أسعار قياسية.

فقد وصل قفيز القمح 30 دينار سنة 630هـ/1232م[2]، وبلغت قيمة صاع من القمح ديناران وربع دينا وصاع شعير إلى نصف ذلك أثناء الحصار المريني لتلمسان[3]، أما في قسنطينة سنة 758هـ/1356م كان ثمن ثمانية من الفول درهم[4]؛ وإن شكل عدم معرفة قيمتها في الحالة العادية صعوبة لا يمكن تحديد قيمة زيادتها في الظروف الاستثنائية، إلا أن المؤكد أنّ نفاذها من الأسواق كان يساهم في تضخم أسعارها **"وأضر هذا الحصار في إضاقته بأهل البلد وغلاء أسعارها وهلكت النّاس بالجوع والسيف"**[5]، و لم يتوفر لدى الناس من الأموال لشراء ما يحتاجون **"واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاقت الأحوال"**[6]، الأمر الذي يجرنا للجزم أنّ نفاذ ما يتعيشون به وانعدام المال لشرائه دفع بهم لسوك العدوان عبر التلصُّص والسرقة للحصول عليه، فإذا كان بعضهم يبيع ممتلكاته في سبيل الحصول على ما يسد رمقه فلا يستبعد أنّ منهم من اتجه للسطو والسرقة لتحقيقه.

في هذا السياق قدم ابن هيدور(ت816هـ/1413م) في مقالته تفسير منطقي ودقيق ربط فيه بين ثلاثية؛ غلاء، الأسعار، والأزمة، تراجع الأمن بقوله: **"كما أنّ الغلا لحدوثه سببان، إما احتباس المطر في البلاد المحتاجة إليه، وإما لظهور الفتن والحروب...فإذا دامت الفتنة وقع الفساد في الحواضر والبوادي وفسدت حبوبها المختزنة وانقطعت الطرق وعدمت المرافق لأجل ذلك، وهذا الوباء لازم من لوازم الغلا كما أنّ الغلا لازم من لوازم الفتنة"**[7]، فتعطل الطرق وانتشار الخوف بها من إفراز الأزمات الطبيعة، تتشارك فيه أيضا مع الأزمة السياسية وهذا ما تم التطرق له سابقا.

---

[1]-سمية مزدور، المرجع السابق، ص190، عبد الهادي البياض، المناخ والمجتمع بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط إسهام في دراسة الطقوس والذهنيات، إصدارات المجلة العربية، المملكة العربية السعودية، 2015، ص47، محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، ص175.

[2]-ابن أبي زرع، الأنيس الطرب، ص361.

[3]-يحي ابن خلدون، بغية الرواد، 125/1.

[4]-ابن مريم، البستان، 177.

[5]-يحي بن خلدون، بغية الرواد،121/1، التنسي، نظم الدرر، ص142، 143، ابن خلدون، العبر، 197/7، 198، ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص 68، 69، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص388، حسن الوزان، وصف إفريقيا، 18/2، 19.

[6]-ابن خلدون، العبر، 128/7.

[7]-ابن هيدور، ماهية الأمراض الوبائية، مخطوط، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم9605، و2.

لا شك أنّ دائرة اللّصوصية والحرابة قد استفحلت باتساع دائرة الضيق والشدة الناجمتين عن الكوارث الطبيعية وغدا العدوان على أموال الناس وأمتعتهم الخيار الأسهل لمقاومة تداعيات الأزمة الصعبة[1]، خاصة إذا علمنا أنّ الفئات الدنيا من المجتمع مستواها المعيشي في غير أوقات المجاعة متدنّ فمن البديهي أنّ حالها أوقات المجاعة لا تحسد عليه[2] حيث اشار ابن الخطيب(ت776هـ/1374م) أنّ أكثر متضرر بها يقع في دائرة الضعفاء من الناس **"في الضعفاء وأهل الشظف أفتك"**[3].

اتخذت اللّصوصية في هاته الفترات الاستثنائية نمطين؛ **لصوصية عفوية** تمارسها شرائح كثيرة كلما ظهرت أمامها الأغذية تتخطفها، وأخرى **لّصُوصية منظمة** ينصب أصحابها من اللّصوص وقطاع الطّرق في المفازات المنقطعة، وعلى المسالك الكبرى لأخذ ما استطاعوا، مستغلين غياب السلطة، حال المسالك زمن مجاعة 688هـ/1136م التي تزامنت مع دخول العبدري لتلمسان **"...ثم وصلنا تلمسان فوجدناها بلدا حكت به زمانة الزمان وأخلت به حوادث الحدثان، فلم تبق به علالة ولا تبصر في أرجائه للضّمان بلالة"**[4] مشيرا لصعوبة مسالكها بسبب ما يترصّدهم في طريقها من قطاع الطرق[5]، أما المجاعة العظيمة سنة 776هـ/1374م،كان من مضاعفاتها السلبية انتفاء الأمن وظهور عصابات قطاع الطرق أيضا، ما عبر عنه ابن قنفذ القسنطيني في وصف حالة الطرق من تلمسان إلى بجاية **"...ورأيت في طريقنا من انقلاب الشرّ خيرا ما كان يعجب به من شاهده، وكان أمر الطريق في خوف وجوع ما مقتضاه أنّ كل من يقع قدومنا عليه يتعجب في وصولنا سالمين ثم يتأسف علينا عند ارتحالنا"**[6]، أما داخل المدن فقد انتشر العدوان الجماعي ففي ظل المؤثرات المناخية القصوى التي عرفتها تلمسان عام 732هـ/1332م يشير ابن خلدون لسلوكيات العدوان التي استهدفت مدخرات المدينة من القمح والمؤن[7]، ومن الطبيعي أن يزداد تخلخل بنيان المجتمع في أعقاب المجاعات والأوبئة فقد كانت أعداد الذين لا يملكون تتزايد عقب كل هذه الأزمات إذ يضطر الناس إلى بيع ما يملكون لشراء ما يقتاتون به، ثم يدخلون في عداد المعدومين[8].

أدرج ابن خلدون العوارض العدوانية السابقة ضمن ما اصطلح عليه **"طوارق التعدي"**[9]، أي أنها لصيقة بالكوارث الطبيعة أو الأوضاع الاستثنائية التي تعترض العمران وأحواله، وتغير في بنيته الاجتماعية

---

[1]-إبراهيم حركات، المجتمع الإسلامي، ص260، عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية، ص82.

[2]-سمية مزدور، المجاعات والأوبئة، ص214.

[3]-مقنعة السائل، ص77.

[4]-الرحلة المغربية، ص47، 48.

[5]-المصدر نفسه، ص47.

[6]-أنس الفقير وعز الحقير، ص105.

[7] -العبر، 301/7.

[8]-أحمد عبد الرزاق عبد العزيز، الفقراء في القاهرة، ص107.

[9]-عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية، ص97.

والحضارية عموما على غرار طاعون الجارف أو الكبير749هـ/1348م الذي ترك تحولات عميقة دفعت بمجتمع المغرب الإسلامي إلى الركود والضعف والتراجع[1] استمر لخمس سنوات كانت نسبة الموت فيه مرعبة عمّت شمال المتوسط وجنوبه[2]، تظهر آثارها في قول ابن خلدون: **"وأما لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة، فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة...إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها"**[3]، أحدث الطاعون زعزعة في بنية العمران ومظاهره بدأت بالتحولات على مستوى الأفراد وبنية المجتمع الحضارية.

مما تقدم ذكره يمكن التأكيد أنّ ظاهرة اللّصوصية تشترك فيها مجموعة من الأسباب لا يمكن فصلها، معطيات ممزوجة بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي وما تفرضه البيئة، هذه الأخيرة التي تصنف ضمن الأسباب الطبيعية أما المصطنعة منها ما تعلق بالحالة السياسية وما أنتجته السلطة المركزية من حالة اللاأمن نتيجة الحروب، وإما للجانب الاقتصادي وكلها تنضوي في خانة **الأزمة**.

---

[1]-أحمد السعداوي، المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون، ص123.

[2]-شلدون واتس، الأوبئة والتاريخ (المرض والقوة والإمبريالية)، تر: أحمد محمود عبد الجواد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، مصر، 2010، ص65، 66.

[3]-المقدمة، تح: محمد رجب، ص27.

الفصل الثالث:

تمثلات اللّصوصية في مجتمع المغرب الأوسط.

أولا. تفكيك بنية المشهد اللصّصي في المغرب الأوسط.

ثانيا. جوانب مجالية حول أنشطة التلصّص بالمغرب الأوسط.

1-في الفضاء القبلي.

2-على المسالك والمفازات.

3-السرقة في المراكز الحضرية.

ثالثا. التصنيف الفئوي لسلوك التلصّص في مجتمع المغرب الأوسط.

1-النخبة واللّصوصية.

أ-الاختلاس في الوسط السياسي.

ب-السرقة العلمية بين العلماء.

2-واقع اللّصوصية في أوساط فئات المجتمع.

رابعا. أثر المجال ومتغيرات عالم ما بعد الموحدين في بروز وجه جديد للصوصية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لا يقدم البحث في الجانب القانوني والنظري للّصوصية من حيث المفهوم والأسباب، الوضعية الكاملة عن واقع آفة اللّصوصية وأثرها الاجتماعي، بل يلزمنا البحث عن ملامحها الميدانية، وذلك لا يتم إلا بتفكيك المشهد اللّصّي لمعرفة تركيبته، من حيث الممارسين للجريمة والمستهدفين فيها، والكيفية التي توزع بها حضورها في المجالات الجغرافية والاجتماعية للمغرب الأوسط، كما تعطينا الملاحظات الميدانية القدرة على معرفة الفئات التي مارست السّرقة والتلصّص وخصائص كل شريحة اجتماعية، ويجدر الاتفاق أنّ قلة المادة المصدرية قد رافقتنا في جميع عناصر البحث المتعلقة بهذا المحور.

أولا-تفكيك بنية المشهد اللّصّي في المغرب الأوسط (أهل الحرابة ولصوص الحواضر أنموذجا).

المشهد اللّصّي في المغرب الأوسط؛ صورة مركبة تفكيكها يقوم على توزيع عناصر المشهد بين أطراف عديدة تجمع بين اللّص أو قاطع الطّريق مع من وقع عليه فعل التلصّص والبيئة التي تمت فيها العملية، هذا التحليل لا يتوقف على مصدر واحد إذ أنّ المصادر الوسيطية في القليل ما تتيح لنا رسم صورة كاملة خاصة ما تعلق بالأحداث التي تندرج ضمن سياق المهمش والمغيب، لذلك بناء صورة واضحة يتوقف على جمع شذرات من نصوص عديدة تبين الممارسة اللّصّية ومظاهرها[1]:

1-الفاعلون: أطراف معزولة أم عصابات منظمة؟

النصوص المصدرية في وصف اللّصُّوص واللّصُوصية لم تقدم صورة واضحة تبين أشكال ممارسة الظاهرة، لكن محاولة الكشف عنها وجمع ما تحتويه المتون المصدرية من إشارات يسمح بتوضيح صورتها في المغرب الأوسط، حيث شكلت النصوص المتعلقة بلصوص المغرب الأوسط 70 نص تنقسم إلى قسمين؛ لصوصية منظمة، وسرقات فردية لفئات معزولة.

التمييز بين اللّصوصية المنظمة، والفردية يعتمد على معايير تتعلق بالتركيبة الداخلية لمنفذي جريمة السّرقة، منها العدد المكون للمجموعة، وأسلوبهم في التنفيذ، والوسائل المستخدمة، خاصة بوجود تداخل كبير بين السّرقة واللّصوصية ، إذ لا تدل الأولى دائما على السرقات الفردية، حيث نجد في المدونة الفقهية الفقهاء يصفون سرّاق المغرب الإسلامي باللُّصوص"**أن سرقة المغاربة لصوص لأجل أنّهم يأتون ليلا بالسلاح عاملين على المكابرة متى عثر عليهم وأقوى منه أن يقف عند رأس صاحب المنزل متى رآه تحرك ضربه وهدّده**"[2]، هم لصوص المدينة الذين يعتمدون على السلاح لذلك يمكن تسميتهم بلصوص **المكابرة والمغالبة** ويصل بهم الأمر إلى حد قتل **الغيلة** وفي ذلك نوازل عديدة حولهم، في المقابل لصوص البادية على قوة عددهم وبعدهم عن نظر السلطة يتمركزون خارج الحواضر على المفاوز المسالك والطرق، تقوم اللّصوصية عندهم على التخطيط والتنظيم في التنفيذ، ذكر في جامع مسائل الأحكام "**وكذا سراق البادية**

[1]-راجع **ملحق رقم8**: يبين تركيبة المشهد اللّصَصِي.

[2]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 180/6، المازوني، الدرر المكنونة، 371/4، الونشريسي، المعيار، 406/2.

يجعلون واحد يخرج الحيوان من المراح والباقون واقفون بالسلاح يمنعونه ممن يقوم عليه"[1].يسمح تحليل معطيات الجدول التالي في تحليل خصائص كل قسم منهما:

	عصابات منظمة	أطراف معزولة	المجموع
التكرار العددي	45	25	[2]70
النسبة	%64	%36	%100

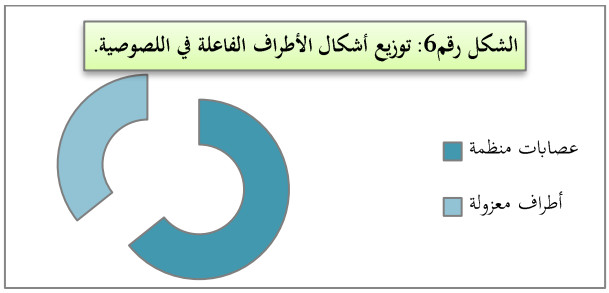

الجدول رقم13: طبيعة اللّصوصية في المغرب الأوسط.

***التحليل والتعليق:**

قبل التطرق لتحليل بيانات الجدول والشكل المرافق له تجدر الإشارة أن عملية التصنيف والتمييز بين النوعين لم تتفق على معيار محدد إنما تطلب الأمر البحث في التركيبة الداخلية للمجموعة اللّصصّية من حيث العدد وأساليب ممارستها، خاصة أنّ المعيار متعلق بالعدد لا يعتبر كافيا بل قد يكون التشكيل اللصّصي مكون من فرد أو فردين لكنه يحقق فعل جريمة التلصّص بطريقة محترفة، أي يمكن لفرد واحد أن يقوم بتشكيل عصابي وهي أقل السّرقة خطرا على ممتلكات الناس وإن كان في الغالب يحقق المقصود[3]، وهذا ما يتم توضيحه لاحقا.

شكلت اللّصوصية المنظمة حضور كبير بمعدل 45 إشارة بنسبة64%، خاصة أن النصوص لا تشير كثيرا للتركيبة الداخلية للّصوص[4]، فيتحول البحث في مدى تنظيمها في طريقة التنفيذ، وإذا ما كان أصحابها متخصصين في نوع معين من اللّصوصية.

-تحليل معطيات الجدول تفيد في إحصاء مظاهر وخصائص كل صنف، حضور اللّصوصية المنظمة معتبر جدّا تبين فيه النصوص أنهم لصوص معروفون بأماكن محددة، ودلت عليهم عبارات؛ **"لصوص معروفون"، "فتاكون"**، من **"أكابر لصوص العالم"**، كلصوص مفازة تلمسان التي لا تخلُ من قطّاع الطّريق

[1]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 180/6.

[2]-المجموع في الجدول ناتج عن إحصاء المؤشرات الدلة على طبيعة اللّصوصية من النصوص المصدرية التي يقدر عددها 18، مصدرا مرتبطة كلها بالمغرب الأوسط، وتم الاعتماد عليها في تحليل تركيبة المشهد من حيث باقي العناصر المشكلة له: الفئات المستهدفة، المسرح، الزمان....

[3]-محمد حمودي وأشرف صالح، اللصوص والقراصنة في عصر الحروب الصليبية زيارة إلى تاريخ السلب والنهب، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2019، ص89.

[4]-يشير أحد الباحثين التونسيين أن قطاع الطرق **"القطعية"** كانوا في شكل تنظيم يجمع الكشاف **"الشوافة"** الذي يترصد القوافل والمارة ليتخير من تصلح لأخذها والكمانة الذين ينصبون الكمين، والمسلحين الذين ينفذون العملية ولكل فئة خصائص من البنية الجسمانية والخبرة، والقدرة على المباغته، راجع: بلقاسم بنعبد النبي، عرف الطريق في البلاد المغاربية، 176 وما بعدها.

البتة وهم أشد خلق الله ضررا[1]، ولكثرة توطنهم واشتهارهم بقطع الطريق، تعرف لهم تقاليد في القطع يعرفها الناس على غرار لصوص الهكار **"طائفة من البربر ملثمون لا خير عندهم لقينا أحد كبرائهم فحبس القافلة حتى غرموا له أثوابا وسواها"**[2]؛ الواضح أنها مجموعة منظمة لهم كبيرها ومساعديه من المسلحين فعصابات السّرقة مسلحة ولا تتوانى في استعمال القوة عانى منهم أهل القرى والأرياف[3]، ويستقر بعضهم بالطرق الصحراوية الموحشة التي يصعب التنقل بهه كالطريق بين توات والهكار، لصوص هذا الطريق لهم تقاليد معروفة في قطعهم للطّرق منها أنهم لا يقطعون في رمضان حتى إن وجد السارق فيهم الأغراض للسرقة لا يأخذها[4]، يتحكمون في المجال لصعوبته لا يسمحون بمرور المسافرين إلا بتقديم غرامات على أنفسهم وقوافلهم. والطريق من تلمسان إلى وهران تتنقل فيه مجموعة من فرسان العرب المعروفين بقطع الطّريق[5]، وفي الطريق إلى ريغة بالزاب اشتهر اللصوص بها وشكلوا لفيف عصابي يتحصن بالحصون والجبل يقطع أصحبه الطرق يغيرون على المجاورين لهم[6].

الاستمرارية التاريخية للممارسة اللصّصية في مجالات جغرافية معينة، وتعاقب ذكرها في النصوص المصدرية مؤشر أن تلك المجالات تحكمت فيها عصابات منظمة من اللّصُّوص كالطّريق بين تلمسان وفاس ذكرها العبدري في رحلته في طريق الذهاب والعودة، وقد يرجع سبب تجاهل ذكره لأحوال المغرب الأوسط بسب ما تعرض له من طرف لصوص مفازة تلمسان، المالطي في القرن الثامن يشير في حركة التجار من فاس لتلمسان أنه مكان يستقر به قطّاع الطرق[7].

بعد القرن 9هـ/15 يعرف مجال بين تلمسان وفاس (أنكاد) بأنه مأوى عصابة لصوص متخصصون في التلصُّص ضد التجار خاصة في فصل الشتاء باعتبارهم أعراب غير المستأجرون يتعيشون من مهنة التلصُّص[8]، فقطع الطّريق عندهم مهنة ومصدر للمعاش، يستنتج منه أنهم يتبعون نظام في قطعهم، وتوزيع المسروقات.

---

[1]-العبدري، الرحلة المغربية، ص562.

[2]-ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص966.

[3]-عبد مالك بكاي، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن7-10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014/2013، ص153.

[4]-ابن بطوطة، المصدر السابق، ص966.

[5]-ابن صعد، النجم الثاقب، ص78، روضة النسرين، ص166، 167، ابن مريم، البستان، ص236، 235.

[6]-النميري، فيض العباب، ص461، 663_464.

[7]-الروض الباسم، ص58.

[8]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 11/2، مرمول كربخال، 292/2.

في شق آخر يتعلق التنظيم في اللّصوصية وقطع الطّريق أيضا بالعلاقة مع السلطة[1] يمكن أن تنطبق على لصوص أنكاد بوصفهم غير مستأجرين فأعمالهم في النّهب والسّلب تعتبر مهنة، أي لصوصية بإشراف غير مباشر من السلطة السياسية مبرره مراحل الضعف السياسي الذي تمر به الدولة وشاسعة مجالها الجغرافي وصعوبة التحكم في حركة القبائل غير مستقرة، ووصفها بالمهنة مؤشر أنّ ما يمارسه هؤلاء معترف به ضمنيا من السلطة السياسية.

واستخدام اللّصوص والصّعاليك في جيوش الدولة في حركتها العسكرية لتأديب المتمردين أو ضم مجالات جديدة يوضح مدى اعتراف السلطة بممارسات هؤلاء وإن كانت مرتبطة بظرفية زمنية محددة حيث استخدم أحد قواد بني مرين في دخوله للمغرب الأوسط يحى بن علي بن عبد الرزاق من بني توجين وما أتلفت عليه من أصحاب الجنايات والصّعاليك أهل الإذايات فشن بهم الغارات يخرب المداشر[2]، كما أنّ عصابات اللّصوص الذين اختصوا بمتابعة الأندلسيين الوافدين للمغرب الإسلامي، لدليل أن لصوص المغرب عصابات منظمة، ينتظر المُكاري وصول الأندلسيين للمرسى ويعرضون عليهم نقلهم بالبغال بأثمان بسيطة مما يغتر به الناس حال عائلة حسن الوزان التي رافقت مُكاري وابنه على ثلاث بغال واقترح عليهم أخذهم من طريق مختصر يوفر عليهم مشقة يومين، وبعدما انطلقوا وعلى بعد ثلاث أميال انتصب أمامهم فارسان ملثمان باللون الأزرق وفي يد كل منهما خنجر معقوف واقتربا منهم وأخذا في سلبهم، بعد أن هرب المكاري وابنه حسب الاتفاق مع اللصّان، وكان من جملة ما سرقوه صندوق حلي وأثواب رائقة من الحرير ومفرش سرير، وحزمة نقود أخذها من والدة حسن الوزان، وهو حال الغرناطيين الذين يصلون إلى فاس أو تلمسان[3]، فالطرق التي يجتازها الأندلسيون تغصّ باللّصوص، يساعدهم المُكاري على قيمة معينة ويكون

---

[1]-توجد إشارة لمشاركة أهل السلطة للصوص، لكنها لا ترجع للمغرب الأوسط وإنما تتعلق بالمغرب الأقصى في حكم السلطان المستنصر(يوسف)"...أن مملكة آل عبد المؤمن أخذت في الاختلال في عهد هذا الخليفة بسبب عكوفه على الراحة وإعراضه عن تدبير أمور الدولة وتفويض النظر في الأمور كلها إلى وزرائه وحاشيته حتى ضاعت مصالح الناس وكثر الساعون بالفساد وانتشر في أقطار المغرب ونواحي مراكش قطّاع الطرق وتفاقم سوء الحال...فقد كان كبير وزرائه أبو سعيد ابن جامع يقاسم أولئك اللّصوص وقطّاع الطرق ما ينتهبونه من التجار والمسافرين، ابن القطان، **نظم الجمان**، ص18، ابن عبد الملك، **الذيل والتكملة**، 176/1، 177(السفر8)، يمكن إسقاط الظاهرة واعتبارها معروفة أيضا في المغرب الأوسط بحكم وحدة المجال الجغرافي، ووحدة السلطة السياسية(الدولة الموحدية)، في هذا السياق يمكن إدراج فكرة-وإن كانت المصادر لا تشير لها مباشرة- الجماعات القبلية التي كانت تتولى حماية القوافل التجارية العابرة للصحراء من جدالة ولمتونة ومسوفة(فترة الدولة المرابطية)، في إطار ما يسمى بخفر الطرق، لأنها مجموعات منها من احترف اللصوصية وتعاملوا مع اللّصوص، زعماء القبائل فيها أصحاب ملكيات واسعة وأموال طائلة خاصة بانتقالهم للمغرب والأندلس، وأصبح خفر الطرق وحماية التجار مصدر غير مباشر للّصوصية بمعطى قانوني.

[2]-مجهول، زهرة البستان، ص108، 107.

[3]-أمين معلوف، ليون الإفريقي، ص95.

مصير المسافرين في الغالب القتل بعد سلبهم وتوزع المسروقات بين المساعدين من المكـــاريين واللّصـــوص المسلحين[1].

في آخر الدولة الزيانية يبدو أنّ الوضع السياسي المضطرب وما صاحبه من انتشار للفوضى وغيـــاب الأمن، قد تكونت في خضمه مجموعات لصّصية نشطت في جبال المغرب الإسلامي وقد انضم إليها كثيرون ممن مسهم سوء الأحوال منهم، زوج أخت حسن الوزان هارون الأندلسي وقـــد عـــبر عـــن نشـــاطهم وممارستهم لقطع الطّرق"... **لم أقتل سوى قتلة ولا نهبت سوى لصوص، وما نقطعت لحظة عن خشية الله، قد انقطعت فقط عن الخوف من الأغنياء والمتنفذين، وهنا أقاتل الكفرة الذين يجاملهم أمراؤنا وأحمي المدن التي يُخلونها، ورفاقي من المطرودين والمُبعَدين والمشاغبين من جميع الأنحاء**"[2]، يظهر من قوله أنّ اللّصُوصية أخذت المفهوم الاجتماعي المناهض للوضع العام الـــذي وصـــل إليـــه المغـــرب الإســـلامي مـــع نهايـــة القرن9هـــ/15م[3].

المصادر الفقهية، تحيل لانتشار اللّصوص المنظمين في قرى المغرب الأوســـط وتـــربطهم بـــالأعراب وأعمال الحرابة والغارات التي يشنوها، النازلة التي وردت على الفقيـــه التونســـي ابـــن عرفـــة في ســـنة 796هـــ/1393م من طرف الإمام أبو العباس أحمد المعروف بالمريض"**عن جماعة في مغربنا من العرب ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أو تزيد ليس لهم إلا شن الغارات وقطع الطرقات...نصبوا الغارات على هذه البلاد**"[4]، تحيل النازلة أن القبيلة كاملة يتم وصفها باللّصوصية وقطع الطريق، وإن كـــان بعـــض الباحثين يرى أن فتاوى الفقهاء ومؤرخي البلاط اتجاه الأعراب مبنية على التعصب(بقيت صورة الأعـــراب الهلالية في دخولهم للمغرب الإسلامي في القرن 5هـــ/11م وارتباطهم بالتخريب ملازمة لهم دائما)، إلا أن ذلك لا ينف وجود الظاهرة وتنظيمها داخل القبيلة باعتبارها منظومة يقوم اقتصادها على نظام الإغـــارة، وينظر له كنمط معيشي مشروع، لذلك الكتابة حول الموضوع من الزاوية الفقهية ونظرة المؤرخ السياسي البلاطي يجب الأخذ بها بحذر.

التركيب الداخلي للمجموعة يُظهر قوتها العددية، تتكون من فرســـان وراجلـــين والأكيـــد أنهـــم مسلحين، ويظهر أن لهم زعيم، وجنود، تحترف مهنة أي لا يتقنون غيرهـــا ومعاشـــهم يتوقـــف عليهـــا، يستهدفون عناصر محددة، وموقف السلطة اتجاههم القائم على التخاذل لدليل على قوتهم وشدة تنظـــيمهم، واستقرارهم في مواطن صعبة وموحشة تحيل أن لهم من يقوم بالتكشيف ومراقبة المجـــال للتعـــرف علـــى

---

[1]-أمين معلوف، ليون الإفريقي، ص96.

[2]-المرجع نفسه، ص274.

[3]-يشير ذات المرجع أنّ تلك الجماعات من قطع الطرق كانت من الأوائل المنظمين للفاتحين العثمانيين الذين وصلوا للحوض الغربي للمتوسط، راجع: أمين معلوف، المرجع نفسه، ص273، 274.

[4]-المازوني، الدرر المكنونة، 382/1، الونشريسي، المعيار، 436/2.

ضحاياهم، ويضمن لهم نجاح خططهم للإيقاع بالناس، وبما أنّ المجموعة تتكون من فرسان وراجلين، فيبدو أنّ لكل منهم مهمته داخلها.

تنوعت المجموعات اللّصّصية في المدونة الفقهية بين محترفين لأعمال الحرابة وقطع الطرق على المسالك التجارية والمحترفين لشن الغارات، منها قطاع طرق ومحاربين يقطعون الطريق على القوافل ويهجمون على من يلقونه بعيدا عن العمارة[1]، وسئل العقباني حول موضع خال في قارعة الطريق تمارس فيه القبائل القريبة منه الحرابة وقطع الطريق على المسافرين أُخذ فيه أناس كثيرون وأموال ويعرف بذلك حتى لا يقدر على جوازه ورغم إقامة مرابط يحميه إلا أن الجماعة استمرت تأذي المستقرين به بالسّرقة ليلا[2]، وهذا يوضح مدى تنظيم هذه المجموعة كونها بقيت مستمرة في نشاطها معروفة به بين الناس، رغم موقف الحماية إلا أنهم غيروا في أسلوب الإفساد على الناس لتحقيق غرضهم، فيما سئل ابن مرزوق عن **"قرية جاءها أعراب خيلا ينجعوها...يزيد رجالهم عن ألفين وفارسهم على خمسمائة"**[3]، فالعدد الكبير للمجموعة المكونة لقطاع الطرق على اعتبار أنها تطبق نظام الإغارة.

ويبدو أن هناك من قطّاع الطّرق من كان ينتظم في مجموعة صغيرة إلا أنّ ممارستهم كانت خطيرة منها مجموعة مكونة من خمسة أشخاص معروفة بالسّرقة وقطع الطّريق ويستعملون السلاح دخلوا على مدشر وتسببوا في قتل رجل منه أثناء سرقتهم[4]، وفي رسم إشهاد يصف فيه متعرض لقطّاع الطّرق ما تعرض له، يتبن أنّ ممارسة قطع الطّريق منظمة من طرف شخصين معروفين لدى الناس بقطعهم، وشهرتهم بذلك، ولهم طريقة تعتمد على التنكر بوضع كساء على وجوههم كي لا يعرفهم المستهدفين ويباغتونهم بالضرب على حين غفلة[5].

يمكن القول أنّ المعايير التي تبين نمط اللّصوصية المنظمة، تمركز اللصوص في مكان معين وبتطبيق أسلوب خاص إما الإغارة، الهجوم المباغت، التنكر، واشتهار موضعهم عند الناس.

-حضور اللّصوصية المعزولة أو الفردية بنسبة 25%، يقوم بها أشخاص تدفعهم الحاجة وحالة الفقر التي يعيشونها، حال البغالين في سوق معسكر فرض عليهم واقعهم الاجتماعي امتهانهم للسّرقة كون مهنتهم تعتبر من أوضع المهن، باعتراف صاحب المدينة لحسن الوزان "**...لأنها مهنة وضيعة وشاقة، بالإضافة إلى الأجرة التافهة التي ندفعها لهم ولا تكفيهم قطعا، فسواء ربحوا كثيرا أو قليلا جدا، وسواء**

---

[1]-المازوني، الدرر المكنونة، 211/4.

[2]-المصدر نفسه، ص363/4، الونشريسي، المعيار، 403/2.

[3]-المازوني، المصدر السابق، 86/4، 87.

[4]-المصدر نفسه، 353/4، الونشريسي، المعيار، 402/2.

[5]-المازوني، المصدر السابق، 358/4.

استأجرهم أنا أو استأجرهم غيري، فإنهم يسرقون دائما لأن كافة البغالين ببلادنا تعودوا على منذ طفولتهم، فنتركهم يسرقون وتعسا لمن لا يحترس منهم"[1].

الحاجة تدفعهم للحصول على أغراض بسيطة للاستفادة منها أو بيعها والانتفاع بثمنها من الثياب والطعام، من الناحية العددية يلاحظ أنهم لا يأتون إلا في نفر أو ثلاث، ولا يتجاوزون هذا العدد إلا نادرا، وهم هواة ينقصهم العزم ولا يقدمون على أمر ما إلا في قلة قليلة[2]، يتربصون بالناس في الأسواق والأزقة **"قطع الأزقة"**[3]، ويقتحم بعضهم البيوت والبساتين، متسترين باللّيل لتنفيذ العملية وفي النهار يعتمدون على خفتهم واشتغال الناس عن أغراضهم، في بعض الحالات يشترك سارقان في تنفيذها، يتكفل شخص بالمراقبة والآخر ينفذ العملية وقد يكون له من يساعده في جمع وحمل ما تم سرقته، يتشاركون في المواجهة إذا تم اكتشافهم بالمدافعة والمغالبة لذلك يمكن أن يصطلح عليها سرقة مكابرة ومغالبة أيضا، يمكن تقديم أنموذج يوضحها وإن كان يتعلق بالأندلس فإنه ينتمي للفترة المرابطية أي القرن 5هـ/11م "جئت أنا وعلي الدّرعي وصعدنا والليل على السور ودارُ الحاج ملاصقة للسور، فنزل علي في دار الحاج وسرق الثياب منها، ووقفت أنا على سقف بيت الدار إلى أن رمى لي علي المذكور بحجر فاهتديت إلى الذي أراد، فجعل يناولني الثياب من الدّار وآخذها منه وأنا على السقف أرميها لصاحبنا من وراء السُّور"[4]، نتيجة للخفة التي اعتمدها بعض السراق في أخذهم الأغراض في الأسواق أثناء الزحام واكتظاظ كان الناس يفقدون ما يحملون حال المرأة التي سرقت حزمة ثيابها[5]، ويتتبع بعض السراق الناس في الطرقات والغابات ويستغلون غفلتهم عن أغراضهم ويسرقونها فاللصان تتبعا رجلين يحملان برنسا وفي وقت صلاة أحدهما حاولا سرقته[6]، فيما اشتهر بعضهم بسرقة البيوت، وسرقة الدكاكين يمارسها صبيان صغار ما ذكره ابن مريم حول صبي كان صار يسرق الحوانيت[7] بأسلوب يعتمد على الخفة، وسرقة المحاصيل الزراعية منها دخول سارقان

---

[1]–وصف إفريقيا، 27/2.

[2]–محمد الناجي، جند وخدم وسراري، ص155.

[3]–مصطلح اختص به الباحث التونسي بلقاسم بنعبد النبي"يعتبر اللفظ غريب بعض الشيء فكما تربط الطرقات بين المدن والجهات فإن الأزقة والأنهج تربط بين مفاصل مدينة أو حي أو ربض ما، وبذلك فعبارة **قطع الأزقة** تعني قطع الطرق داخل المدن والأرباض والأحياء، فهي تتماشى واللفظ الفرنسي "braquage"فاللصوص هنا قد يمزقون جسم فريستهم بالمدى ليسلبوه عمامة أو طربوش أو بضعة صوارد، فيكون الحراك الليلي السمة المميزة لهذه الفئة ويكون ملاذها في السكر والعربدة ومنازل الموبقات"، السرقة واللصوصية بالبلاد التونسية في الفترة الاستعمارية(1881–1956م)، رسالة دكتوراه، جامعة صفاقس، تونس، ص211.

[4]–ابن الحاج، نوازل ابن الحاج، 286/2، البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 157/6.

[5]–الغبريني، عنوان الدراية، ص186.

[6]–المازوني، صلحاء شلف، ص148.

[7]–ابن مريم، البستان، ص269.

لبستان ولي ومحاولة سرقة السفرجل منه[1]، فيما تقدم رجل آخر لسرقة التبن من النادر بعد تجميعه[2]، حتى أنّ بعضهم ممن يشتغل في مناصب سلطانية حاول سرقة ثياب رفيعة من خزينة الدولة[3].

يستنتج أن اللّصوصية المنظمة متعلقة بالدرجة الأولى بمجال البادية والريف أي خارج المدينة، هدفها القوافل التجارية أو الإغارة على قرية يحصلون على الأموال والمواشي ومختلف الأحمال، في حين ترتبط اللّصوصية الفردية بالمدينة بسرقة الأغراض المنقولة من الثياب، والخفاف وغيرها.

2-الفئات المستهدفة:

تتوقف الفئات المستهدفة في عملية اللّصوصية وقطع الطريق على نوع السرقة وغالبا ما يكون هدفها الضعفاء من الناس خاصة إذا كانت سرقة مبنية على الخطف ليسد بها اللّص حاجته الآنية من الجوع أو لشراء ما يسد به رمقه، في حين تعتمد المجموعات المنظمة على غياب الأمن للتنفيذ مهمتها في الإغارة والترصد خاصة للفئات التي تعلم أنها تحمل أغراض ثمينة وينتشر بعض من المحترفين في دروب المدن أو على الطرق الكبرى خارج الحواضر، نشاط اللّصوص كان يستهدف البيوت على حين غفلة من أهلها، لأخذ الأثاث أو غيرها مما يستطاع التصرف فيه، أما على المسالك التجارية المعروفة اعتبر التجار ومتاع قوافلهم مصدر أساسي للصوص، ويفيدنا جمع الأعداد التالية في توضيح المستهدفين من اللّصوصية، وتشكيل خلفية حول المشهد بالعناصر المتأثرة من فعل اللّصوصية:

	المسافرون	الأولياء والفقهاء	الرجال	النساء	المصلين	عناصر أخرى	المجموع
التكرار العددي	20	18	15	08	02	03	66
النسبة	%38	%24	%20	%11	%3	%4	%100

الجدول رقم14: المستهدفين من طرف اللّصوص وقطّاع الطّرق في المغرب الأوسط.

[1]-ابن مريم، البستان، ص26.

[2]-المازوني، الدرر المكنونة، 212/4.

[3]-ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص314.

الشكل رقم7: الفئات المستهدفة من طرف اللّصوص في المغرب الأوسط.

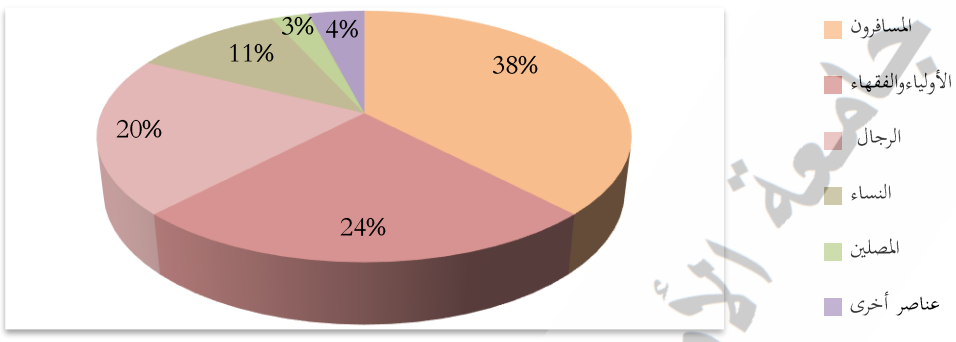

***التعليق والتفسير:**

المعيار المعتمد في التصنيف غير محدد وإنما اعتمد على التقارب داخل المجموعة الواحدة فالمسافرون جمع بين **التجار والحجاج** وغيرهم، حيث مثل حضورهم 20تكرار بنسبة 38%، استهدف قطاع الطرق المجتازين للطرقات من **التجار** منهم التاجر الذي أُخذ جزء من تجارته في موضع بين بجاية والمهدية معروف بسيطرة قطاع الطرق فيه[1]، أما تجار السودان الغربي فكان أحد أكبر مشاكلهم انتشار قطاع الطرق في المناطق الموحشة خاصة وأن الطرق صحراوية بعيدة، منها التجار الذين تعرضوا لقطّاع الطّرق في صحراء الهكار[2]، ويصف عبد الباسط المالطي حال **تجار وهران** مع قطاع الطرق في طريق عودتهم من فاس بعد انتهاء معاملاتهم التجارية **"في هذه الأيام ورد خبر إلينا بوهران بأن جمع من التجار كانوا متوجهين من تلمسان وغيرها إلى فاس وباعوا ما حملوه معهم للاتجار فيه...اتفق أربعة منهم على الرجوع بحيلة احتالوها مشت على العرب وقطاع الطرق"**[3].

واعتبرت صحراء أنكاد من طرف الرحالة أنها أكثر موضع يعاني منه **التجار** في حركة قوافلهم نحو فاس حيث يذكر حسن الوزان أنه قلما ينجو التجار من شرهم[4] باعتباره مستقر للعديد من الأعراب المتسكعين مهنتهم السلب والنهب في المسالك الكبرى[5]يعني أن المجموعة متخصصة في نهب التجار والمارين بالطريق.

واستغل اللّصُوص **الغرباء** من المسافرين لسرقتهم لعدم معرفتهم بالمناطق التي يقصدونها فاللصوص بتلمسان كانوا يتربصون بالغرباء القادمين من مصر، إفريقية، الأندلس وبلاد السودان؛ فهم من السفلة

---

[1]-النويري، نهاية الأرب، 175/24.

[2]-ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص699.

[3]-الروض الباسم، ص58.

[4]-وصف إفريقيا، 11/2.

[5]-المصدر نفسه، 11/2، مرمول كربخال، 292/2.

الذين يكثر فيهم الشر والسفسفة والتحيُّل على تحصيل المعاش[1]، وضح المالطي نجاته من عملية سرقة كادت تودي بحياته حين دخل تلمسان بوصفه غريبا عن أهلها **"دخل مكان سكني بتلمسان اثنان من السرّاق واختفيا بالمترل من غير أن أشعر بهما"**[2]، لم يختلف مصير حسن الوزان عنه حين دخل سوق معسكر حيث سرق عنانه من طرف بغالين"**...لقد سرق عنانك بغّالان للخليفة لم يدريا أنك ضيفنا"**[3]، والمهاجرين الأندلسيين النازحين للمغرب الإسلامي كانوا عرضة أيضا لقطاع الطرق على اعتبار جِدّهم بالمجال الجغرافي وعدم معرفتهم بالمسالك الآمنة[4].

في هذا السياق يصنف أيضا **الحجاج** الذين واجههم اللّصُوص وأخذوا متاعهم[5]، حيث سرقت دابة حاج في برقة[6]، حتى داخل الحرم المكي وحين أداء مناسك الحج لم يسلم الحجاج من أعمال السراق "**والله إننا ليلة خرجنا من جبل عرفة وأصبحنا في منى لم نرقد من شدة العياط والصياح من اللصوص والأبالسة، والسراق ولما أصبحنا نرمي جمرة العقبة جلس على الصخرة التي بجوار الجمرة لص سارق في وسطه نطاقان حتى جاء الليل وكان أشد صياحا وأكثر سرقة**"[7]، يتجه إليهم السرّاق لما يحملونه من أمتاع وأموال أثناء تنقلهم.

ثاني أكبر نسبة من حيث الفئات المستهدفة مثلها **الفقهاء والأولياء** بنسبة24% يعتبر فيها **الأولياء** أكثر عرضة لعمليات السّرقة إذ الغالب عليهم اختبار ولايتهم بمراقبتهم ومحاولة سرقتهم، حتى أنه من الأولياء من اختصت كرامته بمكاشفة السرّاق واللصوص حيث أشار ابن مريم لـ5سرقات لولي واحد[8]، الولي ابن مرزوق تعرض جنانه للسرقة[9]، ومنها أيضا روضة الولي مخلوف بن مسعود بن سعد التي تعرضت للسرقة[10]، وبذلك لم يكتف اللّصُوص بإلحاق الضرر بعموم الناس بل طالت جرائمهم حتى النخبة ورموز المجتمع من الفقهاء والمتصوفة، إذ تعرضت بساتين الأولياء للسّرقة رغم حرمتها الرمزية والاجتماعية[11].

إذا حاولنا اعتماد معيار الجنس في أكثر الفئات تعرضا للسرقة نجد أن **الرجال** أثر عرضة أو يمكن القول أنّ المصادر بينت العنصر الذكوري أكثر من النساء، قد يفسر ذلك لكثرة تنقلهم لمزاولة أعمال

---

[1]-عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 225/1.

[2]-الروض الباسم، ص42.

[3]-وصف إفريقيا، 27/2.

[4]-أمين معروف، ليون الإفريقي، ص96، 95.

[5]-ابن قنفذ، أنس الفقير، ص15.

[6]-ابن مريم، البستان، ص75.

[7]-ابن المدجن، أنساب الأخيار، ص108.

[8]-البستان، ص269-270.

[9]-المناقب المرزوقية، ص163.

[10]-ابن صعد، روضة النسرين، ص12، ابن مريم، المصدر السابق، ص84.

[11]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص61.

التجارة والحج؛ الإشارة حول **المرأة** باعتبارها فئة مستهدفة قليلة تكررت بمعدل 11%منها ما تكون مرافقة لزوجها التاجر في تجارته[1]، ومنها تلك التي كانت تمتهن مهنة غسل الثياب سرقت منها حزمة الثياب في سوق باب البحر ببجاية[2]، كما سرقت أثواب النساء في مرات عديدة منها سرقة ثياب عائشة أخت بن مريم التي غسلت ثيابها مع العشي ونشرتها في وسط الدار ودخل رجل ورفع ردائها وذهب به ليلا[3].

3-الزمان:

مناقشة هذا المشهد تنطلق من عنوان الكتاب المشرقي للجاحظ "**حيل لصوص النهار، وفي تفصيل سراق اللّيل**" حيث يبين لنا العنوان أن مرتكز عملية السرقة وقطع الطريق تعتمد على متغيرين أساسيين؛ اللّيل والنهار، والأكيد للكل منهما أسلوبه تعتمد على الوقت المختار، وفي محاولة للتعرف على أوقات أخرى تنشط فيها أعمال السّرقة وقطع الطّريق جمعت النصوص الدالة على ذلك وتم توزيع أعدادها في الجدول التالي:

	الليل	النهار	الاضطرابات الجوية زمن الشتاء	أوقات الصلاة	المجموع
التكرار العددي	20	07	03	04	34
النسبة	%59	%20	%9	%12	%100

الجدول رقم15: أوقات نشاط السّراق واللّصوص في المغرب الأوسط.

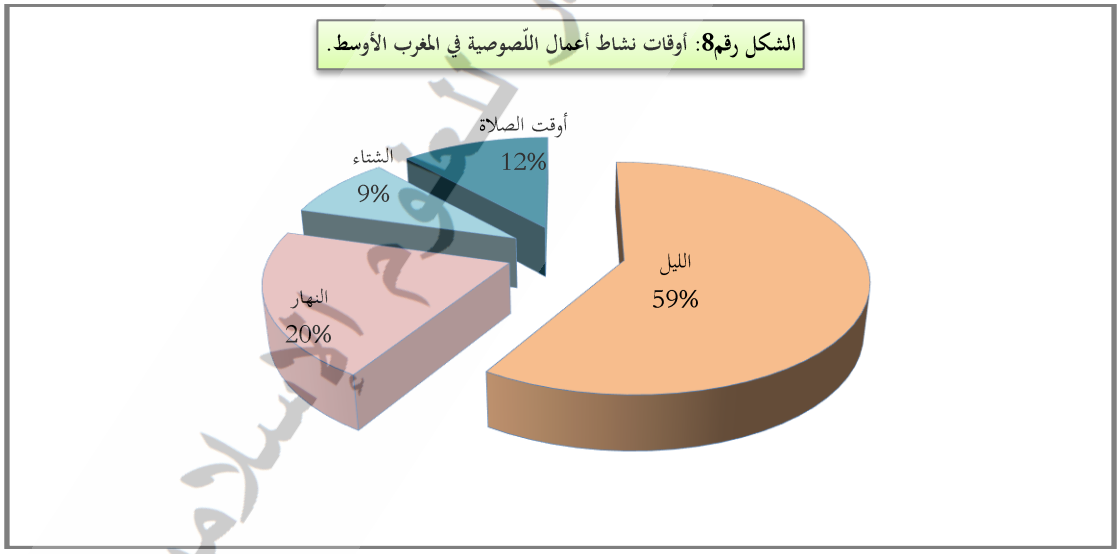

التعليق والتحليل:

-رغم التشدد في فرض الرقابة لتأمين الناس في اللّيل إلا أن اللّصوص تشتد حركتهم في **اللّيل** أكثر من غيرها من الأوقات، يستحوذ حضوره أكبر نسبة بتكرار 20نص أي 59% ما يؤكد طرح ابن المدجن

[1]-ابن صعد، النجم الثاقب، 398.

[2]-الغبريني، عنوان الدراية، 165.

[3]-ابن مريم، المصدر السابق، ص269.

"أن الليل تشتد فيه السرقة، وتكثر فيه حركة اللّصُوص"[1]، لما يوفره من قلة الحركة للناس، وإمكانية التستر بالظلام، وطبيعة المسروقات إذا كانت ثقيلة، يساعد الليل على نقلها، خاصة إذا كان خطفا للأشخاص حيث كانت تشد سرقة الأطفال في الليل[2]، ورغم توفر الحراسة إلا أنهم يخرجون لممارسة أعمالهم الذميمة[3]، فاستغل الليل لسرقة ونهب المحلات في فترة الحروب[4]، في إشارة من النميري أن **اللّيل** يساعد على الاختلاس والنّهب أثناء حركة السلطان المريني لإفريقية"**...ضننا أن أسباب أهل المحلة قد امتدت إليها أكفف الانتهاب وأعان السيل والليل على الاختلاس والاستلاب"**[5]، في هذا السياق يمكن إضافة زمن يتوافق مع الليل ويعتبر عنصرا مدعما له في حالة اللّصوصية، يمثل فرصة لتحقيق نتائج، هو زمن الاضطرابات الجوية في فصل **الشتاء**، يمثل حضوره 5%ذلك أنّ الجو المتقلب من مطر وثلوج يساعد في تنفيذ خطة السرقة وقطع الطريق، لصوص أنكاد نشاطهم مرتبط بفصل الشتاء **"قلما ينجوا التجار منهم سيما في فصل الشتاء"**[6]، وردت نوازل حول من كانوا ضحية السرّاق في الليل وتعرضوا للجروح، عن رجل جرح ليلا حين دخل دوارا للتلصُّص[7].

-حضور السرقة **بالنهار** بنسبة 20% يبين أنّ انتشار اللّصوصية في وضح **النهار** مرتبطة بالوضع الأمني العام داخل المدينة أو خارجها، وإذا كان قطع طريق فغالبا ما يغيب دور الزمان في تنفيذ المهمة لأن القوة هي مصدر الاحتكام، تكون المجموعة المنظمة لعملية القطع قد راقبت المستهدف وحددت نقطة ضعفه للاستيلاء عليه والحصول على متاعه، في حين إذا كانت السرقة فردية يستغل غفلة الناس عن البيوت ومغادرة التجار لحوانيتهم[8]، وقد تكون بالمغالبة والقهر، والقوة العددية، يستخدم فيها اللّصوص والمحاربين السِّلاح، وأخرى تأخذ أسلوب الغارات التي تشن على القرى والمجاشر، ويضاف لها انقطاع الشوارع من المارة في زمن هجيراء الظهيرة خلال فصل الصيف.

ويتوافق هذا أيضا مع **أوقات الصلاة** حيث يستغل اللّصوص اشتغال الناس بأداء عباداتهم والدخول لحوانيتهم أو البساتين، ومن أمام المساجد تسرق أغراضهم، لذلك وردت نازلة حول من خاف أن يسرق ثوبه أو ينهب ماله وقت صلاة الجمعة[9]، فقد اشتهر عند الناس أنّ السرّاق يأخذون أحذية المصلين من

---

[1]-أنساب الأخيار، 108.

[2]-الإدريسي، المغرب وأرض السودان (مأخوذ من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، طبع بريل، ليدن، 1863، ص33.

[3]-محمد ناجي، جند وخدم وسراري، ص121.

[4]-ابن خلدون، الرحلة، ص98، التنسي، نظم الدرر، ص267.

[5]-فيض العباب، ص260.

[6]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 11/2، مرمول كربخال، ص109/1، 292/2.

[7]-الونشريسي، المعيار، 528/6.

[8]-الغبريني، عنوان الدراية، ص165، ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص202، حسن الوزان، المصدر السابق، 27/2.

[9]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 368/1.

أمام باب المسجد[1]، أما المسافرون الذين يؤدون صلواتهم أثناء تنقلهم كانوا عرضة لضرر اللّصُوص وشكل خشوعهم في الصلاة وقتا لتحقيق سرقتهم حيث ذكر المازوني تنقل المريدين للأولياء وأحوالهم مع اللصوص"...**فبينما هو في بعض الشعاب حان عليه وقت صلاة الظهر أو العصر، فنزل ليؤدي فريضته ووضع البرنس عند وصيفه فلماّ تلبس بالصلاة وإذا بلصين عمد أحدهما إلى البرنس فاختطفه من الوصيف وهم أن يهرب**"[2]، فاللصّين كانا يترقبان الرجل ورفيقه وعمدا لسرقة أغراضهم أثناء **خشوع** الرجل **في الصلاة** ما بينته عبارة فلما تلبس بالصلاة، **أما** وقت صلاة الجمعة فيعتبر منفذا للصُّوص للحركة والسطو على البيوت والبساتين مثل محدث مع الولي الحسن بن مخلوف المزيلي و والده مخلوف بن مسعود"...**كنت صغير السن فلما قربت صلاة الجمعة وأراد أبي أن يذهب إلى الصلاة أمرني أن أمكث في الروض حتى يقضي الصلاة ويرجع إليّ فلما ذهب أبي وبقيت في روض وحدي دخل عليّ إنسان من غنادر البادية وهياجم قاصدا الخيانة**"[3]، حاول اللّصوص استغلال كل الظروف التي تسمح بأخذهم دون عناء فسرقوا بالليل، النهار، وحتى استغلوا أوقات أداء الشعائر الدينية.

4-المسرح:

أخذت أمكنة السّرقة والتلصُّص مواضع عديدة، تختلف حسب نوع اللّصوصية، ينتشر السرّاق داخل المدينة، وفي دروبها، في المقابل تعدّ الطرق والمسالك نقاط تجمع مجموعات المحاربين في ظل غياب مراقبة السلطة المركزية للحدود بين المجالات، خاصة وأنها تعتبر مجالات غير مستقرة من الناحية الأمنية ونقاط صراع بين القوى السياسية المتنازعة من أجل التوسع والتحكم في منافذ الطرق التجارية الكبرى، فضعف السلطة المركزية يحفز نشاط اللّصوص وقطاّع الطّرق في المسالك خاصة التي تقع في المفازات المخيفة والموحشة، وتشن الغارات الجماعية على القبائل الضعيفة التي تقطن بالقرى غير المسورة، والجدول التالي مع الشكل البياني المرافق له يسمح لنا بتوضيح أماكن انتشار اللّصوصية:

المكان	الطرق والمسالك	المنازل	المسجد/الزاوية	البساتين	القرى	أخرى	المجموع
التكرار العددي	30	12	05	05	04	09	65
النسبة	%46	%18	%8	%8	%6	%14	%100

الجدول رقم16: الأماكن التي نشطت بها الممارسة اللّصَصية في المغرب الأوسط.

[1]-ابن قنفذ، أنس الفقير وعزّ الحقير، ص78.

[2]-صلحاء شلف، ص148.

[3]-ابن مريم، البستان، ص84.

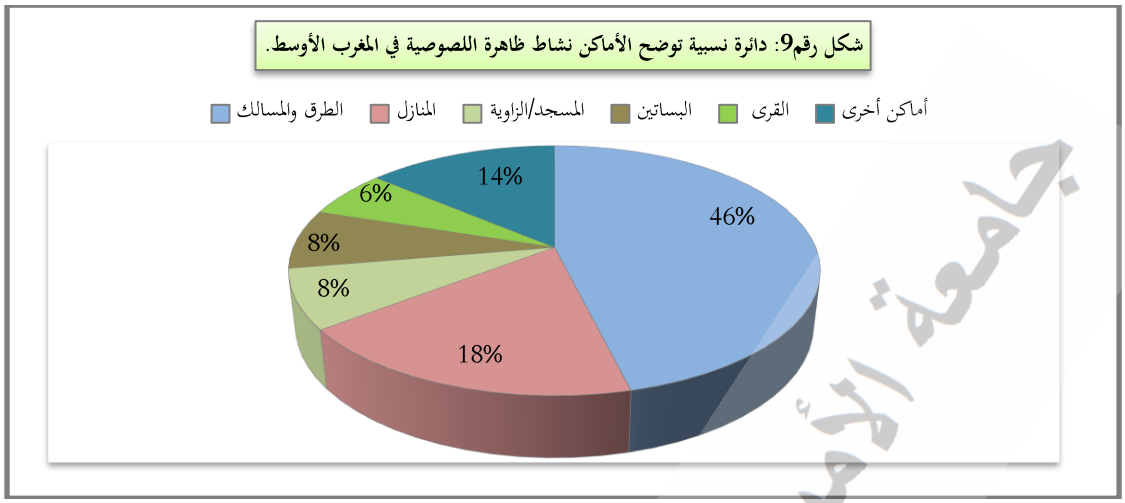

***التعليق والتحليل:**

-كما ذكرنا سابقا أن الاعتبارات السياسية والأمنية جعلت من **الطّرق** مسرح مهم للّصوصية والحرابة بامتياز بحضور تقدر نسبته46%، ويرجع أيضا لطبيعة الطرقات إذ تقع على مفاوز يصعب اجتيازها وحتى طبيعتها تُسهل اختباء اللّصوص ومراقبة المارين وتنفيذ خططهم، ونص **ابن أبي زرع** يعطي صورة واضحة"...**وكان بعين علون شجر من طخش وعليق وكلخ وبسابس وأشجار برية وكان بها عبد أسود يقطع الطريق وكان الناس قبل بناء المدينة يتحامونها ولا يمرون بتلك الناحية ولا يقدر أحد على سلوكها من أجل علون المذكور والتفاف الأشجار وخرير المياه الأنهار وكثرة الوحوش المؤذية بها، فكان الرعاة يتحامونها بمواشيهم ولا يسلكها الا الجماعات من الناس**"[1]، طبيعتها الموحشة جعلت الناس يهجرونها مما حفز قطاع الطرق للاستقرار بها، ومرمول كربخال في وصف **مفازة** أنكاد "**أرض فسيحة خالية لا شجر ولا ماء...وهي أوغل قسم بهذا الإقليم في الغرب، يبلغ طوله ثمانية وعشرين فرسخا وعرضه ثمانية عشر فرسخا، وتكثر فيه طيور الغدران**"[2]، المكان خالي من العمارة ويصعب على النّاس اجتيازه إلا برفقة، هذا جعله مهيأ لاستقرار اللصوص وأهل الحرابة به، العامل الاقتصادي له دور في جعل الطّرق مركز استقطاب للّصوص بحكم أنها مجال لحركة الأموال بأنواعها النقدية والعينية من طرف التجار، والمتنقلين الرسميين من الدولة الوفود وأصحاب البريد.

-لصوص **المنازل والأزقة** الإشارات حولها وردت بـ 12 إشارة بمعدل 18%خاصة عند غياب أصحابها منها، وقد يهجمون عليها لسرقتها[3]، يستخدم البعض وسائل لسرقة البيوت من خلال نقبها وأخذ

[1]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص39.
[2]-إفريقيا، 292/2.
[3]-المازوني، الدرر المكنونة، 353/4.

الأغراض حيث نقب أحد اللصوص جدار بيت وسرق منه متاع[1] وآخر نقب جدار دار أيضا وسرق منه سليخة تمر[2].

غياب الفلاحين عن **بساتين والجنان** جعلها مسرح للسرّاق واللّصُّوص لأخذ ثمارها[3]، يبين الشكل حضورها بنسبة 8%، حيث دخل السارق جنان ابن مرزوق يريد سرقة الثمار منه[4]، ودخل سراق روضة أحمد بن موسى الشريف الإدريسي(ت950هـ/1543م) لسرقة السفرجل "دخلوا روضته يسرقونه فوجدوا السفرجل فرفعوا منه شوامي على ظهورهم"[5]، وسرق بعضهم الفسائل الصغيرة من الجنان[6].

غالبا ما تكون **القرى** هي المسرح الذي تنشط فيه غارات المحاربين، وقد تكرر ذكرها 4مرات ما يقارب6%، الأعراب المتمردين على السلطة السياسية كانوا يقطعون الطرقات ويغيرون على القرى والمداشر مع الأحيان والأوقات[7]، وردت نوازل في الدرر المكنونة حول **القرى** التي استهدفتها غارات القبائل الغارمة، منها أهل قرية جاءها أعراب خيلا ورجالا بنجوعها[8]، وقرية أخرى شنوا عليها الغارات[9].

توزعت أماكن أخرى بين **الأسواق** حيث سرقت رزمة ثياب لغاسلة ثياب في زحام في سوق باب البحر في بجاية[10]، سرق حمالين لحسن الوزان عنان فرسه في سوق معسكر[11]، ويبدو أن من السراق من كان متخصص في سرقة **الدكاكين** والحوانيت ويظهر من نص ابن مريم أن السراق من الصبيان من كان يقوم بها "**...فوجد صبيا صغيرا كان سارقا يسرق الحوانيت** "[12]، كما سرقت الأموال والثياب الثمينة من بيت مال المسلمين من عاملين به[13]، حتى أنه سرق المصحف الشريف من **خزينة** السلطان[14].ولم تسلم أغراض الخيول في **الإسطبلات** من تربص السُّراق؛ ذكر ابن مريم ثلاث إشارات، منها أن سارق دخل إسطبل فوجد تلاليس الخيل فأخذها وجعلها في شاميته وخرج على باب الدرب[15]، وسرق آخر دير

---

[1]-ابن الزيات، التشوف، ص413.

[2]-المصدر نفسه، 418.

[3]-ابن صعد، روضة النسرين، 125، ابن مريم، البستان، ص84.

[4]- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص163.

[5]-ابن مريم، المصدر السابق، ص26.راجع أيضا، المقصد الشريف، 147.

[6]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 328/4.

[7]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص288.

[8]-المازوني، 386/1.

[9]-المصدر نفسه، 87/1.

[10]-الغبريني، عنوان الدراية، ص165.

[11]-وصف إفريقيا، 27/2.

[12]-ابن مريم، المصدر السابق، ص269.

[13]-ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص314.

[14]-المصدر نفسه، ص461.

[15]-ابن مريم، المصدر السابق، ص270.

السرج من على ظهر الفرس[1]، وسرق لجام خيل بعض الضيوف زاروا الفقيه محمد بن أحمد بن محمد الشريف المليتي(ت985هـ/1577م)[2].

تعرض الركاب في **المراكب البحرية** لمحاولات السرقة[3]، في حين أنّ **المساجد** لم تشفع لها حرمتها الدينية وكانت مسرحا للسرقات أيضا، ذكر ابن مريم أن بعض الشطار دخلوا الجامع الكبير بتلمسان ليلا وما ردهم إلا كرامة شاهدوها من الولي أحمد بن الحسن الغماري(ت874هـ/1470م)[4]، حتى **الزاوية** ورغم تمتعها بالحرمة الاجتماعية إلا أنها تعرضت للسرقة والتلصُّص[5].

5-أدوات الجريمة وأساليبها:

الإشارات حول أدوات الجريمة نادرة إلا في القليل، والبعض منها يتم استنتاجها من آثارها كالجروح والقتل، تشير إلى استخدام أدوات حادة تستشف من النوازل الواردة في باب الجروح والقصاص، أشارت نازلة سئل الفقيه فيها عن لص يدخل بالعصا أو الحديد بحيث لو فطن به صاحب الدار قاتله[6]، واستخدم بعض اللّصُوص السيف لي مواجهة العابرين في طرقات؛ جاء في نازلة حول ثلاث سّراق يحملون السيف يتعقبون المسافرين حتى أصابوا به أحد المسافرين إصابة أدت لموته[7]، والواضح أنه استخدمت أدوات حادة في سبيل الوصول إلى المسروقات تدل عليها "**نقب**" حيث تنقب جدران البيوت وتتم سرقة الأغراض منها[8].

أما من ناحية **الأساليب** تختلف حسب طبيعة اللّصوصية، والتفصيل فيها يعتمد على مدى حضور التخطيط وكيف تنفذ عملية السطو، أم أنها تتم بأسلوب عشوائي يخضع لمقدرة اللص، وملائمة الظروف لتحقيق الغرض.

النصوص الواردة في المصادر محدودة وفي الغالب تنتمي لمجال المغربين الأدنى والأقصى مما يدفع بنا للاستئناس **بالإسقاط والتعميم**؛ انطلاقا من الفتوى التي تبين "**أنّ لصوص المغاربة محاربين**"[9]، وأتي تحري مجموع الأساليب من خلال تقديم مجموعة من النصوص وتفكيكها لاستخلاص الأسلوب على النحو التالي:

1-ابن مريم، البستان، ص270.

2-المصدر نفسه، ص270.

3-ابن مرزوق، المسند، ص484.

4-البستان، ص34.

5-المازوني، صلحاء شلف، ص196، 197.

6-المازوني، الدرر المكنونة، 334/4.

7-الونشريسي، المعيار، 529/6.

8-ابن الزيات، التشوف، ص413، 418.

9-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 180/6، المازوني، الدرر المكنونة، 371/4، الونشريسي، المعيار، 406/2.

***النص الأول:** "...وفي مختصر شيخنا(ابن عرفة) الحرابة: الخروج لإخافة السبيل بأخذ المال محترم بمكابرة قتال أو خوفه أو إذهاب عقل أو قتل خفية أو بمجرد قطع الطريق لا لإمرة ولا نائرة ولا عداوة، فيدخل **الخناقون** والذين يسقون الناس **السيكران** فيأخذ أموالهم؛ **محاربون**"[1].

في تعريفه للحرابة أشار الفقيه لأسلوبين يصنفان ضمن **المكابرة والمغالبة**، الأسلوب الأول **الخناقة** الذي استعمله اللّصُوص القائم على الخنق، والخناقون قوم يسرقون الناس ويخنقونهم[2]؛ قدم الجاحظ صورة واضحة ومتكاملة إذ يقوم على الحكنة في تنفيذه مع تنوعه "...أن **الخناقين** يظاهر بعضهم بعض فلا يكونون في البلاد إلا معا ولا يسافرون إلا معا فربما استولوا على درب بأسره أو على طريق بأسره، ولا ينازلون إلا في طرق نافذ ويكون خلف دورهم أما صحاري وإما بساتين وإما مزابل وأشباه ذلك، وفي كل دار كلاب مربوطة ودفوف وطبول ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلم كتاب منهم، فإذا **خنق** أهل دار منهم أنسانا ضرب النساء بالدفوف وضرب بعضهم الكلاب فسمع المعلم فصاح بالصبيان انبحوا وأجابهم أهل كل الدار بالدفوف والصّنوج كما يفعل نساء أهل القرى، وهيجوا الكلاب، فلو كان **المخنوق** حمارا لما شعر بمكانه أحد..."[3]، **خصائص الخناقون**؛ يتحركون في جماعة، لأنهم لا يستهدفون الأفراد فقط بل يهجمون أيضا على دور كثيرة، ودروب أيضا، ويشددون في اختيار الطرق ذات الممرات الواضحة تسهيلا لهروبهم وضمانا لأمنهم، أمان استقرارهم تكون في موضع معزولة، ومشبوهة مثل المزابل والبساتين وحتى خارج المدينة في الصحراء، للتمويه عنهم وترافقهم الكلاب، لهم طقوس خاصة في الهجوم وتنفيذ الجريمة، منها أخذوا تسميتهم وهي **خنق** الضحية **باليد** وتضليل من حولهم بالدفوف وصوت الكلاب للتمكن من المسروق وتحقيق الهروب بسهولة، دقة التنفيذ واضحة في نص **الجاحظ** لا تجعل أحد ينتبه لهم ولا لضحاياهم إلا بعد مدة من الزمن.

و لم يتوقف أسلوب **الخناقين** على هذا فقط بل استخدموا **طريقة ثانية** مستعملين **الحبل** في **خنق الضحية "الوهق"** وللجاحظ كذلك نص يوضحها"...وكذلك أنّ بعضهم رغب في ثُويب كان على حمَّال، وفيه دريهمات معه، فألقى الوهق(حبل مفتول)في عنقه فغشي عليه و لم يمت، وتحرك بطنه فأتى المتَوضأُ، وتحرك الحمَّال والسّاجور(قلادة توضع في عنق الكلب) في عنقه فرجعت نفس الحمَّال، فلما لم يحس بأحد عنده قصد نحو باب الدار، وخرج وِزْيَارَهُ(شناق يشد به البيطار جَحْفَلَة الدّابة) في عنقه وتلقته جماعته فأخبرهم الخبر، وتصايح الناس فأخذوا عن آخرهم"[4]، **فالخناقون** يرمون الحبال على الضحية ويشدون الوثاق حتى إذا غاب عن وعيه وسقط يحملون الأموال والأمتعة ويفرُّون تاركين الضحية في حالة خوف

---

[1]-الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، ص654، 655، ابن عرفة، المختصر القوانين، 269/10، ابن فرحون، تبصرة الحكام، 204/2.

[2]-الزمخشري، أساس البلاغة، ص268.

[3]-الجاحظ، الحيوان، 165/2، 264.

[4]-المصدر نفسه، 265/2.

وهلع، وقد يكون مصير البعض الموت، هذا الأخير في الغالب عند استخدامهم لأسلوب **الوكز بالأصبع** في **موضع قاتل** من جسد الشخص المقصود "**الخناقون**...يخرجون مع الرّفقة والتجار بقدر ما فيها من الرجال ويحسبون حساب كل رجل من التجار فإذا عرف أحدهم **موضع النفس** من صاحبه **وكز** كل واحد منهم صاحبه الذي حسب له في ذلك الموضع فيقع جميع التجار موتى"[1]ويستولون على القافلة وأحمالها، متمرسون يعتمدون على القوة العددية والبنية الجسدية دون إغفال الخفة في السرقة والتنفيذ.

حسب نص الفتوى؛ هؤلاء يصنفون ضمن أهل الحرابة وحكمهم حكم المحاربين، وفي النص إشارة لأسلوب آخر وهو سقاية الناس بالسيكران[2] **"والذين يسقون الناس السيكران فيأخذ أموالهم"**، ومن الخناقين من جمع بين الأساليب كلها الخنق باليد والوكز بالإصبع والمباغتة بالأحجار ومنها التشميم، لأن من **الخناقين** من يكون **جامعا**، وبذلك يسمونه إذا جمع الخنق والتشميم، وحمل معه في سفره **حجرين مستديرين** مدملكين ومُلملمين فإذا خلا بالرجل من أهل الرِّفقة استدبره فرمى بأحدهما قَمَحْدَوته (الهنة الناشرة فوق القفا وأعلى للقذال خلف الرأس، وإصابة هذا الموضع قاتلة) وكذلك إن كان ساجدا، فإن دمغه الأول سلبه، وإن رفع رأسه طبق بالآخر وجهه، وكذا إن ألفاه نائما أو غافلا"[3]، يضرب **غيلة** على حين غرة من خلف رأسه الإصابة هنا قاتلة في حينها، تمكنه من أخذ المسروقات.

جمع هذا الأسلوب بين وسائل عديدة سمحت لنا برسم صورة عنه، وعن مدى انتشاره في بلاد المغرب يجزم الباحث التونسي بنعبد النبي أن الوضع لا يختلف بالبلاد المغربية عن مثيلتها المشرقية.

***النص الثاني:** "...وانظر المسمين **بالشّفّارين** وصفهم أنه يأخذ **شفرة قاطعة** جدّا ويداخل الناس وينظر إلى ذراع الرجل ووسطه فمتى ظهر له المال فيَبُطُ ذلك الموضع **خفية** بتلك **الشفرة القاطعة** حتى يقطع ذلك المال ويأخذه من ذلك الموضع وربما جرح المأخوذ منه أو قطع عضوا منه بشدة الضربة ولا شعور له والظاهر عندي أنها **حرابة** لأنه أخذ مال في **خفية بسلاح** فأشبه **الغيلة** بالحرابة"[4]؛تسمية الأسلوب مرتبط بأداة الجريمة **"الشفرة"، الشّفّارين** يأخذون الشفرة الحادة والقاطعة، يختارون المواضع المزدحمة بالناس ويتربصون بالضحية بينهم فيقطعون مكان المال سواء كانت اليد أو كان مقدما بوسط الشخص، ويهربون به، مخلفين بالمقصود جروح أو يفقد أحد أعضائه دون شعور منه، ويتطلب هذا الفعل المراقبة الجيدة متى

---

[1]– ابن طاووس، فرج المهموم في تأريخ النجوم، منشورات الرضى قم، إيران، 1943ص12.

[2]–النصوص الفقهية وردت فيها الكثير من النوازل حول استخدام السكران من أجل السّرقة منها نص ابن زيد القيرواني "وهؤلاء الذين يسقون الناس السيكران أنهم محاربون إذا سقوهم ليسكروا فيأخذوا أموالهم"، **الفواكه الدواني**، تح: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص203/2، نص لابن رشد"...وإنما هو سويق أعطانيه إنسان فأخبر أنه يُسكِرُ من أكله فأطعمتهم إياه ليسكروا، و لم أرد قتلهم وإنما أردت أن أخدِّرهم فآخذ ما معهم فلما طعموه فمات هذان ولُبِطَب هذين فحللت من أكمامهم خمسة دنانير فذهبت بها"، **البيان والتحصيل**، 376/16.

[3]–الجاحظ، الحيوان، 270/2.

[4]–البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ص182/6.

اشتد الزّحام حتى لا يلحظونه وقت الهروب، مع السرعة في التنفيذ، اجتمعت في الطريقة عناصر السرقة والحرابة، السرقة خفية بسلاح وهو الشفرة الحادة، لذلك حسب الفقهاء تصنف ضمن حرابة المدينة إذ لا تتوقف الحرابة على الطرق والمسالك البعيدة عن المدينة، بل استعمال السلاح وإخافة الناس يعد حرابة.

***النص الثالث:** "...قتل **الغيلة** حرابة وهو أن يقاتل رجلا أو صبيا فيخدعه حتى يدخله موضعا فيأخذ ما معه"[1]، الغيلة أن يأتي بالمقصود بالسرقة ويَصحبه حتى لا يراوده شك بنيته اتجاهه حتى إذا خلى به في موضع إما يسرق ما معه أو يضربه بأداة ويأخذ متاعه، الأسلوب قائم على سلوك الخديعة، وابن رشد في شرحه للقتل حدد تعريفا لقتل **الغيلة** "القتل أربع أوجه خطأ وعمد وشبه عمد، **وغيلة**، وقتل **الغيلة** هو أن **يقتله على ماله** فهذا يجب عليه القتل حدّا من حدود الله عزّ وجل لا عفو للأولياء فيه قياسا على المحارب في قوله عزّ وجل إنما جزاء الذين يحاربون"[2] وقد حدث بالقيروان أنّ امرأة خدعت طفلة صغيرة عليها حلّي حتى رمتها في بئر بعد أن أخذت ما معها فماتت فيها[3]، تقوم على الهجوم غفلة من المقصود فيعجز عن الدفاع على نفسه.

***النص الرابع:** ذكر المالطي "دخل لمكان سكني بتلمسان اثنان من **السّراق** **واختفيا** بالمنزل من غير أن أشعر بهما ثم ثار علينا ليلا وجرى لي معهما أنا ومملوك لي خطب كبير بعد أن أحسسنا بهما قبل أن يأخذنا النوم وسلم الله تعالى من شرهما وخلصا من أيدينا هربا بحيلة منهما ولو ثاروا بنا ونحن رقود لحصل مالا خير فيه"[4]و"سئل إبراهيم العقباني عن رجل جاء لدواره ليلا وبه جرح فادح فقيل من فعل بك هذا؟ فقال مشيت **متلصِّصًا باللّيل** كما **يفعل العوام من المتلصِّصُون**"[5]، يتفرد أصحاب هذا الأسلوب بنشاطهم في وقت محدد وهو الليل لذلك أخذوا اسمهم منه **"هجامة الليل"**، إذ يهجمون على الناس والبيوت مكابرة ومغالبة، مستعملين السلاح، أكثر من يتعرض لخطرهم المصلون، ومن يتحركون بالليل مثل الأولياء أشار المقري لشكل تلصُّصِهم بقوله"**...وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم وإغيائهم في أمور التلصص، إلى أن يظهروا على المباني المشيدة، ويفتحوا الأغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوف أن يقر عليهم أو يطالبهم بعد ذلك ولا تكاد في الأندلس تخلو من سماع "دار فلان دُخلت البارحة "و"فلان ذبحه اللّصُوص على فراشه"**[6]، في إقرار للسارقين وصفا شكل سرقتهم"...جئت أن وعليّ الدرعي وصعدنا في الليل على **السّور**، ودار الحاج المسروقة ملاصقة للسّور، فنزل علي في دار الحاج وسرق الثياب منها، ووقفت أنا على سقف بيت الدار إلى أن رمى لي عليّ المذكور بحجر فاهتديت إلى الذي أراد، فجعل يناولني الثياب من الدّار ثوبا، وهو

---

[1]-ابن فرحون، تبصرة الحكام، 204/2.

[2]-البيان والتحصيل، ص370/16.

[3]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ص180/8.

[4]-الروض الباسم، ص42.

[5]-المازوني، الدرر المكنونة، 343/4.

[6]-نفح الطيب ، مج219/1.

في الدّار وآخذها منه وأنا على السقف وأرميها لصاحبنا من وراء السّور"[1]، سرقة تشارك فيها ثلاث سرّاق **هجموا** على بيت **بالليل** من على سوره وكان لكل واحد منهم مهمة معينة من دخل البيت ومن بقي يتسلم المسروقات والثالث كان خارج السور ليستقبل الأغراض، وفي الليل تعرض المصلين المتوجهون للمسجد لهجوم اللّصُوص خرج أبو حفص[2] ليلة متوجها للمسجد بعدوة أم ربيع فإذا اللّصوص خارج القرية مرتقبين من يمر بهم فيجردوه من ثيابه[3]ومنهم من أصابه اللّصُوص بعاهات دائمة حيث خرج اللصوص ليلا على حاج أصابوه في رجله وبسببها بقي أعرج[4]، وهجم خمسة لصوص معروفين بالسرقة والخيانة وقطع الطريق وغيرها على دار بمجشر مستعملين السلاح فقتلوا رجلا بها وتمكن أهل المجشر من حبس ثلاث أفراد من العصابة وأقروا بقتل الرجل[5] لذلك يصطلح عليهم من أسلوبهم **بهجامة الليل** الذين يتسترون بالليل لتنفيذ عملية السرقة والسطو على الممتلكات.

الأسلوب الأخير النصوص فيه كثيرة وهو أسلوب **المكر والحيلة** يتحين فيه السرّاق المناسبات لتنفيذ حيلهم فغايتهم الحصول على المسروقات(اللباس، الأحذية، الأكل...)، لا يقصدون الإضرار بالناس، تستوجب الذكاء وخفة اليد، يستخدم بعضهم مساعدين لتحقيق سرقتهم كالبخارين الذين يعملون على إلهاء أصحاب الدكاكين إذ يكثف البخار في قوة دخان البخور ويرش الماء على وجهه ليشتت ذهن الزبون ويترك المجال للسارق للاختلاس ثم إذا فرغ المشتري عنه قسم ما أخذه وأعطاه حسب ما احتوى عليه[6] واعتبر المحتسبين خطورتهم بخطورة السارق وأوجب فيهم القطع[7]، كما أنّ منهم من كان يسرق أهله حيث دخل رجل منزل أخيه وسرق منه المال تحت ثيابه وهو خارج من منزله[8]، واستغلت امرأة شاطرة غفلة رجل كبير يعد نقوده وهي تشاهده من نافذة البيت، واتهمته بسرقتها منها وبيانها أنها تعرف القيمة المالية بالحزمة[9]، وفي هذا السياق استغل البعض النوافذ ودخلوا منها للبيوت لسرقتها وأخذوا ما يقدرون على حمله[10].

الأساليب المطبقة تتوزع بن المدينة والبادية وإن كان الغالب على بعضها انتشارها بمجال معين دون الآخر لكن المتفق عليه أن استخدام السلاح في السّرقة لإخافة الناس يصنف ضمن حرابة المدن.

---

[1]-ابن الحاج، نوازل ابن الحاج، 287/2.

[2]-أبو حفص عمر بن أبي يعقوب تصولي بن وابوسْكط المشْنْزائي توفي سنة 595هـ راجع أخباره ابن الزيات، التشوف، ص309.

[3]-المصدر نفسه، ص309.

[4]-البادیسي، المقصد الشريف، ص113.

[5]-المازوني، الدرر المكنونة، 353/4-357، الونشريسي، المعيار المعرب، 402/2.

[6]-ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص51.

[7]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[8]-المازوني، الدرر المكنونة، 373/4.

[9]-البادیسي، المصدر السابق، 113.

[10]-المصدر نفسه، 148.

6-أصناف المسروقات:

أنوع المسروقات عديدة وتنضوي تحت أشكال رئيسية تتفرع عنها أنواع عديدة[1]تنوعت المسروقات بين أشكال عديدة ومجموعها 72 تتوزع وفق الجدول الآتي:

	الأموال	الثياب	الأشخاص	الماشية	مسروقات متنوعة[2]	الثمار	أخرى	المجموع
التكرار العددي	18	14	08	07	12	06	07	72

الجدول رقم17: أنواع المسروقات التي يسرقها لصوص المغرب الأوسط.

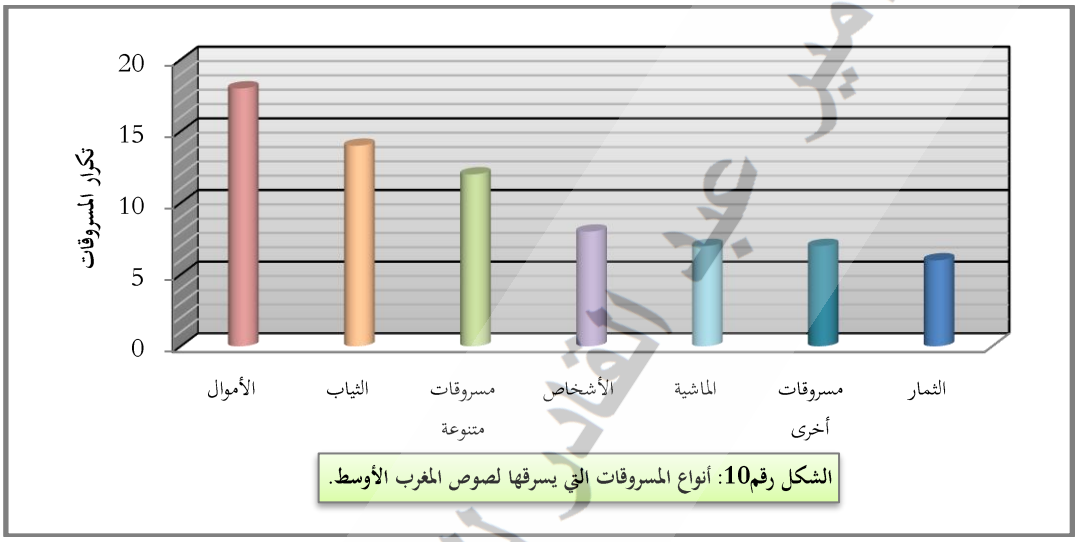

الشكل رقم10: أنواع المسروقات التي يسرقها لصوص المغرب الأوسط.

***التعليق والتحليل:**

-الملاحظ أن أصناف المسروقات تصب في أربع خانات؛ مسروقات **نقدية**، وأخرى **عينية**، و**الأشخاص**، وأخرى **غير محددة**، حصة السرقات من **الأموال** تمثل النسبة الكبيرة ب18 إشارة تتوزع بين النقود والحلي، منها سرقة رجل وامرأته لدراهم تاجر من بيته[3]، وكثير ما ارتبط هذا الصنف بقطّاع الطّرق الذين يترصدون للتجار والمسافرين على المسالك باعتبارهم ناقلين للأموال[4]، ومن حيث الكمية تدل عليها عبارات لأخذ مالا كثيرا[5]، تحصد غارات المحاربين الكثير من أموال وحلي أهل القرى ذكر صاحب المعيار أن قوم أغاروا على منزل رجل فانتهبوه وذهبوا بما فيه من مال وحلي وغير ذلك[6].

---

[1]-انظر **ملحق رقم 9:** يوضح أصناف المسروقات وفروعها.

[2]-يقصد بالمسروقات المتنوعة التي وردت في عبارات الأحمال والأثقال، والأمتعة الكثيرة...لأننا لا نعرف مكونتها.

[3]-المازوني، الدرر المكنونة، 372/3.

[4]-المصدر نفسه، 184/4.

[5]-ابن مريم، البستان، ص232.

[6]-الونشريسي، 162/5.

-شكل **اللّباس** ثاني أكبر نسبة في نوعية المسروقات انقسمت بين الثياب والأحذية (الأخفاف)يحصل عليها من الأسواق، البيوت، الأزقة، وحتى من أبواب المساجد، في زمن الحرب تم نهب قطيفة[1]، وسرق البعض من خزينة الدولة أفخر الثياب وأرفعها"...**واحتضن في حجرته وتحت ثيابه عدة من رفيع الثياب المقومة بكبير من المال**"[2]؛ لو باعها السارق لاستفاد منها الشيء الكثير، كما استغلت المجالس الرسمية لسرقة النفيس من **المجوهرات** مثلما حدث في مجلس أمير المؤمنين ببجاية وبحضور الولي"...**سرقت لآلئ ثمينة جاء بها لاستعراضها في مجلسه**"[3]، عموما الإشارات حول سرقة الثياب عديدة[4]، سلبت **أثواب** المسافرين الذين صادفوا اللصوص في طرقهم حال رجلين يجتزان طريق الساحل ببجاية لحقهم قطاع الطرق أخذوا لواحد منهم مزوده وبه **عقيق**، وسلبوا **ثياب** الرجلين[5]، وكان ضحية هؤلاء اللصوص العرائس حيث يسرق **جهازهم** من البيوت[6]، وكانت أغلب الأحذية تسرق من المساجد، لاشتغال المصلين بالصلاة[7].

-المسروقات **المتنوعة** أدرجتها تحت هذا المسمى لوجود الدلالات التالية، أخذ متاع، سرقة أحمال، تكررت 12 مرة، وتأتي بذلك في المرتبة الثالثة، يحصل عليها أصحاب الغارات سلبوا كل ما وجدوه حتى جردوا النساء من داخل المسجد، وسلبوا الأموال والأثاث والمواشي[8]، ونجحت عمليات سّرقة في الحصول على كل مل تقله القوافل و لم يسلم منها إلا القليل"... **لم يسلم إلا المفرش الذي دس فيه شاشية الشيخ مربوطة مع نفقته صالحة حدد بها رحلته**"[9].

الخطف كواحد من أشكال اللّصوصية، الذي يرتبط في أكثر الأحيان بالناس يبين لنا صنفا آخر من المسروقات وهو الأشخاص، حيث تعتبر اللّصوصية مصدرا من مصادر توفير العبيد، حضوره معتبر نسبيا بتكرار7 حالات، عبرت عليه دلالات الناس، المرأة، الأطفال، الفئة الأخيرة كانوا يأخذون ليلا لبيعهم[10]، النساء اللاتي يتم خطفهم يأخذون للمتعة حسب النوازل الفقهية، في الدرر المكنونة وردت ثلاث نوازل حول غصب النساء، واستعمال اللّصُّوص لأخذ النساء بالقوة[11].

---

[1]-ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص202.

[2]-المصدر نفسه، ص314.

[3]-الغبريني، عنوان الدراية، ص186.

[4]-راجع: ابن الزيات، التشوف، ص103، 348، 361، 309، 394.

[5]-ابن صعد، روضة النسرين، 218.

[6]-المقصد الشريف، ص147.

[7]-ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص78، البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 368/1.

[8]-المازوني صلحاء شلف، 196.

[9]-ابن قنفذ، أنس الفقير، 15.

[10]-الإدريسي، المغرب وأرض السودان، ص33، الونشريسي، المعيار، 435/2.

[11]-المازوني، 127/2، 150/2.

سرقة **ثمار** البساتين و**المواشي** شكلت حضورا متقاربا بمعدل6إشارات لكل منهما، حيث سرقت فاكهة الرمان[1]، وسرق السفرجل[2] من جنان أحد الأولياء، وسرقت سليخة تمر[3] من الدار، وكذلك الزبيب سرقه أحد الخدام من وليّه[4].

أما **المواشي** فقد تعرض لها المسافرون أيضا مثل ما حدث لحاج تلمساني سرق له حمار جيد ببرقة[5]، ودفعت الحاجة البعض لسرقة أضحية العيد حيث **"مرّ إلى قطيع من الغنم...ومر إلى فحل من غنمه وجعله على ظهره"**[6]، فيما قدم أحد الباحثين طريقة انتزاع الموشي من أصحابها "...يقوم أحدهم بإخراج الحيوان من المراح فيما يظل أصحابه متحفزين للرد بأسلحتهم ويقع إخفاؤها (تكمينها)في مكان بعيد عن العيون، وفي الحالات الخاصة لا ترجع إلى أصحابها إلا بعد دفع غرامة، وقد يتم هذا الأمر في وضح النهار وعلى مرأى ومسمع من سكان المدينة"[7]، وتعرضت القطعان للغارة في مناسات كثيرة حيث وردت نازلة حول" غارة تصيب البهائم التي تكون ترعى في الكروم ويقدر الأنسان على الذب عنهم حتى تسلم البهائم"[8].

وتعرضت **ودائع** بعض الناس في السفر للسّرقة، وردت نازلة للغبريني **"...عمن أودع وديعة في سفر ركبه فتسلف من الوديعة بعضها ثم ثار على الركب لصوص فأخذوا جميع أحمالهم وحمل المودع معهم وفيه بقية الوديعة"**[9]، فلم تسلم بذلك أغراض الناس في بيوتهم أو الدكاكين في الأسواق، وحتى ما يحملونه من ودائع الناس في تنقلهم.

7-ردود الفعل المباشرة (المصاحبة لفعل السّرقة):

يقصد بها الردود المصاحبة لفعل اللّصوصية وقد اختلفت حسب الفئة التي تعرضت للسرقة وبيئتها الاجتماعية والسياسية ويمكن حصرها في النقاط التي استخلصتها من الجدول التالي:

ردود الفعل المباشرة	المواجهة واستعمال القوة	الدعاء على اللّصوص	المطالبة بالمسروقات	المكاشفة بالكرامة	الفرار	الشكوى لذوي السلطان	المجموع
التكرار العددي	09	05	03	03	02	01	23

الجدول رقم18: أشكال ردود الفعل الأولية اتجاه السّرقة واللّصوصية في المغرب الأوسط.

[1]-المقصد الشريف، ص105، المازوني، صلحاء شلف، ص158.
[2]-ابن مريم، البستان، ص26.
[3]-ابن الزيات، التشوف، ص418.
[4]-المقصد الشريف، ص115.
[5]-ابن مريم، المصدر السابق، ص75.
[6]-ابن الزيات، المصدر السابق، ص234.
[7]-محمد حسن، المدينة والبادية، 653/2.
[8]-الونشريسي، الدرر المكنونة، 228/8.
[9]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 294/5.

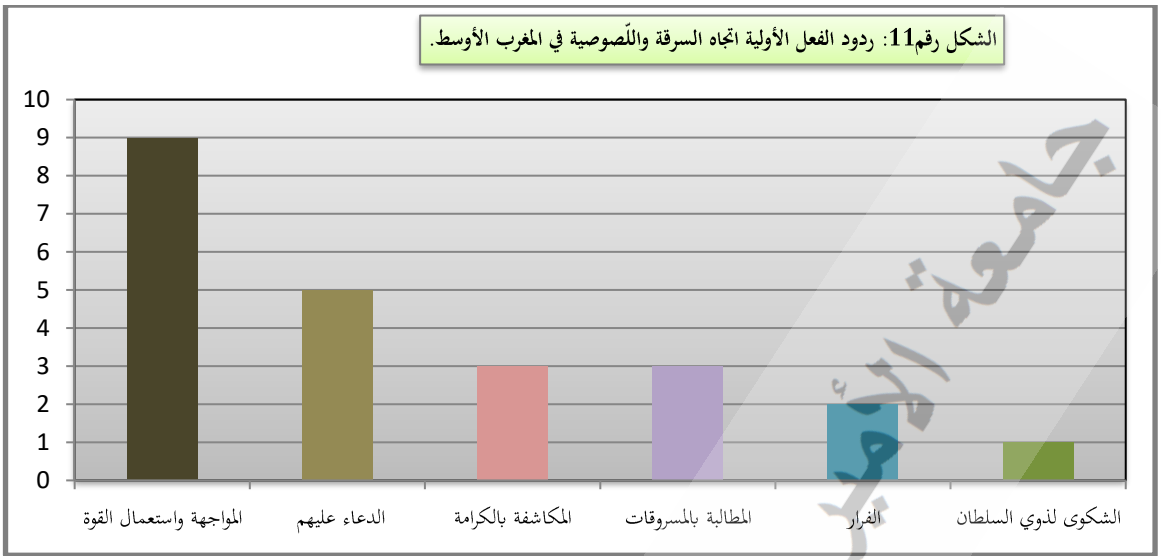

***التحليل والتعليق:**

من الطبيعي أنّ الذي يتعرض للسرقة يحاول حماية نفسه ومتاعه لذلك مثل حضور **المواجهة واستعمال القوة**بـ9إشارات، منها أن عبد الباسط المالطي لما اكتشف وجود سارقين في مسكنه غالبهما مع خادمه لكنهما تمكنا من الهروب منهما[1]، في حين أنّ تاجر اتجه لبيت سارق وزوجته **وهددهما** وخوفهما للإقرار بسرقتهما ماله[2]، بعد ملاحظة خدّام عامل معسكر لحمالين يسرقان عنان فرس حسن الوزان لحقهما وأخذاه بالقوة"...**وإذا بسيافين من خدام الملك أتيا وقالا لي: يا سيدي لقد سرق عنانك بغّالان للخليفة لم يدريا أنك ضيفنا، فرأيناهما وأخذناه منهما بالقوة**"[3].

واختص الأولياء برد فعل خاص قائم على **الدعاء والمكاشفة** الآنية لهؤلاء اللّصُوص، دعاء ولي على اللص وهو يهم بأخذ ما سرقه"...**فقام رجل من اللّصوص ورفع الحمل على الدابة فقال له أبو زكرياء تاب الله عليك، فأقلع اللّص من حينئذ عما كان عليه**"[4]، وبعدما تعرضت زاوية الولي بشلف للغارة دعا على قائد الغارة فما ابتعدوا عن المكان حتى خرجت أحشاؤه "...فقال له: يا عبد القوي يا عبد القوي وكرّرها يعني الدعوة عليه لا له، فانصرف عنه فما وصلوا للمكان المسمى بتيزي إن يغمراسن حتى خرجت أحشاءه من دبره وأخذه وجع قوي فما وصلوا به إلى مكان تحت مجشر أبي حرش حتى **مات**"[5].

بينما فضل البعض الفرار من السّراق واللّصوص للنجاة بأنفسهم حال المساكين والفقراء، والضعفاء الذين لا يقدرون على مواجهتهم والردّ على إغارة القبائل"...**ففر** الناس أمامهم يمينا وشمالا

---

[1]-الروض الباسم، ص42.

[2]-المازوني، الدرر المكنونة، 372/3.

[3]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 27/2.

[4]-ابن الزيات، التشوف، ص408.

[5]-المازوني، صلحاء شلف، ص197، 198.

ولحقوا بالجبال المنيعة لتكون لهم حصنا مانعا"[1]، كما فر أهل قرية من غارة مجموعة مسلحة هجمت عليهم" عن أهل قرية جاءها أعراب خيلا ينجعونها وقتلهم من بها يوما واحدا وكان أهل القرية وهم **الجل فر بنفسه وبعياله**"[2]. وتعقب بعض السرّاق واللصوص لاسترجاع ما سرق منهم وضع الرجل الذي سرقت جماعة فرسه الذي في الأصل كوديعة عنده[3]، أما أقل نسبة من حيث الحضور ممثلة بإشارة واحدة وهي الشكوى المباشرة لذوي السلطان وإن كانت خارج مجال المغرب الأوسط لكن تدخل في شمولية السلطة السياسية للفترة الموحدية حيث غصبت زوجة تاجر من طرف ابن أخت الخليفة الموحدي فشكى التاجر للخليفة له[4].

8- مآل المسروقات وأشكال التصرف فيها:

الإشارات حول التصرف في المسروقات **قليلة جدا**، الشذرات التي جمعتها في الجدول التالي ستسمح لنا برسم سورة عن الحاجة التي تدفع هؤلاء للتلصص، كما يتبن أن التصرف فيها يختلف حسب شكل المسروقات:

مآل المسروقات	استرجاع المسروقات	بيعها	الاستمتاع بها	المجموع
التكرار العددي	12	05	03	20

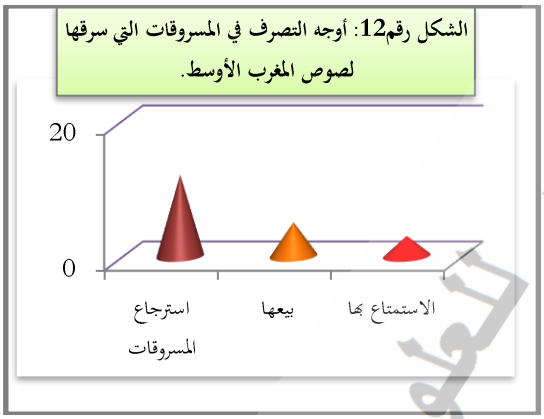

الشكل رقم12: أوجه التصرف في المسروقات التي سرقها لصوص المغرب الأوسط.

الجدول رقم19: طرق التصرف في المسروقات التي سرقها لصوص المغرب الأوسط.

***التعليق والتحليل:** جمعت 20 إشارة حول التصرف في المسروقات توزعت على ثلاث منافذ، استرجاع المسروقات بحضور 12 نص، وبيعها بـ5 اشارات، أما ثلاث نصوص فبينت أنه يتم الاستمتاع بها والاستفادة منها، وهذا مبني على طبيعة المسروقات، المسترجعة في الغالب يتم ملاحقة سارقيها مباشرة، حيث تم استرجاع اللآلئ النفيسة من سارقها قبل مغادرة المجلس الذي سُرقت فيه[5]، واسترجع رجل رداء أخته من سارق بعدما تتبع آثار السارق[6]، واستعان البعض بسلطة الولي(المادية/المعنوية) لاسترجاعها

[1]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص283.
[2]-المازوني، الدرر المكنونة، 88/4.
[3]-ابن الزيات، التشوف، ص394.
[4]-ابن صعد، النجم الثاقب، ص398.
[5]-الغبريني، عنوان الدراية، ص186.
[6]-ابن مريم، البستان، ص270.

استرجاع رزمة الثياب سرقت لامرأة ببجاية بواسطة الولي أبو زكريا المرجاني(ق7هـ/13م)[1]كانت قصدته"...**فسارعت اليه متلهفة ضارعة مستغيثة وأخبرته بقصتها**"[2]، واستغاث حاج بالولي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي(أبركان)"**فرأيت الشيخ عينا بصورته...فرفعوا أيديهم عن الحمار**"[3]، وأعاد جيش غارة جميع ما سلبوه من الزاوية بعد نفاذ دعوة الولي في قائد الغارة وموته "**فلما رأى بنو توجين ما حل بأميرهم ارعدوا وداخلهم الدّهش فردّوا جميع ما سلبوه للزاوية حتى لم يبق منه إلا حمارة عليها رحى**"[4]، واستخدم البعض القوة بالسلاح في استرجاعها وتهديد السراق منها المريد الذي سرق منه برنس وليه استرجعه بتخويفه للّصين بالسكين[5].

كان مصير البعض من المسروقات البيع رغبة في الاستفادة من ثمنها، حيث وجد مصحف عثمان رضي الله عنه في السوق معروض للبيع بعدما نهب زمن الحرب[6]، وعرض دير السرج والسرج في سوق للبيع بعد ثلاث أيام من سرقته[7]، وكان مصير الأشخاص البيع كعبيد "**يغيرون...يسبون أهلها ويبيعونهم للتجار**"[8]، وأعاد البعض منهم ما سرق منه حين وجده في السوق معروضا للبيع "**سرق لجام ضيوفنا...فوجده رب اللجام في السوق فعرف لجامه وأزاله منه**"[9].

واختص الاستمتاع بالمخطوفات من النساء التي يُؤخذن للمتعة، غصبت أخريات على الزواج، حسبما ورد في النوازل منها؛ رجل سرق امرأة مع لّصوص يبيت عندها إلى أن انتزعت منه[10]، وسرق آخر امرأة يستمتع بها على وجه الإكراه[11]، وغصب آخر امرأة قهرا ليتزوجها[12].

خلاصة القول المشهد اللصّصي يتشارك في تركيبته لصوص منظمون وآخرون معزولين، يعملون بغرض تحقيق حاجتهم المادية الآنية، وطبيعة اللّصوصية يفرض الفئات المستهدفة وأشكال سرقتها وأسلوب

---

[1]-الفقيه الصالح العابد الزاهد الورع الناسك المكاشف أحد الأتقياء والأبرار كان مسجده الذي يجتمع فيه المشهور الآن بحومة اللؤلؤة، وهو المعروف الآن بمسجد المرجاني...وكان يجتمع فيه الأفاضل والصّلحاء والمتعبدون...راجع ترجمته: الغبريني، عنوان الدراية، ص165.

[2]-المصدر نفسه، ص165.

[3]-ابن مريم، البستان، ص75.

[4]-المازوني، صلحاء شلف، ص199.

[5]-المصدر نفسه، ص148.

[6]-ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص461.

[7]-ابن مريم، المصدر السابق، ص270.

[8]-الإدريسي، المغرب وأرض السودان، ص4.

[9]-ابن مريم، المصدر السابق، ص270.

[10]-المازوني، الدرر المكنونة، 127/2.

[11]-المصدر نفسه، 126/2، 127.

[12]-المصدر نفسه، 50/2.

قطع الطرق، ويبقى السؤال المطروح عن تمثلات اللّصوصية الميدانية وكيف كان توزيعها في مجال المغـــرب الأوسط؟ وخصائص كل مجال في أسلوب التلصُّص؟ أم أنها عرفت نمط ثابت من اللّصوصية؟

ثانيا- جوانب مجالية حول أنشطة التلصص بالمغرب الأوسط.

لا شك إذا قلنا إنّ اللّصوصية في مجتمع المغرب الأوسط قد استفحلت وتعددت أشكالها، إذ توزعت جغرافيا بين المدينة والبادية وعلى الطرق الداخلية والخارجية حتى المسالك البحرية أخذت نصيبها من نشاط اللّصوصية، فكيف كانت خصائص كل مجال في الممارسة اللّصَّصية؟

1-في الفضاء القبلي:

القبيلة باعتبارها وحدة سياسية واجتماعية، يقوم اقتصادها على الغزو والغارة الذي يعكس الصـــورة الثقافية التي ميزت البدو عن الحضر، الغالب عليهم الاعتناء بمظاهر الفتوة والفروسية، مثلها وجـــود طبقـــة المحاربين في التنظيم القبلي، وباعتبار الإغارة أحد الثوابت الأساسية في تكوين الشخصية البدوية في بـــلاد المغرب الإسلامي، يدفع بنا للسؤال **الفرق بين الإغارة كمصدر رزق تقوم عليه القبيلة، والإغارة كسلوك لصّصي حرابي يهدد أمن الدولة؟**

شكلت حركة القبائل مظهرا أساسيا من مظاهر الحياة اليومية في بوادي المغرب الإســـلامي، علـــى اعتبار أنها قبائل رعوية يقوم اقتصادها الطبيعي على حركة الانتجاع أو ما يسمى بالنجوع في لغـــة أهـــل البادية[1]، للبحث عن الماء والكلأ، نتيجة للشظف وندرة الغذاء والحاجة الملحة التي يفرضها نمـــط العـــيش الرعوي الكِفائي كان يدفع البدو إلى اعتماد وسائل أخرى للعيش وتأمين الغذاء والبقاء فيتخـــذون الغـــزو وسيلة للارتزاق والدفاع عن النفس وعن المصالح الحيوية[2]، تحولت الغارة إلى جزء من المنظومـــة الحياتيـــة للقبيلة ومورد استثنائي لتحقيق الاكتفاء في فترات الجوائح والكوارث الطبيعية.

تخرج فيه القبائل لغزو غيرها من القبائل المجاورة الضعيفة أو التي تتصادم معها في حركتها للبحـــث عن المراعي ومصادر المياه، يتشبع فيها المحاربون بقيم الفروسية والشجاعة والقوة الجسمانية التي تعد مدعاة للتفاخر والتنافس مع الآخر كونها تمثل في الأساس الوسائل الأكثر اعتمادا في التنشئة الاجتماعية لدى العائلة البدوية[3]، وفق تنظيم وتقاليد متعارف عليها في المجتمعات البدوية يغيرون لتوسيع المراعي أو للثأر، فـــالغزو بين البدو قائم على التنافس والتبادلية وفق نسق تنظيمي، لأنه وسيلة مشروعة تهـــدف إلى الحفـــاظ علـــى موازين القوى وتأمين المعاش وتوفير مصدر دفع الضرائب كما كان يهدف إلى إرضاء نزعة الزعامة لـــدى

[1]-محمد حبيدة، بؤس التاريخ مراجعات ومقاربات، دار الأمان، ط2، الرباط، 2016، ص93.

[2]-منصف المحواشي، الحرابة في حياة البدو في إفريقية (نحو مقاربة إناسية-سياسية)، منشور ضمن الأزمات في تاريخ المغرب الكبير، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2011، ص255.

[3]-محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2002، ص117.

بعض المجموعات[1]، من هذا المنطلق مثلت الإغارة صراعا من أجل البقاء، بكسب المراعي الكافية للمواشي، وممارستها في هذه البيئة وحسب الثقافة البدوية وسيلة مشروعة للكسب خاصة عند الأزمات فالبدو في هذه البيئة أسياد أنفسهم[2].

وتعتبر الحرابة في هذا المقام ليست وسيلتهم الوحيدة في الارتزاق بل أسلوب غزو للدفاع عن مكونات الهوية البدوية[3]، وما يخرج عنها يعد خارج عما تعارفت عليه القبائل ويكون من التصرفات المشبوهة التي تدخل في نطاق اللّصوصية، نزعت عنها غطاء اللّصوصية ولفتها بلحاف الفروسية والفتوة[4]، فقطّاع الطّرق الذين أطلق عليهم **"القطعية"** لم يخرجوا عن واقعهم الاجتماعي والقبلي والعرفي وحاولوا تحميل سطوهم المشروعية التي اكتسبتها الإغارة[5]، وأكسبتها بعض صفات التقديس كعدم الإغارة في شهر رمضان الوضع الذي كان عليه قطاع الطرق في الهكار"...**وكان وصولنا إلى بلادهم في شهر رمضان وهم لا يغيرون فيه، ولا يتعرضون القوافل واذا وجد سُراقها المتاع بالطريق في رمضان لم يعرضوا له**"[6]، إذ لم تكن هذه الغارات وقطع الطريق في مجملها فرض قوة ورغبة في السيطرة على المجال بقدر ما كان هدفها الارتزاق وجمع الغنائم، وغير ذلك فلا يمكن اعتبار كل هجوم قبلي إغارة بدوية وإلا كانت المواجهات العسكرية بين الدول المركزية تدخل في نطاق غزو الندرة المشروع في نظام القبيلة[7].

سلطت المصادر الإخبارية الضوء على الأعراب البدويين بصفتهم ممارسين للحرابة ومشهورين بها انطلاقا من "أنهم جعلوا **أرزاقهم في رماحهم**، ومعاشهم فيها **بأيدي غيرهم** ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب"[8]، فإنه لا يجب إغفال دور القبائل البدوية من البربر التي مثلتها الجماعات الزناتية في المغرب الأوسط، التي كانت تنتجع سهوله وتلوله، وحالهم في الانتجاع ليست بمغايرة عن الأعراب" ويضعن أهل العز منهم والغلبة **لانتجاع المراعي** فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار

---

[1]–محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة، ص118.

[2]–المنصف المحواشي، الحرابة في حياة البدو، ص256.

[3]–المرجع نفسه، ص256، E. Hobsbawm, bandits, p18

[4]-Eberhart isabelle, notes de route Maroc-Algérie-Tunisie, Textes réunis par: Victor Barrucand, édité par les Bourlapapey, bibliothèque numérique romande, 1908, p164-165.

[5]–بلقاسم بنعبد النبي، عرف الطريق، ص197.

[6]–ابن بطوطة، الرحلة، ص699.

[7]–يمكن القول أن القبائل بعد وصولها للسلطة احتفظت بالغارة في حروبها ليس كنظام بل كإستراتيجية حربية، توظفها الدولة ضد نظيراتها من الدول التي تحاول توسع على حساب حدودها وفي حروبها للحفاظ على مجالاتها، من ذلك وصية السلطان الزّياني أبو حمو لابنه" واعلم يا بني أن العدو إذا كان **قريبا لصقعك وبلادك** ويكثر من **فسادك وعنادك، فسلط خيلك على بلاده**، وتسعى في شتاته وفساده وتضعف بلاده غاية الضعف، وترهق أهلها **بالغارات** والزحف وإن قدرت على أخذ ذلك العدو وحصاره والنزول على بلاده واقتهاره، فلا تقتصر عن إنزاله والتضييق عليه في مجاله وإن لم تقدر عليه وترى أن أحوالك تشتت ونكاية عدوك وتعذرت **فتأخذه ما أمكنك بقدر الاجتهاد**، وتعود قافلا إلى بلدك بما معك من الأحشاد، ثم لم تزل تزيد في جيشك ومددك، وأعدادك وعددك ولا تنفس عدوك ساعة ولا تقفره حتى تأخذه وتقهره"، **واسطة السلوك**، ص115، 116، أسلوب يعتمد إرهاق وإضعاف السلطة المجاورة في جيشها والإخلال بأمنها على أطرافها.

[8]–ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد رجب، ص221.

الأملس، مكاسبهم الشاء والبقر والخيل وفي الغالب للركوب والنتاج، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم **شأن العرب**...وعاش المعتزين أهل الانتجاع والإضعان في نتاج الإبل **وظلال الرماح وقطع السابلة**"[1]، وإن أسهبت المصادر في وصف الخراب الذي أحدثته القبائل الهلالية فإن القبائل الزناتية كانت تمارس الغارة في المجالات التي تتحرك فيها نتيجة للحاجة المادية ولقمة العيش هي التي دفعتهم إلى الخروج من البادية فإما أن يصبحوا قطاعا للطرق بالجبال والقفار والصحاري أو يتسللوا إلى المدن أفراد أو جماعات لا سيما عندما يشتد القحط والجفاف أو لانتشار الأوبئة والطواعين المتكررة فتفشى المجاعات[2]، فساهمت في الإخلال بأمن الدولة الحمادية وإضعافها بنشاطهم القائم على قطع الطرق، وإلحاق الفساد بضواحي المدن خاصة ورجلان[3]، فهم "**آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتعلق في الأرض وإيلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والإباية عن الانقياد للنصفة**"[4]، تحقيقا للرزق من الطرق والمسالك أو الغارة على ما جاورهم من الحواضر "**وكانت مكاسبهم الأنعام والماشية، وابتغاؤهم الرزق من تحيف السابلة وفي ظل الرماح المشرعة**"[5]، وهو حال القبائل الزناتية من بني عبد الواد على أطراف الدولة الموحدية التي كثيرا ما اكتسحوا مجالاتها بالغارة وقطع الطريق "**يغيرون في بلاد تلمسان وبجاية والقلعة وغير ذلك يهزمون وينهبون**"[6].

تحول مجال المغرب الأوسط في النصف الأول من القرن6هـ/12م لمجال صراع البدو والمستقرين على فترات زمنية متفاوتة، يطبعها ضعف السلطة السياسية وعدم قدرتها على ضبط أطرافها، إذا كان للأعراب دور في التخريب والفوضى بشن الغارات على مجالات العمران فلأنهم وجدوا السبيل ممهدة نتيجة لعوامل متشابكة بنيوية وهيكلية تتمثل أساسا في انخرام المجتمع[7]، وضعف سلطة الدولة العسكرية، حيث ينتشرون في البسائط من السهول، بعدما تحولت البادية المغربية من هذا المنظور إلى مرتع للّصوصية[8] "**وأما البسائط متى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لأكلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم إلى أن يصبح أهلها مُغَلَبين لهم يتعاورونهم باختلاف الأيدي**"[9]، ففي حالة قوتها تبقى قبائل البدو في منتجعاتها وأطرافها بعيدا تتنقل بحثا عن العشب ومساقط الماء أو يغزو

---

[1]-ابن خلدون، العبر، 116/6.

[2]-محمد عادل لطيّف، الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط، زينب للنشر، ط1، تونس، 2019، ص337.

[3]-بوقاعدة البشير، الصراع العسكري، ص260، 265.

[4]-ابن خلدون، العبر، 3/7.

[5]-المصدر نفسه، 81/7.

[6]-ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، 1972، ص20.

[7]-محمد عادل لطيّف، الخوف ببلاد المغرب، ص338.

[8]-محمد براص، صورة البادية المغربية، ص71.

[9]-ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد رجب، ص123.

بعضها بعضا دونما تهديد مباشرة، أما في حالات اختلال الوضع السياسي وعجز الدولة عن ضبط الأمن في الأطراف فإن أيادي جماعات البدو تمتد بالغزو والسلب والنهب وتصل إلى الحواضر والمدن ناهبة مخربة[1]، فاندفاع القبائل الزناتية على أطراف الدولة الموحدية في القرن 7هـ/13م كان مبرره بالأساس ضعف السلطة حيث فقدت التحالفات قيمتها، في سنة 670هـ/1271م كان يغمراسن بن زيان يجلب وشن الغارات على ثغور المغرب وأضرمها نارا[2]، اصطدام القبائل البدوية بالمستقرين شكلت الحيز الذي نشطت فيه أعمال الحرابة وقطع الطرق، أين يتحول المجال المتاخم لحدود الدولة مساحة للتمرد في شكل اللّصوصية وقطع الطّرق ويمكن تحديد مميزات الإغارة للقبائل وأفرادها في النقاط التالية:

-بقيت القبائل المتحالفة مع السلطة محافظة على طبيعتها القبلية في الحصول على المعاش في الأوقات الأزمة باعتماد أسلوب الغارة والنهب خاصة في ظل غياب مراقبة السلطة أو ضعفها في فرض الأمن.

-نشطت الغارات في القبائل الضعيفة التي لم تحصل على امتيازات من السلطة ففقرهم وحاجتهم تدفعهم للتلصُّص وقطع الطّرق، حتى أولئك الأفراد الذين لم تنصفهم القسمة من لامتيازات المالية والإقطاع الذي تمنحه الدولة لقبائلهم، يتمردون بممارسة الحرابة وقطع الطريق، فقبائل عروة القاطنون بضواحي مستغانم نتيجة لضعفهم لا يبتعدون في انتجاعهم ولا يحصلون على إعانات مالية مما يدفعهم لممارسة اللّصوصية على الضواحي[3].

-نشطت غارة القبائل في المجالات البعيدة التي تمر بها القوافل التجارية ومواكب الحج، حيث يستخدمون أساليب خاصة في الغارة[4]، وقد ملكت كثيرا من القبائل تلك المجالات أصبح ضمان الحماية

---

[1]-منصف المحواشي، الحرابة في حياة البدو، ص267، حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص113، هناء شقطمي، الخطاب الفقهي، ص53.

[2]-ابن خلدون، العبر، 115/7.

[3]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 51/2.

[4]-رغم توفر المادة العلمية حول نظام الإغارة وأهميته في التنظيم القبلي إلا أن الإشارات حول أساليبها وطريقة تنظيمها والتركيب للمجموعة التي تخرج للغارة تبقى قليلة، ولتقصي أساليبها رأينا من الضرورة العودة للفترة الحديثة القريبة من نهاية الفترة الوسيطة، حيث توجد بعض الإشارات قدمتها الدراسات المتعلقة بالرحالة الأجانب الذين زاروا بلاد المغرب في تلك الفترة، وقدموا بعض الأوصاف للأساليب وطرق خروج القبائل للإغارة على بعضها وطقوسهم في ممارسها في هذا السياق يؤكد بعض الباحثين أنها امتداد لممارسات العصر الوسيط وأنها تتشابه في المغرب "أكدت الكتابات الغربية على **تشابه أسلوب القطعية** في بلاد المغرب العربي في اعتراضها للقوافل الراحلة ويرجع ذلك للتجانس المجالي والبشري"، بلقاسم بنعبد النبي، **عرف الطريق في البلاد المغاربية في القرن 19م**، ص176، الاطلاع عليها يسمح بتكوين صورة مقتضبة عنها، أما في الجبال ذكر **صاحب المغرب المجهول** أسلوب **الغارة** على **القوافل التجارية** في منطقة الريف بالمغرب الأقصى أنهم يختارون طريقا يمر بين مرتفعين فيقوم أحدهم بدور الكشاف ويختبئ فوق مرتفع عند بداية الطريق منتظرا قدوم الضحية، وعندما يراه قادما يدقق في هيأته جيدا لإعطاء الإشارة لبقية الأفراد بالهجوم من عدمه فإن صرخ "يا عامر" فيتم اعتراض سبيل الضحية لأن لديه ما يستحق عناء السرقة، وإن صرخ "يا خاوي" يترك في حال سبيله لأنّ القادم لا يملك ما يستحق العناء، والأكيد كان العابرون لتلك المنطقة يدركون معنى العبارتين، ولذلك كانوا يعرفون مصيرهم خاصة إذا ارتفع الصوت بين الجبال "يا عامر"، اذ سرعان ما يظهر لصوص مسلحين يجبرونه على نزع ملابسه ورميها في الأرض لتفتيشها، وبعد أن يسألوه عن هويته ومقصده، يجمع اللّصوص أغراضه وملابسه في **"حايك"** ويقيدون يديه خلف ظهره بحبل متين، ويتركونه عاريا مكانه ويأمرونه بعدم الرحيل قبل حلول الليل، وكان بعضهم كلما اعترضوا سبيل الغرباء إلا وأشهدوا الله والأولياء

القوافل بها مبني على عقد ضمان معها، فطريق الصحراوي نحو السودان الغربي كانت قبائل عبيد الله من معقل مسيطرون عليه "لابد لهم في كل سنة من رحلة الشتاء إلى قصور توات وبلد تمنطيط ومع **نجاعتهم** تخرج قفول التجار من الأمصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيط ثم يبذرقون منها إلى السودان"[1]، أما الحجاج فكان لهم نصيب وافر من غارة الأعراب ونهبهم لمتاعهم منها الحجاج الذين أغار عليهم أعراب الزاب"...ونجد لعربان جبل الزاب كماة ورماة قد صفوا متقدمين وحفوا عن الشمال واليمين...لما كان قد تولى من بغيهم وفسادهم وقطعهم الطرق ...دخلناه في أزيد من مائة إنسان من مشاة وركبان...تصارخت العرب ثم حملوا علينا حملة ضننا أن الجبال إلينا رادفة"[2] ومنها أيضا إغارة قبائل الحصين من زغبة على موكب رسمي للحج في مجال المغرب الأوسط بالمدية **"نهبوا جميع الحجاج"**[3].

-الغارة على القرى والمداشر كانت تتم وفق أساليب هي الأخرى، يتداول في الغارة بين الليل والنهار، ويتم الإضرار البساتين والمزارع بها وتأخذ الماشية وغيرها[4]، لاستئثارهم بالقوة العددية، حيث كانت القرى عرضة لغزو الهلالين بسبب كثرة عددهم وقوة فرسانهم[5]، تشارك فيها مجموعات من الفرسان

الصالحين على صلاحهم وأنّ ظروفهم وصعوبة الوقت هي التي اضطرتهم إلى قطع الطريق ليتعيشوا، أوغست موليراس، المغرب المجهول(اكتشاف الريف)، تر: عز الدين الخطابي، دار النجاح الجديدة، المغرب، 2007، ص130، 146، 147، وفي الصحراء كانت تنشط القوافل التجارية في فصل الربيع فتنشط معها حركة النهب والتي تراوحت بين الخنبة (لفظ باللهجة التونسية يعني السّرقة وفي معجم اللغة الخنبة: الفساد، راجع معجم الوسيط، ص257)والهجوم المسلح، في الأسلوب الأول يرصد الكشافة **"الشوافة"** القافلة الضخمة ويتبعونها ويتبعون مسارها من بعيد محتمين بكثبان الرمال، فيعلم بعضهم أفراد العصابة الذين ينتشرون في المكان ممتطين المهاري، وعند حلول الليل تركن القافلة للراحة وينام الحراس من تعب النهار، يقترب اللصوص ويزحف الأكثر مهارة منهم ببطء ويسرقون جزء من القافلة، وتكون المسروقات في الغالب الإبل الأكثر حمولة، بلقاسم بنعبد النبي، المرجع السابق، ص177، وفي مصادر المغرب الإسلامي ما ذكره الرحالة في الغارة على القوافل تعد إشارات بسيطة لا تصف مراحل الغارة إلا في النادر منها ما أورده **العبدري** أنّ أسلوب قطّاع الطّرق في الغارة على قوافل الحجاج وإن كان المجال غير مجال المغرب الإسلامي في برية بين الحجاز ومصر" وتعرف بالبرية الكبيرة وهي مسيرة أربعين يوما...وليس في البراري أطول منها ولا أفقر...وفيها قوم من العرب **صّعاليك** يتنقلون فيها من موضع إلى موضع مالهم قوت إلا ما يمتارونه من بعيد فهم الدهر كله في جهد وفرط وشظف وقلما يظهرون للركب لخبث أفعالهم وعدم ما يعملون به وإنما يتطرفون الركب ويطالعونه من كل مرقب فإذا رأوا **متخلفا** عنه لغفلة أو نوم أو انقطاع عجز، انقضوا عليه فمزقوا أشلاءه ولو لم يجدوا عليه إلا خرقة واحدة لم يتركوها له"، الرحلة المغربية، ص332، 331، وكانت بعض القبائل ليس لها مصدر عيش إلا بكمن الكمائن للحجاج في البريات الموحشة والمنقطعة "...وعيشهم من الغارة على العرب تخرج غازية منهم فتكمن بعض الكمائن لمن يمر بها"، القلصادي، **رحلة القلصادي**، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص187، في حين قدمت مصادر الفترة الحديثة تعداد المجموعات التي تغير على القوافل والقرى من ناحية الفرسان والمشاة وتخطيطهم ودور كل طرف في العملية، راجع، شارل دو فوكو، **التعرف على المغرب(1883-1884)**، تر: المختار بلعربي، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1999، عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق، ص77، 76.

[1]-ابن خلدون، العبر، 77/7.

[2]-البلوي، تاج المفرق، 145/2، 148.

[3]-ابن خلدون، العبر، 482/5.

[4]-المازوني، الدرر المكنونة، 135/4.

[5]-هناء شقطمي، الخطاب الفقهي والريف، ص55، يرى بعض الباحثين أنّ تناول الأعداد الخاصة بالأعراب الممارسين لغارات والحرابة يجب التعامل معه بالحذر الشديد كون المعطيات التاريخية تشير إلى أعداد كبيرة، لكن لا نجانب الصواب إذا قلنا أنّ تلك الأعداد قريبة للدقة، كون

والراجلين لا يعرفون إلا الغارة منها نازلة حول **"أهل قرية جاءها أعراب خيلا ورجالا بنجوعها...هؤلاء الأعراب يزيد راجلهم عن ألفي رجل وفارسهم على خمسمائة فارس"**[1]، أما السؤال الذي ورد حول عرب الديالم وسعيد ورياح وسويد وبني عامر المغرب الأوسط فكان عددهم أكثر من ذلك، يمتهنون حرفة الإغارة وقطع الطرق لا يعرفون غيرها **"جماعة في مغربنا من العرب ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أو تزيد ليس لهم حرفة إلا شن الغارات وقطع الطرقات على المساكين وسفك دماءهم وانتهاب أموالهم بغير حق"**[2]، ولا يتوانون في استخدام السلاح[3]، ويأخذون المتاع والحريم"...وكانوا قبل هذا نحو عشرة أيام أخذوا قرية مثلها وهتكوا حريما وغنموا أموالا وجارية فيها من الفيء الأمتعة والحرير مالا يعلمه إلا الله"[4]، وكان للاعتداءات المتكررة للأعراب على المدن آثار جسيمة أخلت بالناس ومزارعهم.

اعتماد أسلوب الغارة جعل الأعراب تسيطر على البسائط والسهول وامتناع المستقرين بالجبال، ما جعل الجبل يتحول إلى منظومة سياسية واقتصادية في الفترات اللاحقة، يلجأ أصحابه من الأشداء والأقوياء أيضا في استعمال أسلوب القطع واللّصوصية لمنعته، في المقابل المناطق الصحراوية تطورت القصور أيضا كإستراتيجية للدفاع ضد غارات القبائل وقطاع الطرق.

2-على المسالك والطّرق:

مثلت المسالك والطرق شبكة الوصل الداخلية للدولة بين المدن والبوادي، ونقطة وصل بين الحواضر والمدن المجاورة، لذلك يعتبر الخلل الأمني بها تعطيلا لنشاط الدولة ومظاهر قوتها، ويظهر من المصادر أنّ المسالك في المغرب الاسلامي لم تعرف حالة من الاستقرار الثابت إذ يصنف بعض الباحثين الأزمة الأمنية في مسالك أنها تحولت لمعطى بنيوي منذ القرن 5هـ/11م واستفحلت مع القرن 7هـ/13م[5]، إذ شكلت فيها أعمال اللّصوص والقطّاع مظهرا عاما لاختلال الأمن، وهذا ما نحاول رصد شواهده الميدانية من خلال تتبع قوافل التجارة والحج.

النظام القبلي يشجع على النمو الديموغرافي والزيادة في عدد الأفراد، يضاف لها أنها قبائل تعيش على الارتزاق العسكري، من خلال مساهمة محاربيها في جيوش السلطة المركزية، فهي تقدم المحاربين لتضمن مداخيلها من الأعطيات والإقطاع، كونها القبائل رعوية، وأخرى نصف مستقرة فإنها تحتاج في نجعتها للأعداد الكبيرة من المحاربين لضمان تنقلها بين القفار، حتى اعتمادها على نمط الإغارة يستوجب توفرها على أعداد كبيرة من الرجال والفرسان، من ناحية أخرى قد بينت المصادر اهتمام القبائل بالعدد والعُدّة للقبائل ووضحت النصوص مظاهر الشجاعة وقوة الأفراد في التنظيم القبلي، راجع ابن خلدون، العبر، 43/6، 77/7، حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، 170/1، وقد كانت القوة العددية والمادية للمجموعة القبلية تجلب لها المهابة والاحترام، وهذا ما يؤكده المثل الشعبي الذي ظل معتمدا حتى الفترة الحديثة والمعاصرة **"عد رجالك وأورد الماء"** محمد نجيب بوطالب، **سوسيولوجيا القبيلة**، ص117.

[1]-المازوني، الدرر المكنونة، 386/1.

[2]-المصدر نفسه، 382/1، الونشريس، المعيار، 436/2.

[3]-الونشرسي، المصدر نفسه، 402/2.

[4]-المازوني، الدرر المكنونة، 86/4.

[5]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص89.

2-1 الواقع الأمني على المسالك والطّرق: التنقل والنقل(الأشخاص/السلع) عملية مهمة في الحركة الاقتصادية والاجتماعية للدولة وهي انعكاس لقوتها سياسيا، بما توفره من **أمن** لضمان **حركتهم** داخل المجال وخارجه، وعليه **فالأمن** هو: **"تهيئة الظروف والأجواء المناسبة لكي يعيش الإنسان آمنا مطمئنا على حياته وممتلكاته، وتقع مسؤولية استتباب الأمن والاستقرار على عاتق السلطة الحاكمة"**[1]، لذلك شكلت المسألة الأمنية في المغرب الإسلامي وثيق الصلة بقيام وسقوط الدول، الواقع الذي رسخته المدونة الإخبارية في إطار تدوين حوليات السلاطين، معتمدة على خبر الانتصار من منظور المجاملة والإطراء، وقصت الأحداث بشكل يلمع ذاكرة الحكام، ويزكي مشروعيتهم[2]، ينبني خبر تأسيس الدولة وتمجيد العصبية الدينية والقبلية في مرحلة التأسيس من منطلق نجاعتها في فرض الأمن الذي اختل مساره بسقوط الدولة التي سبقها، وبالتالي المسألة الأمنية في الدولة تعيش نفس الدورة التي ذكرها **ابن خلدون** في قيام وسقوط الدول، وفق سياق اعتاد الإخباريون أن يقيموا نوعا من **التلازم** بين أوضاع أمن الطرق وأحوال الدول إنها ثنائية **الطريق الآمن والطريق المخيف**[3] وهذا ما يوضحه الجدول التالي مع الشكل المرافق له:

النص	بداية/نهاية الدولة		أمن/خوف الطريق		المصدر
فسرّ الناس واستبشروا **وأمنت** البادية وتسايل أهل الحاضرة إلى القرى	✓		✓		الصيرفي، الأنوار الجلية، ص118.
وفي آخر عهد يوسف بن تاشفين **انقطعت السابلة** الواردة		✓		✓	المصدر نفسه، ص165.
واشتد جزع المسلمين بدانية وما اتصل بها من ذلك الصقع من القلاع والقواعد وكثرت الغارات من بلنسية عليها وتولى الضرب وعظم الضرر **وانقطعت السابلة** وخافت الطرق.				✓	ابن عذارى، البيان، 34/4.
فانقطعت عنهم الموارد **وكثر الخوف** في البلاد وغلت الأسعار وتبدل الرخاء بالشدة والأمن بالخوف (آخر مغراوة وبداية المرابطين)		✓		✓	ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص113.
فكثرت الأموال في أيامه-عبد المؤمن بن علي-وتمهدت البلاد، **وتأمنت** الطرقات وضبطت الثغور وصلح أمر الناس.	✓		✓		ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص106.
ودخل أهلها-المهدية-في طاعته-عبد المؤمن بن علي-من برقة إلى تلمسان و لم يبقى له منازع ففرق فها عماله وقضاته وسكّنها **وأمّنها**.	✓		✓		المصدر نفسه، ص198.
بعد فراغه من فتح المهدية-عبد المؤمن بن علي-سار مغربا يحث السير حتى قرب من قسنطينة، ونزل في موضع مخصب يقال له وادي النساء، فأقام به **وضبط الطّرق** فلا يسر أحد البتة ودام هناك عشرون يوما.	✓		✓		النويري، نهاية الأرب، 174/24.

[1]-مهدي قادر حضر، الأمن في مصر في العصر الأيوبي(567-655هـ/1161-1255م)، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، أبريل، 2011، ص30.

[2]-عبد الأحد السبتي، بين الرطاط وقاطع الطريق، ص91.

[3]-المرجع نفسه، ص91.

وكانت أيامه-يعقوب بن يوسف(580-599هـ) -أيام دعة **وأمن** ورخاء ورفاهية وبنية حسنة.	✓		✓		ابن أبي زرع، المرجع السابق، ص217.
فاضطربت عليه البلاد-يحيى بن محمد-وغلت الأسعار **وخيفت الطرق.**		✓		✓	المصدر نفسه، ص248.
ولي الخلافة-إدريس بن يعقوب-والبلاد تضطرم نارا قد توالى عليها الخراب **والفتن بالطرقات.**		✓		✓	المصدر نفسه، ص250.
في نهاية دولة الموحدين: صارت ملوكهم ليس لها حكم في البوادي وإنما سلطانهم وأوامرهم في المدن خاصة وكثرت الفتن في القبائل واشتد **الخوف في الطرقات** والمناهل...**يقطعون الطرقات** ويغيرون على القرى والمجاشر مع الأحيان والأوقات.		✓		✓	المصدر السابق، ص288.
وكثرت الفتن واشتد **الخوف في الطرقات.**		✓		✓	ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص36.
وصالح-عثمان بن عبد الحق- أهل مدينة فاس وغيرها على أموال معلومة يؤدونها إليه في كل سنة على أن يؤمن بلادهم ورفع عنهم الغارات ودفع عنهم من كان يؤذيهم من القبائل.	✓		✓		ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص289.
بعد استقراه-أبي بكر بن عبد الحق- بفاس وانهزام السعيد ضد يغمراسن واستولى على فاس(646-647هـ) فاستقامت له الأمور بالمغارب وتمهدت له الملك...**وتأمنت الطرقات**...وتأمنت البلاد وانقمع أهل الفساد.	✓		✓		المصدر نفسه، ص294، 196.
ودخل-يعقوب بن عبد الحق- 668هـ/1269م بعد أن قضى على أبي دبوس فاستقر بحضرة مراكش وتم له ملك المغرب وتهدنت البلاد وصلح أمر العباد **وتأمنت الطرقات** وكثرت الخيرات...فلا ثائر ولا قاطع ولا مفسد.	✓		✓		المصدر نفسه ص307.
سرح السجون-يوسف بن يعقوب بن عبد الحق685هـ/1286م-وأزال المكوس...**وأمن الطرقات** وأزال أكثر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب.	✓		✓		المصدر نفسه، ص375.
أقام بها-يغمراسن بن زيان في سجلماسة 673هـ/1274م- حتى تهدنت أحوازها وأوديتها **وتأمنت سبلها** وارتحل عنها وترك عامله بها.			✓		المصدر نفسه، ص313.
لما استولى السلطان-أبي حمو703هـ -على المغرب الأوسط بممالكه وأعماله وهنأته ملوك الأقطار وأعراب الضواحي والقفار وصلحت **السابلة** ومشت الرفاق إلى الآفاق.	✓		✓		ابن خلدون، العبر/7/298.

الجدول رقم20: الحالة الأمنية لطرق المغرب الأوسط من خلال المصادر الإخبارية.

	النصوص الدالة على الأمن	النصوص الدالة على الخوف	المجموع
التكرار العددي	12	07	19
النسبة%	63	37	100

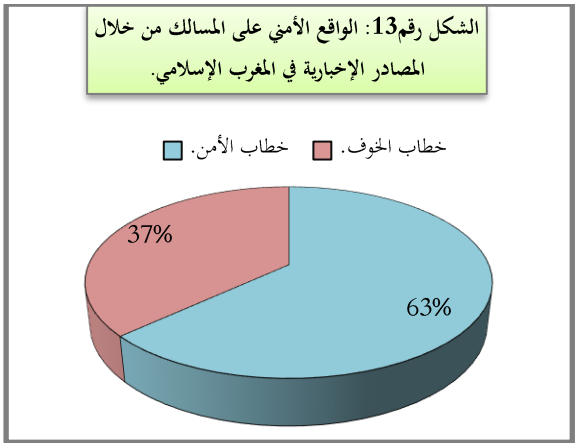

الشكل رقم13: الواقع الأمني على المسالك من خلال المصادر الإخبارية في المغرب الإسلامي.

***التعليق والتحليل:**

*****الظاهرة الأمنية حضورها يرتفع مع بداية الدولة إذ أول ما يقوم به المتوج بالسلطة ضبط الطّرق وتأمين السبل، على العكس في آخرها أول ما يختل هو أمن الطرق فينتشر بها اللصوص وقطّاع الطّرق.

*****إذا كانت مشروعية الدولة الدينية تستمدها من (العقيدة، المذهب أو الشرف) فان المشروعية السياسية يحققها مدى قدرتها الدولة ضبط أمن الطرق، فالحديث عن الأمن من كتب التاريخ العام يجب مراعاة قاعدة التوجه المذهبي لأنّ معظم المصادر المذهبية تمارس الدعاية الإعلامية لمذهب السلطة السياسية، عبر المسألة الأمنية، سواء باختلالها في آخر الدولة، يتحول به مؤشر اختلاله لمعطى تؤسس عليه الدعوة الجديدة شرعيتها وأحقيتها بالسلطة.

*****أهمية الأمن للدولة تدخل في إطار حفظ سيادتها على مجالها خاصة، فتطلب ذلك حماية المسالك التي تسلكها المواكب السلطانية والبريد الرسمي الذي لم يكن في مأمن من اللّصوص وقطّاع الطّرق وهجمات القبائل[1]، رغم أنّ لها مسالك خاصة محددة من قبل السلطة.

*****الهجرة الهلالية أثرت على واقع الطرق التجارية وطريق الحج على حد السواء لذلك تعد اللّصوصية وقطع الطريق واحدة من مميزات مدونات ما بعد القرن 5هـ/11م، ما جعل الباحث المغربي **سعيد بنحمادة** يربط الحرابة في المغرب الإسلامي بالجماعات الهلالية "**ترتبط الحرابة في تاريخ الغرب الإسلامي بقبائل بني هلال عقب دخولهم من الحجاز إلى مصر ومنها إلى أقطار الغرب الإسلامي في منتصف القرن5هـ/11م في إطار انتقام الفاطميين الإسماعيلية من بني زيري لما خلعوا دعوتهم**"[2].

فالواقع الأمني للمسالك في المغرب الإسلامي يعتبر دعامة من دعامات قيام الدول وسقوطها، وبالتالي انتشار قطاع الطرق المحاربين بها أخذ أبعادا سياسية واجتماعية، مما يدفعنا لتقصي شواهد ميدانية للظاهرة في هذا المجال بتتبع حركة القوافل التجارية والحج.

[1]-محمد الطويل، النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1997/1996، ص328.
[2]-نظام الشرطة في الغرب الإسلامي، ص80.

2-2 القوافل التجارية وقطّاع الطّرق:

تعد التجارة مقوم اقتصادي مهم لدول المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ساعد في نشاطها توفر مدنه على مؤهلات طبيعية وبشرية ساهمت في تفعيل حركة البيع والشراء وهذا انطلاقا من تعريف ابن خلدون(ت808هـ/1405م) للتجارة **"محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيا ما كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش"**[1]، متخذة شكلين تجارة داخلية وأخرى خارجية، منها النشاط التجاري للمغرب الأوسط الذي نشطت فيه التجارة الخارجية على محورين، مع الممالك المسيحية في الشمال والتجارة العابرة للصحراء مع ممالك بلاد السودان، هاته الأخيرة اصطلح عليها بتجارة القوافل[2] الصحراوية، وساهم في تنشيط هذه التفاعلية الاقتصادية محاولة توفير السلطة السياسية لشروط مهمة تقوم عليها التجارة وهي توفر الطرق والمسالك، وأخرى متعلقة بما تقدمه الأطراف المتبادلة من ضمانات أمنية لحركة أموالها وسلعها والتجار، إذ أن الأمن اعتبر أحد أهم المحفزات للحركة التجارية وهذا ما ينعكس علي قوة اقتصاد الدولة. في محاولة لرصد واقع الطرق التجارية جمعت نصوص تساعد في رسم شبكة طرق التجارية للتمييز بين الطرق الخطيرة وأقل خطورة يوضحها الخريطة الآتية[3].

[1]-ابن خلدون، مقدمة، تح: محمد رجب، ص328.

[2]-القافلة التجارية: هي تنظيم مسبق تقوم به جماعات أغلبها تجار تختلف أصولهم ولكن هدفها اقتصادي هو الربح التجاري والمتاجرة بيعا وشراء، هذه القافلة لها مكونات بشرية وحيوانية، تقسم فيها الأدوار بين عناصرها الرئيس والدليل والوكيل، رشيد حفيان، **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين11-12هـ/17-18م**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2013-2014، ص55.

[3]-راجع **الملحق رقم10**: جدول للمسالك الآمنة والخطة بمجال المغرب الأوسط.

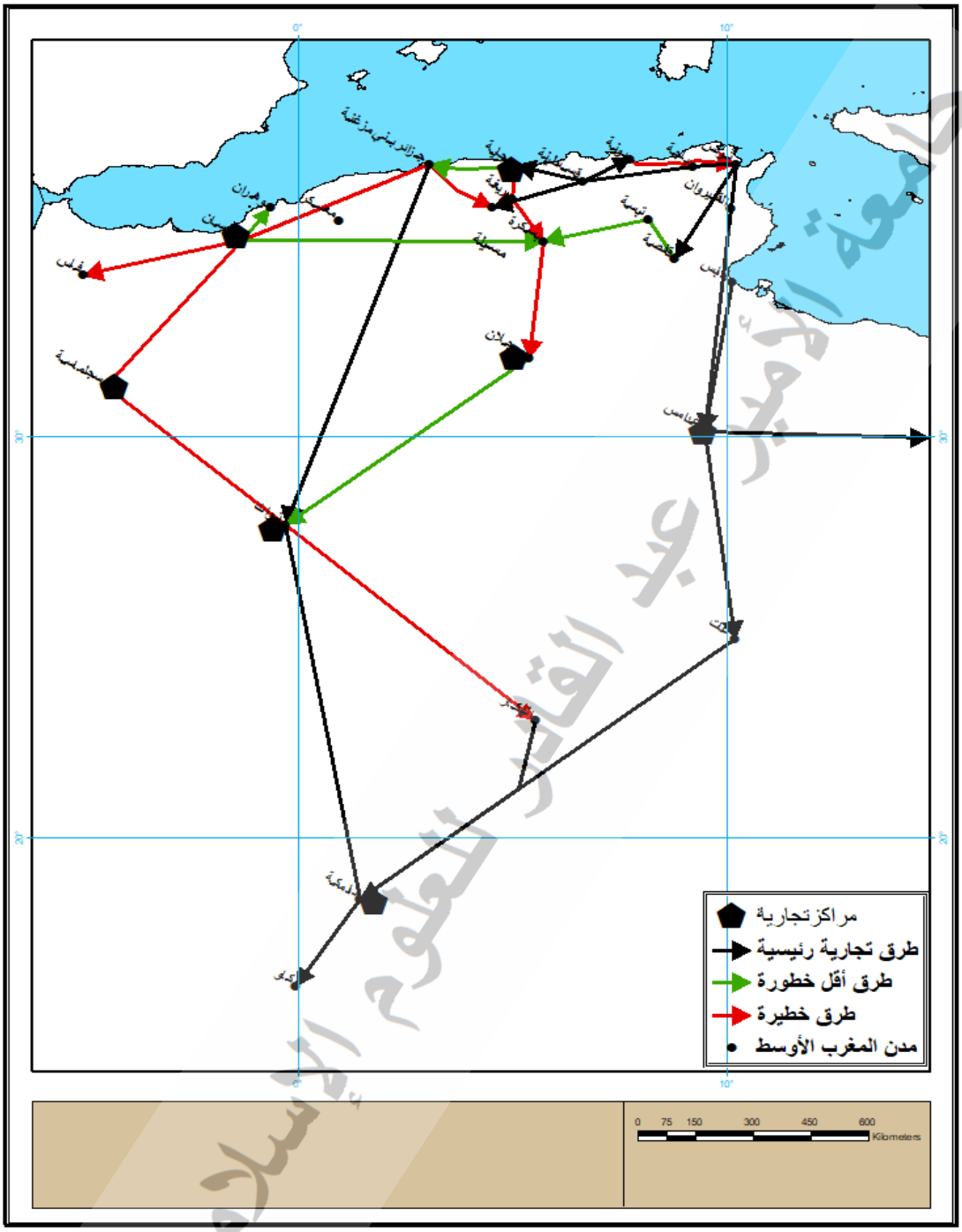

خريطة1: توضح مسارات الطرق الآمنة والخطيرة في المغرب الأوسط.

***الملاحظة والتعليق :**

-التحول الاستراتيجي في ثقل شبكة الطرق التجارية في المغرب الإسلامي مع القرن 5هـ/11م من الشرق إلى الغرب ونشاط التجارة البحرية مع الإمارات الاسبانية التي كانت من محفزات التجارة القوافل

نحو السودان الغربي[1]، ساهم فيه تراجع التجارة مع الشرق لانعدام الأمن في الطرقات وسيطرة البداوة[2]، حيث تحولت تلمسان في الفترة الزيانية إلى ملتقى الطرق التجارية القادمة من الشرق والشمال، وما تدرّه التجارة من أموال وسلع محفز قوي على نشاط اللّصوص وقطّاع الطّرق في هذه الجهة.

-مرتكز المسالك الخطيرة في المغرب الوسط يقع في الجهة الغربية مع حدود المغرب الأقصى، يوعز ذلك إلى الصراع المريني الزياني المستمر على طول الفترات التاريخية، الوضع الذي استغله اللصوص وقطاع الطرق.

-اتساع حدود الدولة الزيانية واحتواء معظم جغرافيتها على البسائط التي تعد موطن تحكم القبائل العربية، يضاف لها عدم ثبات حدودها جعل سكانها على الأطراف من أهل البادية والريف ينتهزون الفرص ويتحالفون مع القبائل الثائرة والتي تقوم على الغارة، وقطع طّريق على التجار كشكل من أشكال التمرد السياسي؛ على غرار قبائل ذوي عبيد الله، قبائل معقل وقبائل صحراء أنكاد.

-مسارات الطرق التجارية يخترق مجالات القبائل العربية هذا يؤكد الطرح القائم على ارتباط الحرابة بالأعراب الهلالية ويمكن تقديم مبررات أخرى قد تساهم في توضيح هاته الخاصية:

1-القبائل البدوية مورد رزقها قائم على الغارة، واندفاعها خارج صعيد مصر كان هدفه البحث عن الكلأ والماء **"إن حركة سكان البادية هي لضرورة حياتية اقتضتها وسائل العيش وحددتها أبعاد الندرة"**[3]، فاقتصاد الندرة البدوي هو المشرع الأساسي لاقتصاد الغزو القائم على الغارة والحرابة.

2-علاقة السلطة السياسية بالجماعات الهلالية بقيت معلقة بقوة السلطة وضعفها، علاقة غير منتظمة، لم تعمل على دمج القبائل على مختلف المراحل السياسية (باستثناء المبادرات الفردية التي قام بها بعض السلاطين التي كانت تهدف بالأساس لتحويل ثقلهم من الشرق لتعمير الجهة الغربية)، مما جعل مهنة هؤلاء القبائل خاصة إذا لم تكن السلطة بحاجة لقوتهم العسكرية تقوم على اللّصوصية وقطع الطّريق.

---

[1]-بلاد السودان التي يشمل مجالها من الجهة الشمالية بلاد البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط راجع: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص24، **مجهول**، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص219، 220.مما يعني أن الصحراء الإفريقية الكبرى تحده من الشمال وجنوبا10° شمالي خط الاستواء والمحيط الأطلسي من الغرب، **وأيضا:** بودواية مخبوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد الدولة الزيانية**، رسالة دكتوراه، جامعة أبي البكر بلقايد، تلمسان، 2005-2006، ص35.وتنقسم بلاد السودان إلى ثلاث أقسام: السودان الشرقي والسودان الأوسط والسودان الغربي، هذا الأخير يمتد جغرافيا إلى الجنوب من إفريقيا العربية يحده شرقا بحيرة التشاد وغربا المحيط الأطلسي وجنوبا خليج غينيا وقد قامت به عدة ممالك، مملكة غانة ومملكة مالي ومملكة سنغاي، وهو أكثر الأقسام تعاملا مع المغرب الأوسط –السودان الغربي– تحكم في ذلك العامل الجغرافي من ناحية القرب، كما أن الإمكانيات الاقتصادية التي يحتوي عليها(بحيرة التشاد، نهر النيجر وموارد من التبر العبيد...)جعلته وجهة تجارية لدول المغرب الإسلامي فمدت إليه القوافل التجارية خاصة عبر سجلماسة التي أولاها حكام المغرب الأوسط أهمية حتى قبل الفترة الزيانية.

[2]-محمد حسن، المدينة والبادية، 505/2.

[3]-محمد العادل لطيّف، الخوف ببلاد المغرب، ص338.

3-التنظيم الداخلي للقبيلة أنتج اللّصوص وقطّاع الطّريق، بسبب عدم العدل في توزيع الغنائم المحصل عليها من الغزو الغارة و(ثمن الارتزاق، الخفارة...) أنتج طبقة محرومة اتجهت للتلصُّص وقطع الطّريق.

-من المعطيات التي قدمتها الخريطة يتبين تركز قطع الطّرق خاصة على الطّرق التجارية خاصة المسالك المتوغلة في الصحراء لذلك ركزت في رسم صورة الحرابة واللّصوصية على الطرق من خلال تتبع تجارة القوافل الصحراوية بين تلمسان والسودان الغربي لتوفر المادة العلمية خاصة المصادر الرّحلية.

-وقوع العاصمة الزيانية تلمسان على مسار خطيين تجاريين أفقي وعمودي جعلها نقطة تلتقي فيها الطرق التجارية الرئيسية تربط افريقية بالمغرب الأقصى من جهة وبين البحر المتوسط والصحراء من جهة أخرى، لعب فيها تدفق تجارة الذهب والعبيد نحو الصحراء دور كبير في جذب تجار مدن المغرب الأوسط وغيره من المدن المغربية خاصة الذهب الذي ظل لستة قرون العصب المحرك لديناميكية التطور العالمي في العصر الوسيط[1]، مما جعل قطّاع الطّريق يترصّدون لهذه القوافل.

انتظمت التجارة بين تلمسان وبلاد السودان وقد عبر عنها ابن خلدون **"فلابد لهم في كل سنة من رحلة الشتاء إلى قصور توات وبلد تمنطيت"**[2] ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيت ثم يبذرقون إلى بلاد السودان[3]. ساهمت الحركة التجارية في بروز مدن مغربية نشطت على المسالك المهمة للقوافل التجارية وشكلت نقطة تجمع القوافل وأسواق للسلع الصحراوية القادمة من الشمال منها: سجلماسة، توات، تادمكة[4]...، واعتبر التحكم في هذه المدن التجارية والمسالك التي تقطعها هاجس مختلف الكيانات السياسية للمغرب الإسلامي ذلك أنها شكلت عاملا مهما في دعم نفوذها السياسي والاقتصادي وعنصرا فاعلا ساهم في بقائها واستمرارها[5]، ففي هذا السياق يفسر الحصار المريني

---

[1]-فاطمة بلهواري، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، دورية كان التاريخية، ع10، 2010، ص107.

[2]-ذكر ابن خلدون الطريق من سجلماسة إلى قصور توات: "...فمنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة، ويسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين آخذة من المشرق إلى المغرب وآخرها من جانب المشرق المسمى تمنطيت، وهو بلد مستبحر في العمران، وهو محط ركاب التجار المتوجهين من المغرب إلى مالي والسودان إلى هذا العهد"، **العبر**، ج76/7، 77.

[3]-ابن خلدون، المصدر نفسه، ج77/7.

[4]-تادمكة: أشبه بلاد الدنيا بمكة، معنى تاد عندهم هيئة إذ أنها على هيئة مكة، وهي مدينة كبيرة، بين الجبال والشعاب وهي أحسن بناء من غانة ومدينة كوكو، أهلها بربر مسلمون يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء، البكري، المسالك والممالك (الجزء الخاص ببلاد المغرب)، ص306، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984، ص128، 129.

[5]-الحسين بولقطيب، العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي خلال العصر الوسيط، مجلة أمل، ع6، المغرب، 1995، ص15.

لتلمسان(698-706هـ/1298-1306م) بسبب أهمية الخط التجاري تلمسان سجلماسة عبر فاس[1] ومقابل ذلك حاول الزيانيون الاستيلاء عليها أو عن طريق حلفائهم من القبائل العربية المنتشرة عبر هذا المسلك[2]، وجعلوا من تأمينها مهمة أساسية بتعيين العمال الأكفاء عليها، حال يغمراسن بن زيان الذي كان في صراع على المدينة مع يعقوب المنصور سنة 673هـ/1274م حيث كان يشرف عليها مع عرب المنبات ويبعث لها كل سنة ولد من أولاده ليضبطها بعد أن هدنت أحوازها وأمنت سبلها[3]، الصراع السياسي بسب أهمية موقع المدينة التجاري الذي يعتبر الشريان المغذي لاقتصاد المتحكم فيها في العصر الوسيط.

ربطت المغرب الأوسط ببلاد السودان الغربي وأجزاء من السودان الأوسط شبكة من الطرق منها ما هو رئيسي وأخرى فرعية يعود نشاط أغلبها إلى ما قبل القرن 7هـ/13م، إلا أنه في هذا القرن كان لتلمسان جانب مهم في رواج الحركة التجارية يوعز خاصة إلى الطرق المختصرة بينها وبين بلاد السودان[4] أهمها:

- طريق سجلماسة إلى ولاته[5] ثم إلى تمبكتو[6] وجيني وجاو.
- تلمسان سجلماسة إلى توات إلى تمبكتو، وهو الطريق الذي أشار إليه ابن خلدون أن القوافل القادمة من تلمسان وفاس باتجاه تمبكتو ستأخذ الطريق المار بتوات[7].
- طريق ورجلان جاو.
- طريق من واحة الجريد التونسية إلى ورجلان ومنه إلى سوف أو غدامس كان أكثر نشاطا ما بين القرنين(3-6هـ/9-12م)[8].

انقسمت المشاكل والأخطار التي واجهت التجارة الخارجية نحو الصحراء إلى قسمين أساسيين، يرتبط **القسم الأول** بالعامل الطبيعي تمثل في الطبيعة الجغرافية والمناخية لبلاد السودان من ندرة المياه والعطش وما يفرضه من صعوبة تجاوز تلك المفاوز والقفار ويذكر حسن الوزان أن قوافل تلمسان كان البعض من

---

[1]-محمد بن ساعو، التجارة والتجار في المغرب الإسلامي (7-10هـ/13-16م)، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014، ص34.

[2]-المرجع نفسه، ص34.

[3]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص312.

[4]-بودواية مخبوت، العلاقات الثقافية والتجارية، ص316.

[5]-ولاته (إيوالاتن): شديدة الحر، وفيها يسر نخيلات يزرعون في ظلها البطيخ وماؤها من أحساء بها، ولحم الضأن بها كثير وثياب أهلها مصرية وأكثر السكان بها من مسوفة، ابن بطوطة، الرحلة، ص677.

[6]-تمبكتو: "تمبكت"، بينها وبين نهر النيجر أربعة أميال أو أكثر، سكانها مسوفة أهل اللثام، راجع: ابن بطوطة، المصدر نفسه، ص694.

[7]-ابن خلدون، العبر، ج77/7.

[8]-قدور عبد القادر، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين9و10هـ/15-16م، رسالة ماجستير، جامعة أبو البكر بلقايد، تلمسان، ص75.

أصحابها لا يصلون إلى وجهتهم ويكون مصيرها الموت "**وعرة ووحشة يمر بها التجار الذاهبون من تلمسان إلى تمبكتو ويقطعونها من أبعد طرفي قطرها، فتؤدي صعوبة المرور إلى موت العديد من الناس والــدواب لفقدان الماء**"[1]، يضاف لها خطر العواصف الرملية التي تؤثر على معالم الطرق ووجهتها، أما **القسم الثاني** من المشاكل التي تواجهها القوافل فهو أكثر ارتباطا بالعامل البشري المتمثل في الهاجس الأمني الذي كثيرا مــا تخترقه ممارسات اللّصوص وقطّاع الطّرق[2] من المحاربين الذين اتخذوا من السّرقة ونهب القوافــل وســيلة للكسب ومصدرا للمعاش، والواقع الأمني كثير الارتباط بالواقع السياسي والاقتصادي الذي كان سائد بلاد المغرب وبلاد السودان إذ بمجرد ما يختل توازن السلطة السياسية ينعكس ذلك على واقع الطّرق التجاريــة فتشهد مساراتها تحولات مهمة[3].

لتوضيح صورة نشاط اللّصوص وقطّاع الطرق في مجالات حركة القوافل التجارية نحــاول اســتقراء النصوص الوصفية من كتب الرحلة التي قدمت صورة عن نشاطهم من خلال أعداد الجدول الآتي:

نشاط اللصــوص /القرن	التكـــــرار العددي
7هـ/13	01
8هـ/14	01
9هـ/15	03
10هـ/16	02

جدول رقم21: نشاط اللّصوص وقطّاع الطّرق على المسالك من خلال كتب الرحلة في المغرب الأوسط.

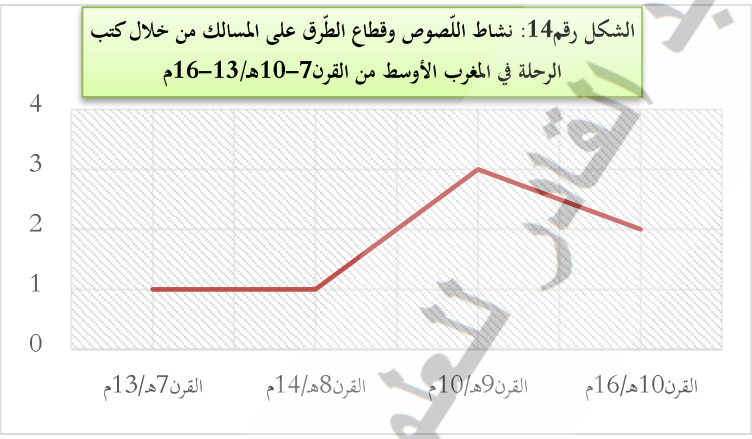

التعليق والتحليل:

-نقلت النصوص الوصفية أخبار اللّصوص وقطّاع الطّرق الذين جعلوا من مناطق عبور القوافل محلا خاصا لهم، منها ما ذكره العبدري على التمركز الدائم لهم في المفازة التي في طريق تلمسان إلى تازة "**وهــي منقطعة موحشة، لا تخلو من قاطع طريق البتة، وهم أشد خلق الله ضررا...**"[4]ولشدة فتكهم وصعوبة تجاوز

[1]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 75/2.

[2]-وردت في المعيار للونشريسي نازلة سئل فيها الإمام سحنون أي قبل 240هـ/854م حول انتشار اللّصوص وقطّاع الطّرق في الطريق لبلاد السودان وقد ذكرها الونشريسي أثناء تفصيله في فتوى مشابهة لها عرضت على الإمام أبي زيد القيرواني(ت386هـ/996م) التي أجاب فيها هذا الأخير مثل جواب الإمام سحنون، الونشريسي، المعيار المعرب، ص149/6، 150، وهذا يبين أن الظاهرة كانت منذ بداية نشاط الحركة التجارية إلى بلاد السودان أن هذا المشكل كان من أخطر المشاكل التي تواجهه القوافل التجارية مما دفع أصحابها لطلب الفتوى.

[3]-الحسن العماري، المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن 15-18م، مطبعة وورك بيروت، ط1، مراكش، 2019، ص79.

[4]-العبدري، رحلة العبدري، ص562.

تلك المفازة دون مرافقة فقد ذكرها في طريق الذهاب والعودة، ومنها أيضا ما تعرضت له القافلة التي كان في رفقتها ابن بطوطة حيث **"تعرضوا لهم في بلاد هكار...وهم طائفة من البربر ملثمون فقراء لم يسمحوا لهم بالمرور إلا بعد أن غرموا منهم أثوابا وغيرها"**[1]وهذا ما أكده ابن خلدون عندما أشار إلى مرور التجار بتوات وتمنطيط، والواع نفسه تعرض له التجار المارين بورجلان في الطريق التي تربطها بأريغ من خلال هجوم الصنهاجين من قطاع الطّرق عليهم خاصة إذا كانوا في حالة تمرد على السلطة[2]، فيما استقر بعضهم في حصون كانت مأوى السّراق وقاطعي الطّريق، يمارسون نشاطهم على المجتازين من التجار والمسافرين للمسالك القريبة منهم وصف النميري حالهم في بلاد الزاب خاصة في ريغة "وكانت لريغة وغيرهم قلاع رسخت بتلك الجبال مفارعها و لم تزل مأوى لكل سارق وملجأ لكل مناف ومتعصب...في قلعتين"[3]، يبدو أنّهم تحصنوا بأعداد كبيرة وكانت لصوصيتهم تتم بأسلوب منظّم خاصة أن جبال المجال ساهمت في استقرارهم وحمايتهم حتى وصول حركة أبي العنان المرين 758هـ/1356م حيث قضى عليهم وأمنّ مجال الزاب من شرهم.

-استمر نشاط قطّاع الطّرق حتى إلى القرن 10هـ/16م وهذا ما تأكده الإشارات الواردة في الجدول حول نصوص حسن الوزان ومرمول كربخال، اللّذان يؤكدان صعوبة قطع مفازة أنكاد التي يسكنها اللصوص خاصة في فصل الشتاء لأن المكلفين بحراستها من الأعراب يتجهون في هذا الفصل إلى الجنوب"**...قلما ينجو التجار من شرهم لاسيما في فصل الشتاء لأن الأعراب المستأجرين للحفاظ على الأمن في البلاد يكونون قد رحلوا عنها إلى نوميديا ويبقى غير المستأجرين وحدهم ليتعيشوا من اللّصوصية"**[4] يحمل النص إشارات مهمة حول واقع الأمن في الطريق المؤدي من تلمسان إلى فاس ومنها إلى سجلماسة، أن اللّصوصية تصبح مهنة للأعراب الذين لا تستأجرهم الدولة في حماية التجار كما يتضح موقف السلطة السياسية من بعض الأعراب الممارسين للّصوصية حيث تستخدمهم في خدمتها في فرض الأمن ومرافقة القوافل التجارية، ويمكن تصنيفه ضمن باب المصلحة المتبادلة تحقق منها الدولة الزيانية حركة التجارة وضمان أمنها وفي المقابل يحقق اللّصوص مبتغاهم المادي في الحصول على مصدر قار- نسبيا- من المال.

-الملاحظ انتشار نسبي للظاهرة في القرن8هـ/14م يفسر بقوة الدولة الزيانية وقدرتها على توفير الأمن في المسالك التجارية وحتى قوة ملوك السودان الغربي(مالي)، بالإضافة إلى أن الصّراع بين دول المغرب الإسلامي حول السيطرة على الطرق التجارية في هذه الفترة حتم عليهم إبراز قدراتهم في تجاوز الهاجس

---

[1]-ابن بطوطة، الرحلة، ص699.

[2]-الوسياني، سير الوسياني، 727/3، الوزان، وصف إفريقيا، 154/2.

[3]-فيض العباب، ص463، 464.

[4]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، ص11/2. مرمول كربخال، إفريقيا ص292/2.

الأمني الذي يهدد حركة القوافل نحو دواخل إفريقيا جنوب الصحراء. في المقابل يوعز الانتشار الواسع لعمليات التلصُّص في القرن9هـ/15م إلى عكس العامل الأول وهو أن هذا العصر شهد في نصفه الثاني بداية الضعف للدولة الزيانية وتأثيره على الواقع الأمني للدولة وهذا ما تحمل عواقبه السلبية التجار والحركة التجارية، إذ سمح هذا الواقع السياسي للّصُوص وقطّاع الطّرق للنشاط لتحقيق مصادر العيش.

2-3 ركب الحج وقطّاع الطّرق: المسألة الأمنية المتعلقة بركب الحج لم تكن بعيدة عن التغيرات الجيوسياسية التي مست بلاد المغرب الإسلامي بعد القرن 5هـ/11م حيث أثرت الهجرة الهلالية على الطرق البرية الداخلية، وكذلك السيطرة النورماندية على الطريق الساحلي؛ كان له صدى كبير على مسار قوافل الحج، نتيجة لذلك اعتبر الحج واحد من أكبر المسائل الدينية التي فتحت النقاش بين الفقهاء والمتصوفة حول جوازه من عدمه في ظل التحولات الأمنية التي شملت الغرب الإسلامي خاصة وأن الأندلس شهدت حروب الاسترداد التي ألقت هي أيضا بثقلها على أداء فريضة الحج.

لا يتوقف الحج عن كونه شعيرة دينية توثق صلة المخلوقية بين المؤمن وربه سبحانه وتعالى، بل تجسد حلقة وصل بين مجالات الإسلامية الشاسعة، وتعد البقاع المقدسة نقطة تواصل بين مختلف القوافل الوافدة إليها، من الناحية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، إذ تحمل القوافل رجالا وأفكارا وبضائع ولربما دعاة وقادة سياسيين[1].

توثق رحلات الحج العلاقات بين الغرب الإسلامي ومشرقه، ووجهة للاستزادة العلمية، و لم يعجزهم قصد تلك الديار ما يصلهم عنها من صعوبة المسالك إليها وأخبار المهالك والضياع والفيافي والفقار أو الموت نتيجة الأوبئة الفتاكة وأخبار ممن أقبروا على طوول الطريق، وما وردهم عن ابتلاع البحر لعدد كبير من الحجاج[2] ؛ فالركبان مثلها مثل بقية أشكال التنقل الجماعي تتعرض لخطر مهاجمة اللّصوص وقطّاع الطّريق وابتزاز القبائل التي تمر بها ولا يسلم من ذلك أغنياء القوم، ولا ضعفائهم وإن كان ركب الأعيان سواء كان ركبا رسميا أو غير رسمي أكثر عرضة من غيره لغارات اللّصوص وقطّاع الطّرق[3]، وقد ساهمت كتب الرحلة في إعطاء صورة حول واقع الحجاج في طريقهم إلى الحج من خلال أدب الرحلات خاصة الحجازية؛ الذي يعتبر أخصب فنون الكتابة الأدبية ومصدرا من أهم المصادر المعول عليها في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والجغرافي بالدرجة الأولى، لذلك اعتمدت عليها في جمع النصوص المتعلقة بواقع الحجاج بالاستعمال الجدول التالي:

المصدر	النص المصدري	نوع الخطر	المصدر

[1]-لطفي بن ميلاد، قافلة الحج، المغربي تحولاتها وأبعادها خلال القرون الأخيرة في العصر الوسيط، بونة للبحوث والدراسات، ع14/13، 2010، ص121.

[2]-فوزية كرارز، مسالك الحجاج المغاربة من خلال بعض الرحلات المغربية الرحلة الحجازية، نشر ضمن مؤتمر طرق الحج في إفريقيا، مركز البحوث والدراسات الإفريقية-جامعة إفريقيا العالمية، 2016، ص2.

[3]-محمد طويل، النقل والتنقل، ص316.

العبدري، الرحلة المغربية	* ولما انتهينا إلى المفازة التي في طريق تلمسان وجدنا طريقها منقطعا مخوفا لا تسلكه الجموع الوافرة... لأن المجاورين لها من أوضع خلق الله.	قطاع الطرق	45
	* ومن أغرب المسموعات أنّا صادفنا وقت المرور بها(بونة) زويرقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا، وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الّخول والخروج، وأسروا من البرّ أشخاصا فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد.	الخطف	104
	* ومنها إلى قريتي زوارة وزواغة ذوي الأنفس الخبيثة ... إن استقام إليهم الحاج لو يوقظه إلى برد القديس... لأنهم يبيعونهم من النصارى بأبخس ثمن.	قطاع الطرق	184-185
	* الجم لا يسلكها إلى مخاطر ولا يقدم من عربانها إيلام خاطر قد استوى عندهم الصالح والطالح... وتأخذوا أخذ الحاج خلقا ودينا... إلا انقضوا عليّ انقضاض القصور على البغاث.	اللصوص	197
	* من سرت ... لا معهد بها، ولا أنيس ولا محط للرحال عن ظهر العيس، مجر جيوش وغارات، ومقر ذوائب وملمات... ولصّها بطل لا يطاق.	قطاع الطرق	202
	* برقة... وبعد مكابدة الأين ومعاينة العين، ومقاساة غصة وحرقة... وصلنا إلى القفر القواء أرض برقة فوجدنا برية هي أم البراري والقفار... يستعذب عذابها المنفض من الحجاج... سكانها من الأعراب كل فظ غليظ.	صعوبة المجال	204
	* من برقة إلى الإسكندرية هي برية واحدة ممتدة إلى الإسكندرية وفي آخرها المومأة المضنية المؤذية أوحش المراحل على الراحل قفر... أرض تستوحش منها القلوب.	صعوبة المجال	210
	* في الإسكندرية ... ومن الأمر المستغرب... أنهم يعترضون الحجاج ويجرعونهم من بحر الإهانة ويأخذون على وفدهم الطرق والفجاج ويبحثون عما بأيديهم من مال ويأمرون بتفتيش النساء والرجال.	فرض الغرامات المالية	216
	* البرية بين الحجاز ومصر، مسيرة أربعين يوما... ليس في البراري أطول منها ولا أقفر وفيها قوم من العرب صعاليك يتنقلون فيها من موضع إلى آخر.	الصعاليك	330
	* خوف الضياع في الصحراء.	الجغرافيا (الصحراء)	334
	* وادي القر... وهو رجل من العرب ذكروا أنه كان فيما مضى يسكن هناك ويقطع على الحجاج ولا يكاد يسلم منه أحد حتى مرض مرضه الذي مات فيه.	قاطع الطريق	341
	* وادي بمكة... أرضه جدبة وكلها حجر لا ماء ولا شجر وفي بعض أصحابها جفاء... وهم في الغالب يؤذون الحجاج ويحيفون على المجاورين بها.	صعوبة المجال	362-363
	* ... وقد رأيت شخصا من الحجاج لما نزل الركب إلى المدينة مغترا بقربها فما مدى الركب حتى أخذوه وجرحوه بعد الضرب.	التعدي على الحجاج	418
	* مفازة تلمسان في العودة... وهي منقطعة موحشة لا تخلو من قطاع الطريق البتة.	قطاع الطريق	562
التجاني، رحلة التجاني	* ... تلك لمرحلتنا سالكين في أول السبخة المعرفة بتاكمرت ... وبتنا فيها على غير ماء ثم هبنا لسلوكها ثلث الليل الأخير فلم نزل نحف بأدي المطايا ونعد ذلك إن شاء الله تكفيرا لما اقترفنا من الخطايا... ثم اشتد عصف الريح حتى أيسنا الحياة بابتعاد.	المناخ	172-173
	* حماميد... وعيشهم من الغارة على العرب تخرج غازية منهم فتكمن بعض المكامن يمر بها العرب من الجواري.	الغارة	187
	*وتواتر لدينا عقد بشهادة عدول من أهل طرابلس وخطاب قاضيها أن ركبا فيه نيف	صعوبة المناخ	191

	على سبعمائة نسمة جاء من برقة وأن هلم يخلص منه حاشا مائة أو نحوها وأن سبب ذلك أنهم لم يجدوا هناك ما يقتاتون منه حاشا لحوم الحيات فعدا عليهم سمها فأهلكهم.	(القحط)	
	* وهذا القصر مشهور ببيع من يجتاز به الحجاج وغيرهم للنصارى، ولم تزل الركوب تحترس إذا مرت به خوفا من أهله وخوفهم على سرقة الرجال، أكثر من خوفهم على حياة الرجال.	الخطف	210
	* زواغة فكلهم في هذا الزمان أظهروا تعديهم ومدوا أيديهم إلى المراكب البحرية والركب البرية أيديهم.	القرصنة / قطع الطريق	316
	* وصل إليه ركب فلم يجدوا به ماء فهلكوا هناك جميعا.	عدم الماء	319
البلوي، تاج المفرق	* فدخلنا في أمر عظيم وطريق غير مستقيم وعذاب يوم عظيم... ولا كان مسلكا إلا للذئاب واللصوص والأسود إلى شعراء بالخوف مشعرة وأرض خالية مقفرة... فبقينا نكابد عظيم ذلك الأمر ونسير ولا نفارق ساحل البحر... وقد اشتد البرد وبلغ الحد... ووقع الثلج فتصبح وصبحنا أبيض، وجناحنا لا ينهض والعروق لا تنبض، والبروق لا تومض والخيام لجمودها واقفة على غير عمودها (الطريق الساحلي من مدينة الجزائر إلى بجاية).	صعوبة المناخ والتضاريس	151/1
	* ثم خرجت من المدينة (بونة) سالكا سبيل جبل الحفاء ومالكا من الرجاء ما برح به الخفاء ... وأسفرنا وجهه العبوس... عن قطعة من العرب كقطع الليل حملت علينا كحمل السيل، فكان زوال كل ما ملكناه أسرع من لحسة الكلب لأنفه.	قطاع الطرق	164/1
	* وصلنا إلى جزيرة ملطة ثم هبت ريح اقتلعتنا وأسرعتنا واشتدت... حتى أدخلتنا مرسى جزيرة أفريطش... ثم خرجنا منها فلما توسطنا المواسط اشتدت الريح المختلفة وعظمت الأمواج المضطربة وأتت الأنواد من كل جانب حتى دخلنا جزيرة قبرص... فما انفصلنا عنها إلا قد أدركهم الجهد والإعياء ولحقهم العطش الشديد والعناء... ولا فض دموعي إلا أطفال يضطربون بالبكاء ويستغيثون من العطش... حتى أشرف الناس على الهلاك بالعطش.	اضطراب المناخ / العطش	194- 195
	* ... ثم خرجنا منها ... مستقبلين الأرض الصحراء بالجدبة القفراء حتى تحار فيها القطا... ويعدم بها الماء... ويفنى فيها الزاد...	صعوبة المجال (صحراء)	238
	* نقطع أرضا صحراء موخفة القطع... مسافة لها مهابة ومخافة تتعب فيها الركاب، وتفقد الرفقاء...	صعوبة المجال (صحراء)	277- 278
	* ولم نزل نسير ونجد السير وحمى الهجير وعدم الماء... وعم العطش وكاد يستولي علينا الفناء.	صعوبة المجال	279
	*... وقصد عربان الفلا أن يتخذونا كاسمها، ويجعلوننا في الدروس كرسمها، فضربوا على ذنب الركب في رأس المضيق وأذاقوه دون برد الماء بأطراف الأسنة عذاب الحريق...	قطاع الطرق	279
	* واشتدت جمرة الغيظ، وما زلنا نسير فيشتد حر الشمس وشبه اليوم بالأمس إلى أن وصلنا إلى مدينة الخليل.	صعوبة المناخ	13/2
	* حتى إذا كنا بالمواسط أمر الله باجتماع الرياح المختلفة وتفريق تلك الأمة المؤتلفة فضربنا في البحار يمينا ويسارا... ورأينا بروقا وأعصار... وكدنا نموت غرقا وجوعا وضمئا.	صعوبة المناخ	28/2
	* مكر أصحاب السفن... راح وتركنا منبوذين بالعراء مطروحين وسط الصحراء...	مكر أصحاب السفن	30/2

	*...لا أملك إلى نفسي لعربان الزاب... لما كان قد تولى من بغيهم وفسادهم وقطعهم للطرق وعنادهم... دخلناه في أزيد من مائة إنسان من المشاة والركبان... ثم حملوا علينا حملة ظننا أن الجبال إلينا راجعة.	قطاع الطرق	145/2-148
ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة	*... وتصاحبنا خفيفا فإننا نجد السبيل خوف غارة العرب في الطريق.	قطاع الطرق	16
	* ثم سافرنا منها فبينما نحن بقرب ازغنغان خرج علينا خمسون راجلا وفارس...	قطاع الطرق	657
ابن خلدون، رحلة ابن خلدون	* وأما المشرق فأخبار الحج هذه السنة من اختلاله ... وكثر الهرج في طرقاتها وأسواقها.	اختلال الأمن	115
	* بعد قضاء فريضة الحج... سافرنا إلى أن قاربنا مرسى طور فاعترضتنا الرياح... فما وسعنا إلا قطع البحر إلى جانبه الغربي ونزلنا ساحل القصير وبذرقنا مع أعرابتلك الناحية إلى مدينة قوص قاعدة الصعيد.	صعوبة المناخ (الرياح)	209
	* السفر إلى صفد... وسافرت في جمع من أصحابي فاعترضتنا جماعة من العشير قطعوا علينا الطريق وفهموا ما معنا، ونجونا إلى قرية هناك عرايا.	قطاع الطرق	297
القلصادي، رحلة القلصادي	* بعد مشقات عظام تحار في وصفها المحابر والأقلام حتى وقع من كل لأمر الله الاستسلام وصار ينادي بلسان الحال "أنا الغريق فما خوفي من البلل.	غير محدد	124
	* وصل وجدة... وذلك بعد مشقات عظام.	غير محدد	130
ابن المدجن، أنساب الأخيار	* جميع هذا البر العدوي المذكور كثير الحراميات والقطاع من بلاد بني مرين إلى آخر مصور طرابلس بل إلى برقة... قليل الماء... مسيرة خمسة أشهر كلها خلوات وخوف وعطش ورمال وفيافي منقطعة.	قطاع الطرق، صعوبة التضاريس	97-96
	* وصحراء من الصحاري التي بالمغرب حتى بلاد طرابلس وهي بلاد خوف وقطاع طريق ولصوص وسراق... بلاد خوف وجوع.	صعوبة المناخ، قطاع الطرق	104
	* بخلاف برية الحجاز فداخلها مفقود والخارج منها كالمولود...	صعوبة المجال	106
	* والله إننا ليلة خرجنا من جبل عرفة وأصبحنا في منى لم نرقد من شدة الصياح والعياط من اللصوص والأبالسة والسراق	السّراق واللّصوص	108

جدول رقم22: واقع حجاج المغرب الإسلامي في الطرق من خلال كتب الرحلة من القرن 7-9هـ/13-19م.

التعليق والتحليل:

* الملاحظ أن الطرق التي سلكها الحجاج توزعت على ثلاثة مسارات رئيسية وهي الطريق البري الساحلي، والطريق البري الصحراوي (الجنوبي)، الطريق لبحري[1]؛ يربط المسلك الساحلي المدن الكبرى للمغرب الإسلامي من فاس إلى تلمسان ثم جزائر بني مزغناي فبجاية وقسنطينة فباجة فتونس ثم سوسة فصفاقس فقابس ثم طرابلس الغرب، مصراته، سرت، برقة، الاسكندرية، القاهرة، وقد سلك هذا الطريق الرحلتان المغربيان العبدري 688هـ/1290م وابن بطوطة 725هـ/1325م، وقدما له وصفا دقيقا، مبينا مخاطر الطريق، بدأها العبدري بدخوله لتلمسان ومخاطر مفازتها[2]، وذكر ابن بطوطة مخاطر الطريق من ووجود الأعراب بها؛ أما المسار الجنوبي الذي تعد فيه سجلماسة قاعدة التقاء الحجاج ثم يتوجهون إلى

[1]- راجع **الملحق رقم11:** يوضح مسالك الحج من المغرب الإسلامي.

[2]-العبدري، الرحلة المغربية، ص45.

توات، ورجلان توزر، نفزاوة، قابس، بنقدران ثم طرابلس الغرب[1]، فيما استقل الأندلسيون في الغالب الطريق لبحري الذي بينه ابن جبير614هـ/1217م، والقلصادي 840هـ/1430م في رحلتهما. رغم تنوع المسارات ومرورها بمجالات عديدة إلا أنّ الأخطار التي واجهت الحجاج عديه خاصة تعرضهم لصوص وقطّاع الطّرق ما يوضحه الشكل التالي:

نوع الصعوبات.	تكرارها العددي.
خطر اللّصوص وقطاع الطرق.	19
صعوبات يفرضها المجال الجغرافي.	12
صعوبات متعلقة بالمناخ.	10
صعوبات أخرى.	3
المجموع	44

الجدول رقم23: أنواع الصعوبات التي تواجه الحجاج على المسالك.

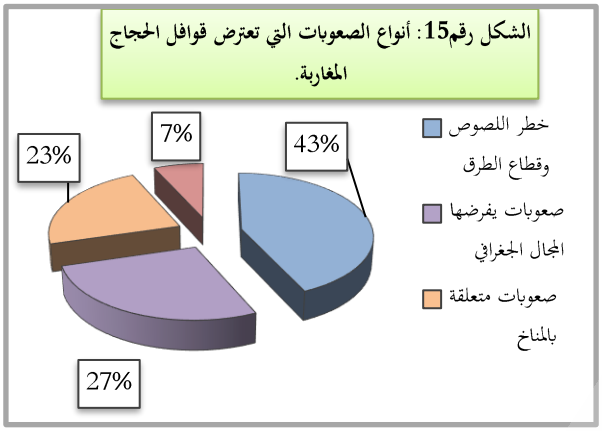

***التعليق والتحليل:**

أخذت الأخطار التي واجهت الحجاج في طريقهم من المغرب الإسلامي للحجاز أشكالا عديدة(بشرية، طبيعية)[2]، استغلها اللّصُوص الذين مثل حضورهم نسبة كبيرة ما يعادل 43% لممارسة نشاطهم، حيث اعتبرت الإغارة على الركب حدثا عاديا ومتوقعا خاصة وأنّ هناك نقاط سوداء، يتخذها قطاع الطّرق مركزا للهجوم على الركب، في المسالك الضيقة أو الفلاة الواسعة لمناوشة الحجاج وسلب ما أمكنهم من الأمتعة[3]، فسمعة الركب المغربي وما يحمله حجاجه من متاع وأموال كانت تحفز اللّصوص وقطّاع الطّرق لانتظاره والتربص به للحصول على ما يحملون نهبا وسلبا، وقد اختصر **ابن المدجن** جل الأخطار والصعاب التي يواجهها ركب الحج في المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عموما بقوله: "ملك عبد الوادي ملك مبارك ولكن هو كثير المصايب من أجل تبديل ملوكها...وتضعف من ذلك المملكة والحكم ويكون فيها قطع الطّريق وتنحصر الناس عن الأسفار...وكذلك جميع هذا البر العدوي المذكور كثير **الحرميات وقطّاع الطّرق** في جميع الأقطار من هذا البر المذكور **فالخوف** والخلاء وبعد العمائر من بلاد بني مرين إلى آخر مصور طرابلس بل إلى برقة...إلى الإسكندرية مسيرة خمس أشهر كلها **خلوات وخوف وعطش ورمال وفيافي منقطعة**"[4].

---

[1]-لطفي بن ميلاد، قافلة الحج المغربي، ص123.

[2] -انظر **الملحق رقم12**.

[3]-محمد بكور، طريق الحج الصحراوي صلة وصل بين المغرب والمشرق، منشور ضمن الكتابة التاريخية مقاربات ونماذج، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2018، ص73.

[4]-أنساب الأخيار، ص97، 96.

الركب الذي تنقل معه **البلوي** تعرض لغارة مفاجئة من العرب في جبال بونة باتجاه تونس سلب فيها المغيرون متاع الحجاج وتركوهم بين جريح ومن يصارع الموت"...عن قطعة من العرب حملت علينا كحمل السيل، فكان زوال كل ما ملكناه أسرع من لحسة الكلب لأنفه...وانقلبت أعدى من جام ونجوت برأس طمرة ولجام، منهزما مكلما، يثعب جرحى دما وصاحبي قد منحوا الأكتاف والرقاب ودمائهم تسيل على الأعقاب"[1]، حتى في طريق عودته واجه الركب غارة العربان في جبل الزاب "دخلناه في أزيد من مائة إنسان من مشاة وركبان ورجال وفرسان...تصارخت العرب...ثم حملوا علينا حملة ظننا أن الجبال إلينا راجفة"[2].

حتى الركب الرسمي الذي كان يرافقه ممثلون عن الدولة والحاميات العسكرية لتحميه لم يسلم من شر قطاع الطرق منها ركب عام 701هـ/1301م مستغلين غياب الأمن في خضم الصراع المريني الزياني"...لما كانت نواحي تلمسان قد اضطربت بعد مهلك يوسف بن يعقوب وما كان من شأنه فبعث معهما بعض العرب فلم يغن عنهم واعترضتهم أشرار حصن من زغبة بنواحي المدية فبالغوا في الدفاع فلم يغن عنهم واستولى الأشرار على الركب بما فيه ونهبوا جميع الحجاج ورسل الملك الناصر وخلصوا برؤوسهم"[3].أما عن الذين اختاروا الطريق البحري على قلتهم فإنهم تحملوا مصاعب البحر من عواصف ورياح، مع ما تعرضوا له من قراصنة البحر في عرضه، لكن هذا لا يعني الغياب التام لركب الحاج البحري بل نجد من الرحالة المغاربة سافروا على متن البحر لأداء مناسك الحج[4].

خلاصة القول أنّ تعرض ركب الحجاج لقطّاع الطّرق رغم ما يتمتع به من قدسية، ما هو إلا مظهر يعكس ضعف السلطة السياسية في حماية الحجاج على المسالك، وحقيقة تبين أزمة بنيوية[5] يعاني منها الحجاج والتجار وغيرهم، مع عدم إغفال الفراغ الروحي الكبير الذي تعاني منه المجموعات اللّصّصية التي وصل بها واقعها المتدني للسطو على ركب الحج.

3-السّرقة في المراكز الحضرية:

---

[1]-تاج المفرق، 164/1.

[2]-المصدر نفسه، 146/2، 145.

[3]-ابن خلدون، الرحلة، ص،264، العبر، 482/5.

[4]- محمد بكور، طريق الحج الصحراوي، ص76.

[5]-اشتهرت بعض المدن التي تمر بها القوافل باللّصوصية وقطع الطريق دون غيرها واسمر نشاط قطاع الطريق فيها حتى بعد القرن 9هـ/15م إذ يعتبر العياشي أعراب طرابلس أكثر البلاد سرقة وأعرابها أعلم الناس باستعمال الحيل في ذلك مع إقدام الهجوم بالليل إن تمكنوا من ذلك، راجع، رحلة العياشي، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ضبي، 2006، 177/1، محمد بكور، المرجع السابق، ص74.

سمحت الروايات المستقاة من المصادر بمعرفة مدى تفشي ظاهرة السرقة داخل مدن المغرب الأوسط[1]، وإن لم تكن ظاهرة استفرد بها المجال وإنما كانت منتشرة في جميع مدن المغرب الإسلامي وتوحي مظاهرها أن السّراق اختصوا بسرقتهم داخل المدن من خلال دخول المنازل والسّرقة في الأسواق وفي الدروب.

وارتبطت سرقة المدن بالواقع السياسي للسلطة إذ رغم ضبط الممارسات الأمنية وترسيخ المؤسسات التشريعية فإن ذلك لم يمنع من انتشار التعدي واللّصوصية خاصة بالمناطق التي كانت بعيدة عن المدن الكبرى في الكور والرساتيق التي يخف فيها التمثيل الإداري للدولة[2]، في بجاية يستغل السّراق الزحام في الأسواق للسطو على الناس حال السّارق الذي سرق رزمة ثياب من غاسلة ثياب في سوق باب البحر[3]، كما أسلفنا سابقا أن بالمدينة نشط السراق الذين يعرفون **بهجامة الليل** حيث دخل لصوص تلمسان مستغلين حالة الحرب وغياب الأمن فيها للسرقة "**...ودخل بعض المتلصّصين منهم البلد ليلا فقام عليهم أهل البلد فقتلوهم**"[4]، واستغل سارقان غفلة المالطي ودخل داره في تلمسان ليلا لم يسلم منهما عند اكتشافهما إلا بصعوبة[5].

وقدم ابن مريم مجموعة من المشاهد حول سرقات متعددة عرفتها مدينة تلمسان تراوحت بين سرقة المنازل حيث دخل سارق لوسط الدار في المساء وسرق رداء امرأة اسمها عائشة كانت قد غسلته ونشرته"**...ودخل رجل ورفع ردائها وذهب به ليلا لدرب اليهود وأنزله عند يهودية مبلولا لم ييبس**"[6]، وفي إشارة أخرى بين أن بالمدينة من الصبيان من اشتهر بسرقة الحوانيت وكان متخصصا في ذلك[7]، ووجود اصطبلات الأحصنة بعيدة عن منازل أصحابها بتلمسان جعلها فرصة للسّراق للدخول وسرقتها[8].

بسبب كثرة السّرقة في دروب المدينة انتشرت وظيفة **طواف اللّيل** في الأندلس مهمتها متابعة السّراق خاصة أنهم يمتازون بالشطارة وكثرة شرهم وغيائهم في أمور التلصّص حيث انتشر الدرابون في أزقة المدن يغلقون الأبواب بعد العتمة ولكل زقاق بائت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معدّ[9]، وفي بلاد المغرب اتخذت تدابير للحد من نشاط السّراق بالمدينة فتغلق الأبواب في أوقات محددة ويوضع عليها حرس

---

[1]-انظر **الملحق رقم13:** خريطة لمدن المغرب الأوسط التي انتشرت بها اللّصوصية.

[2]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص58.

[3]-الغبريني، عنوان الدراية، ص165.

[4]-التنسي، مقتطف من نظم الدر، ص267.

[5]-المالطي، الروض الباسم، ص42.

[6]-البستان، ص269.

[7]-المصدر نفسه، ص270.

[8]-المصدر نفسه، ص270.

[9]-المقري، نفح الطيب، مج219/1.

يعرفون بحرس الليل، وكان مصير الكثير من المتنقلين باللّيل والمتأخرين عن دخول المدينة خاصة الأولياء التعرض للضرب والجلد من طرفهم ضنا أنهم سرّاق حال الولي أبو عبد الله محمد بن حسان التاونتي المعروف بالميلي (ت590هـ/ 1193م) في بجاية "...خرج بالليل فقبض عليه حرس السوق وظنوا أنه سارق، فأوجعوه ضربا إلى أن قيل هذا وليّ من أولياء الله تعالى فخلوا عنه"[1]، والأمر نفسه حدث مع ولي آخر "فخرج بالليل(أبوعبد الله محمد بن شعيب الجذامي (ت604هـ/1207م) هائما على وجهه فدخل في السوق، فرآه حارس السوق فأخذ بيده فجاء به إلى الحانوت وهم به وكان عند الحارس كلب عقور"[2]، ووصل الحد للقتل الخطأ حيث نزلت نازلة أن رجل ضرب آخر بالليل وقتله لأن الأخير تنكر في زي السّراق وظهر أمامه على حين غفلة منه على سبيل المزاح فكان مصيره الموت[3]، تصرف يدل على انتشار الواسع للسّرقة الواقع الذي استوجب ردة الفعل السريعة، كما أن أسلوب السراق القائم على التنكر جعل حراس اللّيل في حالة تأهب للمهاجمة دائما.

يستغل سرّاق المدينة وضعيات استثنائية لتنفيذ سرقاتهم إذ لا يعتبر غياب الأمن حالة شاملة ومستمرة وإنما تستغل حالات الفوضى والظروف الطبيعية الاستثنائية مثل الحرائق والفياضات، كما أنّ السّراق في المدينة يكونون في الغالب من فقراءها، والمشردين، وممن لا سبيل لهم في تحصيل الرزق حيث انتشرت ظاهرة السرقة في مدينة معسكر من طرف بغالين وكانوا مشهورين به وجعل عدم الاحتراس منهم على عاتق الناس "فإنهم يسرقون دائما لأن كافة البغالين ببلادنا تعودوا على ذلك من طفولتهم، فنتركهم يسرقون وتعسا لمن لا يحترس منهم"[4] وربما يرجع ذلك لكثرتهم.

المشاهد الميدانية لظاهرة اللّصوصية تبين أن قطّاع الطّرق والمحاربين نشطوا على مستوى المسالك الكبرى التي يمر منها التجار والحجاج أي خارج المدينة، أما المجال الحضري المتعلق بالمدينة فعرف انتشار واسع للسرقة، وإذا استخدم فيها السلاح المؤدي للقتل أصبحت حرابة مدينة، أما الغارة فاختصت بها القبائل إما فيما بينها أو على المجال الحضري من القرى خاصة، وتشترك الممارسات الثلاث في أهم محفز لها وهو ضعف السلطة المركزية.

ثالثا–التصنيف الفئوي لسلوك التلصّص في مجتمع المغرب الأوسط.

في محاولة للإجابة عن تساؤل فرض نفسه هل اللّصوصية اختصت فقط بفئة معينة من الفقراء ومن يعانون اجتماعيا؟ استوقفنا البحث في طبيعتها تقصي حضورها وسط الفئات الطبقة الخاصة وطبقة العامة،

[1]–ابن الزيات، التشوف، 370.

[2]–المصدر نفسه، ص398.

[3]–الونشريسي، المعيار، 301/2.

[4]–حسن الوزان، وصف إفريقيا، ص27/2.

حاولنا التدرج في الطبقات في اختيارنا للشرائح الاجتماعية من رأس الهرم الاجتماعي إلى قاعدته وهذا ما توضحه العناصر الآتي ذكرها.

1- النخبة واللّصوصية:

مادة المصادر لا تسعفنا للتعمق في هذا النوع من السّرقات، والإشارات قليلة جدا إلا في النادر خاصة وأن المدونة السياسية تركز على الخصائص الإيجابية للسلطة السياسية، وما كتب لا يعدو أن يكون انتقادات لاذعة في الغالب تعبر عن وجهة نظر معارضة، يستوجب الحذر في تناولها، منها الانتقادات السياسية المبنية على التوجه المذهبي، والصعوبة الأخرى أن الإشارات المتعلقة بالمغرب الأوسط قليلة مقارنة بالمجالات الأخرى من المغرب الأدنى والأقصى والأندلس، لأن هذا المجال كان يغيب في فترات الصراع وينضوي تحت السلطة المرينية وقبلها كان قبلها تابع للدّولة المرابطية والموحدية.

أ-الاختلاس في الوسط السياسي:

السّرقة عند النخب السياسية تصنف في باب الاختلاس: **الاختلاس في اللغة:** الخَلْسُ: الأخذ في نزهة ومخاتلة خلستُ الشيء واختلَسه وتَخلّسه إذا استَلَبَهُ، والتَخَالُسُ التَّسالبُ، والاختِلاسُ كالخَلْسِ، والخليسة من خَلَسْتُ الشيء واختَلَسْتُه إذا استَلَبْتُه[1]، ويأتي معناها في الاحْتجانِ من الحجنِ، واحْتِجانُ مال غيرك اقتطاعُه وسرقته وصاحب المِحْجَنِ في الجاهلية: رجل كان معه محجَن، وكان يقعد في جادة الطريق فيأخذ بمحْجنِه الشيء بعد الشيء من أثاث المارّة فإن عُثر عليه اعْتَلَّ بأنّه تعلق بمحْجنه، وقد ورد في الحديث: كان يسرق الحاجّ بمحْجَنه، فإذا فُطنَ به قال تعلق بمحْجَني، واحْتِجانه هو ضمه لنفسك وامساكك إياه، وحجنه عن الشيء: صدّه وصرفه[2].

أما مفهومه من **الناحية الفقهية،** فعل مُوجب للتّعزير، فالسرقة من بيت دخله بإذن أو أُذن له في دخوله كذا الاختلاس وهو الخَطّاف[3]؛ لا يترك أثر ملحوظ لسرقته ولا يشعر المسروق بسرقته، وهذا النوع من السّراق يتميز بصفات تجمع بين الذكاء والخفة وفي بعض الأحيان القوة، هذه الصفات تجعله مجال سرقته تكون في دائرة متخصصة، قد تكون دائرة العمل أو في مجال سلطته لذلك يمكن تعريف الاختلاس في **الاصطلاح:** يراد بالاختلاس قيام موظف في مصلحة من المصالح بأخذ جزء من المال الناتج عن عمله في تلك المصلحة بدون وجه حق فهو خائن للأمانة[4]، فهو أخذ مال بحضرة صاحبه على حين غفلة[5]، السّرقة من هذا النوع يغيب فيها عنصر الإخفاء ينطلق السّارق من مبدأ الذكاء والقوة، ويعتمد غفلة المسروق

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، ص1226، 1227(مادة خلس).

[2]-نفسه، ص791(مادة حجن).

[3]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 155/6.

[4]-حميد الحداد، مظاهر من سوء التدبير المالي في الغرب الإسلامي الاختلاس وما إليه، منشور ضمن دراسات في تاريخ المغارب المعاصر، نشر مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ع12، المغرب، 2015، ص177.

[5]-ابن عرفة، المختصر الفقهي، 236/10.

لأخذ ما يريد، اتخذها الوجهاء وأصحاب النفوذ وجعلوا منها وسيلة لتوفير جزء من ثرواتهم وتعاطوها كسُنة في الحياة[1]، فلم تقتصر على المهمشين من الفقراء والضعفاء وأهل التسول.

في العموم السّرقة وسط السلطة السياسية تعرف **باختلاس المال العام**[2]، يستغل فيه الأشخاص المنصب الذي يشغلونه، فالمختلس غالبا ما يكون مشرفا ماليا أو واليا أو قائدا أو قاضيا أو ما شابه ذلك، فهو قد يستوي بهذه الصفة على أموال عامة، ولا سيما بيت المال الذي يعتبر ملكا لجميع أفراد الأمة، باعتباره واحد من أهم حقوق الله تعالى، كما أنه قد يتجرأ على مخازن الادخار التي تضم التموين الذي يحتاجه الجيش أثناء حملاته العسكرية، ويتصرف فيها أو في المال الذي بعهدته على اعتبار أنه ملك له[3].

النصوص الواردة حول السّرقات في وسط السلطة قليلة جدا، رغم أنه من النادر أن تخلو حاشية خليفة أو عاهل أو وال من الخائنين للأمانة والانتهازيين والمستغلين لنفوذهم والذين يغطون على مساوئ من دونهم بسبب ما يزودونهم به من الهدايا، منها التي ذكرها **ابن أبي زرع** حول سرقة بيت المال في سنة 666هـ/1267م من قصبة مدينة فاس سرق منه اثنا عشر ألف دينار وثلاثمائة قلادة[4]، لم ترد إشارة حول مرتكبها وكيف حدثت ذكرها في سياق الأحداث الكبرى لهذه السنة، ويبدو أن عمليات الاختلاس كانت تتم بتدبير مجموعة من الأشخاص في دائرة السلطة منها أنّ أحد شهداء بيت المال[5] في بلاط السلطان أبو الحسن في تلمسان، أبو عبد الله بن أبي عمرو قام باختلاس مال من بيت المال بتحفيز من أشخاص من البلاط "...ففوضوه في أن يغيبوا على بعض السلع الرفيعة وحسنوا له هذا القبيح فتمنع ثم انخدع، فواطأهم إلى أن توسط الباب بالخروج وقد احتضن في حجرته وتحت ثيابه عدة من رفيع الثياب المقومة بكبير من المال"[6]، وقد يفسرها بعض بأنها من أشكال رفض السلطة المرينية في تلمسان كونها كانت في بداية دخول السلطان ومن ارتكبها موظف تلمساني.

تأخذ السّرقة بعد شمولي فتضم الاختلاس أيضا، فإذا كانت السّرقة في ظاهرها انحراف في السلوك الاجتماعي الفردي، فإن الاختلاس من الناحية السياسية أخذ مفهوما يربطها بالبعد المؤسساتي المتعلق

---

[1]-محمد الناجي، جند وخدم وسراري، ص120.

[2]-اختلاس المال العام من الناحية القانونية، جريمة اختلاس موظف عمومي ما يوجد بحوزته من مال، واستيلاء موظف عمومي على أموال عامة للدولة أو قيامه بتسهيل ذلك على غيره، وإضرار الموظف العموم بما يعهد إليه من مصلحة تفترض المحافظة عليها، بغية الحصول على منفعة ما، ويجب أن يتوفر في المال الذي يصلح كمحل لجريمة الاختلاس أن يكون من الأموال العامة، أو يكون من الأموال الخاصة الموضوعة تحت سلطة الدولة، أو أن يكون المال في حيازة الموظف لإدارته أو جبايته أو حفظه ويستفيد منه بصورة شخصية، أنور محمود الزناتي، اختلاس المال العام في الأندلس(138-897هـ/756-1492م)، مجلة عصور الجديدة، مجلد 12، ع1، وهران، 2022.

[3]-حميد الحداد، مظاهر من سوء التدبير، ص177.

[4]-الأنيس المطرب، ص402.

[5]-شهداء بيت المال هي أشرف خطط العدالة، يشهدون على الحاصل في بيوت الأموال، الداخل والخارج، ويرجع إليهم سائر الأعمال وترفع لهم الجرائد، ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص314.

[6]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بالتحول الذي مسّ النظم والقيم[1]، لا يمكن فصلها عن الأطوار التي تمر بها الدولة والمجتمع في العصر الوسيط حسب الطرح الخلدوني، فالاختلاس والرشوة وغيرها من الجرائم داخل السلطة نتاج الترف والفساد الأخلاقي الذي تعرفه في طورها الأخير وعادة ما يكون داخل المدن العواصم **"لاستبحار العمران وكثرة الرفه في أهلها، وذلك كله إنما يجيء من قبل الدول، لأن الدولة تجمع أموال الرعية وتنفقها في بطانتها ورجالها، وتتسع أحوالهم بالجاه أكثر من اتساعها بالمال، فيكون دخل تلك الأموال من الرعايا وخرجها في أهل الدولة، ثم فيمن تعلّق بهم من أهل المصر، وهم الأكثر؛ فتعظم لذلك ثروتهم، ويكثر غناهم، وتتزايد عوائد الترف ومذاهبه"**[2]، ولا شك أنّ من أسباب سوء التسيير المالي والاداري والتجاوزات التي يقوم بها المسؤولون عن أموال الدولة، يرجع أيضا لإسناد هذه المهام لأشخاص غير مؤهلين ومفتقرين لشروط الأمانة والثقة والتورع عن مال الحرام[3]، رغم أنّ كتب الأحكام السلطانية احتوت الكثير من النصوص القانونية التي تفصل في شروط اختيار حاشية السلطان ومن يقربهم لحضرته مؤكدة في مجملها على شرط الأمانة والورع.

مما سبق يمكن تفسير قلة الكتابة حول السّرقة في الوسط السياسي بما يلي:

– الاختلاس يرتبط في عمومه بشخصيات من الدولة والكتابة حولها تؤثر على هيبة الدولة السياسية.

–سلوك السلاطين اتجاه المختلسين التي يغلب عليها التسامح والعفو عن مركبيها، تجعل ذكرها يبقى محدود، مثل السّرقة في البلاط الزياني التي غفر فيها للمختلس رغم أنّه تم القبض عليه بالجرم المشهود إلا أنه سُرح من منصبه وبعد توبته وحسن حاله استخدم في خطة أخرى"**...فأمسكوه وفضحوه وأخرجوا من تحته ما أخفاه على رؤوس الأشهاد، ورفعوا الأمر إلى مولنا المرحوم فكان من جوابه: والله إني أستحي أن أراه، لاسيما والرجل غريب بين هؤلاء وهو من أهل تلمسان ...فاصرفوه بخير ولا سبيل أن يثوب عليه...وتخطط بعد وحسنت حاله**"[4].

–الاختلاس يتعلق في جوهره بسّرقة المال العام مما يجعل الدول تتحفظ عليه، كي لا تبين مكامن ضعفها وتحفظ تأليب العامة عليها، خاصة وأن المعارضين للحكم دائما ما يبحثون في الثغرات التي تتركها السلطة فيستغلونها للتمرد عليها وشعارهم في ذلك أحداث الاختلاس والسّرقة فيما يعتبر ملكا عاما للدولة والرعية حق فيه.

---

[1]–سعيد بنحمادة، سوسيولوجيا القيم، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2022، ص228.

[2]–ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد رجب، ص307.

[3]–حميد الحداد، مظاهر من سوء التدبير، ص191.

[4]–ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص314.

ب-السّرقة في الوسط العلمي:

يحيلنا هذا العنصر إلى تصنيف آخر للّصوصية حيث نميز بين **السّرقة المادية** المرتبطة بسرقة الأشياء الملموسة و**السرقة المعنوية** المتعلقة بسرقة الأفكار، ما يمكن الاصطلاح عليه بالسّرقة العلمية، أو انتحال الأفكار.

السّرقة العلمية من ناحية **المفهوم** [1]: أخذ معارف الآخرين على وجه الاختفاء وبقصد[2]، وشرح التعريف يتوقف على ثلاث نقاط أساسية؛ **معارف الآخرين** تشمل جميع أصناف العلوم سواء كانت الشرعية أو الأدبية أم الكونية، وسواء كانت تابعة للمسلمين أو لغير المسلمين، **الاختفاء** من خلال عدم **عزو** العلم لصاحبه لأن العزو هو الذي يدل على إظهار الأمر فإذا لم يكن فإنه لا يمكن اكتشاف ذلك بالعين المجردة لأنه ليس من المحسوسات، مما يؤدي إلى إخفاء الأمر على غير صاحبه ولا يكتشفه غير المتخصص أو غير المطلع، و**بقصد** أي توفر فيه نسبة العلم لنفسه وبذلك يخرج الطلبة المبتدئين الذين لم يطلعوا بعد منهجية البحث وكذا حالات الخطأ أو السهو[3]، يستشف من هذا التحليل أهمية نسبة العلم لأصحابه والضرورة التحري في ذلك باعتباره معطى منهجي في البناء المعرفي وهذا ما أشار إليه ابن خلدون **"وقفت عناية أهل العلوم وهم أهل الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة إلى مؤلفيها وواضعيها لأنه الشأن الأهم من التصحيح والضبط فبذلك تسند الأقوال إلى قائلها والفُتيا إلى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها...وهكذا شأن أهل العلم وحملته في العصور والأجيال والأفاق"**[4]، فتحري الأمانة العلمية شرط أساسي في الدواوين العلمية وما يكون عكس ذلك يعتبر تعديا على الأفكار وسبيلا لانتحالها، ولا يتوقف الأمر عند علم بعينه وإنما يشمل الكتب والأحكام والفتاوى التي تستوجب نسبتها لأصحابها.

احتفظت لنا المصادر الكلاسيكية المشرقية بتراث مادي مكتوب حول السرقات الأدبية في مجال التصنيف والأشعار خاصة، وبالرجوع للجدول رقم5 (في الفصل الأول) المتعلق بالتصنيف حول اللّصوصية نجد ميادين مختلفة متعلقة بالسّرقة العلمية في المجال الأدبي، ولا نستغرب إذا علمنا أنه أفردت مؤلفات في

---

[1]-وردت في الفترة الرستمية إشارة لمصطلح سارق العلم ذكرها الشماخي في معرض حديثه على حرص العلماء في نقل ونسخ الكتب" أن أبو غانم بشر بن غانم الخرساني لما وفد على الإمام عبد الوهاب، ومعه مدونته المشهورة في الفقه، التي رواها عن تلامذة أبي عبيدة وجاز بها جبل نفوسة، واستودع عمروسا نسخة منها، وأخذ في نسخها وأخته تملي عليه ويلازم الموضع حتى تدركه الشمس، فينتقل حرصا في إحياء العلم، فما رجع بشر ألا وقد استكمل نسخها وهو في اثني عشر جزءا فوجد نقطة حبر على الكراريس فقال **سرقت هذه**، قال سماني **سارق العلم**"، السير، 369/2.

[2]-دليلة بوزغار، التكييف الفقهي للسّرقة العلمية وضرورة الإعلام به، مجلة الشريعة والاقتصاد، ع11، 2017، ص19.

[3]- دليلة بوزغار، التكييف الفقهي للسّرقة، ص19.

[4]-المقدمة، تح: محمد رجب، ص353.

فضح المنتحلين الذين لم يخلو منهم عصر[1]، فابن رشيق القيرواني(ت456هـ/1063م) من علماء المغرب الإسلامي في كتابه **"العمدة في صناعة الشعر ونقده"** كان من أكثر الذين واكبوا موضوع السّرقات الشعرية بعلمية منقطعة النظير، فهو يضع النص الشعري موضوع التحليل، المطابقة، التعريف، والنظر إلى بيئته، وموقع الشاعر بين الجماعة وظروف النصوص، ووضع أسماء ومسميات بغرض إعادة إنتاج النصوص وتركيب بنيانها الفني، أما مسميات الّسرقات الشعرية أو الانتحال فهي كثيرة في عمدة ابن الرشيق بحسب اللفظ والمعنى كما ورد عنده منها الموارَدة والمرافَدة، الالتقاط، التلفيق، الاجتذاب، الإغارة والاغتصاب[2].

عموما الإشارات المتعلقة بالسّرقة العلمية في مجالات أخرى في المصادر المعتمد قليلة، منها إشارة حول من استعار كتاب من عالم لاستفادة منه لكنه حاول السفر به دون علم صاحبه"...استعرت من أبي عبد الله المهدوي[3]كتاب فهممت أن أسافر به، فتعذر علي السفر مدة من ستة أشهر وكل يوم أروم فيه السفر يتعذر علي إلى أن دفعت له كتابه فخرجت من فاس من حيني"[4]، وكان من علماء المغرب الأوسط من يحذر ممن يحضرون المجالس العلمية يسرقون الفتاوى ليفتوا بها وقد ذكر ابن مريم لذلك "وحدث عنه(نصر الدين الزواوي) أنه كان كثيرا من ينهى عن إعطاء العلم لغير أهله ويقول يجيء مفتي كثيرا إلى العالم يسأله عن مسألة على وجه يرى منه نفسه أنه عارف بها ويقصد **سرقة الجواب**، فإذا أجابه العالم أنكر الجواب وربما يقول له أنه غير صحيح أو ضعيف ثم إذا سئل هذا المفتي عن المسألة أجاب بغير ما علم من العالم فيحرم إجابة المفتي لئلا يعطى الحكمة لغير أهلها"[5]، النص يبين أن الظاهرة كانت كثيرة الانتشار وتؤثر على الفقهاء لذلك حذر منه الفقيه ،ونبّه لضرورة التحري في الإجابة عند الفتية، الأسلوب الذي جاء في النص بين المراحل التي تمر بها السّرقة العلمية في مجال الفتوى بين الإلحاح في سؤال الفقهاء ومنها العمد إلى مجادلتهم وتضليلهم وبعدها يتم اعتماد فتواهم في مجالسهم وخطورة الأمر جعلت الفقيه يحرم الفتية حتى يتأكد من هوية السائلين.

2-واقع اللّصوصية في أوساط الفئات:

توزيع الممارسة اللّصّصية على الفئات الاجتماعية من العناصر التي يصعب تقصيها وتندرج في خانة المسكوت عنه إلا في النادر وإن كان الغالب عليها ذكر العنصر الذكوري على حساب العنصر الأنثوي

---

[1]-حمزة العايش، الأمانة العلمية عند العلماء المسلمين، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مجلد 11، ع1، 2019، ص11.

[2]-ابن رشيق القيرواني، العمدة، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2000، ص394، حمزة العايش، المرجع السابق، ص37، بوديسة، بولنوار، المنهج النقدي عند ابن رشيق المسيلي القيرواني مجلة حوليات الآداب واللغات، ع8، المسيلة، 2017، ص214-225.

[3]-الولي أبو عبد الله محمد إبراهيم المهدوي نزيل مدينة فاس ت595هـ، راجع: ابن الزيات، التشوف، ص334.

[4]-ابن الزيات، التشوف ص334.

[5]-البستان، ص295.

رغم ذلك لا تبين هويتهم إن كانوا أحرار أم عبيد أم أهل ذمة. يغلب على هذا العنصر الفرضيات كون المادة العلمية لم تسعفنا في رسم صورة متكاملة عن السّرقة وقطع الطّريق في وسط الفئات الاجتماعية.

أ-النساء:

البحث في موضوع المرأة وعلاقتها بالتلصُّص تشوبه صعوبة بحثية كبيرة، والإشارات حوله نادرة واقع يدفع للسؤال عن أسباب غياب الكتابة حول الموضوع؟

في ظل غياب النصوص المصدرية يبقى أمام الباحث تقديم فرضيات قابلة للإثبات أو النفي نابعة من قراءة واقع مجتمع المغرب الأوسط في عصره الوسيط حسب ما يتوفر من مصادر جديدة ومقاربات جديدة؛ وتمثلت الفرضيات المطروحة فيما يلي:

-التدوين حول المرأة في المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي عموما يصنف ضمن التاريخ المغيب، النصوص حولها قليلة جدا إلا فيما تعلق بمجالات محدودة يستدل عليها في المصادر المكملة خاصة الفقهية منها خاصة في الجانب الأسري: الزواج، الرضاعة، الطلاق...

-نظرة المجتمع للمرأة فيما يتعلق بالخطأ عند المرأة إذ يصعب عليها تجاوز نظرة المجتمع لها في حالة ممارستها لسلوكيات منافية للأخلاق، وخاصة أن للمجتمع سلطة عليها في تجريمها، لذلك بقيت هذه الممارسة محدودة الانتشار لدى العنصر النسوي.

-البنية الجسدية للمرأة(مورفولوجيا)تجعلها أقل إقداما من الرجل على السرقة خاصة إذا تعلق الأمر بالتعنيف والقتل، إلا إذا استخدمت الحيلة في السّرقة، واستهدفت امرأة مثيلتها أو الأطفال.

المعلومات المتحصل عليها تصنف المرأة أكثر عرضة للسرقة بعد الرجال(حسب معطيات الجدول **رقم14** في المبحث الأول من هذا الفصل تأتي في الترتيب الثاني ب8 إشارات ما يعادل 11%)، أما ممارستها في هذا المجال تكون مشاركة للرجل حيث ساعدت امرأة زوجها في سرقة أموال تاجر[1]، فيما تشاركت زوجة رجل وأخته في سرقة عقود خصمه[2]، السّرقة في الوسط النسائي المميز فيها ارتباطها بالمناسبات النسائية من الأعراس والأفراح حيث تستهدفن حُليّ بعضهن، منها امرأة أعارت نظيرتها حُليّ لكنها أنكرت الأمر عند طلبها واستحوذت عليهم[3]، وفي صورة أخرى وإن كانت خارج مجال المغرب الأوسط فإنّ شاطرة وبحيلة وغفلة الولي تمكنت من سرقة رزمة نقود وبها قيراط ذهب[4]، وفي نازلة تبين أن

[1]-المازوني، الدرر المكنونة، 371/2.

[2]-المصدر نفسه، 357/4.

[3]-الغبريني، عنوان الدراية، ص137.

[4]-الباديسي، المقصد الشريف، ص113.

المرأة قد تمارس العنف للحصول على المسروقات حيث سرقت امرأة حُليّ من طفلة صغيرة وقتلتها ورمتها في بئر[1].

ما يمكن استخلاصه أنه رغم قلة الإشارات حول مشاركة المرأة في السّرقة والتلصُّص لا ينفي عدم ممارستها للتلصُّص ولا ينم عن تعفف منها إذ أنّ الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي واجهت رجل المغرب الأوسط كانت قد مست المرأة أيضا (الفقر، المجاعات، الأوبئة، تعسف الضرائب...)، ويبقى سكوت المصادر هو التفسير الوحيد عن عدم انخراط المرأة في هذه المنظومة الاجتماعية الاستثنائية لتحقيق المعاش اليومي.

ب-أهل الذمة:

شريحة اجتماعية في التراتب الاجتماعي للمغرب الأوسط، وأهل الذمة هم غير المسلمين ممن عاهدهم الإمام أو نائبه عهدا مؤبدا على أمنهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقيدتهم نظير التزام بدفع الجزية ونفوذ أحكام الإسلام[2] كلها ويعرفون بالرعايا غير المسلمين وأيضا **"أهل الكتاب"** من النصارى واليهود.

يعد اليهود والنصارى من الفئات الاجتماعية التي كان لها دور في مجتمع المغرب الأوسط على مختلف مراحل االتاريخية التي عرفها، خاصة في الجانب التجاري والعسكري، إلا أنها تبقى من الفئات التي تعاني التعتيم والتهميش من حيث الكتابة، فالأسطغرافيا التاريخية أهملتهم إلا في النادر وأخرى ذكرتهم بنوع من الازدراء والتقليل من شأنهم قد يرجع للخلفيات الدينية للمؤرخين، رغم أنهم شكلوا جاليات معتبرة في مدن المغرب الأوسط بطبنة من الزاب وقسنطينة، تنس، وهران وتلمسان[3].

ولا مراء أنّ البحث في حياتهم الاجتماعية تعتريه بعض الصعاب خاصة إذا تعمقنا في معرفة انتشار الآفات الاجتماعية في وسط هاته الشريحة، كالسرقة نجد ذكرهم قليل جدا إن لم نقل أنه نادر باستثناء بعض الإشارات التي ذكرتها المصادر المكملة من كتب النوازل، إذ ورد في **نوازل المعيار** مسألة حول حكم الذمي الذي يسرق الأطفال ويبيعهم للتجار **"سئل عن ذمي يسرق صغار المسلمين ويبيعهم من الحربيين ...فأجاب يقتل بالسيف"**[4]، ويبدو أنهم مارسوا الخطف انطلاقا من المجالات التي اشتهروا بها فاليهود اشتهروا كوسطاء تجاريين و لم يخالفهم النصارى في ذلك، ويظهر من النازلة أن خطورة ما قام به إذ أوجب فيه حكم المحارب، فالحدود لا يميز في تطبيقها بين المسلم والذمي والكافر حيث ورد عند الإمام مالك **"أرأيت إن شهدوا على رجل من أهل الذمة بالسّرقة أيقطعه أم لا في قول مالك؟ قال: نعم تقطع يده، قال**

---

[1]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 182/6.

[2]-سميرة نميش، دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013، ص26.

[3]- سميرة نميش، دور أهل الذمة، ص38، 37.

[4]-الونشريسي، 435/2.

ابن قاسم: لأنّ السّرقة من الفساد في الأرض وليست مما ينبغي أن يترك أهل الذمة عليه"[1]، قد يمارس بعضهم السّرقة انطلاقا من وضعهم المتردي في المجتمع إذ عرف أهل الذمة تفاوت طبقي داخل كل مجموعة وعرف منهم الفقراء الذين زادتهم ضريبة الجزية عناء كما أنّ اليهود منهم فرضت عليهم ضرائب كثيرة ومجحفة[2] وعلى فترات زمنية مختلفة حتى أنهم في الفترة الموحدية عاشوا ما يمكن أن نصطلح عليه **"بمحنة اليهود"**، يعكس فيها مظهر بعض اليهود تردي أحوالهم الاجتماعية كونهم يمشون حفاة[3]، واقع عكسته بعض النوازل التي دعا فيها الفقهاء لضرورة مراعاة الوضع الاجتماعي للذميين في أن يكون أقلها على الفقير[4].أشار ابن مريم أنّ أخته لما فقدت رداءها وتعقب أخوها السارق وجده في منزل يهودية[5] رغم أنه لم يشر لصفة مرتكب الجريمة إن كان يهوديا أو غيره. وسكوت المصادر التي اطلعنا عليها عن أخبار اليهود فيما تعلق بالآفات الاجتماعية يمكن أن نفسره بـــ:

-الاستقلالية الإدارية التي تمتع بها أهل الذمة في تطبيق الأحكام، حيث يتولى مسئولون منهم تنفيذه العقوبات على جالياتهم الموجودة بمدن المغرب الأوسط.

-طبيعة مجتمع الذميين من اليهود الذين يميلون الى حياة التجمع ويرفضون الاختلاط[6]، ويقيمون في أحياء خاصة، منها حارة اليهود بتلمسان، مما يعطي اللّصوصية في أوساطهم طابعا خاصا، وهو سرقة اليهودي لليهودي، التي يحتكم فيها لأعرافهم وهو ما يفوت علنا الكثير من الإشارات المرتبطة بالموضوع.

ج-العبيد:

فئة العبيد من الشرائح الاجتماعية الكبيرة التي شكلت طبقات مجتمع المغرب الأوسط وكان لها دور كبير في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ولا نستثني في ذلك دورها السياسي والعسكري على قلته، انطلاقا من المهام التي مارسوها، فنالتهم الأحكام المتعلقة بالعقوبات والزواجر فيما ارتكبوه من الجنايات والجنح سواء ما تعلق بالقتل الزنا القذف السّرقة.

طبقت العقوبات المتعلقة بالعبيد سواء البيض أو السود فيما استمده الفقهاء من النص القرآني والسنة النبوية، واعتمدوا فيما لم يرد فيه نص قرآني أو نبوي على القياس وجعلوا **"العبيد في الحدود على النصف من الأحرار"**[7] اعتمادا على الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ

---

[1]-ابن سحنون، المدونة الكبرى، مج530/4.

[2]-ابن عذارى، البيان، 23/4.

[3]-العيد غزالة، الفقراء والمهمشون، ص173، الفقر والفقراء في مدينة تونس في القرنين 8-9هـ/14-15م من خلال نوازل البرزلي، مؤسسة GLD للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2021، ص94.

[4]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 43/2.

[5]-ابن مريم، البستان، 270.

[6]-العيد غزالة، الفقراء والمهمشون، ص172، الفقر والفقراء في مدينة تونس، ص93، سميرة نميش، دور أهل الذمة، ص46.

[7]-عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2004، ص333.

ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْۚ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ [1]، في السّرقة أخذ تطبيق حدها وجهين؛ العبد الذي يسرق مال سيده، والعبد الذي يسرق مال غير سيده.

أما من سرق مال سيده فلا قطع عليه وحكمه غير حكم السارق قال مالك بن أنس "والأمر عندنا في العبد يسرق من متاع سيّده أنه إن كان ليس من خدمه ولا ممن يأمن على بيته، ثم دخل سرا فسرق من متاع سيّده ما يجب فيه القطع، فلا قطع عليه، وكذلك الأمة إذا سرقت من متاع سيدها لا قطع عليها"[2]،

وتدخل سرقته هنا في حكم الخائن لأنه حرز للبيت ومال سيده، لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "...**فليس عليه قطع خادمكم سرق متاعكم**"[3]حالهم حال الخائن الذي يخون الأمانة التي وكل بها، وثبت عن عبد الله بن عمر أنه قطع يد سّارق لكنه كان آبق، فقد سرق وهو آبق[4].

أما الثاني فالعبد الذي يسرق من غير مال سيده وحكمه حكم السّارق يطبق فيه حد القطع حيث قال مالك "**في العبد لا كون من خدمه ولا ممن يأمن على بيته فدخل سرا فسرق من متاع امرأة سيده ما يجب فيه القطع: إنه تقطع يده**"[5]، ويستوي في ذلك العبد والأمة "**يستوي في قطع السرقة الرجل والمرأة والحرّ والعبد والمسلم والكافر**"[6]، ولا يتحمل السيد مسؤولية أعمالهم "فوجب لهذا أن تكون جنايات العبيد متعلقة برقابهم لا يلزم سادتهم أكثر من إسلامهم بما جنوا"[7].

ولا نعدم القول إن قلنا أنّ من العبيد من مارس السّرقة واللّصوصية، ففي اشارة ذكرها السقطي في وصفه للعبيد وأجودهم في العمل والأمانة أنّه وصف العبيد السود بكثرة السّرقة وقلة الأمانة"...والنوبة أكثر الخلق إذعانا للموالي وكأنّما فطروا على العبودية وفيهم السّرقة وقلّة الأمانة"[8]، فرغم تعدد المهن التي تداولها العبيد بين الزراعة والبناء الطبخ والخبز والقيام بالأعمال المترلية، فإن هذا التعدد لم يسمح لهم بسد حاجاتهم اليومية البسيطة لأنه لا يستفيد مما تنتجه يداه الاستفادة التامة إذ يتشارك قيمتها على بساطتها مع سيده "**ما**

---

[1] -سورة النساء، الآية 25.

[2]-مالك بن أنس رضي الله عنه، الموطأ، 401/2.

[3]-المصدر نفسه، 205/2.

[4]-المصدر نفسه، 396/2.

[5]- مالك بن أنس رضي الله عنه، الموطأ، 402/2.

[6]-الماوردي، الأحكام السلطانية، ص333.

[7]-ابن رشد، المقدمات والممهدات، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، 337/3.

[8]-في آداب الحسبة، Publication De l'institut Des Hautes Marocaines, t. Xxi, paris، ص50.

دام لا يملك ماله ملكا مستقرا إذ لسيده انتزاعه منه فهو محجور عليه فيه حق المالك"[1]، فتلك الوظائف صنفت من الحرف الوضيعة التي أعرض عنها السادة وسمحوا لعبيدهم بالقيام بها[2]، لذلك قد يلجأ بعضهم للسّرقة خاصة في أوقات الكوارث والمجاعات لسد حاجتهم، فالحمالين اللذين يقومون بإنزال البضائع من السفن ونقلها إلى المخازن والفنادق[3]، قد يمد بعضهم أيديهم للسلع أو ما يعرض في الأسواق حال الحمالين في سوق معسكر الذين سرقا عنان فرس حسن الوزان رغم أنّ النص لم يشر بأنهما من العبيد وإن كنا لا نجزم بذلك، فقد سرقا وأكد العامل على المدينة أنّ هذا هو حالهم في جميع الأوقات والأحوال يجب الحذر منهم[4]، فمهنتهم متعبة وأجرهم قليلة، حتى أنهم اعتادوا على السّرقة في سن مبكرة لسوء أحوالهم.

المادة العلمية حول انتشار السّرقة بين العبيد قليلة ويوعز الأمر إلى قلة الإشارات حول الوضعية العبيد في المجتمع عموما، وإن كان يستفاد من بعض النصوص أن الآفات الاجتماعية عموما كانت منتشرة بين الفئات الأكثر حرمنا والعاطلة عن العمل التي كانت تزعج الناس بتصرفاتها[5]، من السرقة والخطف، ولا نجانب الصواب إذا قلنا أنّ العبيد ممن يصنفون في الطبقات الاجتماعية التي تعاني الحرمان قد لجأ بعضهم للسّرقة والتَلصُّص واندمج بعضهم في مجموعات قطّاع الطّرق والإغارة خاصة في الأوقات التي تقل فيها الأعمال الحربية ويصرف الجند المرتزقة، إذ لا يتورع العبيد من قدماء المليشيات الذين خدموا الوجهاء وتدربوا على استعمال السلاح من الالتجاء إلى الغابات واتخاذ النهب وسيلة عيش لهم، كما أنّ المجتمع القبلي الذي كان في أوج تكفقه منح في فجواته مكانا مثاليا للّصوصية[6]، مع نهاية القرن 9هـ/15 م وبداية القرن10هـ/16م.

لا يخفى علينا أن الكثير من العبيد والإماء كان قطع الطّريق والخطف من أساب عبوديتهم، إذ يعتبر الخطف والقرصنة البحرية مورد لا ينضب لجلب العبيد يقومون بخطف الأطفال أثناء الحروب[7]، ويحصلون عليهم من قطعهم للقوافل وخطفهم من سواحل المدن في عمليات القرصنة ويبيعونهم لتجار العبيد التي اشتهرت أسواقها ببجاية وتلمسان ووهران، ويحصل عليهم قطّاع الطّرق من قطعهم على القوافل.

---

[1]–ابن رشد، الفتاوى، تح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1987، مج 358/1، محمد القبلي، حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط، ص29.

[2]–عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب، ص350.

[3]–محمد حسن، المدينة والبادية، 505/2.

[4]–حسن الوزان، وصف إفريقيا، 27/2.

[5]–عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 225/2.

[6]–محمد الناجي، جند وخدم وسراري، ص119.

[7]–فاطمة قدورة الشامي، الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية وصدر الإسلام، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2009، ص39.

لا تنحصر الممارسة اللّصَصية في فئة دون غيرها وإن اختلفت مسمياتها فقد مارسها الخاصة والعامة والعبيد وأهل الذمة سواء من النساء أو الرجال، وتبقى قلة المادة العلمية معوقا لا يسمح برصد الظاهرة داخل تلك الشرائح الاجتماعية إلا أنّ انعدامها لا يعد مبررا ينفي وجودها في تلك الأوساط الاجتماعية.

رابعا: أثر المجال ومتغيرات عالم ما بعد الموحدين في بروز وجه جديد للّصوصية (القرصنة البحرية).

سمحت الواجهة البحرية المطلة على البحر المتوسط، التي يتمتع بها الغرب الإسلامي، بفتح باب العلاقات مع العالم المسيحي، هاته الإطلالة البحرية شكلت وعلى مدار الزمن القديم حيز للصراع بين أطرافه والجزر الواقعة فيه، وارتبطت بها ظاهرة القرصنة، فإذا كانت اللّصوصية وقطع الطريق مظاهر اختلال الأمن في المجال البري فإنّ اختلال الأمن في المجال البحري مثلته ظاهرة القرصنة، وإن كانت الظاهرة تحيل إلى إشكاليات كثيرة، أهمها تعدد مصلحاتها؟ علاقة القرصنة بالجهاد البحري؟ وكيف كانت مظاهرها في المجال البحري للمغرب الأوسط؟

1-مفهوم القرصنة: تشير الدراسات المطلع عليها أنّ كلمة القرصنة والقرصان غير عربية، مأخوذة من اللاتينية Currarius المشتقة من الفعل جرى لأنهم كانوا يهربون بعد نهب السفينة[1]، ومن الايطاليةcursaro .بمعنى **"الصّعلوك اللصّ"**[2]، كما تعني أيضا **"لصّ البحر"**[3]، وتبنت اللغة العربية منها فعل قرص والقرصنة والجمع قراصنة وأصبح معناها **"الغارات البحرية"** أو **"اللّصوصية في البحر"**[4]، فالكلمة في معناها الأصلي وترجمتها العربية لا تخرج عن معاني الصّعلكة(قد تكون هنا مرتبطة بهذا المعنى لارتباط القرصنة بالمغامرة وفيه ما يشابه ذلك في سلوك الصّعاليك)، اللّصوصية، الغارة والسّرقة، لكنها مرتبطة بالمجالات المائية البحر والأنهار الكبرى.

من الناحية الاصطلاحية **لصّ البحر:** هو من يحول اتجاه سفينة إما لسلب الحمولة، وإما لغاية سياسية أو نحوها[5]، وفي تعريف آخر يربط القرصنة بالتجارة البحرية، أين يكون هدف القراصنة المكونين من مجموعة فوضوية خارجة عن القانون تعتدي على الملاحة وتستولي على التجارة البحرية، وتكون السفن والسواحل البحرية كافة عرضة لهجماتهم وغارتهم الخاطفة، من أجل الغنيمة على حساب الضرر العام[6]،

---

[1]-أشرف صالح محمد، اللّصوص والقراصنة، ص17.

[2]-فؤاد بوقجوطة، القرصنة البحرية بين الممارسة الدولية والقانون الدولي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر1، الجزائر، 2013/2012، ص10.

[3]-نفسه، ص11.

[4]-نفسه، الصفحة نفسها، محمد بن عبد العزيز سعد اليمني، القرصنة البحرية دراسة فقهية، مقارنة، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مج28، ع55، ص210.

[5]-أشرف صالح محمد، المرجع السابق، ص17.

[6]-عبد الرحمن بشير، القرصنة غربي المتوسط(القرن2-5هـ/8-11م)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، 2012، ص18.

والقرصنة تنقسم إلى نوعين لكل منهما خصائصه وإن كانت تأثيراتهما لا تختلف، قرصنة خاصة (حرة، غير رسمية) وأخرى رسمية.

أما **القرصنة غير رسمية**(pirate) يعمل فيها القرصان لحسابه الخاص بمعاونة تابعين له وهو ينقض على فريسته أو ضحيته التي يختارها بنفسه في أي مكان تتاح له فيه الفرصة لتحقيق ما ينشده، فهو مغامر لحسابه الخاص[1]. في حين أنّ **القرصنة الرسمية**(corsaire)في الغالب يكون فيها القرصان مكلف من جهة رسمية للسطو على سفن معينة بالاتفاق، يجمع الطرفين على نسبة من الغنيمة، يكون فيها القرصان يعمل كمرتزق فتكون بذلك القرصنة رسمية مشروعة[2]، وفي المصادر العربية تصف من يقوم بأعمال القرصنة الخاصة أو الحرة بلصوص البحر[3]وذكرهم بغزاة البحر[4]، ويرى أحد الباحثين أن القرصنة الرسمية جاءت نتيجة لتطور هذه المهنة بحيث أصبحت بإشراف السلطات الرسمية[5]، في حين يرى أحد الباحثين أن القراصنة الرسميين كانوا في الأصل عبارة عن أنفار يُسلحون بإذن من الحكومة لحفر المراكب التجارية وكانوا معروفين بـــ(corsaires) وكانوا محل احترام وتقدير قبل أن ينحرفوا بدورهم ويأخذوا في انتحال أسباب السطو على السواحل أو السفن التي يصادفونها ولا تنتمي إلى بلدانهم الأصلية[6].

رغم الاختلاف حول طبيعة تطور القرصنة هل كانت نتيجة تطور أعمال مغامرين وخضعت للتقنين من جهات رسمية أم أنها جاءت نتيجة، تحول المسلحين ممن يرافقون السفن للحماية انشقوا وأصبحوا يمارسون القرصنة على السفن التجارية وغيرها، فإنّ أعمال القرصنة تبقى من المظاهر التي أثرت على واقع المتنقلين عبر البحار من المسافرين والتجار والحجاج. وعليه يمكن تقديم **تعريف إجرائي للقرصنة:** هي لصوصية البحر يمارسها القراصنة بهدف تحقيق مصالحهم الشخصية أو الرسمية بطلب من جهة رسمية، ولكن يبقى هدفها الغنيمة بالسلب والنهب سواء من المتاع والأموال أو الأسرى حيث تعتبر القرصنة مصدر لا ينضب لجلب العبيد، يستخدمون فيها السرقة والخطف والغارة.

2- الجهاد البحري أم لصوصية البحر: شكلت القرصنة أحد أهم المظاهر التي طبعت العلاقات بين العام الإسلامي والغرب المسيحي في العصر الوسيط، وطرحت هذه العلاقات مسألة مهمة تتعلق بطبيعة لصوصية البحر هل هي جهاد بحري؟ وهل يمكن اعتبار القرصنة حرابة البحر وتسري عليه أحكامها؟

---

[1]-نجلاء عبد النبي، القرصنة اللاتينية في شرق حوض البحر المتوسط على عصر سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ، ع9، 2001، ص56.

[2]-نفسه، الصفحة نفسها، أحمد عزاوي، الأسطول، التجارة، القرصنة، فيما بين 6و8هـ/12-14م، دم، دت، ص80.

[3]-عبد الرحمن بشير، القرصنة غربي المتوسط، ص19.

[4]-الغبريني، عنوان الدراية، ص45.

[5]-عبد الرحمن بشير، القرصنة غربي المتوسط، ص20.

[6]-عبد الهادي التازي، موقف المغرب من القرصنة الدولية في العصر الوسيط، أعمال ندوة القرصنة والقانون الأممي(الدورة9)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1986، ص54.

نظر مسيحيو الغرب الأوروبي في العصور الوسطى خاصة زمن الحروب الصليبية القرصنة نشاطا مشروعا ونوعا من أنواع الثأر ضد المسلمين للقرصنة[1]، في حين تناولتها المصادر الإسلامية أنها ممارسة جاءت امتداد للفتوحات الإسلامية التي انطلقت من البر وامتدت إلى البحر لذلك يفضلون تسميتها بالجهاد البحري[2]، فإذا كانت أعمال القرصنة من الجهة الأوروبية تتم بتشجيع ومباركة من الكنيسة وأطلقت على القراصنة المغاربة(sarrasin)، فإن المصادر الإسلامية أطلقت عليهم اسم **غزاة البحر** مما يجعلها من أشكال الجهاد وهذا يحيل إلى اضطلاع عملية القرصنة بالبعد الديني بالموازاة مع الجانب المادي[3]، وفي هذا السياق اعتبرت القرصنة والجهاد البحري وجهان لعملة واحدة أي أن القرصنة يقابله الجهاد البحري عبر عنها أحد الباحثين"...**القرصنة أو الجهاد البحري**"[4]، عند الأوروبيين تعني القرصنة الجهاد البحري عند المسلمين فهما مصطلحان متقابلان[5]، لكل طرف خلفياته الدينية الاقتصادية والسياسية في تفسير المصطلح، إن مارس القراصنة الأوربيون الهجمات ضد السفن والسواحل المغاربة قابلها المسلمون برد فعل يعتبر جهاد ضد أعمالهم، المدونة المنقبية لم يحدد فيها الأولياء تسمية خاصة بل عبر عنهم ابن الزيات بكلمة العدو في سرده لبعض الحكايات التي تربط بين الصوفيين والهجمات البحرية[6]، وصاحب المقصد الشريف استعمل عدة مصطلحات في تصنيف القراصنة: عدو البحر المسحيين النصارى، الروم والعدو البحري، فلم يقدم معلومات تحدد هوية هؤلاء القراصنة[7] لكن المشترك بينهم أنهم عدو وبالتالي يجب فيهم الجهاد وإن كان المفهوم الصوفي يأخذ أشكالا مختلفة.

---

[1]-نجلاء، عبد النبي، القرصنة اللاتينية، ص56.

[2]-وردت أحاديث نبوية تحث على خوض البحر، وتعتبر التأصيل لأفضلية الغزو في البحر، فاعتباره امتداد للفتح الإسلامي في البر منها: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن خالته أم حرام بنت ملحان أنّها قالت: " نام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قريبا منّي، ثم استيقظ يبتسم. قلت: فقلت يا رسول الله ما يضحكك؟ قال: "ناس من أمتي عرضوا عليّ يركبون ظهر هذا البحر، كالملوك على الأسِرَّةِ"، قالت: فادع الله أن يجعلني منهم"، راجعه في: ابن ماجة، سنن بن ماجة، 1/ 927 (رقم الحديث: 2776، كتاب الجهاد)، وورد أيضا: حدثنا هشام بن عمار حدثنا بقية عن معاوية بن يحى عن ليث بن أبي سليم، عن يحيى بن عبادة عن أمّ الدرداء، عن أبي الدرداء، أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله سبحانه"، المصدر نفسه، 1/ 928(رقم الحديث: 2779، كتاب الجهاد).

[3]-علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ/8-16م)، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة1، الجزائر، 2017/2016، ص473.

[4]-روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية، 227/2.

[5]-عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2000، 226/2.

[6]-Allaoua Amara, la mer et les milieux mystiques d'après la production hagiographique du Maghreb occidental (xii^e-xv^e siècle), REMM, p41.

[7]-ibid, p41.

المصادر الفقهية تناولت المسائل المتعقلة بالبحر وركوب الناس له في جملة من المسائل تعلقت بأخطار البحر وضمان صاحب المركب والوديعة[1]، وحاول بعض الدارسين للمسألة القرصنة مطابقتها مع الحرابة واعتبار الحرابة تشمل، قطع السبل في البر والبحر، ذلك أن بيان الحرابة الذي استنبط الفقهاء اسمها من مطلع الآية القرآنية:﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾[2]، حيث كانت جامعة لمن يخرج جهارا في الطريق العام وإشهار السلاح وترويع المارة والغارة على القوافل ونهب الأموال والأرزاق حتى ينقطع الطريق ويمتنع الناس من المرور[3]، فإذا كانت الحرابة قائمة على إفساد السبيل فهذا يرجح تسوية معنى إخافة السبيل بحرابة البحر مع معنى إخافة السبيل بحرابة البر، من منطلق شمول الفساد والخوف بالقرصنة أيضا في المسالك البحرية، هذا ما يستنبط من نازلة في **المعيار**، حيث رفض حرابة البحر قياسا على حرابة البر بحيث جاء الجواب فيها "بأن المسلمين إذا غزو في البحر ووجدوا مركبا يحمل بضاعة وعلموا أنه ليس للعدو، لم يجز أن يحدثوا فيه حدثا بل يجب عليهم حفظهم بما فيه من الأموال حتى يردوه بأسره إلى أهله إذا عرفوهم"[4]، تعتبر بذلك أحكام قطع الطريق شاملة للمسالك البحرية مع طرق الطرق في الأمصار[5].

هذا الطرح يستوجب توضيح لبس يقع فيه الكثير وهو التفريق بين الحرب المعلنة التي تكون بين طرف وآخر، ويكون فيها التحضير للمواجهة علنيا يعرف الطرفين زمانه ومكانه، وبين السطو العدواني المباغت القائم على الغارة وقد تقوم بها المجموعة متجاوزة المعاهدات والاتفاقيات المبرمة، فحالة الحرب المعلنة لا تصنف في نطاق القرصنة، بل الغارات الخاطفة التي تستهدف السفن والسواحل تعتبر جريمة[6]، ومن ثم فإن الحمالات البحرية بين الطرفين إن كانت معلنة بين الطرفين تدخل في إطار الحرب المعلنة فكل طرف يتوقع هجوم الطرف الآخر إلا أنه إذا كانت بين الدولتين تنتميان لديانتين مختلفتين(الإسلام

---

[1]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 651/8، 650، الونشريسي، المعيار، 297/8، 298، ورد في المعيار في جزئه الثامن25 نازلة تتعلق بركوب البحر، وواقع التجارة فيه جاءت 23 منها في شق الكراء وتأثير أهوال البحر على السفن والسلع، فيما وعرضت نازلتين قضية غزاة البحر، راجع: 297/8-302، محمد زنيبر، المغرب في العصر الوسيط(الدولة-المدينة-الاقتصاد)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 1999، ص394.

[2] سورة المائدة، الآية 33.

[3]-صبحي الصالح، الحماية من القرصنة في نظر الشريعة، أعمال ندوة القرصنة والقانون الأممي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1986، ص22.

[4]-الونشريسي، 303/8، 302.

[5]-صبحي الصالح، الحماية من القرصنة، ص24.

[6]-عبد الهادي التازي، موقف المغرب من الحماية، ص54.

والمسيحية) مواثيق ومعاهدات سلم وتجارة وتم خرقها بالأعمال الحربية ضد سفنها فتندرج في إطار عملية القرصنة[1].وهذا ما سيتم تتبعه في العناصر القادمة بالبحث عن الأعمال التي تصنف في خانة جريمة القرصنة.

3-القرصنة في المغرب الأوسط بعد العصر الموحدي(الأسباب والمظاهر): يتبادر إلى الذهن سبب اختيار فترة ما بعد العصر الموحدي لدراسة القرصنة في المغرب الأوسط، اختيار جاء على اعتبار أنّ الدولة الموحدية تميزت بالقوة وساهم الأسطولها المغربي في التخفيف من أعمال القرصنة، الدور الذي تضاءل فيما بعد خاصة خلال القرن 8هـ/14م، حيث اعتبره ابن خلدون الحد الفاصل بين عهد التفوق البحري وعهد التراجع[2]، وإذا اعتبرنا أن القرصنة والتجارة البحرية عمليتان قائمتان عبر القرون تزدهر إحداهما على الأخرى دون إقصائها نهائيا[3]، فإنه في العصر الموحدي كانت الكفة راجحة للتجارة البحرية على حساب القرصنة، ساهمت فيه وحدة المغرب الإسلامي تحت ظل السلطة الموحدية بنشاطها.

سمحت هذه القوة للطرف الموحدي بإبرام معاهدات واتفاقيات تجارية تشجب أعمال القرصنة[4]، وكان من مضامينها الحد من عمليات القرصنة؛ منها معاهدة الرسمية للمنصور الموحدي مع بيزا سنة 582هـ/1186مكانت مدة صلاحيتها 25 سنة التزمت فيها بيزا بمنع القرصنة ضد أملاك الدولة الموحدية وحماية مواطنيها من القراصنة، جاء في أحد بنودها **"إذا أبحر أحد الوجهاء من بيشا، أو من أحد البلدان التي توجد في ظل حكمها ليسرق متاع المسلمين، أو ليهجم عليهم، أو ليلحق الأذى بهم، فسكان بيشا ملزمون بملاحقة المذنب ومعاقبته تماما كما لو أنه أساء إلى أحد مواطنيه "**[5]، وانتظمت الاتفاقيات مع

---

[1]-الطاهر قدوري، مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في المغرب الإسلامي، دراسة مقارنة، مجلة عصور الجديدة، م10، ع2، وهران، 2020، ص138.

[2]-العبر، 578/6، عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1983، ص73.

[3]-أحمد عزاوي، الأسطول، التجارة، القرصنة، ص77.

[4]-الملاحظ أنه رغم الاتفاقيات المبرمة بين الدولة الموحدية والجمهوريات المجاورة في الحد من القرصنة إلا أنه لم يمنع من بعض الممارسات التي يقوم بها لصوص البحر ضد السفن الإسلامية مخترقة بذلك بنود المعاهدات منها حادثة 597هـ/1200م والتي عرفت بحادثة المسطحات وهي نوع من المراكب المقنطرة التي يعلوها سطح صالح لشحن المزيد من البضائع، وصلت مرسى تونس سفينتان اثنتان من هذا النوع تخفرهما قطائع مسلحة فوجدتا بالميناء عددا من المراكب راسية إلى جانب سفينة الرايس مسعود التي كانت تتأهب لأخذ طريق البحر بركابها إلى أداء مناسك الحج، إلا أن مصيرهم كان النهب من طرف القراصنة هذه السفينتين وأخذوا السفينة وما فيها، وقتلوا عددا من المسلمين الذين أظهروا المقاومة، واستغرب الكثير الحادثة لما نصت عليه المعاهدة مع جمهورية بيزا في سنة 582هـ/1186م، وتجدر الإشارة بالرغم من شناعة الحادثة وباعتبارها إخلال باتفاقية سلام إلا أن السلطان الموحدي في شجبه للعملية أكد أنها من أعمال مفسدين ومجرمين"...ونحن نؤكد عليكم في الأخذ على أيدي هؤلاء الجناة وأمثالهم وأن تعاقبوهم عقابا يردعهم وتقابلوهم بشيء يقطعهم عن هذه العوائد المكروهة ويمنعهم" ولا يؤاخذ سلطة جمهورية بيزا بما فعله المفسدين **"لا يؤاخذهم بشيء من أفعال المفسدين"**، راجع عبد الهادي التازي، موقف المغرب من القرصنة، ص 61-64، وهذا دليل على أهمية الدفع بالتجارة وعلاقات السلم لدى السلطة الموحدية على حساب أعمال القرصنة.

[5]-De Mas latrie, Relations et commerce de l'Afrique septentrion avec les nations chrétiennes au moyen Age, librairie de firmin_didot, paris,1886,p51-52.راجع نص الاتفاقية في **الملحق رقم14**

البندقية لحماية تجارة الطرفين وتحمل كل طرف يخل أطرافه بالمعاهدة مسؤولية متابعة الفاعلين "إذا حدث وغادرت سفينة أو مركب قرصاني مدينة البندقية وتسبب أصحابه في خسائر لأحد المغاربة فلا خوف على من وجد من تجار البندقية ببلاد البربر من هذا العمل المشين، لأن الدوج (قاضي جمهوريتي البندقية وجنوة) هو من سيعوض البربر المتضررين من مال المعتدين في أي مكان ألقي القبض عليهم فيه"[1]، تبين هذه الاتفاقات قوة الموحدين في فرض الأمن في المسالك البحرية وتطور التجارة البحرية وانتظامها خاصة مع الوسطاء الأوربيين والايطاليين.

على العكس من ذلك تميزت المرحلة الدول الثلاث الزيانية، الحفصية والمرينية بتراجع التجارة البحرية على حساب القرصنة، وإن كانت على فترات متناوبة بين العمليتين، إلا أن الغالب عليها نشاط عمليات القرصنة بين المسلمين والنصارى[2]، وتنقسم أسباب الكامنة وراء تفعيل القرصنة إلى أسباب عامة خاصة بممارسة القرصنة وأخرى تتعلق بالواقع السياسي والاقتصادي للمغرب الإسلامي:

-الطبيعة الجغرافية للسواحل والجزر الواقعة في البحر تشجع على القرصنة إذ من الصعب التحكم في القرصنة وحمل سكان المناطق الساحلية على عدم ممارسة هذا النشاط[3]، خاصة وأن الأحوال الاقتصادية بها متدهورة فبعض الجزر تفتقر للمساحات للزراعة، والأراضي بها ضيقة ووعرة، يضاف لها وقوعها على خط الطرق التجارة البحرية[4]، نتيجة للطابع الصخري الصعب الذي تتمتع به بعض السواحل يهجرها السكان وتكون وكرا طبيعيا للقراصنة. في حين أنّ الجزر التي كانت محطات لاستراحة السفن والتزود بالماء والطعام كانت مأوى للقراصنة منها جزيرة جربة[5] والجزيرة التي تبعد رمية سهم عن جزائر بني مزغناي[6] لمباغتة السفن وتخطف ركابها وسرقة متاعهم، كما أن قرب السواحل من المجال البري حفز حركة القرصنة إليها مثل السواحل الإيبيرية التي وفر قرب سواحلها من الأراضي الإسلامية نشاط القراصنة إليها[7].

راجع أيضا: أحمد عزاوي، الأسطول، التجارة، القرصنة، ص78، أحمد عزاوي، رسائل موحدية مجموعة جديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، القنيطرة، 2001، 241/2، 241، خديجة بورملة، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس إلى التاسع الهجري، رسالة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018/2017، ص242.

[1]-إبراهيم بوطالب وآخرون، تاريخ المغرب، تر: محمد الغرايب وآخرون، مكتبة التاريخ، ط1، المغرب، 2018، ص175.

[2]-انظر **الملحق رقم15:** خريطة توضح المسالك البحرية الخطيرة.

[3]-الطاهر قدوري، مسألة القرصنة أو الجهاد، ص134.

[4]-عبد الرحمن بشير، القرصنة غربي المتوسط، ص27.

[5]-حول اشتهار جزيرة **جربة** بالقرصنة ذكر **التجاني**"لما ولي أبو الحسن علي بن تميم بن المعز وذلك في آخر سنة 509هـ/1115م واستتب له أمره واستوثق ملكه أمر بإعداد الأساطيل لغزو جزيرة جربة وحركه في ذلك ما ترادف عليه من **قطع** أهلها في **البحر** وإخافتهم المسافرين فيه، فتم ذلك فساروا إليها في أسطول وذلك سنة510هـ/1116م فحاصروها وأخذوها بمخنقها إلى أن أقر أهلها بالطاعة للسلطان...قطع جميع الفساد الواصل إلى ساحل افريقية من قطاعهم وأشرارهم...فصلح البحر وارتفع الفساد وأمن المسافرون"، رحلة التجاني، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتب، تونس، 1981، ص125-126.

[6]-عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص28.

[7]-دومنيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي، 594/1.

-ارتباط القرصنة بالمغامرة وجمع المال والثروة، أصبحت في ذهنية المجتمع تعد بأنها لون من ألوان التجارة التي تدر المكاسب المادية الكبيرة على من يمارسها حتى صار يزاولها جماعات من المغامرين من شتى الفئات والطبقات (النبلاء، التجار، وحتى صيادي الأسماك)[1].

-تدني المستوى المعيشي لبعض الناس جعلهم يمتهنون القرصنة هروبا من واقعهم المادي الذي تنتشر فيه الفقر، وما اشتهر عند الناس أنها تدر أرباحا كبيرة مما شجع على امتهانها في بجاية مثلا مما يعطيها صبغة الفردية خاصة في القرنين 7و8هـ/13-14م وقد استدل بذلك أحد الباحثين بأسرى القبض عليهم يمارسون القرصنة سنة 827هـ/1423م تبين أنّ بعضهم من تونس ومن قسنطينة وتلمسان ومستغانم ومليانة ومالقة وتركيا والأغلبية من بجاية وكان أغلبهم شبانا غير متزوجين بل ضمنهم حتى المسحيين مما يبين أنهم اجتمعوا من أجل ممارسة هذه المهنة لطمع شخصي خاصة إذا تتبعنا المهن التي يزاولها هؤلاء القراصنة نجدها مهن بسيطة ومواردها محدودة[2]، فالقرصنة شكلت مصدرا للرزق والعيش في نظر القراصنة مثل بقية الأنشطة الاقتصادية، وكانت مهنة تستثمر فيها الأموال وتجمع منها الثروات، وتساهم في تجديد الأسطول في خلق مسالك تجارية جديدة، لذا يصعب الفصل بين بعدها الاقتصادي والديني والاجتماعي[3]، وهذا التداخل جعلها من المحفزات امتهانها مع اكتساب بعض الشرعية في كثير من المرات تحت مبرر الحاجة المادية وما أفرزته الأحوال السياسية للدول.

-التطورات التي طرأت على بر الغرب الإسلامي، بعد القرن 5هـ/11م وتحول التنقلات التجارية وحركة الحج إلى الطّرق البحرية بسبب غياب الأمن في الطرق البرية بنشاط قطّاع الطّرق من الأعراب الهلالية، ما يؤكد ارتباط عمليات القرصنة بنشاط التجارة أو المد التجاري خاصة بين الشرق والغرب[4]، هذا التطور التجاري الذي رافقه انتعاش في الصناعة البحرية للسفن عند الطرفين المسيحي والإسلامي.

-حالة الضعف التي تميزت بها الكيانات السياسية بعد السقوط الدولة الموحدية، وضعف التنسيق فيما بينها مما حفز أعمال القراصنة ضدها التي أصبحت ورقة ضغط من طرف الممالك النصرانية ضد السلطة السياسية، فالسلطة الزيانية ونتيجة لضعف بحريتها استعانت سنة 730هـ/1329م بالبحرية الأراكونية لفتح بجاية ثم تونس لاحقا وهذا ما يبين ضعف البحرية الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط على الأقل منذ القرن 7هـ/13م أمام القوى البحرية النصرانية سواء الحربية أو التجارية[5].

---

[1]-نجلاء عبد النبي، القرصنة اللاتينية، ص56.

[2]-دومنيك فالرين، المرجع السابق، 578/1، 576.

[3]-علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط، ص486.

[4]-نجلاء عبد النبي، القرصنة اللاتينية، ص56.

[5]-أحمد عزاوي، الأسطول، التجارة، القرصنة، ص77.

-من الجانب النصراني كان للتنافس بين المدن الايطالية وغيرها من الممالك الاسبانية للحصول على امتيازات لها داخل دول المغرب الإسلامي من نقل للبضائع والمسافرين، وتوزيعها، دور كبير في تنشيط عمليات القرصنة.

خلاصة القول أنّ رغم أنّ الجانب الديني كان له دور في تفعيل عمليات القرصنة بين الطرفين إلا أنها أثرت على الواقع التجاري وأحوال سكان السواحل والمتنقلين عبر البحر سواء للسفر أو الحج.

أخذت عمليات القرصنة طابعا سجاليا بين الطرفين المسيحي والإسلامي، وكانت في بعض المرات تمارس القرصنة من طرف مجموعات تستهدف الطرفين المسيحي والإسلامي معا، التي تنشط في فترات السلم الرسمي بين الطرفين[1]، وإن اتسع نطاق التجارة البحرية في العصر الزياني إلا أن الغالب عليها الغارات العسكرية[2]، والقرصنة التي تقترب من السواحل بل حدثت في بعض المراسي، وعلى البر أحيانا وذلك لضعف هيبة الدول التي كانت تحكم المنطقة، هيبة استمرت في التدني حتى القرن 9هـ/15م[3]، حيث عرفت الجهة الشرقية لسواحل المغرب الأوسط نشاط لأعمال القرصنة باعتبارها نقطة وصل للطرق البحرية بين المدن الغربية والشرق ونقطة عبور للحجاج أيضا.

ساهمت البنية الجيولوجية لهذه الجهة في النشاط الحركة البحرية ممثلة في وجود مدن وموانئ بحرية مهمة لها نشاط كبير يسمح للسفن الأجنبية بالمرور عليها أو بجانبها، ويضاف لها احتواءها عدد من القبائل البربرية ذات الصلة بالحياة البحرية التي توارثتها عن الفترة القديمة[4]، تأثرت بها سواحل بونة[5] وبجاية هاته الأخيرة التي مارس سكانها القرصنة من القرن 6هـ/12 واستمرت حتى القرن7هـ/13م حيث يخرج غزاة البحر وهدفهم سواحل القريبة منهم "**أن بجاية كانت بلد غزاة، وكان قطاعها يدخلون دواخل الجزر الرمانية وغيرها، ويسوقون السبي الكثير منها، ونزل الناس لشرائه بحومة المذبح من جهة ربضها وهناك يخمس ويقع الفصل فيه، و لم يزل الحال على ذلك، وبلغ الحال من كثرة سبي الآدميين أن يبع بيضاوان من الروم بسوداء من الوخش**"[6]، النص يوضح الأماكن المستهدفة من قبل الغزاة وهي السواحل البحرية، وذكر ما يحصلون عليه من حركتهم، ويوضح مصير ما تحصلوا عليه الذي يغلب عليه طابع الأسر حيث يتم بيعه في سوق بجاية، وتحولت بجاية إلى وكر للقراصنة[7] تجتمع فيها طائفة من غزاة البحر يصنعون الأسطول

---

[1]-أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي خلال القرنين 7-8هـ (دراسة وتحليل لرسائله)، مطبعة الرباط نيت، المغرب، 2006، 72/2.

[2]-خديجة بورملة، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط، ص229.

[3]-أحمد عزاوي، الأسطول، التجارة، القرصنة، ص83.

[4]-على عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط، ص477.

[5]-دومنيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي، 594/1.

[6]-الغبريني، عنوان الدراية، ص45.

[7]-روباربرنشفيك، تاريخ إفريقية، 227/1.

ويتخيرون له الرجال الأكفاء، ويركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزرهم على غفلة من سكانها يتخطفون ما استطاعوا منهم ويعودون بالغنائم والسبي الوفير الذي تضج به أسواق المدينة[1].

خطر القراصنة بجهة بجاية توضحه إشارات عديدة منها ما ذكرها لغبريني في تعرضه للقرصنة بين تونس وبجاية[2]، بخلاف ذلك خلال القرن 8هـ/14م تحولت بجاية وساحلها نقطة هجوم للقراصنة النصارى وهذا ما بينه المالطي في أكثر من موضع ففي سنة 870هـ/1465م خرجت مراكب للفرنج مارة بسواحل وهران كانت وجهتها بجاية حيث أخافت السبل بها وأخذت بالمارة وأسرت الكثير من المسلمين[3].

في الجهة الغربية للمغرب الأوسط نشطت أعمال القرصنة في وهران وهنين أين يجهز تجار وهران سفنا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون فيها القرصنة في سواحل جزر البحر المتوسط، حتى أصبحت هاتين المدينتان تعجان بالأسرى كأحد أكبر مظاهر نشاط عمليات القرصنة والغارات التي تنشط على شواطئ الممالك الاسبانية[4]، وفي المقابل فإن الطرف الأوروبي كان يقوم بحمالات غارة بالطرق البحرية منها ما قام به نفر من الفرنج مكون من 11 فرد في مراكب في سنة 869هـ/1464م قدموا إلى ساحل هنين لتخطف المسلمين[5] .عمليات القرصنة التي كانت ما بين القرن 7-9هـ/13-19م أخذت طابعا سجاليا بين الطرفين، وإن كان أكثرها من الجهة الغربية "إذا حاولنا البحث عمن مارس القرصنة أكثر من الآخر، الجانب الإسلامي أم الجانب المسيحي فإنه يتبين عند إحصاء العمليات التي كان البحر المتوسط مسرحا لها ما بين القرنين 5-10هـ/11-16م فإنّ مسؤولية الجانب المسيحي في هذا المضمار أكبر بكثير من مسؤولية الطرف المسيحي، وبرغم ذلك تعودنا إلقاء هذه المسؤولية كاملة دون تمحيص على المسلمين"[6].

أشارت كتب التراجم لتعرض العلماء في حركاتهم العلمية أو لأداء مناسك الحج لأهوال البحر، منها القراصنة **فابن جبير** ذكر خطر القراصنة في أكثر من موضع[7]، أما **العبدري** ذكر أحوال مدينة بونة مع القراصنة حين مر بها حيث صادف مركبا لنصارى يحمل حوالي 20شخصا يحاصرون مرسى المدينة وقطعوا عنه الدخول والخروج وأسروا من البر أشخاصا فأمسكوهم للفداء بمرسى المدينة[8]، في حين أشار **ابن بطوطة** إلى غياب الأمن في طريق عودته من مصر إلى تونس عبر البحر بنشاط العدو في أخذ السفن

---

[1]-ابن خلدون، العبر، 578/6.

[2]-الغبريني، عنوان الدراية، ص118.

[3]-الروض الباسم، ص61.

[4]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 30/2، مرمول كربخال، إفريقيا، 296/2.

[5]-المالطي، الروض الباسم، ص43.

[6]-De Mas latrie, op.cit., p408-411.

[7]-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص9، 34.

[8]-العبدري، الرحلة المغربية، ص104.

المارة بهذا المسلك[1]، واضطروا في بعض المراحل للتخلي عن الجماعة والتنقل فرادى والتخفيف من الأحمال ضمانا لتجارتهم[2] .

خلفت أعمال القرصنة حالة من اللاأمن لدى سكان السواحل وجعلتهم في خوف دائم من أعمال القراصنة جعلتهم يفرون من السواحل كلما اقتربت منهم مراكب غريبة[3]، نشاط لصوص البحر على السواحل تجعلها تخلوا من القاطنين بها وينحصرون للداخل في ظل زيادة عمليات القرصنة[4]، وشكل الأسر هاجس كبير لدى سكان السواحل إذ يَتخطّف القراصنة المدنيين المسافرين والتجار والحجاج من الساحل فيأخذون ويباعون في أسواق العبيد، لذلك اعتبرت القرصنة مصدر لتوفير العبيد[5]، ساهم نشاط القراصنة في التأثير على نشاط التجارة وحركة الحج مما استوجب اتخاذ تدابير لمواجهة لصوصية البحر.

اتسمت المبادرات المتخذة للتصدي لأعمال القرصنة بطابعين **غير رسمي فردي** يتعلق بالمتنقلين، حيث انتظم التجار في قوافل تجارية بحرية التي تتضمن عدد من السفن لأنها تكفل لهم أمنا من الغارات وتقيدت حركتهم برحلتين في العام فقط الأولى في الربيع والأخرى في الصيف[6]، فيما اختار بعضهم حماية تجارته بطرق المسالك البحرية البعيدة والتخلي عن القريبة حفاظا على تجارتهم. واستأجر بعضهم سفن حربية ترافق **القوافل البحرية**[7]، فيما تجسدت **المبادرات الرسمية** في دور السلطة القائمة حيث كان ينصب حول إنشاء المحارس والأبراج لحماية ومراقبة الثغور البحرية، ونشطت الرباطات عليها لحماية السواحل من نشاط القراصنة، ومن الجهة الغربية شيدت الدول البحرية في غربي المتوسط استحكامات دفاعية على سواحلها للغرض نفسه[8]، في شق آخر ناقشت المصادر الفقهية مسألة سقوط واجب الحج عن أهل المغرب لما يعترض الحجاج من خطر قطّاع الطّرق ولصوص البحر.

خلاصة القول حدود التمييز بين القرصنة المنظمة وغير منظمة تبقى غير واضحة سواء في المصادر العربية أو غيرها لكن المتفق عليه أنّ المجال البحري أيضا عرف نشاط للظاهرة اللّصوصية وإن كانت اختلفت من حيث التسمية قرصنة، لصوصية البحر أو الجهاد البحري، فإنها أثرت على الواقع النفسي والاجتماعي والاقتصادي للمتنقلين عبر البحر وسكان السواحل والجزر الواقع فيه، حيث عرفت الغارات، الخطف، السطو والنهب، ليس في خضم المواجهة العسكرية المعلنة بين الطرفين الإسلامي والمسيحي وإن

---

[1]-ابن بطوطة، الرحلة، ص655.

[2]-المصدر، نفسه، ص/16

[3]-المصدر نفسه، ص67.

[4]-عبد الرحمن بشير، القرصنة غربي المتوسط، ص29.

[5]-علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط، ص482.

[6]-عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص98.

[7]-Atallah Dhina, les états de l'occident musulman aux xii^{e},xiv^{e} et xv^{e} siècles ,office de publications ,Alger, p396.

[8]-عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص52، على عشي، المرجع السابق، ص472.

كانت واقع طبيعي بل تجاوزته ونشطت أكثر في فترات السلم، كون القرصنة أصبحت أسلوب عيش ومهنة يمتهنها القراصنة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع:

الآثار المجتمعية للّصوصية وجهود مواجهتها.

أولا. آثار اللّصوصية على مجتمع المغرب الأوسط.

1-الآثار النفسية.

2-الآثار الاجتماعية.

3-الآثار الاقتصادية.

4-الآثار السياسية.

ثانيا. جهود مواجهة الظاهرة بين المدافعة والاحتواء.

1-المبادرات الفردية.

2-سلط المنطقة في مواجهة الظاهرة

3-عرف الطريق.

4-دور الخطاب النخبوي في احتواء اللّصوصية:

أ-أنموذج الفقهاء من خلال النوازل.

ب-جهود المتصوفة بين الخطاب الكرامي ونشاط الزاوية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تركت آفة اللّصوصية آثار في مجتمع المغرب الأوسط توزعت على المستوى الاجتماعي والاقتصادي وحتى من الناحية السياسية؛ وإن كانت لها تأثيرات متفاوتة من ناحية الحضور فإنها ساهمت في زعزعة الحالة النفسية لساكنة المغرب الأوسط، ومع اختلاف الفئات التي تعرضت للّصوصية وقطع الطريق، تعددت الجهود للقضاء عليها أو الحد منها في بعض الفترات الزمنية، جهود تشاركت فيها ممارسات فردية وارتبط بعضها بعُرفِ الطريق، وتعلقت أخرى بالسلطتين السياسية والدينية هاته الأخيرة ممثلة في دور الفقهاء والمتصوفة، حاول كل طرف تقديم مساهمات لأجل تأمين المجتمع، جهود تحكمت فيها خلفيات ودوافع كل طرف في مواجهة الظاهرة.

أولا-أثار اللّصوصية على مجتمع المغرب الأوسط.

الآثار التي خلفتها اللّصوصية على المجتمع تشكل مجموع حلقات مترابطة لا يمكن فصلها، تتدرج من التأثير النفسي الذي تأرجح هو الآخر بين الخوف والعنف، فيما تأثر الواقع الاجتماعي بتعميق الفوارق الاجتماعية داخل المجتمع، أما حلقة الواقع الاقتصادي تأثرت فيها حركة الأموال على المسالك والأسواق، والأراضي الزراعية للفلاحين انحصرت في عديد من المجالات التي نشطت فيها أعمال الاغارة، حتى النشاط الحرفي لم سلم منها، وفي آخر حلقة تأتي اللّصوصية لتأثر على الصورة السياسية للدولة في ظرها في أساس قيامها وهو أمنها السياسي والاجتماعي.

1-الآثار النفسية:

تطرح الدراسات في الحقل الاجتماعي صعوبة طرق الواقع النفسي للمجتمع وضبط الحالة النفسية التي يعيشها فرد المغرب الأوسط خاصة وأنّ النصوص المصدرية لم تصرح بالحالة النفسية للمتعرضين للّصُوصية، رغم أنها من أكثر الجوانب تأثرا، بتأثيرها في ذهنية المجتمع وحالته الاجتماعية، لذلك تطلب البحث في الأثر النفسي تقصي بعض الدلالات التي تعكس الواقع النفسي لمن مورس عليهم سلوك التلصص وقطع الطريق، نتيجة لقلة المادة حول الموضوع عمدت إلى عملية إحصائية[1] لجمع مختلف النصوص التي تبين الحالة النفسية التي يتركها اللّصوص في نفوس الناس من مختلف المتون المصدرية سمحت بإعطاء مؤشرات حول نفسية المسروقين يمكن تقديم نماذج حولها من خلال الجدول التالي:

	الأثر	النص المصدري	العبارة	المصدر
الآثار النفسية	الخوف	* ومن ذلك وروده من بلد فارس مع أصله وولده والطريق شديد الخوف... فلما وصلوا موضع الخوف ظهرت لهم سرية، فأرجفوا منها وأيقنوا بالشر.	الخوف أرجفوا موضع الخوف	الثغري، مناقب التلمسانيين 245

[1]-مجموع النصوص هو 80 نص، لم يتوقف على مجال المغرب الأوسط بل تتضمن نصوص تمس مجال المغرب الأدنى والأقصى كون اللّصوصية المتعقلة بالمغرب الأوسط قليلة ولا تسمح برسم صورة عن الحالة النفسية، وكون المجال متقارب جغرافيا وحركة التنقل كانت في غالب بينهم فكثيرا ما تعرض متنقلون المغرب الأوسط لعمليات قطع الطّريق والتلصُّص في المغرب الأدنى أو الأقصى.

		فأخذ ذلك في الزحام في سوق باب البحر فسارت إليه متلهفة ضارعة مستغيثة.	متلهفة مستغيثة	الغبريني، عنوان الدراية، ص165
		ولما وصلنا إلى المغازة التي في طريق تلمسان... وجدنا طريقا منقطعا مخوفا لا تسلكه الجموع الوافرة إلا على حذر واستعداد.	مخوفا	العبدري، الرحلة المغربية، ص 45
		... نجد السر خوف غارة العرب في الطريق.	خوف	ابن بطوطة، الرحلة، ص 16
		مأوى للمحاربين ومهلكة للمسافرين من باب إعانة اللهفان ودفع الفساد.	اللهفان	المازوني، الدرر المكنونة، 42/2
		سئل خائف أن يسرق ثوبه أو ينتهب ماله إن حضر الجمعة.	خائف	البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 368/1
		أهل قرية جاءها أعراب خيلا ينجدوها... وقل اهل القرية وهم الجل فرد بنفسه وبخياله وهؤلاء الأعراب... فاشتد الخوف وفر من القرية ليلا نحو من ثلاثين رجل ومنهم من يعتمد...	الخوف	المازوني، الدرر المكنونة، 86/4
		سرنا فلقيني رجل من العرب طريقي... فلما رأيته تغيرت أحوالي من التعرق بين التغير الشديد... فقال لي بعض أصحابي لا تخف الشيخ أبا يوسف.	من التعرق الشديد	الدهماني، الأنوار الجلية، ص 114
	العنف	وما بينه وبين فزان حتى وقع قطاع الطرق عليه فجرحوه سبعة عشر جرحا.	فجرحوه	الشماخي 349/2
		فوقع به لصان فقال كل واحد منهما لصاحبه اضرب فضرباه.	الضرب	الشماخي، السير، 345/2
		دخل على إنسان من غنادر البادية... أحس بي جاء إلي ورفعني إلى السماء قاصدا أن يضرب بي الأرض.	الضرب	ابن مريم، البستان، ص 84
		هذا خلال يأخذ أموال الناس ويدخل عليهم ليقتلهم.	القتل	البيذق، أخبار المهدي، ص 12
		هجموا على دوار ليلا وقتلوا من أهله رجلا.	القتل	المازوني، الدرر المكنونة، 352
		أهل سرقة... وقطع الطريق وهم بالسلاح ثم أنهم قتلوا رجلا من أهل المجش.	القتل	االونشريسي، لمعيار، 402/2
		... قطع الطرقات على المساكين وسفك دمائهم وانتهاب أموالهم بغير حق... قهرا وغلبة.	قهر غلبة	نفسه، 436/2
		جائني خمسة نفر أو أربعة فضاربتهم فجرحت و لم أعقل إلى كلام رجلين (مات).	جرح/ مات بجرحه	نفسه، 528/6
		رجل سلاب محارب... قتل آخر ظنا منه أنه سارق.	قتل	نفسه، 301/2
		رجل سلاب محارب... قتل وأخذ أمواله.	قتل	نفسه، 322/2
		لقوله أولا طرقه لصوص وقتلوه.	قتل	نفسه، 325/2

جدول رقم24: نماذج عن الآثار النفسية للّصوصية في المغرب الأوسط.

قبل التطرق لتحليل الجدول رقم24 والشكل البياني المرافق له توجب توضيح أن جمع النصوص اعتمد على مجموعة من المعطيات الدالة على الخوف والعنف إذ لم نجد دلالتهما مذكورة مباشرة بل تعتمد على ممارسات تدخل في نطاقهما تم ضبطها في مجموعة من المؤشرات الدالة الحالة النفسية على النحو التالي:

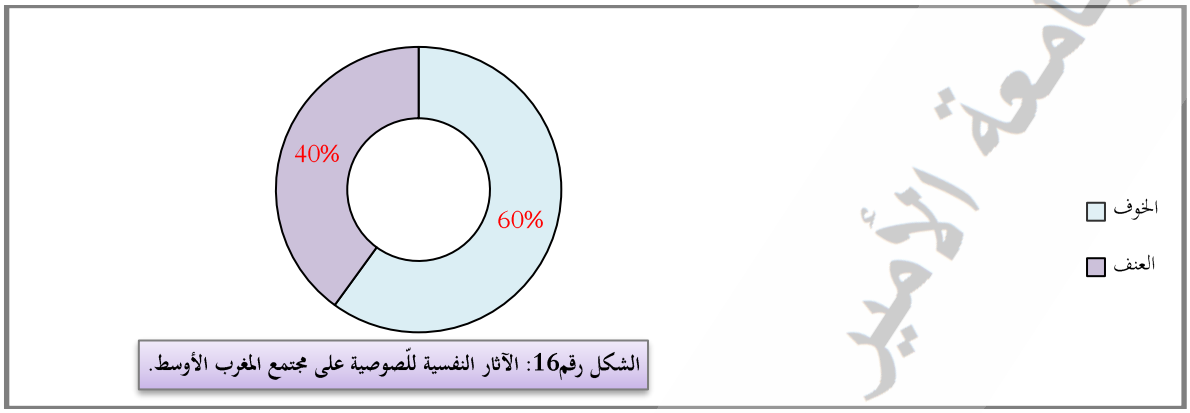

الشكل رقم16: الآثار النفسية للّصوصية على مجتمع المغرب الأوسط.

تطلب تفكيك معطيات الشكل السابق تحديد مجموعة من المؤشرات ذات الدلالة النفسية تتبع أثر اللّصُوصية، وقد حصرتها في الجدول الآتي:

مؤشرات العنف والخوف في المصادر						
الخوف	الخوف	اللهفان/يستغيث	الفزع	الفرار/الهرب	أخرى	المجموع
التكرارالعددي	30	05	04	04	05	48
العنف	القتل/الفتك	الضرب	الفتك	الجرح	القهر	المجموع
التكرارالعددي	18	06	05	04	04	32

الجدول رقم25: مجموع المؤشرات الدالة على الآثار النفسية للّصوصية على ساكنة المغرب الأوسط.

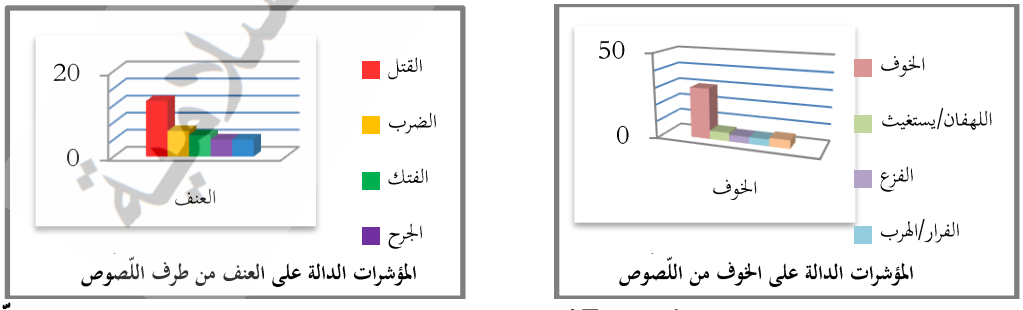

المؤشرات الدالة على الخوف من اللّصوص

المؤشرات الدالة على العنف من طرف اللّصوص

الشكل رقم17: توزيع المؤشرات الدالة على الخوف والعنف في ممارسة اللّصوص.

التعليق والتحليل:

من خلال المسح الإحصائي الذي مثله الشكلين البيانيين (الشكل رقم 16 والشكل رقم17) يمكن تقديم الملاحظات التالية:

-الأثر النفسي الكبير الذي خلّفته اللّصُوصية هو **الخوف** بمعدل 60%حيث تعكس النّصوص المصدرية حالة الرّعب والهلع لدى المتعرضين للسّرقة وحالتهم النفسية في مواجهة اللّصوص دلت عليها عبارات اللهفان المستغيث، الفزع، ارتجفت، الهلع، عبرت عليها حالة أجسادهم فأثناء لقاء رجل بأعرابي في طريق تغيرت أحواله عبر عنها بالوصف التالي"...سرنا فلقيني رجل من العرب طريقي...فلما رأيته تغيرت أحوالي من **التعرق** بي **التغير الشديد**...فقال لي بعض أصحابي لا **تخف**"[1]، حالة الخوف التي بثها اللّصوص في نفوس المتنقلين أشد ما عبر عن وقعها وصف الرحالة للمجموعات اللّصّصية التي واجهوها في رحلاتهم فوصف العبدري للصوص مفازة تلمسان "لأن المجاورين لها من **أوضع** خلق الله وأشدهم **أذاية** لا يسلم منهم صالح ولا طالح ولا يمكن أن يجوز عليهم إلا مستعد يتفادون من **شره**"[2] وفي طريق العودة أكد الأوصاف نفسها وشدد في ذكرها "...وهم **أشد** خلق الله **ضررا** وأكثرهم **جرأة** **وأقلهم حياء** ومروءة، لا يستقلون القليل **ولا يعفون** عن ابن السبيل، ليس في أصناف القطاع **أخس** منهم همما ولا **أوضع** منهم نفوسا ولا أكثر منهم إقداما على الصالح والطالح لا ينبغي لمسلم أن يغرر بلقائهم"[3]، ووصف ابن بطوطة لصوص الهكار"...وهم طائفة من البربر ملثمون **لا خير** عندهم..."[4]، واستخدم المالطي أوصاف شدة خطورة قطّاع الطّريق بين فاس وتلمسان "...وكان لا يكاد أن **لا يطير الطير** من **شرور** من اجتازوا بهم من العربان"[5].

أما حسن الوزان في وصفه للصوص أنكاد ذكر "لصُوص من الأعراب على استعداد **للفتك** بالمارين...قلما ينجو التجار من **شرهم**"[6]؛ تنم هذه التوصيفات على الآثار النفسية الجسيمة التي خلفتها ممارسات هؤلاء اللّصُوص في نفسية التجار والحجاج المجتازين للطّرق والمفازات.

-إذا كانت لفظة الخوف تحمل مفاهيم متعددة مثل "**الوجل**" و"**الخشية**" و"**الهلع**" و"**الفزع**"[7]، فإنها من الناحية النفسية موقف يدفعه الإحساس بعدم التحكم في المصير[8]، تعكس عمق الحالة النفسية التي تدفع

---

[1]-ابن الدباغ، الأنوار الجلية، ص114.وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الشعور بالخوف يحدث مجموعة من التغيرات الفيسيولوجية في جسم المتعرض للصدمة بمختلف أنواعها، كصدمة التّعرض لفعل إجرامي، حيث يتحفز هرمون الكورتيزول، التعرق الشديد، زيادة معدل ضربات القلب...، الدليل الارشادي بلغات عدة للمغتربات والمغتربين، الاضطرابات الناتجة عن الصدمة النفسية والاضطراب المجهد بعد الصدمة النفسية الأسباب والتداعيات، المركز الطبي للشعوب والمجموعات العرقية ، 2017، ص12، للاطلاع حول الموضوع راجع: الدراسات المتعلقة بعلم الضحية (علم الضحايا).

[2]-العبدري، الرحلة المغربية، ص45.

[3]-المصدر نفسه، ص562-563.

[4]-ابن بطوطة، الرحلة، ص 966.

[5]-الروض الباسم، ص59.

[6]-وصف إفريقيا، 11/2.

[7]- محمد العادل لطيف، الخوف ببلاد المغرب، ص48.

[8]-المرجع نفسه، 67.

بالمتعرضين للّصُوص للتعبير عن خوفهم من خلال الفرار والهروب(مثلها تكرار عـــددي قـــدره4مـــرات)، لصعوبة تجاوزهم والدفاع عن أنفسهم وأموالهم، وتبقى تعبير للضعف الذي يرافق الناس خاصة إذا تعرضوا للغارات الجماعية، حيث وردت نازلة حول فرار أهل قرية من مواجهة مغيرين علـــيهم دفعـــت كبـــيرهم لمصالحتهم على مبلغ مال خوفا من فساد قريته "سئل الحافظ ابن مرزوق عن أهل قرية جاءهـــا الأعـــراب خيلا ينتجعونها...فاشتد **الخوف وفر** جل من القرية ليلا نحو ثلاثين رجلا وفيهم من يعتمد على مدافعتـــه لكثرة العرب فقام هذا الكبير وصالح عن قريته لمّا **خاف** من فسادها ورخصها من الأمراء بمائة دينار ذهبـــا بأنهم كانوا قبل هذا النحو من عشرة أيام أخذوا قرية مثلها وهتكوا حريما وغنموا أموالا وجارية من الفيء والأمتعة والحرير ما لا يعلمه إلا الله فرفع الله عن هذه القرية فسادهم"[1].

-ارتبط الخوف في ذهنية إنسان المغرب الأوسط بالأماكن المنقطعة والموحشة كونها مركز للّصُـــوص وقطّاع الطّرق حيث يحيلنا **الشكل رقم 23** في الفصل الثالث إلى أنّ نسبة الخـــوف في الطـــرق تعـــادل (24%) كون الطّرق الموحشة تخلف نوع علاقة بين الإنسان والمكان تتسم بالارتياب والخوف مع صعوبة تجاوزها حتى أن تسميتها تتحول، تجعله يطلق أسماء على تلك الأماكن توحي بالتفاؤل فسميت بالمفازة لأن المجتاز لها بسلامة يعتبر فائزا.

-شكلت الصدمة النفسية التي تعرض لها الناس جراء مواجهتهم للّصوص ومنها الخوف من فقـــدان أرواحهم وأغراضهم حالة من الهلع تدفع بهم للاستغاثة بغيرهم ممن يتمتعون بالقوة والســـلطة وقـــد وردت عبارات اللهفان والاستغاثة(تكرار05 نصوص) تعبر عن فقدان الحيلة وضعف قدرة لاسترجاع ما تم أخذه أو الدفاع عن أنفسهم فغاسلة الثياب التي سرقت منها حزمة الثياب في سوق باب البحر ببجايـــة ســـارت مسرعة إلى الولي **متلهفة ضارعة مستغيثة**[2]، وصف يبين الحالة المزرية من فقد الحيلة وشدة حاجة المرأة لمـــا سُرق منها والفزع لما تعرضت له، ويطلق بعض المسافرين عبارات الاستغاثة أول ما يعترضـــهم اللّصُـــوص خوفا وطمعا في نجدتهم حال الحاج الذي فقد دابته بصحراء برقة فراح **مستغيثا** بالولي الحسن بن مخلوف بن سعيد المزيلي الشهير بأبركان[3].

-نتيجة لانتشار السرقة وخوف الناس على ممتلكاتهم أصبح ترك المصلين لأغراضهم يـــوم الجمعـــة والذهاب للصلاة هاجس حيث وردت فيه نازلة تبحث في حكم الخائف أن يسرق ثوبه أو يُنتهب ماله إن حضر الجمعة[4].ولا غرو في أن الخوف نابع من ممارسة العنف التي يمارسها المتلصّصُون اتجاه المستهدفين مـــن الناس.

---

[1]-المازوني، الدرر المكنونة، 4/86-87.

[2]-الغبريني، عنوان الدراية، ص165.

[3]-ابن مريم، البستان، ص75.

[4]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 1/368.

-شكل العنف باعتباره تهديد للتوازن النفسي[1] ثاني أكبر أثر نفسي خلّفه اللّصوص في نفسية من اعترضوهم حضور بمعدل 40% استخدم فيها اللّصُوص القوة الجسدية **لضرب** المسروقين(قدر تكرار عملية الضرب بـ06نصوص)، حيث ضرب لّص دخل روضة وليّ ابنه ولطمه في الأرض[2]، واستخدم بعض منهم أسلحة في تلصُّصّهم وسرقتهم[3]، وفي الغالب يكون عدوانهم الشديد رد فعل عن اكتشافهم حيث **تدافع** المالطي وخديمه مع لصّان اكتشفا وجودهما في داره ليلا بتلمسان[4]، ممارسات تعكس حالة العدوانية أثناء السّرقة وقطع الطّريق قد تؤدي **للقتل**(مثل حضورها أكبر حضور بـ18تكرار) أو إصابة المسروقين بجروح قد تؤدي إلى وفاتهم وهذا ما سجلته النصوص النوازلية باعتبارها مصدر لا ينضب من الجوانب الاجتماعية لدى ساكنة المغرب الأوسط فقد استطعنا أن نجمع عدد من صور العنف الذي مارسه اللّصُوص لما تتميز به الكتب الفقهية عن غيرها من الأنواع المصدرية ففي باب الجراح والقصاص مادة معتبرة حول الحالة النفسية للمستفتين ويظهر فيها جليا الأثر العميق في نفسيتهم بتحري وجه الحق والحكم الشرعي فيما تعرضوا له من عنف من طرف المتلصصين وقد استخدمت عبارات دالة على التعنيف؛ القتل، الذبح، الفتك، الجرح، الضرب، القهر والغلبة، منها النازلة التي وردت حول رجل **"استرعى عليه عقد بأنه محارب وأنه قتل وأخذ الأموال"**[5].

فيما وصفت نازلة طريقة دخول جماعة منظمة من اللّصوص مجشرا وقتلهم رجلا به "دخل خمسة من أهل الخيانة وقطع الطرق وغير ذلك من أنواع الفساد معروفين بذلك مشهورين به قدموا على المجشر وأرادوا السرقة وهم **بالسلاح ثم إنهم قتلوا** رجلا من أهل المجشر"[6]، استخدم اللّصوص **الضرب** الذي خلف جروحا للمترصدين لهم من الناس فقد جرح رجل هجم عليه ثلاث أشخاص ليلا وهو يرفع زرعه وبين أنه إن مات فسبب موته من جراء ما أصابه من الجراح [7]، ويظهر أن اللّصوص قصدوا إلى زرعه لسرقته، فيما ضرب ثلاثة لصوص رجل تبعوه بعد أن كشف أمرهم وناشبوه القتال "فضرب أحدهما الرجل المسافر وهو فوق صاحبهما في السدرة **ثلاث ضربات بالسيف** حتى قام عن صاحبهما وهرب منهم إلى مترله فمكث

---

[1]-مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط9، 2009، ص167.

[2]-ابن مريم، البستان، ص84.

[3]-االونشريسي، المعيار، 402/2.

[4]-الروض الباسم، ص26.

[5]-الونشريسي، المصدر السابق،322/2.وفي نازلة عن "قرطبي وجد **مقتولا** في داره وليس معه سوى أولاده ونساءه وهو الحاج أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني ...فقال هذا الضعيف **طرقه لصوص وقتلوه**" المصدر نفسه، 325/2 وإن كانت هذه النازلة بغير المغرب الأوسط فإنها تدل على انتشار استخدام العنف عبر القتل من طرف اللصوص، وقد يكون سبب قتله أنه اكتشف وجودهم في الدار.

[6]-المصدر نفسه، 402/2.

[7]-المصدر نفسه، 528/6.

ثلاث أيام ثم **مات**"[1]، فاللّصوص يستخدمون أسلحة في عملياتهم حتى إذا وجدوا من يدافع عن نفسه واجهوهم بها.

في حين الأوصاف التي قدمها **حسن الوزان** للّصوص المنتشرين بالمغرب الأوسط تنم عن شدة عنفهم وسوء سيرتهم، منهم عرب ذوي عبد الله يسكنون صحراء كومي وفجيج لصوص يكادون **يفتكون** (تكررت بـ05نصوص) بكل من تصل إليه أيديهم[2]، أما عقبة ضواحي مليانة لصوص **فتاكون**[3].نتيجة للعنف الذي مارسه اللّصوص أصبح عبور بعض الطرق هاجس كبير وشكل انتقال التجار بتجارتهم صعوبة كبيرة، وصُنّف أداء فريضة الحج في ذلك الوقت من الصعاب[4]، حتى أنها شكلت جدلا كبيرا بين الفقهاء في جواز أداءها وأفضلية إسقاطها في ذلك الواقع المحكوم باللاأمن، شكل فيه انتشار اللصوص وقطاع الطرق نسبة معتبرة من ناحية إخلالهم بالواقع الأمني؛ نازلة فقهية انقسم فيها الفقهاء بين من ألزمها من باب الجهاد ومن أسقطها حفاظا على النفس ومراعاة للحياة النفسية لما يعترض الحجاج من مشقات من قبل اللّصُوص وقطّاع الطّرق[5].

-لم تقتصر حالات الخوف على المجتازين للطرق البرية بل مست حتى الذين يعبرون البحر أو المجاورين له كانوا يعانون من خوف اللّصوص وقراصنة البحر عبر عن ذلك أحد الباحثين"**...هناك مخاوف أخرى في البحر تكمن في القرصان أو لصوص البحر الذين يهاجمون الواحدة من السفن مثلما يهاجم المقاتلون قلعة من القلاع، فإن أعظم قطّاع الطّرق والسّارقين خطورة ووحشية في البحر**"[6]؛ النص يحمل دلالات كثيرة منها أن نشاط القراصنة في البحر يشكل في ذهنية الناس أحد المخاوف الكبيرة أثناء اختيارهم ركوب البحر، ويصف أعمال القراصنة بالوحشية أيضا ويجعلها أكثر خطورة من قطاع الطرق،

---

[1]-الونشريسي، المعيار، 529/6.

[2]-وصف إفريقيا، 96/1.

[3]-نفسه، 51/1، مرمول كربخال، إفريقيا، 103/1.

[4]- أشار **ابن المدجن** في رحلته إلى ما اصطلح عليه **بحج الضعفاء** تعبيرا منه عن حال أولئك الذين لا يأتون الحج بسبب صعاب الطرق وما تفرضه من غياب للأمن "...وكل من لا يستطيع على حج مكة يأتي يصوم رمضان في بيت المقدس ويجاور حتى إلى يوم وقفة عرفة تجتمع أهل القدس مع المجاورين ويقفون عند قبة الصخرة القبلة المنسوخة يعملونها بين أيديهم متوجهين إلى الكعبة ويدعون ويبتهلون بالدعاء مثل أهل عرفة وقد قالت جماعة من أهل علماء الشام وعلماء بيت المقدس إنه **حج الضعفاء** والمساكين الذين لا يستطعون الزاد والراحلة **والطريق السابلة** فان حجهم ببيت المقدس للضرورة **وعدم الطريق** إلى مكة فهو **حج الضعفاء**"، أنساب الأحيار، ص192.

[5]-راجع في مسألة جواز إسقاط فريضة الحج ما يلي: الونشريسي، المعيار، 433/1-436، محمد الأمين البزاز، نحو نقل البحرية المسيحية لحجاج الغرب الإسلامي تأملات في رحلة ابن جبير، منشور ضمن الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 1995، ص83، محمد حقي، الحج في المغرب والأندلس في العصر الوسيط الجدال حول استمرار فرضية الحج، مجلة عصور الجديدة، مج7، ع26، وهران، 2017، وإن كان إسقاطها لا يرتبط مباشرة باللّصُوص وقطّاع الطّرق بل بالظرفية العامة لحالة الطرق بالأندلس والمغرب الإسلامي إلا أن ذلك لا يلغي دورهم الكبير في اختلال الأمن داخل المجال خاصة وأن غياب دور السلطة في مرحلة الضعف يعتبر محفز أساسي لنشاط اللّصُوص وقطّاع الطّرق وقد تم مناقشة هذه النقطة سابقا.

[6]-اللّصُوص وقطّاع الطرق في الحروب الصليبية، ص17.

وقد يرجع ذلك لطبيعة المجال البحري الذي يصعب فيه الاستنجاد وطلب المساعدة أو الهروب في حالة التعرض لغزاة البحر.

في هذا السياق أشار المالطي لخوف أهل وهران من مراكب للفرنج تعبر البحر من جهة الغرب".. وفيه في أواخر (870هـ/1465م)ونحن بوهران ظهرت أربعة مراكب للفرنج من جهة المغرب **ففزع** أهل النواحي بخارج وهران بل و**أرجف** بوهران أن هذه المراكب مشحونة بالمقاتلة وأنهم قصدوا أذى المسلمين..."[1]وإن كانت سلمت وهران منها فإن وجهتها كانت بجاية حيث بلغ الخبر بأنها **أخافت السبل** بنواحي المدينة وأخذت بالمارة وأسرت الكثير من المسلمين[2]، في موضع آخر يتبين مدى الرعب والهلع الذي يخلفه القراصنة في سكان السواحل ففي سنة 871هـ/1466م دخل عبد الباسط المالطي ساحل بجاية على متن قرصال وجدوا طائفة من برابر تلك النواحي والجبال فلما رأوهم **فروا** عنهم وظنوا أن هذه المراكب للفرنج ذلك لما اشتهر من حيلهم في تغيير هيأتهم بلبس زي المسلمين لتسهيل مهمتهم في القرصنة[3].

-حفظت لنا المدونة الفقهية في شق آخر الكثير من الأحكام عن خطورة إخافة السبل وشدّدت في تجنبها والعواقب المترتبة عنها، وجعلت الأصل في إقامة الحدود قائم على الخوف الذي ينشره اللصوص وأهل الحرابة، فتعريف الحرابة قائم على مبدأ **إخافة السبيل** كونه يخلف أثار بليغة على النفس، فمجرد بقاء جماعة من اللصوص في طريق وعَلم بهم المسافرون وامتنعوا من تلك الطريق **خوفا** منهم يعتبرون قطاع طرق[4] فمجرد سماع الناس بهم وخوفهم منهم وتغييرهم لوجهتهم صنفوا قطّاع طرّق؛ في المقابل يحمي الخوف مساعد المحاربين في حرابتهم من تصنيفه ضمن المحاربين حيث جاء في فحوى نازلة"...سئل عن رجل كان يَلقى المحاربين ويُطعمهم ...وكان يدعي أنه يؤويهم **لا لخوفه** منهم هل يحبس بما عمل أو يقتل...فأجاب: أن كان الأمر ما ذكر فلا يحبس لما فعل"[5]، فالخوف من المحاربين شفع للرجل من السجن أو القتل.

---

[1]-الروض الباسم، ص60.

[2]-المصدر نفسه، ص 61.

[3]-المصدر نفسه، ص67.راجع أيضا: الإدريسي، نزهة المشتاق، ص89، مرمول كربخال، 296/2.

[4]-قال الشيخ أبو الحسن اللخمي إن جماعة لصوص قعدوا لقوم فلم بهم المسافرون فامتنعوا من تلك الطريق خوفا منهم فهم قطاع الطرق و لم يقم عليهم اسم المحاربين لأنهم يجري عليهم حكمهم لأن الآية جمعتهم بقوله تعالى: "أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ" (المائدة، الآية: 32) راجع تفصيل الفتوى أكثر في: المازوني الدرر المكنونة، 362/4.

[5]-المصدر نفسه، 366/4.

وفي نهاية المطاف يظهر تاريخ المغرب كأنه تاريخ خوف، خوف متعدد [1]، خوف من السلطة المركزية، الخوف من قائد جائر يزيد في الجبايات ويسلب الممتلكات وخوف من اللّصوص والمحاربين أصحاب الغارات على القرى والمدن، وكذلك المسالك الكبرى.

صفوة القول أن مجتمع المغرب الأوسط عاش مظاهر عديدة للخوف مثلها العنصر البشري بامتياز يعد اللّصوص وقطّاع الطّرق أكبر مظهر لها، أما العنف في مجتمع المغرب الأوسط لم يقتصر على الحرب والغزو الخارجي والصراعات الداخلية حول السلطة وما يدور في فلكها فقط بل إن اللّصوص شكلوا واحد من مظاهر العدوان ضد الأنفس والمال خاصة إذا انطلقنا من التفسير الذي يبين أن العنف هو صراع المجموعات البشرية من أجل البقاء بسبب ندرة الموارد وسبيل للتخلص من الجوع ودرء المخاطر الطبيعية[2]؛ فأصبح التلصُّص باستخدام العنف مسلك لتحقيق مصادر العيش.

2-الآثار الاجتماعية:

إذا كانت الآثار النفسية التي تركتها آفة اللّصوصية قد مست صلب المجتمع مخلفة فيه مظاهر الاضطراب والعنف، بانتشار القتل والسلب في الطرقات وعلى المفاوز، وزادت من حالة الاختلال التي يعيشها المجتمع في توسيع دائرة الفقر والتسول، عانى منها المجتمع أكثر أثناء الجوائح والكوارث الطبيعية، وأصبح التنقل في الأوقات العادية يشكل هاجس يصعب على الأشخاص السفر والحركة فيه حتى لأداء شعائرهم الدينية من الصلاة والحج، فتحولت اللّصوصية لمشكلة "**أمن مجتمع**".

عكست اللّصوصية وأشكالها عمق الأزمة الأخلاقية داخل المجتمع بممارسة السّرقة وقطع الطّرق، وعدم مراعاة الشريعة في حفظ المال والنفس لأن المحاربين كثيرا ما عمدوا إلى القتل في سبيل تحقيق مبتغاهم. واقع انعكست مظاهره على المعاملات الاقتصادية التي تشكل مصدر عيش الناس، أمام مصدر العيش الغير طبيعي يمارسه أهل الحرابة وقطع الطّريق حيث عبرت الكثير من المصادر أن اللّصوصية تعتبر مصدر عيش[3] ومهنة يمتهنها قطّاع الطّرق على المفاوز[4]، وحرفة نشأوا عليها[5]، تقوم على انتهاب ما بأيدي الناس من المعاش.

هذا النمط من العيش ولد نظرة خاصة لأهل المدن في مقابل أهل البادية حيث أصبحت الحرابة وثيقة الصلة بالبدو في الإسطغرافيا التاريخية، رغم أن الفئة المدونة عنهم تصنف ضمن الفئة الحضرية القريبة من السلطة إلا أن أحكامها عن الأعراب جاءت أحكام قَيمية وليست ذاتية ذلك أنها انعكاس لواقع العصر

---

[1]-محمد حبيدة، بؤس التاريخ، ص193، أمال لدرع، ص333، رضا بن النية، أشراف المغرب الأوسط، ص399.

[2]-منوني غباش، المقدس والعنف، مجلة يتفكرون، تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ع5، الرباط، 2015، ص77-78.

[3]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 11/2.

[4]-مرمول كربخال، إفريقيا، 292/2.

[5]-الونشريسي، المعيار، 437/2.

بالنظر للأعمال التخريبية التي كان يقوم بها الأعراب كإتلاف الأشجار ونهب الزروع وتخريب المدن وفرض الإتاوات والخفارات وخاصة أعمال الحرابة واللّصوصية[1]؛ هذه المعاملات لبعض أهل البادية عمقت نظرة الحضر الدونية لهم، وصنف قطع الطريق والحرابة **"المعضلة أساسية في طبيعة التعامل بينهما"**[2]، مرجعها تأثير نشاط الأعراب على تجارة أهل المدينة بسلوكهم أعمال اللّصوصية والحرابة مما يحول دون تدبر الناس لأمور معاشهم[3] في مقابل تحقيق معاش الأعراب من التلصُّص وقطع الطّريق لهم ولأبنائهم[4].

ممارسة الحرابة والإغارة على أطراف المدن وكثرة قطع الطرق في المجالات البعيدة جعل من الفساد والعيث في تلك المجالات وثيق الصلة بالبدو، كون اقتصادهم قائم على الحَل والترحال، وقد دلت عبارات كثيرة على واقع العلاقة بين البدوي والحضري جمعها ابن خلدون؛ "**رزقهم في ظلال رماحهم**"[5]، "**أهل انتهاب وعيث**"[6]، "**طبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس...وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه**"[7]، وفي المصادر المنقبية وصفهم البعض بغنادر البادية[8]، الجهال[9]، أما المدونة الفقهية فقد بينت عمق النظرة الإقصائية من خلال النوازل وإن كانت نابعة من فقهاء تجار أثر سلوك هؤلاء-الأعراب- على تجارتهم بالدرجة الأولى[10]، فبديهي القول إنّ هذه الأحكام النظرية القاسية عبرت عن واقع مهتز كثرت فيه عمليات السطو والقطع وخاصة في المجال البدوي، إذ كثيرا ما اعتبرت القبائل البدوية في أعداد البلاد التي **لا تنالها الأحكام الشرعية**، وعوملت **معاملة المحاربين العصاة** أو **المنتمين إلى دار الحرب** مما يخول للسلطان متى ظفر بها إباحة أموالها وغنم ماشيتها، الفقه جاء ليدعم موقف السلطة المخزنية فأصدرت الفتاوى في هذا الغرض[11]، من منطلقات متصورة عن الأعراب ذات ذهنية حضرية تستمد خلفيتها من منطق السلطة القائمة الساعية إلى تحقيق الأمن ودرء الفتن واعتبار المدينة مركز للسلطان والبادية خطرا مهددا للسلطة[12].

---

[1]-محمد فتحة، الأحكام والنوازل والمجتمع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1999، ص192.

[2]-محمد حسن، المدينة والبادية، 643/2.

[3]-محمد فتحة، المرجع السابق، ص197.

[4]-محمد ياسر الهلالي، نظرة الحضريين للبدويين في مغرب أواخر العصر الوسيط صور وتجليات، منشور ضمن تقاطعات التاريخ والأنثروبولوجيا والدراسات الأدبية، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، 2018، ص55.

[5]-المقدمة، تح: عبد السلام شدادي، 247/1.

[6]-المصدر نفسه، 246/1.

[7]-المصدر نفسه، 247/1.

[8]-ابن مريم، البستان، ص84.

[9]-الدهماني، الأنوار الجلية، ص98.

[10]-محمد ياسر الهلالي، نظرة الحضريين، ص56.

[11]-محمد حسن، المدينة والبادية، 647/2.

[12]-محمد ياسر الهلالي، نظرة الحضريين، ص48.

أصبحت البادية في ذهنية العامة أيضا مركز للتمرد في شكل ممارسة الحرابة حسب محمد حسن **"أن حرابة البدو كانت انتفاضات ضد أهل المدينة"**[1]، كمظهر لأزمة المجتمع بازدياد عمليات السلب والنهب حتى عم الخوف في المسالك وازدادت حيطة المسافرين وقد أصبحت عبارة **"إن العرب تستقطع على الناس"** شائعة في المجتمعات القروية والحضرية[2].

كاستنتاج حول ما سبق يمكن القول إنه تشكلت ثنائية الحرابة والأعراب وفق نمط يجمع بين الفساد وقطع الطريق المرتبط بالبادية، وتحولت الحرابة وقطع الطريق كواحدة من مبررات الصراع بين الحضر والبادية، حتى أنه لدارس فترة القرن 5هـ/11م وما بعدها أن يتخذ من الحرابة كمعيار للتصنيف بين المجالين من الناحية الاجتماعية.

3-الآثار الاقتصادية:

أثر نشاط اللّصوص وقطّاع الطّرق على الواقع الإنتاجي لساكنة المغرب الأوسط، وإذا حاولنا ترتيب أثر العناصر الاقتصادية تضررا من اللّصوصية نصنف التجارة أكثر متضرر ثم تليها الفلاحة، فالنشاط الحرفي.

أ-أثر اللّصوصية على النشاط التجاري: كان لحراك المجموعات الهلالية نحو المجال المغربي واندفاعهم نحو الجهة الغربية أثر على الطرق التجارية وطبيعة التجارة إذ تحولت من تجارة داخلية إلى تجارة بحرية بعد انتشار اللاأمن والفوضى بالطرق البرية وحتى الأرياف التي كانت تعتبر المحرك الأساسي لحضارة المغرب الوسيط[3]، تزامنا مع الزحف الهلالي تشير الدراسات أنه اختفى الحديث عن تجارة القوافل البرية من وثائق الجنيزا[4]، هذا التحول كان له دور في فقدان بعض المدن لأهميتها التجارية باعتبارها تقع على منافذ طرق برية رئيسية؛ فتحويل العاصمة الحمادية من القلعة إلى بجاية يعتبر ضرورة أمنية فرضها الواقع الاقتصادي المتدهور مع بداية القرن 5هـ/11م الأمر الذي أشار إليه أحد الباحثين**"لقد كان للانعكاسات الاقتصادية لزحف بني هلال الدور الهام، إذ تدهورت التجارة في منطقة القلعة بسبب فقدان الأمن بها، وكان لابد من التوجه نحو التجارة البحرية مع أوروبا وغيرها وتغيير المسالك التجارية البرية الموصلة لبلاد السودان والمشرق والمغرب ليكون منطلقها منطقة آمنة كبجاية ولتتحاشى المناطق غير آمنة"**[5].

---

[1]-المدينة والبادية، المرجع السابق، 650/2.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-عمارة علاوة، النشاط التجاري للساحل الشرقي، مجلة معالم، تصدر عن جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، ع9، قالمة، 2008، ص65.صالح بعزيق، مدينة بجاية وتونس في العهد الحفصي: نموذج أم أنموذجان، أشغال الملتقى الدولي حول بجاية مدينة التاريخ والحضارة (بجاية في 30-31 أكتوبر 2012م)، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، 2013، ص20

[4]-لطفي بن ميلاد، إفريقية والمشرق المتوسطي، المغاربية للطباعة واشهار الكتب، ط1، تونس، 2011، ص224.

[5]-صالح بعزيق، بجاية في العهد الحفصي (دراسة اقتصادية واجتماعية)، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص58، الطاهر بونابي، ظاهرة المجال والدين والمجتمع، ص125.

نتيجة للواقع الأمني الذي أفرزه انتشار اللّصوص وقطّاع الطّرق في نقاط عبور تجارية معينة اضطر التجار إلى تحويل مسار الطريق واختيار الطريق الأطول على الأقصر لتحقيق الأمان[1]، واضطر انعدام الأمن ونشاط الأعراب في دواخل طرق الصحراء الذين كانوا يتربصون بكل من يمر بها وجهل الأوروبيين بها إلى التعامل مع إمارات المغرب الإسلامي وعلى رأسها تلمسان كوسيط تجاري[2]، هؤلاء الوسطاء التجاريين كثيرا ما يضطرون بسبب نشاط اللّصوص وقطّاع الطّرق إلى تحويل مسار القافلة، فالقوافل القادمة من تلمسان وفاس باتجاه تمبكتو ستأخذ الطريق المار بتوات وتمنطيط ثم يبذرقون إلى بلاد السودان[3]، لذلك يعتبر أهم تأثير للصوص والقطاع الطريق هو تحول اتجاه الطرق الذي كان له بالغ التأثير على أهمية بعض المدن التي كانت مراكز تجارية بالامتياز في تموينها وتنشيطها للتجارة الصحراوية، ففي القرن8هـ/14لما صار الأعراب من بادية بادس يغيرون على سابلها أي الطريق الرابط بين سجلماسة وإيولاتن (ولاته)، ويعترضون المجتازين لها فتركوا تلك الطريق إلى بلاد السودان من أعلى تمنطيط وصار الاتصال بينهما –توات، بلاد السودان الغربي– يتم عبر عدة طرق منها:

–طريق يبدأ في توات إلى تغازي وينتهي في تمبكتو على بعد خمس وعشرون يوم.

–طريق تقطع فيه القوافل المسافة مباشرة بين توات وتادمكة مرورا بصحراء أدرار إيفوراس[4].

وهذا بحثا عن الأمن الذي فقده الطريق الصحراوي الغربي الذي نشطت به الغارات على القوافل التجارية التي تحمل من الأموال والسلع ما حفز هؤلاء اللصوص على السرقة كل ما سمحت الفرصة لذلك.

وصار الإقليم الذي يقع شرقي سجلماسة والمنطقة الشرقية تمنطيط مركز عبور بالغ الأهمية للتجار القادمين من المغرب وبالخصوص من تلمسان المتوجهين إلى مالي، حيث كان يقوم بتوفير الحماية الآمنة للقوافل التجارية عبر هذا الخط عن طريق الاستيجار[5].غير أن هذه الحماية لا تعدو أن تكون مرهونة بقوة السلطة السياسية إذ بمجرد تتراجع دورها السياسي تفقد تلك الطرق أهميتها ونشاطها التجاري.

فعالية قطّاع الطّرق في المسالك التجارية في مرحلة تراجع دور السلطة فتح المجال لتطبيق أعراف الطريق من التكشيف والخفارة التي يحصل أصحبها على نصيب من تجارة المارين بمجالاتهم الأمر الذي

---

[1]–عبد القادر مباركية، التجار والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن3هـ/9م إلى القرن 10هـ/16م، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1011–2012، ص41.

[2]–مصطفى بن دريس، المكانة التجارية لمملكة تلمسان أواخر العهد الزياني، مجلة، مج11، ع1، 2020، ص181.

[3]–ابن خلدون، العبر، ج77/7.

[4]–لطيفة بشاري، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر هجريين 13–16م، رسالة الماجستير، جامعة الجزائر، 1986–1987، ص48.

[5]–عبد الجليل قريان، الواقع والآثار في العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي خلال العهد الزياني(633–962هـ/1235–1554م)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، ع13، المسيلة،2017، ص373.

يطرح صعوبة أخرى تأثر على تنقل الناس والأموال وضمان حماية مرورهم وهذا ما يأتي بيانه في الصفحات الموالية.

ب-أثر اللّصوصية على النشاط الفلاحي: انعكست مظاهر الأزمة التي عرفها المغرب الإسلامي على المشهد الفلاحي سواء ما تعلق بالكوارث الطبيعية أو الفتن والاضطرابات وما يتبعها من غياب للأمن واختلال واقع الناس ومعاشهم[1]، وبما أن أعمال اللّصوصية وقطع الطريق نتاج أفرزه واقع اللاأمن فإن من الطبيعي تصنيف الفلاحة كثاني متضرر من سلوك المتلصّصين.

تتفق الكثير من الدراسات على الضرر الكبير الذي ألحقته القبائل الهلالية ببوادي وأرياف المغرب الإسلامي؛ والمغرب الأوسط لا يعد استثناء من هذا التأثير إذ تفاقم خطر هذه القبائل البدوية فحاصرت المدن وسيطرت على المجال الزراعي وكانت سريعة الحركة وتتنقل من بلاد إلى أخرى حتى أنها غشيت تلمسان كالجراد المنتشر[2]، واستهدف النشاط الحرابي لقبائل الأثبج ورياح منطقتي الزاب والحضنة وأتلفوا الزراعة في البوادي وفحوص المدن، تفاقم الضرر في النصف الأول من القرن 6هـ/11م ليشمل الطرق وأحواز المدن والبسائط في السهول الداخلية[3]، ولما كانت الزراعة تتم في الغالب خرج أسوار المدن وفي البادية لكونها مُتّسعة فقد كان طبيعيا أن تكون أبرز المتضررين من متغيرات هذه المرحلة[4]، كما أن المحرك الأساسي للقبائل في هذه المرحلة تمثل في محاولتها اكتساب مراعي جديدة لقطعانها ومجالات أخرى لانتجاعها[5]، ما جعل من البادية دون المدينة-في المرحلة الأولى على الأقل- عنصرا مستقطبا لهذه القبائل، وقد كانت النتيجة انعكاسات ظرفية في المشهد الزراعي، يمكن إجمالها في تخريب الزراعة، وإرباك نشاط المزارعين والدفع بكثير منهم إلى الهروب نحو الجبال والتخلي عن سكنى المنبسطات[6].

لا شك أن التراجع المتصاعد لظل الدولة عن أطرافها واستفادة بعض الجماعات البدوية من إقطاعات القرن 7هـ/13م و8هـ/14م جعل النشاط الفلاحي يعاني بشكل مستمر من تعسفات هذه القبائل[7]،

---

[1]-عن تأثير الحروب في الزراعة ورد نص دقيق وواضح تناولته عديد المصادر الإخبارية "كثرت الفتن بين قبائل المغرب، واشتد الخوف في الطرقات، ونبذ أكثر القبائل الطاعة، وفارقوا الجماعة، وقالوا لا سمع ولا طاعة، فأكل القوي الضعيف واستوى الدنيء والشريف، فكان كل قدر على شيء فعله، ومن أراد منكرا أظهره وابتدعه، إذ ليس لهم مليك يحوطهم ولا أمير يكفهم ويصدهم...**فانقطع الحرث**، واشتد الغلاء في البلاد بسبب ذلك الإهمال والفساد"، راجعه في: ابن أبي زرع الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص36، الأنيس المطرب، ص288، ابن خلدون العبر، 226/7، أحمد الناصري، الاستسقا لأخبار دول المغرب الأقصى، 3/4-9.

[2]-محمد حسن، المدينة والبادية، 48/1.

[3]-الطاهر بونابي، ظاهرة المجال والدين والمجتمع، المرجع السابق، ص125.

[4]-حميد تيتاو، المشهد الزراعي بالمغرب الأقصى أواخر العصر الوسيط (متغيرات ظرفية وتبادلات بنيوية)، ص104.

[5]-حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص113-116.

[6]-حميد تيتاو،ا لمشهد الزراعي بالمغرب الأقصى، ص104.

[7]-عمر بنميرة، النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 2012، ص119.

ولا يمكن إغفال سياسة التعمير التي اتخذها الأمراء الموحدين باستقدام المجموعات القبلية الهلالية وتوطينها في الجهات الغربية للمغرب وصلت أوجها خلال عهد المنصور الموحدي سنة 584هـ/1188م حين وطن زغبة في نواحي تلمسان[1] مع احتفاظها بأسلوب الغارة جعل مزارع الفلاحين بالقرى يعانون من أعمال هؤلاء المحاربين، فما تتحصل عليه هذه القبائل من إتاوة في حال الحماية أو الغنائم في حالة الغزو والإغارة شكل عمدة معاشها واقتصادها[2]، على حساب المستقرين حيث أدت هذه الوضعية إلى تراجع ملحوظ للإنتاج الفلاحي بكثرة تعديات القبائل التي كثيرا ما كانت تؤدي بالسكان المستقرين إلى التخلي عن أراضيهم الفلاحية[3]، ينبغي أن نضيف هنا أن كثيرا من هذه القبائل أثناء اكتساحها للمجالات الخصبة فرضت نفسها باعتبارها حاميات عسكرية[4]؛ لذلك كان المزارعون يحتاجون فيها إلى التصدي للبدو بأنفسهم[5]؛في الغالب كانت تُسفر عن فشل الفلاحين فيتقلص المجال الزراعي لصالح المجال الانتجاع والرعي كونها قبائل تعتمد نمط النَّجعَة، الذين جعلوا **"أرزاقهم في ظلال رماحهم، ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب"**[6] يعني أن المجال أصبح في ملكية رعاة محاربين.

وإن كان انتزاع المجال الخصب والتوسع على حساب المستقرين لا يوعز للعنصر العربي فقط حتى تلك المجموعات الرعوية الزناتية التي تحركت على حدود الدولة الموحدية وكانت سبب في سقوطها مارست التخريب والغارة على المزارع والأراضي الفلاحية في أرياف المغرب الأوسط، وشكلت المرحلة الانتقالية من السقوط الدولة الموحدية واعتلاء الجماعات الزناتية السلطة مظاهر عديدة لتخريب عانى فيها الفلاحين وأصحاب الأراضي؛ حيث يعتبر محمد القبلي اندفاع هذه القبائل في مطلع القرن 7هـ/13م اندفاعا رعويا مدفوها بدوافع التوسع المجالي الصرف[7]، ودخلوا من مجالات القفار إلى مجالات الخصب متبعين أسلوب الغارة والنهب **"انتهزوا فيها الفرصة، واختطوا إليه القفر، ودخلوا ثناياه، وتفرقوا في جهاته، وأرجفوا بخيلهم وركابهم على سكانه، واكتسحوا بالغارة والنهب عامة بسائطهم ولجأت رعيا إلى معتصماتهم ومعاقلهم"**[8]، اتبعت في حركتها أسلوب النهب الإغارة.

---

[1]-ابن خلدون، العبر، 21/6.

[2]-عمر بنميرة، النوازل والمجتمع، ص119.

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]-حميد تيتو، المشهد الزراعي بالمغرب الأقصى، ص113.

[5]-محمد حسن، المدينة والبادية، 657/2.

[6]-ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد رجب، ص123.

[7]-محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987، ص44.

[8]-ابن خلدون، العبر، 224/7.

اعتبرت المواسم الزراعية، ومواسم الحصاد وجمع الغلّات الأوقات المناسبة لنشاط غارت اللصوص؛ يكتسحون الفحوص الزراعية ويغنمون الماشية من المزارعين وأهل المدينة على حد سواء[1]، لذلك أكثر ما ناقشت نوازل القرن 7هـ/13م وما بعده مسائل حول إغارة القبائل على القرى[2]وإلحاقها الفساد بالبساتين[3]، وأخذهم للمواشي ليلا، وهجومهم على المزارعين لسرقة محاصيلهم[4] منها نازلة حول شهود وقفوا على سرقة تبن من نادر[5]، حاول أصحابها الاستفسار عن حكم المشاركة في إقامة الأسوار لحماية القرى من غارتهم[6]، وجعل الحراس في لحماية البساتين[7].

قصارى القول أنّ الفلاحة تأثرت بنشاط اللّصوصية التي اتخذت شكل الغارات على القرى والمجاشر فتراجع المجال الزراعي لصالح المجال الرعوي بحكم طبيعة القبائل التي سيطرت على البسائط ودفعت المستقرين أهل الزراعة للهروب للجبال.

أما تأثير اللّصوصية على الحرف فإنه لم تسعفنا بإشارات واضحة إلا ما يمكن استخلاصه على نحو الافتراض، إذا كان مصادر المواد الأولية لأصحاب الأرض منها ما تدره التجارة(الذهب، المعادن...) والزراعة فإن تأثير الظاهرة على النشاطين تنعكس آليا على نشاط الحرفيين، وانتشار اللّصوص في الأسواق ودروب المدينة يؤثر أيضا على أحوال أهل الحرف، وعندما يغيرون على الحواضر يأتون على الأخضر واليابس ويخلفون وضعا من الفوضى يمنع أهل الحرف والصنائع في المدن من العمل، فتكف أيادي العاملين وأهل الصنائع من الحرفيين عن العمل[8]، مما ينعكس سلبا على واقع العمران.

4-الآثار السياسية:

ليس غريبا إن قلنا أنّ تأثير اللّصوصية في الجانب السياسي يرتبط بالمسألة الأمنية ذلك أن المصادر الإخبارية اضطلعت بشرح الواقع السياسي المتأزم الذي تقع فيه الدولة في المرحلة الانتقالية بين سلطة وأخرى أو موت/عزل سلطان وتعيين آخر وما يفرزه من مشاكل تتخبط فيها السلطة الحاكمة، يزيد من حدتها الخطر الخارجي، والتمردات المعارضة، ونشاط اللّصوص وقطّاع الطّرق داخل المدن وعلى أطرافها، وعلى المسالك الكبرى، يمكن تقديم تصور عن تأثير هاته الأخيرة من خلال الاستنتاجات التالية:

1-محمد حسن، المدينة والبادية، 655/2.

2-المازوني، الدرر المكنونة، 86/4، 366/4.

3-نفسه، 125/4، 135/4.

4-الونشريسي، المعيار، 528/6.

5-المازوني، المصدر السابق، 212/4.

6-المصدر نفسه، 282/3.

7-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 546/1، عبد الرحمن بشير، من تاريخ تونس الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، الجيزة، 2012، ص88،89، راجع الفصل الثالث ذكرت فيه أعداد تشير أن القرى كانت من الأماكن المستهدفة في الإغارة بنسبة (6%) والبساتين ما نسبته (8%)، كما أن من أنواع المسروقات كانت الثمار والماشية راجع **الشكل رقم:17.**

8-منصف المحواشي، الحرابة في حياة البدو، ص267.

-استفحال ظاهرة اللّصوصية في بداية الدولة يشغلها ويجعلها أمام جبهات قتال متعددة في رد الخطر الخارجي، واستتباب الأمن داخل الدولة، فالأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي، اشتغل برد هجمات النورماند على تونس وبجاية، وجهز حملات عسكرية في مراحل أخرى لضبط المتمردين في إفريقية والمغرب الأوسط، وكان يتعين عليه أن يضبط أمن الطّرق في حركته، ومع قيام الدولة الزيانية ونشاط الصراع بين الجماعات الزناتية المرينية، والحفصيين كان لزاما على السلطة ضبط حدودها وتأمينها من نشاط اللّصُوص وقطّاع الطّرق حتى تضمن ولاء العامة في تلك المجالات

-تعدد جبهات المواجهة يضعف خزينة الدولة بتجهيز الجيوش، وحتى في تقديم الهدايا والمال لبعض القبائل العربية لتضبط المجالات البعيدة، ويجعلها أمام **شريك ثانوي** في **حفظ الأمن**، قد يتحين فرصة ضعفها للتعبير عن تمرده. حتى استخدامها للجيوش في رد الخفارات التي تمارسها القبائل العربية يستترف خزينة الدولة أيضا.

ومع ضعف الدولة واستخدمها للقبائل العربية في الحماية بالاقتطاع وتسليمها جباية المناطق، واعترافها بعمليات الخفر التي تمارس في مجالات بين تلمسان وفاس، وتلمسان وورجلان وغيرها يجعلها تعترف ضمنيا بسلطة الجماعات اللصَّصِّية وقطّاع الطّرق مما يحفزها لممارسة التلصُّص حتى في مراحل القوة ما تقوم بها اللّصوص بين بجاية والمهدية ولصوص أنكاد[1] وريغة[2].

تغير نظرة المجتمع لسلطة الحاكمة، غير قادرة على درء نشاط اللّصُوص وقطّاع الطّرق، الذي يفرز فراغ تبحث فيه العامة عن بديل لتسكين معاناتها وتحقيق الأمن ضد أعمال السرقة، فتتعلق بسلطة المتخيل التي يقدمها الأولياء كمشروع بديل لضعف السلطة.

---

[1]-استمر نشاط لصوص أنكاد في الفترة الحديثة وما بعدها واشتهرت المنطقة فيما بعد بوجدة وبسيط أنكاد منها بعدم الأمن وكان لهم دور كبير في توتر العلاقات بين الأمير الجزائري والسلطان المغربي خاصة أثناء الدخول الفرنسي للجزائر يمكن الاطلاع أكثر على نشاط تلك القبائل وممارستها أعمال اللّصوصية والإغارة من خلال: لوي فوانو، **وجدة والعمالة مونوغرافية وجدة وقبائل شرق المغرب** (بنو يزناس-الزكارة-بنو بوزكو المهايا-السجع-أهل أنكاد-أولاد سيدي الشيخ)، تر: محمد لغرايب، مطابع الرباط نت، الرباط، 2014، ج2و3.

[2]-منطقة **ريغة** أيضا تعتبر اللّصوصية فيها امتداد لأعمال الحرابة في العصر الوسيط، ما يجعلنا نصطلح عليه من الناحية الواقعية بالأمد الطويل حسب تعبير **فرناند بروديل** في سنة1958م معبرا عن **"مظاهر التواصل في الزمان والمكان"**، راجع: جاك لوغوف، **التاريخ الجديد**، المرجع السابق، ص141 وما بعدها، أي الظاهرة لها امتداد تاريخي لا يمكن إغفاله، حتى أن أسلوب مواجهتها لا يختلف عن ما كان في الفترة الوسيطة حسب ما أشار إليه عبد الكريم الفكون(1073هـ/1662م) في عائلة تعرضت للّصوص في الفترة دخول الأتراك للمغرب الأوسط "كانوا فارين من بلد نقاوس في فتنة الترك الواقعة بالبلد عام 975هـ/1567م فلما كانوا بالطريق خرج عليهم لصوص ريغة فسلبهم فأخذوا جميع ما كان معهم فقدموا جبل الأوراس الذي به سكنى ابن أبي زيد(أبي العباس أحمد بن بوزيد)المذكور فاتصل خبرهم به فأتاهم وحملهم اليه /وبعد يوم أو يومين أو نحوهما قصد بوالد الحاكي الحكاية المتلصصة بقصد رد ما أخذوا لهم فوصلوا إليهم وخاطبهم فلم يلتفتوا لقوله وردوه خائبا، فبقي في الخلوة التي له نحو من سبعة أيام ثم إنه خرج منها وحمل الرجل وأولاده وزوجته قاصدا بهم إلى قسنطينة...بعدها أتى الناس فتحدثوا بموت كل من قال وإهلاكهم" **منشور الهداية**، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1987، ص159، 160. انظر أيضا: فارس كعوان، **ظاهرة اللّصوصية وقطع الطريق بمنطقة سطيف**.

-انتشار اللّصوصية في مجال المغرب الأوسط وكثرة قطع الطريق بها خاصة على المواكب الرسمية يكسبها سمعة سلبية على سمعتها السياسية في المجال المغرب الأوسط أو خارجه، فتعرض موكب الحج الذي خرج من فاس يرافقه الرسولا السلطان المصري سنة 707هـ/1307م وتعرضهم لقطّاع الطّرق، رغم توفير الخفر لهم لم يمنع من مهاجمتهم من طرف اللّصُوص ونهب الركب المرافق لهم "**...فبعث معهما بعض العرب فلم يغن عنهم واعترضتهم أشرار حصن من زغبة بنواحي المرية فبالغوا في الدفاع فلم يغن عنهم واستولى الأشرار على الركب بما فيه ونهبوا جميع الحجاج ورسل الملك الناصر معهم وخلصوا برؤوسهم**" [1]، خلف هذا السلوك نظرة عند المشارقة من أهل مصر حول السفر إلى بلاد المغرب"...بعدها اعترضتهم الأعراب بالفقر فانتهبوهم وخلصوا إلى مصر بجريعة الزمن فلم يعاودوا بعدها إلى المغرب سفرا ولا لفتوا إليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله عن الخطاب شيئا"[2]، يبقى النص يحمل في ثناياها عبارات المبالغة، لكن المؤكد أن العلاقات بين الطرفين قد توترت بين الطرفين في تلك الفترة، فالملك المصري راسل سلطان المغرب الأوسط أبو حمو(707-718هـ/1308-1318م) يعاتبه فيما تعرض له الأميريين في بلاده من تعرضهم للنهب والسطو على الركب المرافق لهم في رسالة بعثها مع الحجاج العائدين لبلدهم مع هدية رآها سلطان المغرب الأوسط تقليلا من شأنه وسلطانه، فرد له الخطاب ورد عليه هديته[3].

السلوك الذي مارسه قطاع الطرق من الأعراب بتلك النواحي على الركب الرسمي، ساهم في توتر العلاقات السياسية للمغرب الأوسط في تلك الفترة، بينت أن أمن الطرق من دعائم قيام الدول واستمرار علاقاتها الداخلية والخارجية.

ثانيا-جهود مواجهة الظاهرة بين المدافعة والاحتواء.

تنوعت الجهود لمواجهة ظاهرة اللّصوصية بين جهود للملاحقة ومعاقبة المتلصّصين في الغالب حمل لواءها هذا التيار مبادرات فردية وبعض التدخلات من قبل السلطة بتفعيل جهاز الشرطة وأخرى تلخصت في الأحكام العرفية التي عرفتها المسالك والطرق خاصة؛ فيما كان توجه الفقهاء يصب في خانة شجب الممارسة اللّصّصية وتذكير بالأحكام الشرعية والتشديد على تطبيقها، ومن خلالهم تم تصنيفهم اجتماعيا ممن لا يجوز التعامل والتعاطي معهم، فيما اعتبر التيار الصوفي اللصوص والمحاربين انطلاقا من مشروعهم الاجتماعي أنهم ممن يجب احتواءهم باندماجهم في المجتمع.

1-المبادرات الفردية:

---

[1]-ابن خلدون، العبر، 482/5، ابن خلدون، الرحلة، ص264،265.

[2]-ابن خلدون، العبر، 300/7، الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954، 84/3.

[3]-ابن خلدون، العبر، 300،301/7، راجع: **الملحق رقم16**.

كون اللّصوصية آفة استهدفت أفراد المجتمع في معاشهم اليومي، فإن هاجس العامة الذي كان يشغلها هو تأمين أنفسهم وممتلكاتهم باتخاذ مبادرات في ظل عدم استفادتهم من المؤسسات الأمنية التابعة للدولة[1]، بناءا عليه اتسمت جهود مواجهتها الفردية بطابع **الاحتراز** وأخرى تدخل في نطاق **الدفاع** عن النفس في شكل ردود فعل آنية بسيطة تعكس عدم كفايتها في الوقوف ضد المجموعات اللّصّصِية، والمتتبع لنصوص المصدرية على قلتها يجد في سياقها ما يُمكن من تسجيل الملاحظات التالية:

-للاحتراز من اللّصوص اعتمد المتنقلون أسلوب التنقل الجماعي، مفازة فاس كان الرعاة يتحاموها بمواشيهم ولا يسلكها إلا الجماعات من الناس[2]، مع اختيار الرفقة الآمنة[3]، أشارت نازلة إلى الصبي في رفقة بيده مال خاف اللّصوص فدفعه لبعض أهل الرفقة يحصّنه ولمّا زال الخوف استرجع ماله[4]، فاختيار الرفقة الآمنة التي يستطيع المتنقل بها ضمان نفسه وماله بمدافعتهم وتجاوز من يعترضهم من اللّصوص وقطّاع الطّرق.

-تنبه بعض من يحملون الأغراض الثمينة والمهمة إلى إخفاءها في داخل ملابسهم بلف النقود وقطع الذهب في خرقة وإخفائها بين الملابس[5]، وإن شكوا في وجود اللّصُوص في طريقهم خبأوها في أماكن في الأرض أو بين أشواك السّدر مثلما فعل أحد التجار حيث خبأ بضاعته في سدرة فسلمت من اللّصُوص[6]، مرافقة الصالحين للناس في قوافلهم جعلت الناس يلتمسون بَركتَهم في حفظ أغراضهم بجعلها عندهم وبين أغراضهم تأمينا لها وضمانا لوصولها بأمان، فلا يأخذها أحد حال الرجلين الذين التقيا بالولي في الساحل وجعلا أغراضهم في مزود الولي فلم تصل يد اللّصُوص إليه[7]، أو جعلوا أموالهم في أغراض بها أثر من الأولياء حال والد ابن قنفذ القسنطيني الذي سلمت أمواله من اللّصُوص الذين انتهبوا ركب الحجاز كان قد خبأهم في شاشية الولي الخطيب حسن بن الخطيب علي[8].

-غالبا ما يختار المجتازون للطرق مرافقة رجال مسلحين يقطعون المفاوز لضمان حمايتهم من اللصوص وقطاع الطرق، فالعبدري الذي جلس في فاس ينتظر رفقة آمنة ليعبر مفازة تلمسان باتجاه تلمسان فحدث أن صادف **"جماعة رجال مسلحين عارفين بالطرق عازمين على اعتساف المجهل فاستربت بهم"**[9].

---

[1]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص94.

[2]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص39.

[3]-ابن صعد، النجم الثاقب، ص78.

[4]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 285/5.

[5]-المصدر نفسه، 282/5.

[6]-ابن الزيات، التشوف، ص379.

[7]-ابن صعد، روضة النسرين، ص218.

[8]-ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، ص46.

[9]-العبدري، الرحلة المغربية، ص45.

-كان المسافرون يجتنبون السفر في أوقات اضطراب المناخ ذلك أن المطر والعواصف يتشتت فيها الركب وتكون سهلة المنال لقطّاع الطّرق، منها المريدون الذين زاروا الوالي إبراهيم التّازي في وهران وحين رغبتهم في مغادرتها خافوا تقلب الجو لكنهم غادروا في جو لا يتوهم السفر فيه، ثقلت فيه السحاب وأظلم الجو وهطلت الأمطار والتقوا فعلا بجماعة معروفين بقطع الطريق، لكنهم سلموا منهم ببركة من الولي[1].

-أما التجار الكبار الذين تعبر تجارتهم المجالات البعيدة، فاعتمدوا إجراءات احترازية لضمان تجارتهم؛ كشركة المقريين التي اشتهرت بالتجارة في بلاد المغرب التي تصل أعمالهم التجارية بلاد السودان وقد انتهجوا في سبيل حماية التجارة أسلوب تذليل صعاب الطريق من حفر للآبار وتوفير للخفير واعتمدوا راية ودليلا من شأنها حماية القافلة من اللّصوص **"فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار، وتأمين التجار، واتخذوا طبلا للرحيل، وراية تقدم عند المسير"**[2].

ومهدت طريق الصحراء بحفر الآبار وحماية التجار فأضحى المحور التجاري الرابط مابين تلمسان-ولاته نيابي(عاصمة مملكة مالي)يحتل مكانة معتبرة في التجارة الصحراوية[3].

-أما داخل **المدن والقرى** كان الناس يتجنبون التنقل ليلا، ويحكمون إغلاق البيوت ودكاكينهم في الأسواق، وخبأوا أموالهم في ثقوب داخل جدران البيوت حفاظا عليها من السراق[4]، ومنها أيضا استئجار الميسورين منهم حراس ليل مسلحين تشددوا إزاء اللصوص[1]

---

[1]-ابن صعد، النجم الثاقب، ص77-78، روضة النسرين، ص166-167، ابن مريم، البستان، ص236.

[2]-المقري، نفح الطيب، مج205/5، ذكرت الفتاوى معاملات مالية يلجأ لها في حماية التجارة في حال عموم الخوف في الطرق، وهي دفع المال على هيئة **حوالة** خوفا من قطاع الطرق، نوع من التعامل يأخذ في صورته الظاهرة صورة حوالة، في حين أن حقيقته تخالف حقيقة الحوالة الفقهية، وذلك لأن الحوالة تعني نقل دين بمثله إلى ذمة أخرى بأن يكون هناك دين للمحال على المحِيل ويكون هناك دين للمحِيل على المُحال عليه أما في هذا النوع من التعامل فلا يشترط أن يكون هناك دين، وتكون على نحو أن لشخص ما مال في بلد، ويرغب في نقله إلى بلد آخر لكنه يخاف عليه من أخطار الطريق فيلجأ إلى دفعه إلى تاجر مثلا على أن يكتب القابض كتابا أو صكا موجها إلى نائبه أو مدينه في ذلك البلد المعين ليؤدي مقتضاه إلى ذلك الدافع نظير ما دفعه إليه وبذلك يحصل كل منهما على المال المطلوب في المكان المرغوب دون نقل ومخاطرة وهذا ما يسمى بـ **"السفتجة"**، إبراهيم بن يحي عطيف، **آثار الخوف في الأحكام الفقهية**، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 2000، م476،477/1.والسفتجة **في اللغة:** أن يعطي مالا لآخر، وللآخر مال في بلد المعطى فيوفيه إياه ثم يستفيد **أَمْنَ الطّريق** وهي كلمة فارسية تعني رقعة يكتبها المقرض إلى من يقبض عنه عوض القرض في المكان الذي اشترطه، ومثلها أن يكون للرجل مال مثلا وهو يريد أن يذهب به إلى بلد، وهو **يخاف** عليه **قطّاع الطّريق** فيدفعه إلى بياع مثلا أو رجل له بذلك البلد دين على الآخر، وهو يقول اكتب خطا على ذلك الرجل بما لك عليه لآخذه منه، ابن بطال الركبي، **النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب**، تح: مصطفى عبد الحفيظ سالم، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة،1988، 261/1، وقد سميت هذه العملية بهذا الاسم لمشابهتها لوضع الدراهم في السفاتج أي الأشياء المجوفة كما يجعل العصا مجوفا ويخبأ فيه المال فكل منهما فيه احتيال لسقوط خطر الطريق، وحكمها فيه خمسة أقول وقد ركزت على قول المالكية، المشهور عندهم **عدم جواز السفتجة** لا في حال **عموم الخوف لجميع الطّرق** التي يتعين على المقترض سلوكها بحيث يغلب على الظن، الهلاك بها أو الذهاب فريسة **لقطّاع الطّرق**، إبراهيم بن يحى عطيف، آثار الخوف، ص480.

[3]-أحمد الشكري، الصحراء والتجارة الصحراوية بعيون المؤرخ الفرنسي ريموند موني، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، المغرب، 2013، ص218.

[4]-ابن الزيات، التشوف، ص413، 418.

-وفي حال مواجهتهم للّصوص لجأ بعضهم للمدافعة باستخدام العنف كرد فعل عكسي على العنف الذي تعرضوا له -وإن كان رد فعل طبيعيا- بالضرب والتهديد يمكن أن نصطلح عليه **بالعنف المضاد**، حال التاجر الذي سرقت بضاعته من قبل رجل وامرأة ذهب إلى مترلهما فهددهما وخوفهما حتى أقرا بسرقتهما[2]، أدت المواجهة المباشرة مع اللّصُوص في بعض الأحيان لقتلهم، حين دخول لص لدوار ليلا خرج إليه رجل بسكين وضربه بها مما كان سببا في موته[3].

-توظيف الحيلة في مواجهة اللّصُوص للتخلص من شرهم، فتجار تلمسان بعد أن قضوا تجارتهم في فاس وقفلوا راجعين لأوطانهم عمدوا إلى حيلة ضد قطّاع الطّرق وقد وصفها المالطي وصفا دقيقا "...فاتفق أربعة منهم على الرجوع **بحيلة** احتالوها مشت على **العرب وقطّاع الطّرق** بأن شروا حميرا جعلوا عليها أخراجا بما كان معهم من المال النقد وعمدوا إلى عُبي عتيقة فجعلوها أغطية على الأخراج وأنهم أخذوا الطحال من الغنم فجففوه، ودقوه وحملوا معهم شيء من الغراء وخرجوا وكانوا إذا قربوا من طائفة العربان أو نجع أذابوا من الغراء الذي معهم وجعلوا يلطخون مواضع من أبدانهم على رقابهم ووجوههم وأيديهم للمرافق وأرجلهم إلى نصف الساق ثم يذرون على ذلك **مما معهم** من الطحال...يوهمون بأنهم **مجاذيم** من أهل البلاء...إذا اجتازوا على العرب ورأوهم على تلك الحالة **هربوا فارين** منهم وابعدوا منهم يخشون العدوى...حتى وصلوا إلى بلادهم ولم يروا إلا الخير والسلامة"[4].

رغم أن السّرقة والحرابة تصنف في باب الجنايات الموجبة للحد الشرعي فإن الإشارات الواردة حولها خاصة في المجال الريفي والبدوي محدودة، ويبقي تطبيق القوانين العرفية[5] هو السائد والغالب عليها في

---

[1]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص94.

[2]-المازوني، الدرر المكنونة، 372/3.

[3]-المصدر نفسه، 343/4.

[4]-الروض الباسم، ص58، 59.

[5]-العرف مجموعة من القوانين الوضعية التي تسهر على سنها القبيلة في سبيل تنظيم شؤونها الداخلية والخارجية، فهو نص قانوني ينظم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والقضائية، ويحدد الجرائم والعقوبات، ويهدف إلى حل النزاعات القائمة أو المحتمل قيامها، سواء تعلق الأمر بالجانب الجنائي الإجرامي(القتل، الجرح، الضرب) أو جانب العرض(قذف، سب، تهديد...) أو حماية الملك الخاص والعام (السرقة، الدين...) مع العلم أنّ لكل جريمة في حدّ ذاتها بعد جنحيا لكونها تمسُّ كيان الوجود الإنساني، راجع: رحال بوبريك، **زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي**، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، 2012، ص69، إبراهيم بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي**، ص240، أما في جانب تطبيق العقوبات العرفية في اللّصوصية وقطع الطريق توجد إشارات متناثرة بين ثنايا المصادر تعود للفترة المدروسة في الحث على مواجهة عمليات السرقة وقطع الطّريق، إلا أنها لا تشمل مجال المغرب الأوسط ولا نجزم أنع تم العمل بها مجتمع المغرب الأوسط وع غياب قرائن تاريخية لتعميمها آثرت ذكرها لفائدتها وتوضيح حضورها في المجتمع المغرب الإسلامي، ففي القرن 5هـ/11م وردت إشارات أن أهل الصحراء في المغرب كانوا يعاقبون المتهمين بالسرقة بما يمكن أن نطلق عليه **"طريقة العود"** حيث كانوا "يعمدون إلى عود فيشق باثنين ويشد على صدغيه(اللّص) في مقدم رأسه ومؤخره فلا يتمالك أن يقر ولا يصبر على ذلك الضغط لحظة لشدته" البكري، **المسالك والممالك**، تح: أندريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص866. وذُكر أنّ من "ظفر بأحد من أعدائه أو سارق أو قادع طريق، أمر به فطرح من ذروة قلعته المسماة بحجر النسر ويهوى به إلى الأرض مد البصر يدفعه الرجل بخشبة تمد إليه فلا يصل إلى

محاكمة اللّصوص وقطّاع الطّرق إقامة عقوبات زجرية، وتطبيقها يخضع للمنظومة الاجتماعية وعموم تقاليد المجتمع التي بقيت مرتبطة به، إلا أن بعضها يستمد من الشريعة الإسلامية إذ تطبق فيهم أحكام الضـــرب، النفي، وتقديم الدية للمسروقين، القطع، ويبقى تطبيقها خاضع لمبدأ الترهيب والتخويف، ففي النصف الثاني من القرن 9هـــ/15م كان سكان إحدى القرى الواقعة بين فاس وتلمسان يلجـــؤون إلى بعـــض طـــرق التعذيب لإرغام المتهمين بالسرقة على الاعتراف، ومن ذلك ضرب اللّص بالقضيب أو ترهيبـــه بواســـطة منجل كان يدخل في النار حتى يبيض من شدة الحرارة[1]، لإدخال الرهبة والخوف في نفوس بقية اللّصـــوص

الأرض إلا وقد تقطع" ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص94، أما السراق في إمارة برغواطة "يقتل السارق حيث وجد وأنه لا يطهره من ذنبه إلا السيف"، المصدر نفسه، ص 131، وابن المدجن في رحلته يذر أنه طبق في حق اللّصوص الشنق "فلهم ضبط عظيم في الأحكام يشنقون السارق على بيضة"، **أنساب الأخيار**، ص108.وبجبل الحديد في الإقليم الفاصل بين حاحا ومراكش ودكالة كان سكانه" جبليون أمناء جانحون للسلم إذا سرق أحدهم أو ارتكب أي جريمة أخرى نفوه لمدة معينة"، حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، 112/1.أشار مرمول كربخال إلى تطبيق عقوبات عرفية في حق اللّصوص تعود لما بعد القرن 9ه/15م القرن 11هـــ/17م بالضبط حيث طبق في إقليم جزولة وفي سوقها"...أثناء إقامة سوق لمدة شهرين وأثناء هذه المدة كلها يطعمون الغرباء الوافدين عليه مجانا، ويحرس مكان التجمع ليل نهار جنود تحت إمرة قائدين لمنع السرقات وغيرها من الجرائم، والعقوبة المطبقة على المجرمين، وخاصة اللّصوص الذين يُفاجَأون متلبسين بجريمتهم **هي القتل بطعنهم بالرمح** ورمي جثثهم إلى الكلاب"، **إفريقيا**، 69/2. تشير بعض النصوص من خلال وثيقة تعود بالتقريب لسنة 918ه/1518م إلى تطبيق أحكام عرفية تستوجب الدية"دية من **سرق:** عشرة أوراق أو مائة دينار دراهم **أو تقطع يده دية**...ومن جعل يده في مال رجل بالغصب فعليه خمسون دينارا لسبب تعديه في مال المسلمين، هذا إذا كان عليه دين، أما إذا كان **سارقا مائة دينار**" GROS.P, « Deux Kanouns Tom XVII,1er trimestre, ase,1943,pp67-86. Marocains du début du XVI siècle »,Hespéris, **نقلا عن:** محمد ياسر الهلالي، **لمحة عن العقوبات العرفية للّصوصية في المجال القروي المغربي خلال العصر الوسيط وبداية العصر الحديث**، منشور ضمن الأعراف بالبادية المغربية، طبع دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الرباط، 2004، ص162.وذكر التيجاني في رحلته بعض أعراف القبائل التي مروا منها في مرتكب السرقة ففي قبائل الحماميد"أنّ الرجل منهم إذا ظهرت عليه سرقة أو خيانة فإنهم لا يجالسونه ولا يكلمونه إلا فيما لا بد منه ولا يخرجونه من بلدهم إذا كان منهم فإن كان من غيرهم قتلوه"، رحلة **التيجاني**، ص188،وأجاب الفقيه **أحمد بابا تمبكتي**(ت1036هـــ/1627م)في نازلة حول حكم تطبيق القوانين العرفية وقد كان نص السؤال على النحو الآتي: "جوابكم فيما يفعله بعض أهل البادية أهل الجبال منهم من أنهم يجتمعون عند أخذهم ويعملون منهم أهل الحل والعقد ويقولون لهم **إنفلاس** ويسمّيهم البعض الشيوخ والضمان ويصدر الاتفاق على ضوابط ومصالح عندهم مرات كل من **قطع طريقا** على الصادر والوارد ببلدهم **يسترجعون منه ما سلبه من الأموال** إن كانت قائمة العين وإلا **غرّموها له** ويعاقب بالمال أيضا ويسمون ذلك **إنصافا** عندهم **ويهدمون داره ويذبحون** بقرته **يأكلونها** ردعا له حتى وإن لم يكن شيء في يده فيباع عليه ملكه بحضرته في ذلك جبرا وإن لم يكن له ملك **أخذوا قيمة ما سلبه من أقاربه** وإن أعان الأيتام والأرامل على فساد أو قطع سبيل وبما ينصفونهم رعيا للمصلحة بزعمهم ولوازم البلد وأنّ المتهم عندهم يعطي **خمسين يمينا يعينه أقاربه في حلفها** ومنهم من يعطي عشرا وما يأخذون من العقوبات بالمال ويسمونه **بالإنصاف** يأخذون من الغني والفقير والأيتام والأرامل وأهل الدين وعكسه ويزعمون أنهم لو تركوا هذا ما انتظمت علمتهم ولا استقام أمر بلدهم ولا أَمِنت سبلهم **ولكثرة الفساد** فيها والفواحش ظاهرا وباطنا **لفقدان الأحكام** فيها"، أجوبة في شأن القوانين العرفية، **مخطوط الخزانة الحسنية**، رقم 5813، و/1و ؛يستشف من هذه النازلة عديد الإشارات وإن كانت بعيدة زمنيا فلابد أنها ممتدة زمنيا إلى فترة بعيدة قبل هذا القرن ويظهر ذلك من نص النازلة أن الناس تعارفوا على هذه العقوبات العرفية ولشدة تعسفها واختلافها مع الشريعة طلب الجواب في حكمها، ووضحت النازلة أن غياب تطبق الأحكام الشرعية سبب الرجوع للأحكام العرفية.

[1]-محمد ياسر الهلالي، لمحة عن العقوبات العرفية، ص161.

وقطّاع الطريق حتى لا يفكروا في الاقتداء بأولئك الذين تم قتلهم وتشريدهم[1].وتبقى المادة المصدرية قليلة ولا تسمح برصد العقوبات العرفية في مجال السّرقة خاصة على خلاف الأعراف المتعلقة بقطع الطرق التي سيتم معالجتها لاحقا.

ومن ثم نلاحظ هاجس الخوف الذي كان متأصلا في نفوس العامة، في خوفهم من اللصوص مما يعطي الانطباع بشرعية ما دأبت عليه العامة من ممارسات ومواقف وتمثلات إزاء الأمن والنظم الأمنية وهو تعبير عن إرادة لملأ الفراغ الأمني الذي خلفه غياب الدولة أو ضعفيها أو ما رسخ في ذهنية العامة من شطط بعض متولي الخطط الأمنية[2] مما يدفعنا للبحث عن **دور الدولة في تحقيق الأمن؟ وهل اتسم دور السلطة بالتخاذل طيلة مراحل قيامها؟**

2-سلط المنطقة في مواجهة الظاهرة:

الأمن والسلطة ثنائية لا يمكن فصلها، تربطهما علاقة طردية كلما كانت السلطة قوية زادت مظاهر أمنها وكلما ضعفت السلطة تراجع حضور الأمن بها، ويتوقف انتشار الأمن على الجيوش في حفظ حدود الدولة وأطرافها، والتشديد على إقامة الحدود الشرعية داخل الدولة مع، توفير الجهاز الإداري المتمثل في **الشرطة**[3]في حفظ الأمن داخل المدن والقرى، وقد كان من مهام هذا الجهاز ردع أهل السرقة واللّصوصية.

دراسة التدابير الأمنية التي قدمتها السلطة السياسية في مواجهة آفة اللّصوصية، تنقسم إلى **مرحلتين** أساسيتين؛ **مرحلة قوة الدولة**، وتكون في بداية تأسيسها وقوة عصبيتها حينها تجعل من شعار الأمن الدعاية الأساسية لدعم تزكيتها والقبول من الرعية، فتأخذ بشعار محاربة اللّصُوص وقطّاع الطّرق، وردعهم بمختلف الوسائل[4]، وتستمر طيلة فترة قوتها، غير أن موقفها يتغير بدخولها **لمرحلة التقهقر**، تستكين لهم

---

[1]-المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[2]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص96.

[3]-خطة الشرطة من الخطط التي تناولتها كتب الولايات والأحكام السلطانية، ناقشت فيها شروط إقامتها، والشروط الواجب توفرها في متقلد المنصب، راجع في ذلك: أحمد اسماعيل الجبوري، الحضارة والنظم الاسلامية، دار الفكر، ط1، الأردن، 2013، ص82،81.

[4]-من ذلك أن السلطة المرينية مثلا لم تقف عند عقوبة القتل في حق اللصوص وقطاع الطرق بل تجاوزها بكثير إلى عقوبة أقل ما يمكن القول عنها أنها غير شرعية، حيث لجأت إلى ما يمكن تسميته **بالعقاب الجماعي** في حق سكان قرية الجمعة الواقعة بين فاس ومكناسة الذين اشتهروا بممارسة اللّصوصية حتى اعتبروا من قطاع الطرق الكبار لذلك أمر السلطان أبو سعيد عثمان بن أحمد سالم(800-823هـ/1398-1420م) بتدمير قريتهم عن آخرها"...الجمعة توجد على المحجة المؤدية من فاس إلى مكناس على ربوة شديدة الارتفاع بحيث أنها محصنة صناعيا وطبيعيا، ونظرا لكون السكان قطاع طرق كبار أعداء أزليين لكل فضيلة، فإنّ الملك المريني قبل الأخير دمرها و لم يُعد تعميرها منذئذ" مرمول كربخال، **إفريقيا**، 184/2.**وعلق** محمد ياسر الهلالي على العقاب على النحو الآتي "والظاهر أن هذا "**العقاب الجماعي**" الذي أخذ شكل استعراض مفرط للقوة، جاء أولا، بقصد البرهنة على تفوق القوة وإهانة الآخر وإذلاله إلى أقصى الحدود، لحفظ السلطة على ما تبقى من هيبة تجاه الرعية، وهي التي كانت تعيش طور الاحتضار، لان القصد الأسمى هو إظهار قداسة الحاكم وبالتالي مشروعية القتل والهدم، فهذا النوع من العقاب الذي مارسته السلطة هو في نهاية المطاف مسألة سياسية قبل أن يكون مسألة شرعية"، لمحة عن العقوبات العرفية للّصوصية، المرجع السابق، ص160. ونضيف أن السلطة السياسية حتى في توجهها للقضاء وتصفية المعارضين لها أو من شكلوا خطر عليها في مرحلة احتضارها اعتمدت أسلوب التصفية والقتل ووصف أصحاب المعارضات بأهل الحرابة حال السلطان إدريس المأمون بن يعقوب المنصور الموحدي

فتستخدمهم في صالحها لكسب التأييد من جديد، فتعترف ضمنيا بممارساتهم على سبيل قبول أساليب التعاقد والضمان التي يفرضها عرف الطريق.

أ-في مرحلة القوة:

تميزت هذه المرحلة بمجموعة من الخصائص تمثلت في؛ إقامة الحدود، توفير جهاز الشرطة، وتدابير أمنية خاصة بالطرق.

***إقامة الحدود:** كان من مهام السياسة الشرعية السهر على تطبيق الحدود، والحرص على تمام تنفيذها حفاظا للإطار التشريعي لها، لمن بالنظر للمادة المصدرية التي بين أيدينا لا نجد إشارات وافية تسمح بمعرفة تطبيقات الحدود الميدانية في حق اللّصوص والمحاربين، مما دفعنا للتساؤل حول ندرة ذكر تطبيق الحدود في الدول القائمة؟ هل يمكن إرجاع السبب لعدم اهتمام الدولة لتطبيق التشريع الإسلامي الذي يخص الحدود؟ البحث في الإشكال المطروح، جعلنا نرجع سبب ذلك على نحو الافتراض؛ أنّ إقامة الحدود من المسائل العادية والمتعارف عليها لذلك لم تنل الحظ الكبير في التدوين، أن تنفيذ الحكم قد يكون في مناطق بعيدة لحفظ الحياة النفسية لساكنة المغرب، والمصادر قد اختصت بذكر الأحكام التي حرص السلاطين على إقامتها بأنفسهم[1]، وهذا ما نلاحظه في الشذرات القليلة المتوفرة التي سمح التعريج عليها معرفة مدى حرص الدولة في إقامة الحدود.

(626-629هـ/1228-1231م) الذي دخل مراكش سنة 627هـ/1229م "...فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه...أكثرتم الفساد ...فأمر بقتل جميع مشايخ الموحدين وأشرافهم فقتلوا عن آخرهم...وبعد قتلهم وتعليق رؤوسهم أنشد:

أهل الحرابة والفساد من الورا يعزون في التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره بالقطع والتعليق على الأشجار
فتراهم ذكرا إذا ما أبصروا فوق الجذوع وفي ذرا الأسوار.
وكذا القصاص حياة أرباب النهى والعدل مألوف بكل جوار.
لو عمّ الله سائر خلقه ما كان أكثرهم من أهل النار (بحر)

مجهول، الحلل الموشية، ص165-166، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص251،252. طبق فيهم قصاص المحاربين معبرا عن فسادهم السياسي، ولنكثهم بيعته أثناء تقلده السلطة في أول أمره، الأحكام الشرعية أصبحت تعطي خدمة ومشروعية للمصالح السياسية.

[1]-عرف المغرب الإسلامي عملات عسكرية قادها السلاطين ضد قبائل وقرى كانت تمارس اللّصوصية منهم حملة السلطان يوسف بن يعقوب(685-706هـ/1286-1306م)في سنة 686هـ/1287م على "عرب بلاد درعة الذين كانوا **يقطعون الطريق** في سجلماسة وأدركهم في القبلة ما يلي الصحراء ...قتل منهم خلقا كثيرا وسبا أموالهم ونساءهم وأمر بقطع رؤوسهم وحملها إلى مراكش وسجلماسة وتعليقها في الأسوار"، الأنيس المطرب، ص373، الناصري، الاستقصا، 67/3.وقاد حفيده عامر بن عبد الله بن يوسف(706-708ه/1306-1308م)(أبو ثابت) حملة إلى بلاد تامسنا حيث نزل "بظاهر مدينة أنفا ثم دعا بأشياخ العرب فثقف منهم ستين شيخا بسجن أنفا وضرب أعناق عشرين رجلا من أشرارهم الذين كانوا يقطعون الطريق بتلك الجهات وصلبهم على أسوار أنفا سنة707هـ1307م "، وارتحل إلى "رباط فتح ...وقتل ثلاثين رجلا من أشرار العرب وفتاكهم وصلبهم على أسوار العدوتين، وارتحل برسم عرب رياح الذين هم بأبي الطويل والجزائر فحص أزغار فغزاهم وقتل منهم خلقا وسبا ذراريهم وأموالهم وارتحل إلى فاس"، المصدر نفسه، ص391-392.

بعد توليه للحكم شدد عبد المؤمن بن علي في رسائله إلى جموع عمال البلاد في متابعة المفسدين من أهل البغي والجنايات[1]، وأشرف بنفسه على إقامة حد على محاربين قطعوا الطريق على تجار بين المهدية وبجاية، بعد أن قدم تاجر شكوى للأمير، فجمعهم عند "قصره وجموع المصامدة محيطة بهم بالرماح، وأمر بقتلهم وأمر أن تُخرج كل طائفة منهم من فيها من المفسدين فصار الرجل يخرج ولده وأخاه وابن عمه إلى أن اجتمع منهم خمسمائة فأمر أهلهم أن يتولوا قتلهم ففعلوا ذلك[2]، إشراف الأمير الموحدي على تنفيذ الحكم رسالة واضحة لردع غيرهم من قطاع الطرق، وجعل ذويهم ينفذون عملية القتل تجعل منهم يستبعدون العودة لممارستها. ولم يشفع لبعض المقربين من دائرة السلطة تفاديهم لحد الحرابة فابن أخت الخليفة يعقوب المنصور(580هـ/1184م) الذي أرسل من أتاه بزوجة تاجر قدم على مراكش "بعث من أتاه بها"[3]، بعد أن شكا زوجها أمره للسلطان الذي حقق في الحادثة ولما تحقق البينة أمر غلمانه بقتله"...ما حملك على غصب هذه المرأة من هذا الرجل...ثم أمر غلمانه بقتله...وقال والله لا تركت حق الله فيه فإنه **محارب**"[4].أما اللص الذي لقيه أبو مدين شعيب ورفض موعظته، كان مصيره أن بعث إليه الوالي من ضرب عنقه وصلبه على الشجرة[5].

أما والي الزّاب فقد طبق حد الحرابة أيضا على المحاربين الذين اعتادوا قطع السبيل على الحُجاج بتخويفهم وانتهاب أموالهم حيث جمعهم في موضع واحد وأعد الرماة وأصحاب السّيف، لإقامة الحد وكسر شوكة تلك الجماعة[6].أما مجموعة اللّصُوص الخمسة الذين أمسك بهم الناس حين دخلوا إلى دار بمجشر يحملون السلاح وقتلوا صاحبها فقد اقتص من ثلاثة بحد القتل[7]، في شق آخر لم يقتصر تطبيق الحدود على قطاع الطرق البرية، بل شمل غزاة البحر أيضا، حيث كان مصير أحدا عشر نفر من الفرنج أسروا من ساحل هُنين وكانوا وردوا إليها بمركب لتخطف المسلمين والإغارة عليهم بالطرقات أن طلب السلطان بستة منهم فعلقوا مشنوقين من رقابهم على بعض أبواب تلمسان إلى أن ماتوا وأبقى خمسة ليفادوا عن أنفسهم بالمال[8].

---

[1]-مجموع رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمونية، جمعها: ليفي بروفنصال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، ص133، راجع: **ملحق رقم17:** بين رسالة السلطان الموحدي إلى العامة والخاصة من رعيته وشدد فيها على متابعة المفسدين.

[2]-النويري، نهاية الأرب، 176/24.

[3]-ابن صعد، النجم الثاقب، ص398.

[4]-نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبو اليعزى، تح: علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996، ص130، 131، التادلي، التشوف، ص321، ابن قنفذ، انس الفقير، ص16.

[6]-البلوي، تاج المفرق، 205/2.

[7]-الونشريسي، المعيار، 402/2.

[8]-المالطي، الروض الباسم، ص43.

وتشديدا لمحاربة اللّصوص أقام السلاطين السجون، وتعقبوا أصحاب الجرائم حيث اعتبر اللّصوص والسّراق سجناء الحق العام[1]، وقضت الأحكام بأنه في حال اشتهار أحدهم بالسّرقة يسجن **"أبدا حتى يموت في السجن"**[2]، وقد ورد اسم **حبس الجرائم** بشكل صريح في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حيث كان يطلق عليه تارة **حبس اللّصُوص** وتارة أخرى حبس الجرائم[3]، للتدليل على أنه حبس خاص بالمجرمين .رغم أن النصوص لم تصرح في الفترات اللاحقة بدلائل على وجود هذا النوع من السجون، فإن ذلك لم يكن أمرا مستبعدا، فمن غير المعقول أن يزج أصحاب الجرائم مع المحبوسين الذين حبسوا لأسباب بسيطة كالديون، وجرائم الاحتيال وغيرها مع غيرهم من المجرمين[4].كما توجب السرقة على من لم يوجد دليل على فعله السجن[5]، وقد انتشرت السجون في المغرب الأوسط على الفترات السياسية المتعاقبة.

خلاصة القول أنّ السلاطين اهتموا بإقامة الحدود الشرعية، تخويفا لمرتكبيها، ويغلب عليها طابع القتل والصّلب، ترجع أسبابها إلى الأثر الكبير الذي خلفته في أمن الدولة، بيانا لمدى قوتها وتحكمها في الفاسدين من أهل قطع الطريق والحرابة.

***توفير جهاز الشرطة:** شكلت المسألة الأمنية بؤرة اهتمام السلطة السياسية عبر تاريخ المغرب، فالدول المركزية القائمة في مجال المغرب الإسلامي أدرجت فيها **خطة الشرطة**[6]، وغيرها من الخطط الأمنية في الآليات المؤسسة التي أقامتها لتفعيل أسلوب التمركز المنسجم مع النظم المحلية والإقليمية حتى تواكب التوسع العسكري الذي حققته تلك الدول[7]، في المغرب الأوسط لم تخرج وظائف صاحب الشرطة[1]،

---

[1]–مصطفى النشاط، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، المجلس الأعلى لحقوق الإنسان، 2012، ص19.

[2]–الونشريسي، المصدر السابق، 271/2.

[3]–حسام محمد بلبول الجناحي، نشأة السجون وتطورها في بلاد المغرب العربي حتى نهاية عصر المرابطين541هـ، رسالة ماجستير، جامعة المستنصرية، العراق، 2005، ص112،113.

[4]–المصدر نفسه، ص113.

[5]–وردة العابد، السجن والسجناء في الأندلس الاسلامية(138-479هـ/756-1086م)، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2018/2017، ص169.

[6]–المصادر التي أشارت خطة الشرطة في المغرب الإسلامي لم تفصل فيها كونها خطة عرفت تطور كبير منذ الفتح الإسلامي وحتى عصر الدولة الموحدية، حيث كانت متضمنة في وظيفة القضاة وصاحب المظالم وحتى المحتسبين، وتعد من الوظائف التي اتسمت بالغموض في نشأتها وتطورها في المغرب الإسلامي حيث عرف صاحبها بعدة أسماء، صاحب المدينة، حاكم البلد، صاحب الشرطة، وأنها تطورت من مهام العسس، وحرس المدينة حتى أصبحت وظيفة مستقلة تقع بين مهام القاضي والمحتسب، ويدخل تحت إشرافه أعوان مساعدين يعرفون بأعوان الشرطة ومنهم العرفاء والدرابين، والطوافين بالليل، الحرس والعسس، لراجع في ذلك ابن عذارى المراكشي، البيان، قسم الموحدين، ص، التادلي، التشوف، ص370، 398، 455.في الأندلس يعرف صاحب خطة الشرطة عند عامة الناس **بصاحب المدينة وصاحب الليل**، المقري، نفح الطيب، مج218/2.

[7]–محمد القبلي وآخرون، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ص170.

وألقابه عما كان بالمغرب الإسلامي عموما[2]، حسب **ابن خلدون** "الأصل في وضعها-الشرطة-لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدائها أولا ثم الحدود بعد استيفائها"[3]، يتضح أن مهمتهم الأساسية تنفيذ الأحكام الشرعية التي ينطق بها القاضي[4].

ينضوي تكوين خطة الشرطة تحت هدف مهم وهو تكوين جهاز تنفيذي وقوة أمن رادعة ضد أهل الجرائم ولحفظ النظام العام داخل المدينة[5]، وثم اكتسبت فيما بعد سلطات قضائية يبدو أنها لا تختلف كثيرا عن سلطات صغار أصحاب المظالم[6].

وعن أهمية منصب صاحب الشرطة وشمول وظيفته للمهام الأمنية في المغرب الأوسط ما جاء في وصية صاحب **واسطة السلوك** لابنه في قوله: "يدخل **صاحب شرطتك** وحاكم بلد حضرتك، ليخبرك بما تزيد في ليلتك، حتى لا يخفى عليك شيء من أحوال رعيتك وبلدك، مع **ضبط مملكتك**، فتسأله عن القليل والكثير، والجليل والحقير لئلا يتوصل أهل العناية للرعية بمضرة ولا إذاية، ولا يقع من الحاكم جور في البلد، ولا ظلم لأحد، وأنه إذا علم الحاكم وغيره من أهل العنايات وأهل الدعاوى والجنايات، بأن الملك لا يغيب عنه شيء من أحوال بلده فيمتنع كل منهم من استطالة، فيقف الناس عند حدودهم، ويَأمنون من الجور في صدورهم وورودهم، وفي هذا إبقاء لنظام الملك، وأمان الرعية من الهَلك، يا بني وينبغي أن تتخير صاحب الشرطة، لأنها عند الملوك أكبر خطة، فتقدم لها من يكون صاحب ديانة وعفة، وصيانة همة، ومكانة وسياسة ورئاسة، ورأي وفراسة"[7].

سهر صاحب الشرطة على استتباب الأمن داخل المدينة ومراقبة المشبوهين ومطاردة المفسدين وتتبعهم في أوكارهم، ويحرسون المدينة ليلا من خلال نشاط أعوانه من فرق العسس[8] يطوفون على أسوارها وهم يحملون القناديل للاستعانة بها لرؤية ما يجري داخل المدينة ليلا ولرصد أي خطر، بالإضافة

---

[1]-قسم أحد الباحثين، نظام الحماية التابع للشرطة في المغرب الإسلامي إلى أقسام منها حرس المدينة وهو الإطار البشري المكلف بضمان أمن المدينة وسكانها في أنفسهم وممتلكاتهم، وهم عبارة عن مجموعة فرق كانت منتظمة في هيكلة جهاز الأمن وعملها موزع حسب الزمان والمكان بشكل يضمن تغطية أمنية شاملة للمدينة ليلا ونهارا(الحرس، حرس الليل، حرس السوق، الدرّابون، حرس السور، السُمار..، انظر: محمد رابطة الدين، مراكش زمن الموحدين جوانب من تاريخ المجال والإنسان، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، 2016، 167/1 وما بعدها.

[2]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص173.

[3]-المقدمة، تح: محمد رجب، ص205.

[4]-عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة في المغرب الإسلامي(2-6هـ/8-12م)، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2015/2014، ص218، سعيد بنحمادة، المرجع السابق، ص157.

[5]-عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 233/1.

[6]-هوبكتر، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1980، ص242.

[7]-أبو حمو موسى، واسطة السلوك، ص83.

[8]-عبد الحفيظ حيمي، نظام الشرطة، ص91، هوبكتر، النظم الإسلامية، ص242.

إلى القيام بدوريات عبر الدروب والأزقة لكشف المجرمين وملاحقة اللّصُوص[1]، وتجاوزت مهام الشرطة إلى بعض مهام المحتسب، حيث سهر على مراقبة الأمن وحراسة الحوانيت وقطع دابر اللصوص بها[2].

تفاديا للانزلاقات الأمنية داخل أسوار المدن عملت الدولة على حمايتها بتكليف صاحب الشرطة بالإشراف على حركة المقيمين بالحواضر والوافدين عليها مما كان يجعل الأبواب تفتح في بداية النهار وتغلق ليلا، ويستعين حرس اللّيل بكلاب مدربة لأداء مهمتهم[3]، وكان مصير المشتبه فيهم من المتجولين بالأسواق ليلا الجلد حتى أنهم لم يميزوا بين الوليّ والعامي[4]، وكان مصير بعضهم القتل نتيجة لضربه من حارس ليل ظن أنه واجه لصّا[5].تصرف يشير في جانبه لمدى حذر حراس الليل في أداء مهمتهم وتشددهم اتجاه اللّصُوص والسّراق.

و لم تنحصر وظيفتهم داخل المدينة بل كانوا يشرفون على حماية الطّرق بمراقبتها من قطّاع الطّرق، يقوم بها فرقة منهم تعرف بالأمناء وظفهم الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي في حركته إلى بجاية من سلا حتى تلمسان[6].

***تدابير أمنية خاصة بالطّرق والمسالك:** عمل مختلف سلاطين المغرب الأوسط على ضمان الأمن كونه من محفزات نشاط المعاملات التجارية ورواجها، واهتموا بتطبيق الأمن داخل المدن التجارية التي اعتبرت مراكز عبور أو راحة منها سجلماسة التي كان من الضروري تكليف عمال أكفاء عليها مهمتهم الأساسية تأمين التجار[7]، وفي عصر قوة الدولة جهزت حملات عسكرية للقضاء على الأعراب الذين يقطعون طريق سجلماسة منها حملة يغمراسن بن زيان(633-681هـ/1235-1282م) سنة 673هـ/1274م[8]، وقد شهدت فترته ازدهارا للتجارة نتيجة لاستتباب الأمن داخل الدولة، حتى أنّ حملة السلطان المريني أبي العنان 758هـ/1356م إلى افريقية وقسنطينة كان هدفها القضاء على الأعراب أهل الحربة، وإزالة الخفارات التي يفرضونها تعسفا على المسافرين والتجار وقدد خصص لها النميري فصل كامل**"ذكر الازالة لخفارات الأعراب ورفع ضرائبهم التي قوبلت بالإعراض عنها والاضراب"**[9]، وقد تحقق

---

[1]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 23/2.

[2]-إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2002، ص104.

[3]-ابن الزيات، التشوف، ص398.

[4]-المصدر نفسه، ص370.

[5]-الونشريسي، المعيار، 301/2.

[6]-البيذق، أخبار المهدي، ص73.

[7]-أحمد قدور، تأثير المدن الكبيرة على الشبكة الحضرية في العهد الموحدي (نموذج المغرب الأقصى)، نشر ضمن كتاب المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب العلوم الإنسانية ابن مسيك، الدار البيضاء، 1988، ص113.

[8]-ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص312.

[9]-النميري، فيض العباب، ص279، 280.

هدف الحملة في قوله" فها نحن بحمد الله قد أخذنا في تمهيدها بالحزم...ورفعنا عنها بحول الله خفارات العرب ومظالمها"[1].

اهتم السلاطين عصر القوة ببناء أبراج للمراقبة في النقاط الإستراتيجية من الطرق الشمالية[2]، بالإضافة إلى المحارس والمراصد[3]، لمراقبة الطّرق ومعاقبة المنتحلين لقطع الطّرق وسرقة سابلتها، الأسلوب الذي اعتبره السلطان المريني أبو الحسن المريني ضرورة إستراتيجية على طول المسالك التي تشملها دولته حيث اقتطع الأراضي في مواضع العبور وجعل عليها الجرايات، ووظف من يخدمون المارين ويحفظون أموالهم "**كان هذا العمل عند إمامنا المرحوم من أهم الأعمال وأكد ما تنصرف همتهم الشريفة إليه، فرأى أن يعمر طرق المسافرين من حضرته، بفاس إلى مراكش والى تلمسان وإلى سبته وغيرها من البلاد بالرتب(وهي الخيام)، يأمر بسكناها على مقدار اثني عشر ميلا يسكنها أهل الوطن ويجري لهم على ذلك الإقطاع من الأرض يعمرونها على قدر الكفاية ثوابا على سكنى المواقع المذكورة، يلزمون فيها ببيع الشعير والطعام، وما يحتاج إليه المسافرون من الأدم على اختلافها، والمرافق التي يضطرون إليها، هم وبهائمهم ويحرسونهم ويحوطون أمتعتهم، فإن ضاع بينهم شيء تضمنوه فلا يزال المسافر كأنه في بيته وبين أهله في ذهابه وإقباله، وقد جرى هذا النمط واستمر والحمد لله في بلاد المغرب**"[4]، نتيجة للفوائد الهامة التي حققتها هذه السياسة تحولت إلى نمط استمر التعامل به مع تعاقب السلاطين الأقوياء على الدولة، ومن جهة أخرى فإن ملوك بلاد السودان كان لهم دور في نشر الأمن داخل مجالات التي تعبرها قوافل التجارة الصحراوية، مثل مملكة مالي التي عملت على توفير الأمن طيلة القرن8هـ/14م، وقد سجل ابن بطوطة شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف مسافر فيها لأمن صحرائها من السّراق فلا يحتاج المتنقل فيها إلى رفقاء[5]، بناءا عليه يتضح جليا ارتباط أمن الطرق التجارية بالواقع السياسي إذ ما اختل التوازن في ذلك الواقع اختلت معه حيوية الطرق التجارية.

ب-في مرحلة الضعف:

في مرحلة احتضار الدولة وتراجع سيطرتها على المجالات البعيدة، أين ينشط قطّاع الطّرق، يصبح المجال في خدمة التدابير العرفية أو ما يصطلح عليه **بعرف الطّرق**، مجموع الأساليب التي يعتمدها الأفراد أو القافلة باعتبارها منظومة اقتصادية متحركة، خدمة لمصالحهم في الحركة وتحقيقا لأمن أنفسهم وتجارتهم، وتأخذ أشكال أمنية عفوية متعارف عليها في تنظيم القافلة، يكتسي تنظيم القافلة بعض الترتيبات الأمنية

---

[1]- النميري، فيض العباب، ص319.

[2]-مخبوت بوداية، المرجع السابق، 316.

[3]-أهمية المراصد والمحارس لا نجده في القرن5هـ/11م فقط بل كانت تعمد الدول قبل هذا القرن على إنشائها وتوظيف الحراس بها وقد ذكرتها كتب الرحلة والجغرافيا، راجع ابن حوقل، صورة الأرض، ص85 ،86. وأيضا ابن عذارى، البيان المغرب، 186/1.

[4]-ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص429.

[5]-ابن بطوطة، الرحلة، ص576.

التي تعد أساسا للحفاظ على التجار وسلعهم، وتسمح لهم بتجاوز الأخطار التي تواجهها خاصة نشاط قطاع الطرق، فقوافل تلمسان كانت تجتمع بتزيل الواقعة جنوب تلمسان متخذة الوجهة إلى سجلماسة وورجلان ومنها إلى السودان الغربي[1]، كانت تحدد لها وقتا للخروج وغالبا ما يكون فصل الشتاء تجنبا لحرارة الصيف، ويحرصون على الخروج في قوافل كبيرة خوفا من قطاع الطرق[2]، وتسهيلا للدفاع في حالة التعرض للخطر.

***التنظيم الداخلي للقافلة وفرض الأمن :** يختار للقافلة شيخ-رئيس-يسير أمورها ويهتم بتحقيق الأمن لها فالقافلة الواحدة كانت بمثابة مدينة متحركة[3]، يشترط فيه القدرة على التفاوض مع أصحاب المراكز التي تعبرها القافلة لتخفيض رسوم المرور بها وعادة ما تدفع هذه الضرائب من السلع التي تحملها القوافل من القمح، الأقمشة، والتمور...

فيما توكل كمهمة إرشاد القافلة في طريقها إلى **الخبير**، وظيفة اتخذ أصحابها عدة أسماء منها **الدليل** أو **الكشاف**، وهو الذي يهتم بتوجيه القافلة في الطريق وتستوجب فيه شروط منها الدراية بالطرق وفروعها، فهو من يتقدم القافلة للبلد المقصود ويقوم بكِراء الديار لإقامة تجار القافلة[4]، ويجنب القافلة الأماكن غير الآمنة لذلك من البديهي أن يتوفر في الكشاف القدرة على المعرفة الدقيقة بالطرق وما تتميز بها من الظروف الطبيعية أضف لها الشجاعة والحدس الكافيين لتفادي الكمائن التي يضعها قطّاع الطّرق للقافلة[5].

ولا يتوقف أمر الحماية على **الكشاف** فقط بل يرافق القافلة فرقة من **الحرس** أو ما يصطلح عليه **الحامية**؛ يهتم بتحقيق الأمن خاصة في المفاوز التي كثر فيها اللّصُوص والسّراق، فيحرسون القافلة ويراقبون الطريق من الخطر المحدق، ويستأجر بعضهم الأسلحة والمسلحين لتأمين الطرق وحماية السلع المحمولة[6]، واستخدم في سبيل ذلك العبيد المجلوب من بلاد السودان في حماية هذه القوافل التجارية[7]، وضمانا لوصول تجارهم للمكان المقصود دون خسائر مادية ولا بشرية.

---

[1]-علوي مصطفى، الأحوال الاقتصادية، ص89.

[2]-محمد زنيبر، تجارة القوافل في المغرب، منشور ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص181، 182.

[3]-عبد الرحمن بلاغ، الحرف والمهن المرافقة لمسالك القوافل في المغرب الأوسط مراكز المسالك الصحراوية أنموذجا، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع4، 2013، ص512، الحسين عماري، المرجع السابق، ص75.

[4]-محمد بن ساعو، التجار والتجارة، ص84.

[5]-الحسين عماري، المغرب والتجارة، ص76.

[6]-لخميسي بولعراس، تجارة السلاح في المغرب الإسلامي قراءة في الممنوع، مجلة دراسات وأبحاث، ع31، ص217، لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص99.

[7]-فاطمة بلهواري، العلاقات التجارية، ص35.

لم يتوقف عرف الطّرق على الكشاف، والحامية العسكرية بل استخدمت أنواع أخرى[1] تـــدخل في نظام حماية الطرق من اللصوص، وتمثلت في الخفر، اللص الحامي، الحرس المسلح:

***خفر الطرق: في اللغة:** عند ابن منظور **خَفَرَ**: الخَفْرُ شدة الحياء...وخَفَرَ الرجل وخَفَرَ به وعليه يَخْفِرُ خَفْرًا أجاره ومنعه وأمنه وكان خَفيرًا يمنعه، وكذلك تَخَفَرَ به وخَفَرَهُ: استجار به وسأله أن يكون خَفـــيرًا، وخَفّره تَخْفيرًا. والخَفيرُ: المجير، والخَفارَةُ الأمان، الخَفارَةُ: الذّمة وانتهاكها إخْفارٌ، وخَفَرْتُ الرجل أجرتـــه وحفظته وخَفَرْتُهُ إذا كنت له خَفيرًا أي حاميا وكفيلا وتَخَفَرْتُ به إذا استجرت بـــه[2]، وأعطـــي الخَفـــير خَفارَتَهُ وخِفارَتَه وهو مِنْ ما يجعل له، كالعمالة والبشارة، فهو الجُعالة التي يأخذها الخفيرُ علـــى عملـــه[3]، وخَفرتُ على بني فلان فأدوا خَفارَتي إذا حميت رجلا فلم ينقضوا حمايتك و لم يتعرضوا له[4]، وفي **مقـــاييس اللغة** تَخَفَرتُ بفلان إذا استجرت به ويقال أخْفَرْتُه إذا بعثت معه خَفيرًا، وأما خلاف ذلك فأخْفرتُ الرجل وذلك إذا نقضت عهده[5]، وأخْفَرْتَه إذا نقضت عهده وغدرت به، وهي اسم الخُفْرَةُ وهي الذمة وكـــذلك الخُفَارةُ[6].وهذا المعنى اللغوي يحيل أيضا الى مدلول آخر مرادف وهو البَذْرَقَةُ؛ في **اللغة** بـــذرق: المُحكـــم، البَذْرقة فارسيّ مُعرب، البَذْرقة: الخِفارة ومنه يقال: بعث السلطان بذْرقة مع القافلة، إنّ البَذرقة يقال لهـــا عِصْمَةُ أي يعتصم بها[7].

المعنى اللغوي للكلمة يشير إلى **الأمان والاستجارة**، وحفظ الذّمة، فالبذرقة؛ لغويا هـــي حفـــظ الذمة، وقد يكون حفظها على قيمة معينة تعرف بالعمالة والبشارة. ومعناها بغير بعيد عن معـــنى الخفـــر، الذي يدل على العصمة أي حفظ الذّمة.

أما في **الاصطلاح** فالخفر[8]، مدلول اجتماعي تاريخي قائم على الضمان والحماية، يقصد به الحمايـــة التي ترافق المسافرين في طرقهم المخيفة لتضمن وصولهم بأمان ويكون على قيمة معينة، والخفر إما ماديـــا أو معنويا وقد يجتمع الاثنان فيها. مفهوم الخفارة يحيل إلى مدلول اجتماعي تـــاريخي قـــائم علـــى الضـــمان والحماية، الحماية من اللّصوص وقطّاع الطّرق.

---

[1]-الدراسات التي اهتمت بدراسة نهاية فترة العصر الوسيط وبداية الفترة الحديثة اهتمت بتناول عنصر الحماية في البلاد المغاربية وأشارت الكثير منها إلى تطور حماية التنقل في المجالات التي تعرف ببلاد السيبة، وذكرت أنواع للتعاقد، والضمان، للحركة بالمجال بعضها يعود للفترة الوسيطة، وبعضها تحول من ناحية الاصطلاح لا الممارسة منها

[2]-لسان العرب، 1009/14، الفراهدي، العين، 425/1.

[3]-الفيروزابادي، المحيط، 204/3.

[4]-الزّمخشري، أساس البلاغة، 258/2.

[5]-ابن فارس، 203/2.

[6]-الصحاح، 649/2.

[7]-الفيروز بادي، المصدر السابق، 204/3، ابن منظور، المصدر السابق، 238/4.

[8]-في المصادر المنقبية وجدناها ترد دائما بغفير وهي من الكلمة الأمازيغية أغفير، عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطّريق، ص280.

في تعريف آخر للخفارة أنها ضريبة على التجارة فتسمى أيضا **"مال الحراسة"**، عموما هي إحدى نتائج الحكم الضعيف وبالتالي فأنها تكثر في المناطق التي لا تمتد إليها لسبب ما سلطة الدولة[1]، فغياب السلطة المركزية في توفير الأمن للمسافرين خاصة التجار في حركتهم التجارية يجعل من القبائل أو الجماعات اللّصصية وقطاع الطرق التي تتحكم في المجال تفرض إتاوات مالية حتى تُؤمن عبورهم لتلك المجالات وقد أشار **ابن حوقل** في القرن 4هـ/10م إلى وجود هذه الضريبة حيث يقول أن القبائل بين أودغشت وسجلماسة كانت تجبي اللوازم على المجتازين بتلك الطريق، وكذلك كان عمل قبائل مزاته وزناته بين سجلماسة وفاس[2].ويربط أحد الباحثين وجود ضريبة الخفر بعدم استقرار الدولة"**...ويفهم ضمنا من وجود مثل هذه الضريبة انعدام إحدى الصفات الأساسية لدولة جديرة بهذا الاسم ألا وهو تأمين المسافرين"**[3].

الامتدادات التاريخية للخفر تعود لتطور مفاهيم الضمان والحماية التي تبنها الشرع باسم الضرورة وأخضعها لمبدأ الضمان، الضمان ينتمي إلى حقل معجمي شاسع حقل يقوم على ثنائية الحماية والولاء منها: عهد وأمان، ذمة، حماية، وحرمة، إجارة وعناية وجاه وكفالة وخفارة وولاء[4]، دلالات وثيقة الصلة بمفهوم العصبية، رابطة التضامن القبلي التي تعد أساس قيام الدول، فالتضامن والرئاسة جدلية تتأسس على توسع القبيلة في إطار التضامن لتشكل عصبية ومنها تصل للملك[5]، هذا التوسع قد يقوم على رابطة الولاء أو القرابة، الحقيقية أو المصطنعة، مثل صورة عقد الأخوة بالرضاعة في عرفي تاضا[6] وتافركانت[1]، وصلت

---

[1]–هوبكنز، النظم الإسلامية، ص96.

[2]–ابن حوقل، صورة الأرض، ص98–99.

[3]–هوبكنز، المرجع السابق، 96.

[4]–عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق، ص285.

[5]–ابن خلدون، المقدمة، تح: محمد رجب،115،116، محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم النظرية الخلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، بيروت،1994، ص180،182.

[6]–من وسائل التعاقد الجماعي الذي يتحدد بها التعاقد القبلي **"الطاضا"** أو **"التاضا"** وفقا للنطق الصوتي للحروف الأبجدية في اللسان البربري، عقد قرابة وهمية يحاكي القرابة الطبيعية عن طريق تبادل شرب الحليب أو ذبح ذبيحة أو بتبادل أكل البسيسة أو الزميطة وفي بعض المرات تكتب وثيقة إشهاد على العقد، هاشم العلوي القاسمي، **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري منتصف القرن العاشر ميلادي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1995، 1/279، 280.وفي **المعلمة: "تاطا"** أو "تاضا" ويقال أيضا **"طاطا"**، كلمة بربرية مشتقة من فعل **"تاضط"** بمعنى رضع، والمعنى الحرفي للكلمة هو الرضاعة، تطلق القبائل البربرية **"تاطا"** على عقد التحالف الذي يجمع الأفراد أو الفرق القبلية أو القبائل، من أجل التعاضد والأخوة المتبادلة، ينم عقد هذا التحالف بمحضر الجماعة الممثلة لكل قبيلة، تعقد تاطا عبر القيام بطقوس معينة تحدد هوية الأطراف المتعاقدة غالبا ما يتم العقد بتبادل الحليب ومن هذا التبادل تستمد العلاقة اسمها، ويعتبر تبادل الحليب هذا طقسا يؤسس علاقة الأخوة كتلك التي تجمع الإخوة الحقيقيين، وتنقسم إلى نوعين، تاطا عادية وهي نوع من الحماية الجماعية المزراك الجماعي أما الثانية، فهي صعبة وتسمى تاطا الوعرة أو تاطا الكبيرة وهي مقدسة وشبه دينية تقننها قوانين صارمة لا يجوز خرقها، تتضمن التاضا جوانب متعددة جتماعية واقتصادية وسياسية ودينية، من انتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب، 1992، 6/2066،2067.وإن كانت التاضا تخضع لمنطق الحماية الذي يجمع عقود الزطاطة والمزراك وأمور فهي تتميز عنهم كون الأولى تخضع للظرفية والقوة أي حماية يقدمها طرف قوي لآخر ضعيف يطلبها في حين التاضا تبقى عقد حماية دائم مقدس لا يجوز خرقه، راجع أيضا:

إلى أقصى مظاهر التطور في تحولها إلى مؤسسة قائمة في حد ذاتها هي مؤسسة الزطاطة[2] **(ضريبة المرور)** التي تتجسد أمثلتها واقعيا بصورة واضحة مع بداية الفترة الحديثة.

البحث في عملية الخفر التي مارستها السلطة المتحكمة في المسالك التجارية والتي في الغالب تكـــون جماعات قبلية عربية أو بربرية، استفادت من عجز السلطة في فرض الأمن ضد اللّصوص وقطاع الطـــرق، لتمارس نشاطها بطريقة تضمن لها موارد اقتصادية قائمة على فرض الخفر، ودفع ضريبة الذمة[3]، ولا يتوقف على الغرامات المالية، بل قد تقدم جماعة مسلحة أو دليل يرافق التجار على ثمن معين أو جزء من التجـــارة التي ينقلونها، فيتحول هؤلاء الخُفَار **كشريك اقتصادي** في تجارة القوافل، شريك يفرض وجوده بطريقة تجعل الانسحاب من التعاقد معه قد يلغي سير الحركة التجارة بأكملها.

-H.Bruno et G.H.Bousquet, contribution al 'étude des pactes de protection et d'allance chez les berbères du Maroc central»,Hespéris, tome XXXIII,1er-2e trimestres, librairie la rose, paris,1946,p365,368.

–رحمة بورقية، الدّولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت،1991، ص96،97.

[1]–عقد تافركانت: تبرم بين كبار المداشر والقبائل وتعد تعبيرا عن تقاليد جماعية للتضامن والتآزر والتآخي في تكتسي القداسة والإجلال أكثر من معاهدة تاضا، وعن كيفية عقدها يتم على مرأى ومسمع من مجتمعهم الخاص، حيث يتم استدعاء عدد من النساء المرضعات –مبدئيا مائة امرأة–من كل خمس من الأخماس التي يراد التآخي بينها وعندما يتقابلن يتبادلن أطفالهن لترضع كل واحدة منهن رضيع المرأة الأخرى ثم يستردون أطفالهن وهكذا تتم القرابة بالرضاعة وتصبح سارية المفعول حتى بالنسبة للأجيال اللاحقة، **المعلمة**، المرجع نفسه، 2079/6.

[2]–الزطاطة: كلمة أمازيغية، تعني قطعة من **الثوب** وقد تكون **حايك** الرئيس التي كان يتبادلها رمزيا الزبون الذي غالبا ما كان هو شيخ القافلة أو أمينها والزطاط الذي يضمن سلامة المرور، ولم يكن بالإمكان الاستغناء عن خدماته لا سيما في المناطق الخارجة عن نطاق المراقبة المباشرة لسلطة المخزن، دانييل شروتر، **تجار الصويرة المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب(1844–1886)**، تر: خالد بن الصغير، النجاح الجديدة، ط1، الرباط، 1997، ص176–177.وفي **معنى آخر الزطاطة** معناها ما يؤديه المسافر لمن يخفره ويحميه في الطرق غير آمنة التي يرتادها اللّصوص والقطاع، وفي الفترة المعاصرة تطورت الكلمة وأصبحت تدل على الرشوة التي تدفع للقاضي من أجل استصدار حكمه في الاتجاه المطلوب قد استعملت في بعض الحالات للدلالة على المال الذي كان يدفع تحت الجلابة للرجل الذي يُستأجر لقتل شخص، عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق، ص19. يوجد أربعة عشر وحدة لغوية استعملت للدلالة على الزطاطة، راجع عبد الأحد السبتي، المرجع نفسه، ص279.المصطلح له امتدادات تاريخية من الفترة الإسلامية واستمر تطوره إلى الفترة الحديثة وما بعدها حيث تنوع مصدر التسمية بين عملية ممارسة الحماية، والقيمة التي تأخذ في سبيل الحماية، أثر فيها الموروث الشفوي العربي والأمازيغي في نقلها من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى آخر، في **المغرب الأوسط** استخدمت كلمة **أُمُورُ** وهي الكلمة الأمازيغية للدلالة على الحماية التي تمنح للضيف أو اللاجئ لمن وضع نفسه في عهد شخص معين أو لمن يوجد في مكان يتمتع بمنزلة الحرم، إنه إذن مرادف **للعْنَاية** المعروفة عند القبايل بالجزائر، وتطلق كلمة أمور على الجزء الواقع بين الكتف والأذن ومن المحتمل أن طلب الحماية كان يتم في الأصل وفق الصيغة التالية **"س أمور ن ك"**بعنقك أحميني فيجيب الحامي "بعنقي لن يقع لك مكروه" وقد يقول: "إذا حصل لك مكروه فإني سوف أُعطي عنقي كثمن لك"، أنظر: عبد الأحد السبتي، المرجع نفسه، ص202. هذه المفاهيم المتطورة عن رابطات معنوية أو معنى الخفير المعنوي فإنها لم تستقم على ذلك وتحولت إلى ممارسة من أجل الحصول على لوازم مالية وغيرها، يعبر عنها بمؤسسة الخفر أو الزطاطة، مؤسسة عرفية تساوي سلطة الدولة في مرات عديدة وتفوقها لأنها تقوم على خبرة القطاع واللّصوص بالمجال.

[3]-Georges Marçais, Arabes en Berbérie, op.cit, p277.

تقديم الدلائل التاريخية حول مسألة الخفر، وطرق ممارستها، ولمحاولة الوقوف على أشكال الخفر التي مورست في حماية الطرق، اعتمدنا المنهج الإحصائي في جمع مختلف الإشارات التي نقلت مظاهر الخفر كما يوضحه الجدول التالي:

المصدر	النص	أنواع الخفر			ص
		الأموال والهدايا	المسلحين	الأولياء	
* ابن الدباغ، الأنوار الجلية، (ت699هـ/1300م)	* والدهماني كان خفيرا لأتباعه يحميهم في حلهم وترحالهم من ظلم السلطان وحرابة البدو.			x	20
	* قصدت إلى زيارة الشيخ ومعي شيء من القمح فأخبر وأنا في الطريق أن العرب تستقطع على الناس (على الماشين).	x			88
	* أليس من عوائدكم أخذ الخفر؟ إنما في هذه الدار خفير (يقصد الولي).			x	88
	* يا محمد ما جاءنا زائر ويعرفنا يسلب (الولي خفيره).			x	89
	* فإنا عاهدنا الشيخ أبا مدين أن لا يُنكب لنا زائر أقبل إلينا أو انصرف من عندنا.			x	111
	* الشيخ يعقوب عربي يخفر في البر والبحر.			x	112
	* لا تخف فإن الشيخ أبو يوسف خفيرك.			x	114
	* إن خفيرها ماضي فما تضيع (يقصد الدهماني).			x	120
الثغري، مناقب التلمسانيين، القرن8هـ/14م	* من ذلك وروده من بلد فاس مع أهله وولده والطريق شديد الخوف فتعلق به خلق كثير للجواز في حرمته فلما توسطوا موضع الخوف ظهرت لهم صربة (سرية) فأرجفوا منها وأيقنوا بالشر فلما قربوا منهم نزلوا بأجمعهم وقبلوا يد أبي عبد الله، وأخبروه أن شيخ العرب أونزمار بن عريف سمع بخروجه من فاس فوجههم إليه ليجوز لهم موضع الخوف.			x	245-246
	* كان مرابطو تلك البلاد يتعاطونه من يد إلى يد حتى بلغ سالما (لما حظر الفسدة على بجاية، فسلمه الله حتى وصل بلده...).		x		248-249
ابن الزيات، التشوف، (ت627هـ/1230م)	* وحدثوا عن عبد الحليم ابن هارون بن سعيد المسكوري (ت 593هـ) أنه يجيز الرفاق من المخاوف، فإذا سمع اللّصوص بأنه تقدم رفقه فروا ولم يتعرضوا لها، وكان يتمتم الرفاق من بلد إلى بلد على قدميا محتسبا لا يبتغي على ذلك أجرا.			x	339
الباديسي، المقصد الشريف، (حيا722هـ/1322م)	* علي بن ماخوخالتوزيني فقراء هذا الولي... يأتون بذلك إلى الشيخ ويقتحمون غمرات المغازات والطرق المخيفة فما سمع قط أن أحد منهم ناله مكروه.			x	117
ابن حوقل، صورة	* وهم لوازم على المجتازين من فاس إلى سجلماسة يلزمونهم	x			

الأرض، (ت367هـ/977م)	على ما معهم من التجارة ويخفروهم (صنهاجة).				99
	* وكان يجب عليهم لوازم فيما معهم من المتاع (زناتة).	x			100
العبدري، الرحلة المغربية، (ت بعد700هـ/1300م)	* إذا وقف علينا جماعة رجال متسلحين عارفين بالطرق عازمين على اعتساف المجهل فاستربت بهم.		x		45
	* إن لهم في محاولة الخروج نحو من ثلاثة أشهر حتى تسنى لهم بخفارة على أداء خفارة فدخلنا البلد.				563
الإدريسي، نزهة المشتاق، حيا 548هـ/1154م)	* حصن بادس وهو في أسفل طرف جبل الأوراس في مراحل وهو حسن عامر بأهله والعرب تملك أرضه... وتمنع أهله من الخروج عنه إلا بخفارة رجل منهم ومنه إلى مدينة المسيلة.		x		94
ابن خلدون، الرحلة، (ت 808هـ/1406م)	* ثم تحولت إلى تبسة ونزلت بها على محمد بن عبدون صاحبها، فأقمت عنده ليالي حتى هيأ لي الطرق وبذرق لي مع رفيق من العرب وسافرت إلى قفصة.		x		65
	وبعث معي ابن أخيه عيسى في جماعة من سويد يبذرق بي ويتقدم إلى أحياء حصين (المسيلة).		x		122
	من مليانة: وبذرق بي بعضهم إلى رحلة أولاد عريف أمراء سويد ثم لحق بنا بعد أيام علي بن حسون في عسكره، وارتحلنا جميعا إلى المغرب على طريق الصحراء.		x		180
	* ثم بذرقنا مع أعراب تلك الناحية إلى مدينة قوص قاعدة الصعيد.		x		209
حسن الوزان، وصف إفريقيا، (ت957هـ/1559م)	... لأن الأعراب المستأجرين للحفاظ على الأمن في البلاد يكونون قد رحلوا عنها ... ويبقى منهم الغير مستأجرين وحدهم ليتعيشوا من اللّصوصية.	x			11/2
	تتضرر المملكة من تعسفات الأعراب القاطنين بالجزء المجاور للصحراء وكان ملوك تلمسان دائما مضطرين إلى أن يهددوهم بأداء إتاوات جسيمة وتقديم الهدايا لهم، لكن لم يستطيعوا قط إرضاءهم جميعا، وقلما توجد في البلاد سبل آمنة.	x			08/2-09
	* يجتمع أهل قسنطينة مرة كل سنة في قافلة تذهب إلى نوميديا يحملون إليها أقمشة الصوف المنسوجة في بلادهم، وشيئا قذرا يسمى الحشيش ويصحبون بعض الأتراك من حاملي البنادق توقعا للأعراب الذين كثيرا ما يهاجمونهم، ويستأجرونهم بأغلى الأثمان.		x		59/2
	لا يستطيع أحد سواء من أبناء المنطقة أو غريبا عنها أن يمر بسلام ما لم يكن مصحوبا بأحد الأولياء.			x	46/2
مرمول كربخال، إفريقيا، (القرن10هـ/16م)	*... من اجل ذلك يلزم المسافر أن يؤدي مبلغا من المال لأول رئيس جماعة يصادفه فيسلم إليه راية صغيرة على رأس رمح حتى لا ينهب عبر منطقته كلها ويفعل نفس الشيء لدى الوصول إلى الآخر فيتم المرور دون خطر.	x			292/2
	وقد اعتاد ملوك تلمسان للحفاظ على أمن المسالك أن		x		

	يستأجروا بعض الأعراب بحيث يمكن المرور مدة الصيف كلـه بأمان، لكنهم يضطرون في فصل الشتاء إلى سوق قطعـانهم إلى نوميديا والتقاط التمر في الصحراء فيبقـى الآخـرون الـذين يعيشون...				293/2
	* عندما يصل المسافرون إلى مكان ما يكتب شيخ ذلك البلـد سجلا بأسماء المسافرين ويرسل معهم رجلا يتقدمهم حاملا معه مزراقا وراية عليها شعار معلوم حتى إذا بلغوا بلد آخر تجـدد خفرهم على تلك الصورة وكان يؤدي عن كـل رأس قـدر معلوم من كل حمل قدر معلوم وعن كل حمل قدر معلوم	x			353/1
البيذق، أخبار المهـدي، (القرن6هـ/12م)	* فأردنا الجواز فمنعونا حتى نعطي بالمكس وهو المكرى وقالوا تعطونا على رأس كذا وكذا.	x			26
حسن الوزان، وصـف إفريقيا.	* والتجار الذين يريدون الذهاب من العاصمة تونس إلى مدينة أخرى لقضاء بعض الحاجات يصحبون معهـم خفـيرا مـن أصحاب البنادق إلا أنهم يتعرضون لأحداث خطيرة أولهـا أداء مبلغ ضخم من المال للعرب المأجورين من قبل الملك ليسمحوا لهم بالمرور... فلا يغني عنهم شيئا خفير النجاة المصاحب لهـم ويفقدون أموالهم وأرواحهم.	x	x		48
النميري، فيض العباب، (ت774هـ/1374م)	ذكر إزالة لخفارات الأعراب ورفع ضـرائبهم الـتي قوبلـت بإعراض عنها والإضراب.	x			280
المجموع		11	10	11	32

الجدول رقم26: أشكال الخفر في الطرق والمسالك.

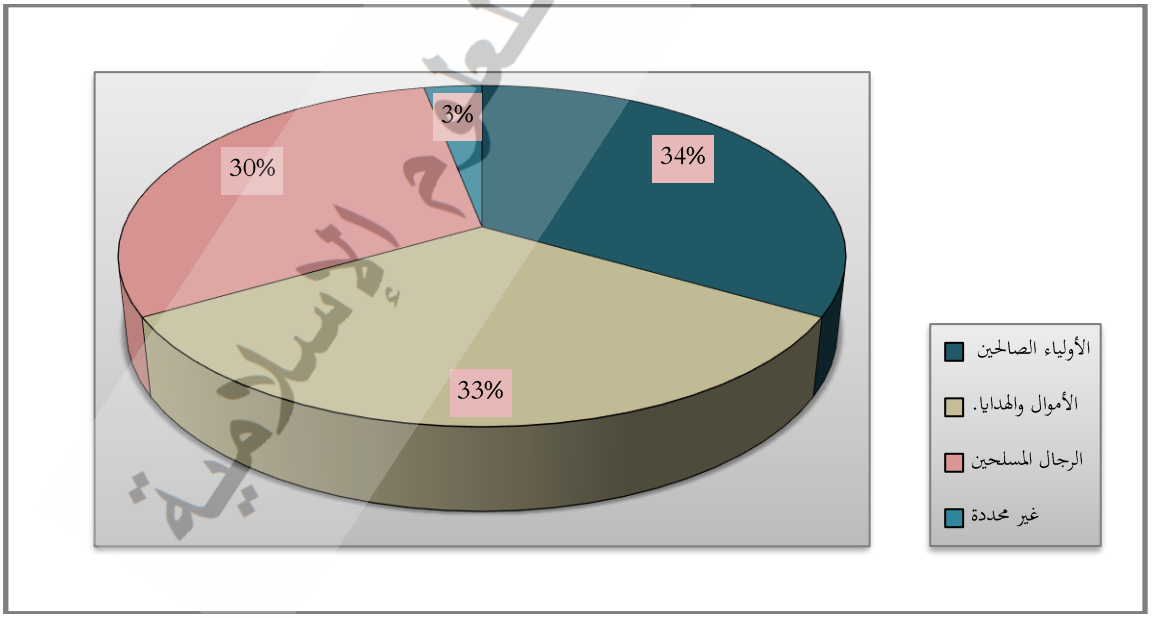

الشكل رقم18: أشكال الخفر في الطرق والمسالك.

***التعليق والتحليل:**

-الملاحظ أن عرف الخفر خضع لسلطة المقدس مثلها حضور الأولياء بمعدل 11 إشارة ما يقـارب 34%، نسبة معتبرة تصنف في خانة الخفر المعنوي أكدت الكثير من النصوص صعوبة المرور ببعض الطرق

التي يقطنها اللّصُوص دون مرافقة من الولي، فالأولياء يعتبرون مصدر حماية أتباعهم **"الدهماني كان غفير لأتباعه يحميهم في حلهم وترحالهم من ظلم السلطان وحرابة البدو"**[1]، وقد تداول هذا الأسلوب بين الصوفية حيث عاهد الغوث أبو مدين شعيب أتباعه بالحماية **"فإنا عاهدنا الشيخ أبو مدين أن لا يُنكب لنا زائر أقبل إلينا أو انصرف من عندنا"**[2]، ومنهم أن الولي عبد الحليم ابن هارون بن سعيد الهسكوري (ت593هـ/1196م) كان يجيز الرفاق من المخاوف، فإذا سمع اللصوص بأنه تقدم رفقة فروا و لم يتعرضوا لها، وكان يتقدم الرفاق من بلد إلى بلد على قدميه محتسبا لا يبتغي على ذلك أجرا[3]، عدم دفع قيمة مالية لمرافقة الولي قد يفسر سبب اعتماد الناس عليهم في تخفف مشقة الطريق، وعنف اللّصُوص وتراعي فيهم مستواهم المعيشي، منهم الولي أبو عبد الله في سفره من فاس والطريق شديد الخوف تعلق به خلق كثير للجواز في حرمته[4].

-من الطبيعي أن تتعادل الغرامات المالية مع الخفر بالاستخدام الأولياء، بمعدل 11 نصوصا أيضا أي ما يقارب33% فالأصل في الخفر اللوازم التي يدفعها الناس مقابل وصولهم آمنين من خطر قطّاع الطّرق، وكانت تستقطع مما يحمله الماشين من الأغراض[5]، أمام خطورة الطريق وانعدام الأمن كان ركب الحجاج يدفع الغفر وإما بكراء الكشافين لحمايتهم طول الطريق[6]، لكن في غالب كان يسبب لهم المشاكل والمتاعب للحجاج.

ويتجنب المارين بإقليم الهكار في الطريق بينه وتوات غارات اللّصُوص بتقديم غرامات مالية وهدايا مما يحملونه في أمتعتهم من تجارتهم نحو السودان الغربي تتمثل في أثواب وغيرها[7]، مرمول كربخال يقدم وصف لعملية الخفر للمارين على لصوص أنكاد، يلزم المسافر فيها أن "يؤدي مبلغا من المال لأول رئيس جماعة يصادفه فيسلم إليه راية صغيرة على رأس رمح حتى لا يُنتهب عبر منطقته كلها ويفعل نفس الشيء لدى الوصول إلى الآخر فيتم المرور دون خطر"[8]، وقد يكون الخفر برجل يرافق المسافرين بعد أن يسددوا ثمن المرور **"عندما يصل المسافرون إلى مكان ما يكتب شيخ ذلك البلد سجلا بأسماء المسافرين ويرسل معهم رجلا يتقدمهم حاملا معه مزراقا وراية عليها شعار معلوم حتى اذا بلغوا بلد آخر تجدد خفرهم على تلك**

---

[1]-ابن الدباغ، الأنوار الجلية، ص20.

[2]-المصدر نفسه، ص111.

[3]-ابن الزيات، التشوف، ص339، راجع أيضا: الباديسي، المقصد الشريف، ص117.

[4]-مناقب التلمسانيين، تح: قندوز عبد الماحي، سلسلة أعلام وتاريخ وحضارة تلمسان، الجزائر، ص245-246.

[5]-ابن الدباغ، المصدر السابق، ص88.

[6]-محمد بكور، طريق الحج الصحراوي، ص75.

[7]-ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص699.

[8]-إفريقيا، 292/2.

الصورة"[1]، لا تتوقف قيمة الحماية على الأشخاص بل تشمل المتنقلين ومتاعهم كل على حدا"...وكان يؤدي عن كل رأس قدر معلوم وعن كل حمل قدر معلوم يستوي في ذلك اليهود والمسلمون ومن لم يفعل ذلك تعرض للقتل أو النهب"[2].

الملاحظ أن ضعف سيطرة السلطة على المجال الصحراوي والجبلي باعتبارهم مناطق محصنة طبيعيا ويصعب على الجند الحركة إليه جعلها تبتذل إتاوات وهدايا مالية للقبائل التي تتحكم في هذا المجال مقابل حفظ الأمن، فسلاطين الدولة الزيانية رغم أداء الإتاوات جسيمة وتقديم الهدايا لكن لم يستطيعوا قط إرضاءهم جميعا وقلما توجد سبل آمنة[3].

-توظيف الحرس كنوع من أنواع الخفر كان حضوره بنسبة 33%، يرافق فيه أشخاص ممن يمرون بمجالهم ويضمنون وصولهم بأمان وعدم تعرضهم لقطاع الطرق، وتكون من داخل الجماعة العربية أو البربرية المتحكمة في مجال المسلك، المتنقل من بادس إلى المسيلة يستخدم خفارة من رجل من قبائلهم[4]، وقد كانت السلطة تكلف فرق خاصة لحماية الركب الخاص بالحاج منها الحامية التي بعثها السلطان المغربي سنة 704هـ/1304م "**...وسرح معهم حامية من زناته تناهز خمسمائة من الأبطال سنة 704هـ/1304م فصلوا من تلمسان ربيع الأول**"[5]، ولجأ ابن خلدون لحماية نفسه في تنقلاته بين القبائل العربية باتخاذ رفيق من العرب يُبذرق به من تبسة إلى قفصة[6]، يتقدم المسافرين حتى تعرفه جماعة تلك المنطقة ويسلك بهم السبل الآمنة[7]، وانتشرت البذرقة بحجاج المغرب الإسلامي في المجال بين قوص وصعيد مصر[8] الذي تنتشر به أعراب يمارسون اللّصوصية وقطع الطريق.

في نهاية القرن 9هـ/15م استخدم المسافرون المسلحون للمرور بمجالات قطاع الطرق إلا أنهم يتعرضون لأحداث خطيرة أولها أداء مبلغ ضخم من المال للعرب المأجورين من قبل الملك ليسمحوا لهم بالمرور فلا يعني عنهم شيئا خفير النجاة المصاحب لهم ويفقدون أموالهم وأرواحهم[9].فيصبح حتى المستأجرين من قبل الدولة لخدمة أمان الطرق سببا في غيابه ويقتطعون من المسافرين وجبات المرور أيضا،

---

[1]-مرمول كربخال، إفريقيا، 353/1.

[2]- المصدر نفسه، 353/1.

[3]-حسن الوزان، وصف إفريقيا، 8/2-9.

[4]-الإدريسي، المغرب وأرض السودان، ص94.

[5]-ابن خلدون، العبر، 300/7.

[6]-ابن خلدون، الرحلة، ص65.

[7]-المصدر نفسه، ص122.

[8]-المصدر نفسه، ص209.

[9]-حسن الوزان، المصدر السابق، 48/1.

حتى أرباب الإبل الذين حرصوا على حماية التجار العابرين لمجال نفوذهم كانوا يطلبون حصولهم على واجبات المرور[1].

يتضح أن نظام الحماية العرفي الذي أخذ مسميات عديدة، وتنوعت أشكاله بين رسوم عبور، رسوم حماية، وخفارة، قد حملت في حقيقتها معاني متناقضة بين الحماية وقطع الطريق، مثلما حملت معنى ضمان سلامة القوافل والمسافرين طول الطريق، فإن المسافرين كانوا مجبرين على دفع رسوم تعسفية للمرور بين القبائل وإلا يفقدون أنفسهم ومتاعهم، فهي عقود إجبارية يفرضها قاطع الطريق[2]، وتبقى حمايته مرهونة بالقيمة التي يفرضها العقد.

***اللّص الحامي:** مركب اصطلاحي قائم على ثنائية، اللّص والحماية، وهي واحدة من المرادفات الضمان الذي يؤدي معنى الخفر، يعني **اللّص الخفير**، قاطع الطّريق الذي يرافق المسافرين وتجارهم ويأمنهم ممن لصوص مجاله، يضمن حمايتهم مقابل جزء من التجارة أو إتاوة محددة، حيث كانت تدفع مبالغ مالية معينة للاستفادة من حماية حرس مسلح غالبا ما كان يتشكل من قطّاع الطّرق[3].كما أنّ الجماعات التي تفرض الخفر لها تقاليد وأعراف في مجالها تتبع عملية الإغارة والخفر منها أنها لا تغير في شهر رمضان حتى وإن وجد سُرّاقها المتاع بالطريق لم يتعرضوا له[4].

ذكرهم حسن الوزان بوصفهم غير المستأجرين من العرب تمييزا لهم عن المستأجرين، الذين يحفظوا المجال البعيد عن نظر السلطة الزيانية في فصل الصيف "...لأن **الأعراب المستأجرين** للحفاظ على الأمن في البلاد يكونون قد رحلوا عنها آنذاك إلى نوميديا، ويبقى **غير المستأجرين** وحدهم **ليتعيشوا** من اللّصوصية"[5]، من هذا المنطلق اللذين يمتهنون اللّصوصية ممن لم تستأجرهم الدولة، ويستغلون غياب المستأجرين الذين يتحركون في فصل الشتاء لمنتجعاتهم، وحراستهم للمجال مبنية على الإقطاع التي تحصلوا عليها وحريتهم في ممارسة الخفر على المجتازين التي تعتبر مورد لا تستفيد منه خزينة الدولة، بل يبقى في خدمة الجماعة المسؤولة عن الحماية.

فالحرس المسلح الذي يتنقل مع التجار مكون من قطاع الطرق وإن كان الأمر في حد ذاته مفارقة تسترعي الانتباه وتثير العديد من التساؤلات، مع ذلك يمكن القول مع نوع من المجازفة، بأن هذه الظاهرة ربما لها علاقة أساسا بتبادل المصالح بين الطرفين، فالتجار يتطلعون إلى الاستفادة من الخصائص المتميزة التي

---

[1]-الحسن العماري، المغرب والتجارة، ص83.

[2]-بلقاسم بنعبد النبي، عرف الطريق، ص181.

[3]-الحسين عماري، المصدر السابق، ص83.

[4]-ابن بطوطة، الرحلة، ص699.

[5]-وصف إفريقيا، 11/2.

اتسم بها قطّاع الطّرق من شجاعة، ومعرفة جيدة للمسالك التجارية، أما قطاع الطّرق الذين أسندت لهم هذه المهمة فإن هدفهم بالدرجة الأولى تمثل في الهاجس المادي.

كنتيجة يمكن القول إنّ جهود الدولة في مواجهة اللّصُوصية متذبذبة لم تسمح تدابيرها باحتواء الظاهرة طيلة الفترات توليها زمام الحكم، وتراجع دورها المرتبط بقوة السلاطين وضعفهم، وضع المسافرين وغيرهم تحت طائلة نظام خاص يخضع لعرف الطريق، زاد من معاناتهم النفسية والاقتصادية خاصة وإن هذا النظام كان يفرض نفسه حتى في عصر قوة الدولة، من منطلق أن تلك القبائل تعتبر تلك المسالك ملكا لها ومورد من مواردها الاقتصادية.

3-دور الخطاب النخبوي في احتواء اللّصوصية.

أ-أنموذج الفقهاء من خلال النوازل:

حفظت الشريعة الإسلامية العلاقات وراعت في ذلك حقوق الناس في أنفسهم وأموالهم، فشددت في تطبيق الحدود والتعزيرات، كألية للحد من التوترات الاجتماعية التي كانت تفرز بعض التجاوزات القانونية والمخالفات الجنائية المهددة لأمنه واستقراره[1]، ومتى نزلت طوارئ تخِل بالمسألة الأمنية لجأ الناس للفقهاء كونهم مصدر شرعي للأحكام لإصدار الأحكام والوقوف على تطبيقها.

دراسة هذه الجزئية تتوقف على اختيار أنموذج فقهي لمعرفة حضور الظاهرة به وكيف تناولها الفقهاء في جانب درئها، واختيار مصنف الدرر المكنونة للمازوني باعتباره مصدر فقهي يرجع لمجال المغرب الأوسط:

الفقيه	نص النازلة	توبة	سرقة	حرابة لصوص	إغارة	غصب	خفارة	
أبو سعيد بن لب	عن خطيب اشترك مع أهلها في قتل محارب منقطع قتل رجلا على وجه الحرابة... ما ذكره من المحاربة وكان منقطعا لها قاطعا للطريق مخيفا للسبيل مؤذيا للناس فقد كان قتله واجبا.			x				276/1
أبو الفضل قاسم العقباني	... سئل عن قرية جاءها اعراب خيلا ورجالا بنبوعها فقاتلهم من بغي بها يوما واحدا.				x			386/1
سئل عبد الله بن عرفة سنة 796هـ/1393م	... سئل جماعة من العرب، تبلغ ما بين فارسها وراجلها عشرة آلاف أو تزيد ليس لهم حرمة إلا شن الغارات وقطع الطرقات على المساكين... وانتهاب أموالهم بغير حق.			x	x			382/1
سئل أبو الفضل العقباني	عن رجل غصب امرأة فهرب بها فبقيت عنده نحو الجمعة فيستمتع بها على سبيل الإكراه.					x		126/2

[1]-إبراهيم القادري بوتشيش، اسهامات علماء القيروان، ص3.

محمد بن العباس وسيدي الحاج محمد الحفيد العقباني	* سئل الشيخين: ... ما تقولان في رجل أتى ولصوص وهرب بامرأة على عادة أهل البوادي.			x				127/2
أبو الفضل العقباني	... عن رجل ... استعان ببعض العصاة وحملهم إلى امرأة في دوار.			x		x		150/2
إبراهيم العقباني	... هذا الخلع نهب أهل دوارهم بخوف أصابهم.			x				264/2
أبو الفضل العقباني	عن رجلين سلط الله عليهما بعض العرب وقالا لا أفلتكما حتى تعطياني دينار لكل واحد.					x		50/3
أبو فضل العقباني	... عن رجل أخذه ظالم لا يستطيع دفعه وثقفه وكبله وشدد عليه وضربه ضربا شديدا وطلب منه مالا من غير موجب شرعي على وجه الظلم.					x		58/3
أبو الفضل العقباني	... عن رجل حبسه غاصب وقال له إن لم ترني مطمورة فلان لأفعلن بك كذا وكذا.					x		265/3
أبو فضل العقباني	... يا سيدي أردت أن تجيبني على قضية وذلك أن قريتنا هي للعرب ولا يغتالون...				x			282/3
أبو الفضل العقباني	سئل عن الدم أو سرقة لم يتب عليه.		x					383/3
أبو الفضل العقباني	عن ظالم حبس رجلا وطلبه بتعيين مطمورة غائب يريد أخذها قال المحبوس لا أعرفها فضربه وضربه كثيرا وأخذ منه مالا ظلما وعدوانا.					x		359/3
بلقاسم البرزلي	سئل عن تاجر أقر زواره بالسرقة.		x					372/3
	... سئل أهل الطاغية والحرابة لشمول هناءهم أن خالفوا على الإمام جميع البلاد والعباد.							337/4
ابن مرزوق	عن قرية جاءها أعراب خيلا ينابعوها وقاتلهم من بها... رخصها من الأمراء بمائة دينار ذهبا.				x		x	86/4-87
ابن عبد السلامة (سوسة)	... عن شراء الأنعام من أعراب زماننا الذين لا شغل لهم إلا شن الغارات وانتهاب أموال المسلمين من القوافل والركوبات وغيرهم... لأن الغالب ما بأيديهم مغصوب...				x			91/4
أبو الفضل العقباني	سئل عن رجل لقي عربي بطريق فأخذ عدة ذهبه منه.					x		111/4
أبو الفضل العقباني	... عن رجل لقيه لصوص حملوا ثورا ففكه لهم ووضعه بيد رجل مشهور بالدين وغير...			x				125/4
عبد الرحمان الوغليسي	... عن أقوام مرابطين غار عليهم أقوام من العرب فأخذوا ما بيدهم من الماشية.				x			135/4

أبو الفضل العقباني	سئل عن رجل من أشياخ العرب تاب لله ونزل على رجل من يدعي الفقه ليتعلم...	x						181/4
أبو الفضل العقباني	... عن رجل شهد على رجل في حق وقبلت شهادته عليه فأراد المشهود أن يقدح فيه بسرقة تبن من النادر.		x					212/4
الحافظ محمد بن مرزوق	سئل... من سلبت له برنوس أثناء الطريق.		x					213/4
سيدي قاسم العقباني(أبو الفضل)	... إن ثبت ما يوجب عليهم القتل من إقرار أو تدمية فسمامة أو من كونهم أهل حرابة أخذوا الأموال وقتلوا أو جرحوا عليها فقد وقع القتل موضعه...			x				334/4
محمد بن ذافال	*.... نعم أن اشتهر بالسرقة وعرف بها سجن أبدا حتى يموت في السجن، وإن كان يدخل إلى المترل بالعصا أو الحديد بحيث لو فطن به صاحب المترل قاتله فحكمه حكمه المحارب.	x		x				335/4
إبراهيم العقباني	سئل ع نرجل جاء لدواره ليلا وبه جرح فادح فقيل من بك هذا؟ فقال مشيت متلصصا بالليل كما يفعل العوام المتلصصون... إجابة مهمة.			x				343/4-344
أبو الفضل العقباني	عن أهل الوقاحة والدعارة هجموا على دوار ليلا وقتلوا من أهله رجلا وقتل أهل الدوار من المهاجمين رجلا.			x				352/4
ابن مرزوق	... وثبت من حالهم أنهم لصوص وأصحاب حرابة وفساد في ناحيتهم فقاتلهم القاضي لثبوت جميع ما ذكر عنده... إن ثبت عليهم الحرابة قتلوا في حرابتهم إن ظفر بهم قبل التوبة فإن القاضي ينظر فيهم ويفعل بهم إحدى الخصال التي خيرها الله تعالى فله أن يقتلهم بأشنع قتلة.			x				354/4
أبو الفضل العقباني	سئل عن رجل سرقت منه عقود دواتهم إنهم ... زوجة خصمه وأخته.	x						357/4
أحمد بن حسن	سئل عن رجل كان يلقى المحاربين ويطعمهم.			x				
	سئل عن بعض فقهاء بلادنا عن قوس عمدوا لمشجر قوم وأودوا بهم لما أخذوا أموالهم بغير موجب شرعي ويفتكون حريمهم.				x			366/4
الحفيد محمد العقباني	أما الأعراب البغاة بالعناد والسعي في سبيل الفساد خصوصا ما ذكرته معلوما بإخافة الطريق وسلب الأموال من اقتراب أنواع الحرابة لا يتناولهم فقه من جهادهم أما إليا من جهاد.			x				183/4-184
فقهاء	سئل عن شهادة اللفيف من الرجال الأحرار			x				

	والعبيد والنساء على القطاع والمحاربين والغائرين والسالبين يقطعون الطريق على القوافل ويهجمون على من يلقونه بعيدا عن المارة...							211/4
أبو الفضل العقباني	عن موضع كان خاليا وهو في قارعة الطريق... يجلسون فيه للحرابة... فصاروا يخفونه بالليل بالسرقة.		x	x			x	363/4
عيسى الغبريني	سئل عن دفع المحاربين واجب أو مندوب...			x				366/4
/	عن السراق وأشباههم إذا وجدوا في أرض لا تقطع فيها يد سارق هل يحمل عليهم السوط أو الضرب الموجع والنكال الشديد على قدر ما يعرف من جرمهم وعدوانهم... سراق اليوم إنما هم محاربون لأنهم يخرجون بالسلاح... فلا بأس مائة سوط.		x					371/4
أبو الفضل العقباني	عمن شهد لرجل سرق مال أخيه تحت ثيابه وهو خارج من منزله.		x					373/4
عيسى الغبريني	حول الخفر.						x	387/4
عيسى الغبريني	... قاطع طريق مشهور	x		x				358/4
أبو الفضل القاسم العقباني	سئل عمن سجن في تهمة دم أو سرقة ولم تثبت عليه.		x					235/8
المجموع		4	8	17	7	7	3	46

جدول رقم27: حضور اللّصوصية في نوازل المازوني

نوع الحضور	قطع الطّريق والحرابة	السّرقة	الإغارة	الغصب	توبة المحاربين	الخفارة	المجموع
التكرار العددي	17	08	07	07	04	03	46
النسبة%	37	17	15	15	8	7	100

الجدول رقم28: أعداد حضور اللّصوصية في نوازل المازوني الدرر المكنونة.

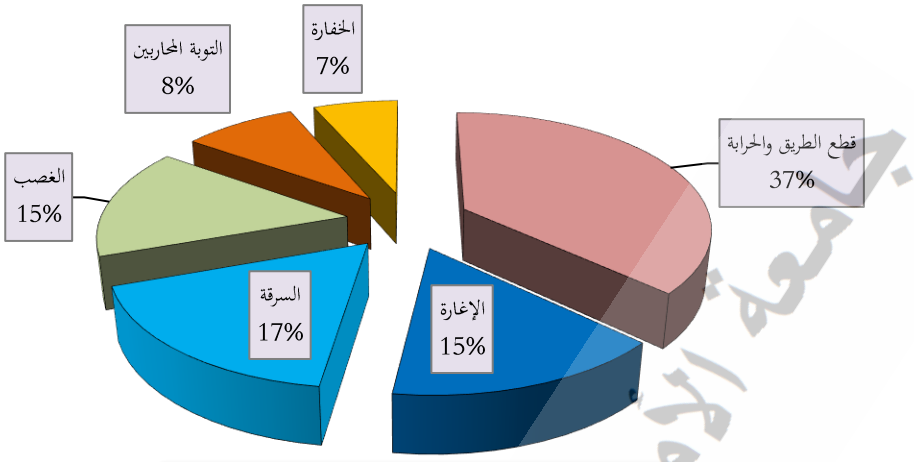

شكل رقم19: حضور اللصوصية في مصنف الدرر المكنونة.

***التعليق والتحليل:**

-عالجت المسائل الفقهية المتعلقة باللّصوصية، الآفة من عدة جوانب، من ناحية الأشكال (سرقة، حرابة، قطع طريق، غصب)، من ناحية موقف الفقهاء من توبة المحاربين، بالإضافة إلى موقفهم من الخفر، كان فيها حضور معتبر لفقهاء المغرب الأوسط[1].

-توزعت هذه النوازل بحضور كبير لمسائل الحرابة وقطع الطّريق بمعدل 37% فيما كانت نسبة النوازل المتعلقة بالسّرقة 17%، تليها الفتاوى التي طرحت حول أسلوب الغارة بـ 15%، أما مسائل الغصب التي كان فيها الغاصبين محاربين أيضا، وحصلوا على الأموال عبر الحرابة وقطع الطّريق ما نسبته15%، وموقف الفقهاء من توبة المحاربين بحضور 8%، في حين كانت نسبة مسائل الخفر 7%، تحليل هذه المعطيات العددية يبين الأساليب التي استخدمها الفقهاء للحد من آفة اللّصوصية ويمكن تسجيلها في النقاط الآتية:

-أخذت معظم النوازل طابع التشديد في إقامة الحدود، بتحري البينة قبل تنفيذ الحد على المحارب أو السارق، وبينت أن تطبيق الحدود مما فيه نفع لعموم المسلمين في أنفسهم وأموالهم أنه تحفظ لهم أمنهم، فالقطع للسّراق والقتل للمحارب واجب"**...من الحرابة وكان منقطعا لها قاطعا للطّريق مخيفا للسبيل مؤذيا للناس و لم يكن يقدر على صده عن ذلك بغير القتل فقد كان قتله واجبا والأمر في قطع مضرته ثابت**"[2]، وإن كانت السرقة في مكان لا قطع فيها وجب تطبيق **التعزير** كالجلد حددت بـ**مئة جلدة**، وأما من عرف بالسرقة واشتهر بها فحده السجن حتى يموت"**...وأما إن اشتهر بالسّرقة وعرف بها السجن أبدا حتى يموت في السجن**"[3]، السارق الذي يحمل السلاح في سرقته محارب يجب فيه ما يجب في المحارب"**...وإن كان**

---

[1]-انظر: **الملحق رقم18**: شكل بياني لفتوى فقهاء المغرب الأوسط في مسائل اللّصوصية من خلل مصنف الدرر المكنونة.

[2]-المازوني، الدرر المكنونة، 276/1.

[3]-المصدر نفسه، 335/4، البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 218/5.

يدخل إلى المترل بالعصا أو الحديد بحيث إذا فطن به صاحب المترل قاتله فحكمه حكم المحارب"[1]، حتى إنّ السارق أو المحارب الذي تتسبب سرقته وحرابته في جرحة وموته فدمه يعتبر هدر حال اللّص الذي دخل دوارا ليلا على حال العوام من اللّصوص فلحقه رجل وضربه بسكين تسبب جرحه في موته أجاب الفقيه إبراهيم العقباني "...**لا شيء على أهل الدوار من دم هذا الحاكي الحكاية ما فعل عند ساحتهم وهذا لو خرج له المعين بالاسم والنسب من أهل الدوار دفاعا من تلصصه فأصابه بما أتلفه من الجراحات لكان دمه هدرا**"[2].

-في محاربة اللّصُوصية وقطع الطّريق اعتبر الفقهاء شهادة المسلوبين جائزة وإن لم يكنوا عدولا في إقامة الحد عليهم كان فيها نص النازلة على النحو التالي "سئل فقهاء بلادنا عن شهادة اللفيف من الرجال والأحرار والعبيد والنساء على القطاع والمحاربين والغائرين والسالبين يقطعون الطريق على القوافل ويهجمون على من يلقوه بعيدا عن العمارة وشبه هذا مما يقع في الخلوات حيث لا يوجد غالبا عدل تؤخذ فيهم شهادة من ذكر أم لا؟ فأجاب: الأصل لا يقبل في شيء من الأشياء إلا العدول لكن **تعين قبول غيرهم للضرورة** حيث يتعذر العدول...وقد سئل مالك عن مثل هذا الأمر في لصوص الحجاز وبرقة فقال تجوز عليهم شهادة من لقيهم من الناس قيل له إنهم غير عدول وقالوا أين وجد السّارق واللّص العدل وإنما يبغي السّارق واللصُّ بالخلوات التي ليس فيه العدول"[3]، شرع غير العدول حتى لا يبقى هؤلاء دون عقاب لأن إقامة الحد عليهم ضرورة والأصل في اللصوص ونحوهم أنهم يختارون الأماكن البعيدة التي يغيب فيها الناس وتغيب في التأمين.

-شمول خطر السّرقة وآثرها السلبية على المجتمع حرم الفقهاء سرقة المال المغصوب حتى وإن كان السّارق فقيرا أو مسكينا لأنّ فيها حق للغير[4]، ومن علم بسرقة شخص واشترى منه المسروقات يشاركه في الإثم[5].

-أقام الفقهاء جلسات محاكمة للمحاربين وبينوا فيها أقوال الشهود، وركزوا في تقص البينة، بوصف المحاربين وشكل حرابهم وسجل ذلك في رسوم منها محاكمة محارب اشتهر في موضع بالحرابة وقطع الطريق، شهد عليه رجل مصاب بجروح عديدة "...فقال بينما أنا سائر في موضع كذا ...إذ خرج علي رجلان تقنعا أحدهما بكساء و لم يظهر منه إلا بعض وجهه وأظنه هذا وأشار إلى الرجل الذي حضر مع عبد الواحد المذكور فلم اشعر إلا بضربي فسألت بعد ذلك أهل الموضع فقالوا ليس هنا غير هذين

---

[1]-الماوزي، الدرر المكنونة، 335/4، راجع ما جاء في **المعيار**: "...السارق مشتهر، وقطعهم في الطّريق منتشر إن رأى السلطان قتلهم فليقتلهم"، الونشريسي، 528/6-530.

[2]-المصدر نفسه، 343،344/4.

[3]-الونشريسي، المعيار، 211،212/4، ابن فرحون، تبصرة الحكام، 204/2، 205.

[4]-البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 128/5.

[5]-المصدر نفسه، 134/5.

الرجلين وأشار إلى عبد الواحد والرجل المذكور معه...فأجاب الحرابة من أعظم المفاسد في الأرض كالقتل في وجوب القتل[1]، في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2].

-حددت النوازل في تشديدها على فساد أهل الحرابة، وأثرهم فسادهم على المجتمع الإسلامي، أنّ خطورتهم تضاهي خطورة الكافر، والروم في بلاد المسلمين، فاعتبر جهادهم أفضل من جهاد الكفار كونهم بغاة يفسدون في الأرض ولا يصلحون[3]، القتل فيهم أعظم أجرا ممن قتل محارب بأرض الروم لأنّ مضرة المحارب على المسلمين أعظم من ضرر الكفار[4]، وكان في جواب ابن عرفة حول قتال أعراب الديلم وسعيد رياح وسويد وبني عامر من أمراء المغرب الأوسط سنة 796هـ/1393م "**...جميع ما ذكره من قتال هؤلاء وجهادهم، والإشارة لثواب مجاهدهم ورجحانه على جهاد الكفار غير مبتدئين لقتال المسلمين صحيح**"[5]، وتوافق جواب الفقيه أبو مهدي الغبريني مع فتواه أن جهادهم صواب لا يحل لمسلم مخالفته[6] وحكم من سكت عن أعمالهم من أهل العلم وصفهم بالجهل والمعاندين للحق[7]، فعمل الحرابة يختل به أمن الدولة فتضعف، وتكون عرضة للخطر الخارجي.

-في جانب المعاملات دعا الفقهاء لتجنب التعامل مع الأعراب الغاصبين عموما والمحاربين منهم خاصة باعتبارهم مفسدين ومصدر مالهم غير شرعي، فلا يجوز الشراء والبيع منهم، والتعامل معهم من باب الضيافة وما يتوجب فيه من الأكل والشرب وغيرها إلا من باب الضرورة، واستوجب على المسلم تحري الحلال في المال والغذاء قبل استخدامه[8]، حيث وردت نازلة وإن كانت تخص مدينة سوسة من المغرب الأدنى فأنها تعد مثالا شاملا لعموم موقف فقهاء من المعاملة مع الأعراب المحاربين منهم"...يبغي جماعة من طلبة سوسة الجواب عن مسألة دعت الضرورة إليها...وهي شراء الأنعام من الأعراب زماننا الذين لا شغل لهم إلا شن الغارات وانتهاب أموال المسلمين من القوافل والركوبات وغيرهم هل يجوز شراءها منهم إذ يتعين إنها مغصوبة أو لا يجوز لأن الغالب ما بأيديهم مغصوب وهل شراء الإبل منهم أخف من غيرها إذا الغالب فيها أنها مما يملكون غير أنهم يغصب بعضهم بعضا فيها وهل غصب بعضهم بعض مثل ما غصبوه

---

[1]-المازوني، الدرر المكنونة، 358،359/4.

[2]-سورة المائدة الآية 32.

[3]-المازوني، المصدر السابق، 184/4، 337،338/4، البرزلي، المصدر السابق، 179،180/6.

[4]-المازوني، المصدر السابق 276/1، الونشريسي، المصدر السابق، 159،160/6.

[5]-المازوني، الدرر المكنونة، 384،385/1، الونشريسي، المعيار، 435،438/2.

[6]-الونشريسي، المصدر نفسه، 438/2، دومنيك فالييرن، بجاية ميناء مغاربي 219،220/1.

[7]-الونشريسي، المعيار، 437/2.

[8]-المازوني، الدرر المكنونة، 105،106/4، Houari Touati, en relisant les Nawazil Mazouna Marabout et chorfa au Maghreb central au xv^{e} siècles, studia islamica, n°.69, 1989, p78

من الرعية أم لا وما حكم في شراء ما جلبوه من الأطعمة المغتصبة من الأماكن القاصية وفي كل ما طبخوه من الأطعمة كما أو غيره وفي معاملتهم بالنقود وكيف إن يشتروا شيئا بأموال المسلمين وهل يباح لمن حل بهم من التجار والفقراء والمرابطين أكله أم لا؟"[1]، اختلاف الفقهاء في مسألة الغاصب وحكم توبته وما بيده من غصوبات تقادم عقده بها، واضح وتناولته العديد من المسائل ولكن المتفق عليه أنّ **"الذي كان يفتي به فقهاء إفريقية في القرن الخامس لمن تاب من أعراب زمنهم على سبيل الترخيص والاستئلاف لهم على التوبة أن يقوم العرابي جميع ما بيده من المال ويبقى عليه دين بعد أن يُخرج منها شيئا في الحال ثم يخرج بعد ذلك شيئا فشيئا"**[2]، تشجعا للأعراب على التوبة وبيان أنّ مالهم فيه شبهة لهم ولمن يتعامل معهم.

-في باب التوبة للغاصبين ومن كان محاربا قدم الفقهاء شروطا للتوبة، واعتبروا التخلي عن ما بيدهم من الأموال تحللا لهم مما كانوا عليهم قبلا، فتوبة من كان بيده مال حرام أن يزيل ما بيده للمساكين أو ما فيه صلاح للمسلمين حتى لا يبقى بيده إلا أقل ما فيه الصلاة من اللباس وما يستره من الصرة إلى الركبة وقوت يومه[3]، وللعلماء خلاف حول وجه التحرر من الأموال هل تترك كلها أم يترك ما يقتات به المحارب وفي أي وجه تصرف، ولكن الثابت أن الرجل الذي يتكرر منه العداء وإخافة السبل ما بيده حرام[4]، التوبة عليه واجبة مقبولة منه، الدخول فيها من نظرة الفقيه يقف على الاعتراف بالتوبة والمجاهرة بها وترك مال الذي حازه بطرق غير مشروعة.

-أجاز الفقهاء الخفر من باب الضرورة حيث وردت نوازل هل حلال أم حرام؟ "سئل قاضي الجماعة سيدي الغبريني عما يؤخذ على سبيل **الغفر** هل هو حلال أو حرام، وهل يفصل بين **ذي الجاه والشجاعة** أم لا؟ فأجاب: الحمد لله إني رأيت فيما قيد الشيخ أبي الحسن الصغير إنه إن كان بجاهه لم يجز وإن كان بشجاعته وقوته جاز وأفتى شيخنا ابن عرفة رحمه الله بالجواز لأنه رأى أن مشيه معهم وانقطاعه عن أسبابه وأشغاله، وتركه لها ليس بواجب، وإن كان أفتى بذلك لبعض مرابطي أعراب إفريقية وكتب له بذلك خطة وكان يذهب بالقوافل من تونس إلى قسنطينة وغيرها بجعالة معلومة والله أعلم"[5]؛ عند الغبريني تجوز الخفارة إن قام الخفر على شجاعة المرافق لا بجاهه فهي غير جائزة، واستدرك كلامه بفتوى الإمام

---

[1]-المازوني، الدرر المكنونة، 91،92/4، البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 120/5.

[2]-المازوني، المصدر السابق، 4/ 92، البرزلي، المصدر السابق، 120/5، الونشريسي، المعيار، 142/6-144.

[3]-البرزلي، المصدر السابق، 128/5. في مسألة توبة الغاصبين والمحاربين ذكرت العديد من المسائل واختلف في التعامل معهم هل يجب تركه من باب الورع، التعامل معهم من باب الضرورة، وكان لهم أقوال في التوبة وأشكالها راجع المسائل في، المازوني، الدرر المكنونة، 93/4-98، 100/4-104، 107/4-109، البرزلي، المصدر السابق، 122/5-140، الونشريسي، المصدر السابق، 158/6-159، 172/6-174. 175/7-177.

[4]-الونشريسي، المصدر السابق، 158/6.

[5]-المازوني، المصدر السابق، 388/3،387.

سحنون في جوازها على الضرورة، يعني قيمة الخفر جائزة للضرورة، إن كان يحمي بسلاحه وإن كان يحمي بجاهه فلا لأنها ثمن الجاه.

ذكر **البرزلي** أيضا أن الإمام سحنون سئل عن رفقة بلد السودان يؤخذون بمال في الطريق لا ينفكون منه فتولى ذلك بعضهم على بعض ويأخذ من في الباقين، فقال: لا يجد الخلاص إلا بذلك وهي ضرورة لا بد لهم منها وأراه جائز، وزاد عليها تفصيل أبو محمد الشبيبي طريقة الخفارة، تكون الخفارة على قدر أموالهم لا قيمتها وعلل ذلك بأنه قد "يؤدي إلى كشف أحوال الناس ويخاف على من حمله غال من إجاحته وقصده بالإجاحة في الطريق، وقد اخترته أن حين نقلنا من الحج ببلاد برقة ضربنا الخفارة مرة على عدد الأحمال ومرة على عدد الإبل لأنه كان خلط علينا أعراب إفريقية فعملنا على عدد الإبل خاصة لما خفت على من بيده شيء غال في الرفقة أن يسرق له أو يجاح قصدا"[1]. **أما صاحب المعيار** فذكر للخفر ثلاث أوجه: وقد اختلف في الخفير الذي يمشي مع الرفقة، ويخرجها من الأمن ويدخلها إليه بجعل، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومنهم من قال: إن كان قدر تعبه وتعب فرسه وترك أسبابه لهذا فو جائز، ولا فلا[2]، الجواز في الخفر تبنى قيمته على تعب المرافق وتعب فرسه لا على سبيل الحماية من اللّصُوص.

-أشارت نوازل المازني للخفر وجوازه في مسألة القرية التي أغار عليها محاربون و لم يكن أمام شيخ البلد إلا حمايتها بالمصالحة مع المغيرين على قيمة نقدية جمعها من أهل القرية قدرها مائة دينار ذهبا[3]، وفي مسألة حول إقامة مرابط في موضع خال في قارعة الطريق كان فيه محاربون يجلسون فيه للحرابة يأخذون أموال الناس، نزل فيه وعمل فيه عمارة كبيرة لقطع تلك المفسدة فقطعها وصار الموضع المذكور مأوى للمسافرين والمشاة وأمثالهم حتى لا يخاف فيه أحد أجاب أبو فضل العقباني **"إقامة هذا المرابط بهذا الموضع الذي كان قبل هذا سكنى المحاربين ومهلكة المسافرين من باب إغاثة اللهفان ودفع الفساد عن أهل الأمان وما أعظم المثوبة في ذلك وما هذا إلا اجتهاد عظيم وشرف دائم مقيم"**[4]، رغم أنّ نظرة الفقهاء للمرابطين شكلت جدل كبير نقلته النصوص النوازلية اذ يظهر فيها المرابط في نظر الفقيه أنه كفاعل اجتماعي جديد وافد وطامع في الحصول على ملكيات مختلفة وصلت لحد وضعهم في مصاف الأمير وقائد القبيلة الغاصب[5] إلا أنّ ذلك لم يمنع الفقيه من تشجيع العمل الذي قام به المرابط في تأمين المكان للمارين وصبره على سوء سيرة المحاربين واستمرارهم في تعطيل حركة الناس، وعد من باب إغاثة الناس ودفع للفساد وتحقيقا للأمن،

---

[1]-جامع مسائل الأحكام، 5/202،203.

[2]-الونشريسي، المعيار، 6/150، 6/239، عبد الأحد السبتي، بين الرطاط وقاطع الطّريق، ص211.

[3]-المازوني، الدرر المكنونة 4/87،86 راجع أيضا: 1/386.

[4]-المازوني، المصدر نفسه، 4/363، 365، الونشريسي، المصدر السابق، 2/402، 403.

[5]-Houari Touati, en relisant les nawazil, op.cit, p79.

تحول فيه المكان لفضاء لجوء من قبل الفقراء الذين كانوا يعيشون على هامش قبائلهم، والرحالة من التجار وغيرهم[1].

أحاطت النوازل بمختلف المسائل التي تتعلق بآفة اللّصوصية، وقدمت حلول لمواجهتها تقوم على التنبه من خطورتها، والحدود الواجب تطبيقها، كما بينت شروط التوبة للمحاربين، وأجاز الفقهاء الخفر في حالة عدم القدرة على تجاوز خطر إلا بخفير. رغم ذلك بقي مشروع الفقهاء محدود و لم يحقق نتائجه، كونه اهتم بتحديد الأحكام، وباب جوازها من عدمه، وتصنيف اللّصوص من حيث المعاملة قبل التوبة وبعدها.

ب-أنموذج المتصوفة بين الخطاب الكرامي ونشاط الزاوية: ارتبط التصوف في نشأته بالأزمة، وتعتبر الأزمة الأخلاقية التي عانى منها مجتمع المغرب الأوسط في بعض المراحل الفضاء الذي نشط فيه الصوفية للعودة بالمجتمع إلى جادته، حيث شكل انتشار اللّصوصية والسرقة أحد أهم مظاهر الانحلال الخلقي، وتفكك المجتمع، فكان للمتصوفة دور في مواجهة آفة اللّصوصية حيث اتخذت أساليب عديدة، بتفعيل المفهوم الاجتماعي للكرامة صوفية، ونشاط الزّاوية، وتشجيع توبة الأعراب.

***الكرامة الصوفية في مواجهة اللّصوصية:** قدمت المصادر المنقبية أخبار الأولياء والصالحين في شكل تفاعل اجتماعي لهم داخل المجتمع، حيث زاد من رواج أخبارهم وتناقلها وسط العامّة تشبع تلك السّرديات بأخبار الخارق الّذي تمثّله الكرامة[2] التي جاءت مزيجا بين الواقع والمتخيّل، يستوجب تحليل تلك السّيرة الوعظيّة المشفّرة في تركيب الواقع التّاريخي وبناء فرضيات قادرة على الإسهام في الكشف عن عدّة جوانب غامضة في التّاريخين السّياسي والاجتماعي لمجال المغارب، ومحاولة استجلاء خصوصيات التّركيبة الذّهنيّة داخله[3]، فتفكيك تلك الصّورة الخارقة يسمح بمعرفة العلاقة الّتي جمعت بين الولي والعامّة، ومنها يمكن معرفة العلاقة بين الولي والسّلطة السّياسيّة، فأخبار العامّة، الفقراء، المتسوّلين، واللّصوص، هؤلاء جميعا لا يستثني مصدرا منقبيّا من أخبارهم، وحضور تلك الفئات مرتبط بظرفيّة زمنيّة دائما يعبّر عنها بالأزمة مهما كان نوعها: سواء كانت أزمة أخلاقيّة أو اجتماعيّة أو اقتصاديّة، وعليه فالأزمات تعمل على تنشيط حضور الولي ولا تؤسس له، ذلك أنّ تاريخ المغرب الإسلامي ليس أزمة برمته، ومن ذلك كيف نفسر حضور الولي في غير زمن الأزمة؟[4].

---

[1]-élise voguet, Appropriation et distributions de biens fonciers, p132 -133

جاك بيرك، في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا منشور ضمن الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف فلق، دار توبقال،ط2،المغرب،2007،ص50-52.

[2]-الكرامة تعني كل فعل خارق للعادة جرى على يد من ظهر صلاحه في دينه، سلك الشرع القويم من الكتاب والسنة في ظاهره ومكنون سره وصحيح يقينه حافظ آداب الشرع منزه عن الرذائل الخسة، راجع أكثر في شروطها: الونشريسي، المعيار ، 389/2.

[3]-لطفي عيسى، مغرب المتصوفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ط2، تونس، 2018، ص 27.

[4]-سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص194.

تعتبر الكرامة الصّوفيّة حل دفاع ضد تلك الأزمات، والمشاكل الّتي تواجه الإنسان المغربي فيلجأ للولي ليحتمي بقدرته، فتتحوّل الكرامة إلى رافد من روافد أخبار المجتمع منها أخبار اللّصوص الّتي يرتبط حضورها بالصّورة الأمنيّة للمجتمع سواء كانت أخبار أفراد أو جماعات تمارس التلصُّص، وتؤكّد مختلف الدّراسات في مجال التّصوف على أنّ موضوع أمن السّفر كثير الحضور في هذا التّأليف لسببين وهما: كثرة التّنقل في سير الصّلحاء والأولياء، وقيام هؤلاء بوظيفة حماية المسافرين[1]، فالسّياحة الرّوحيّة للأولياء جعلت أخبارهم مثقلة بأخبار أولئك اللّصوص الّذين يعترضونهم أو يعترضون غيرهم فيلجأ إليهم باعتبارهم سلطة رادعة لهم من منظور المجتمع، وحتّى على المستوى الوظيفي شكّل الرّباط والزّاوية على مرّ مراحل تطوّرهما أحد أهم وسائل حمايّة النّاس ضدّ اللّصوص والمحاربين، ومن ذلك تأكيد على أنّها من أهم الظّواهر الّتي شكّلت عناصر أزمة للمجتمع تصوّرها المصنّفات المنقبيّة وهي تجاوزات الولاة وظاهرة الحرابة أو استقطاع العرب البدو[2]، وعليه فإنّ رواج النّصوص الكراميّة مبني على سير الصّالحين مما يعني تشبّعها بفكرة المقدس خاصّة وأنّها تستند على المرويّة الشّفويّة وإلى حجّة الكرامة [3]، التي تساهم في نقل صور عن ذهنيّة مجتمع المغرب الأوسط وذهنيّة المشاركين في بناء النّص أو الحكايّة الكراميّة منها اللّصوص وعلاقتهم بالأولياء والسّلطة وحتّى مجتمعهم.

يمكن تقصي حضور الكرامة الصوفية في الجانب الاجتماعي، في باب محاربة آفة اللّصوصية من خلال الجدول الإحصائي التالي؛ الذي يوضح مجموع التدخلات التي قام الأولياء كتدبير أمني نابع من سلطة المتخيل بالدرجة الأولى:

المؤلف	النص المصدري	نوع الكرامة				ص
		الوعظ + الدعاء	كرامات أخرى	المكاشفة	التبرك	
ابن الزيات (ت627هـ/1230م)، التشوف.	* ... سرقت ليلة ونقب سارق بعض متاعه فجاء إلى أبي سليمان فقال له: سرقت الليلة ونقب السارق جدار داري فأخذ أبو سليمان في التضرع والبكاء والدعاء... فما برح من مكانه حتى رمى إلينا ما كان قد سرقه السارق من داره.					413
	* نقب سارق جدار ابن حمودة وأخذ سليخة تمر فمشى بها إلى أن عثر فاندقت عنقه فوجدوه غدوة وهو ميت والسليخة عنده.	X				418
	* وسرقه الآخر في نعجة فذبحها وحمل جلدها ليبيعها فطاف به على الديار إلى أن دخل به دار ابن حمودة وهو لا يشعر... استرخي واغفر لي		X			418

[1]-عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق، ص28

[2]-ابن الدباغ، الأسرار الجليّة، ص16.

[3]-لطفي عيسى، مغرب المتصوفة، ص29.

	فخلى سبيله وانصرف.					
	* رجل من أعمات ... سرق عبيد فترعاو مني الفرس وسلبوني أترابي... تطهر وتأهب لأحملك إلى رجل صالح يدعو لك... وكان أبو علي متربعا وكاشفه بعودة ممتلكاته.			x		394
	* فعمل خيمة قريبة من خيمته وعزم على المقام عنده فجاء سارقان ليلة ليأخذوا عباءته فناشدهما الله أن ينصرفا عنه فأبيا فقال اللهم ادفعهما عني فاختطف الأسد أحدهما وهرب الثاني.	x		x		103
	* وقد جاءني رجلان قد سرق لكل واحد منهما بعض ماله فدعوا عند قبره فرد إلى دار كل واحد منهما ما سرق له.	x	x			141
	* لص من السودان... انتظره اللص بباب المسجد ثم خرج فتبعه اللص ثم التفت خلفه فرأى ظلمة تتبعه فاضطر إلى اتباع عبد الحق خوفا من الظلمة... يا هذا خف الله والزم بيتك فلزم بيته ولم يخرج منه وأقبل على عبادة الله تعالى إلى أن لحق بالصالحين.	x				361
	* شكى إليه أهل سلا بأقدام استأملوا ما فيه كردهم من العنف فقال لهم يكفيكم الله فبعث الله دويبة تعرق بالرتيلة فكل من دخل فيها تلسعه فيموت من حينه.	x	x			358
	* ... وجدت بركة دعائك، فإنه خرج علينا اللصوص أثر سماء فخبأت بضعتي في سر فسلمت وسلمت البضاعة.	x	x			379
	* فجاءه أهل الدعارة ظانا أن عنده مالا فقال له: أعطني الدراهم وإلا فعلت وصنعت! وهدده بالقتل، فدعا عليه أبو عمران موسى الصاريوي فجن أياما يصرع ويخنق نفسه المرة بعد الأخرى فلما زال عنه ذلك فر وصار يحدث الناس بذلك.	x				288-289
	* ... ثم أتيت على ثلاث من اللصوص وهم جلوس إلى أصل الشجرة، فقاموا إلي فوعظتهم فأثرت الموعظة في قلوب اثنين منهم.	x	x			321
	* ... فأخذ من هذه الدراهم ما ننفقه فأخذنا منها فلما دخلنا عليه قال لنا: إذا دفع إليكما شيء فلا تخونا فيه فتوبا إلى الله.	x				239
	* كان عبدا صالحا، وكان في ابتداء أمر سارقا فاحتاج إلى أضحية فمر إلى قطيع من غنم لأبي ينيكف... فمر إلى فحل من غنمه فجعله على			x		

	ظهره فسمع هاتفا يقول: اتركه حتى تأكله حلالا فطرحه... فأراد الفرار بنفسه من حضيرة الغنم فلم يجد موضعا يخرج منه... فلزم الطريق إلى أن لحق بالأفراد.					234
	* المكاشفة بدخول المشاية من الإغارات في قطيع الولي أو يعزي.			x		221-222
	* مكاشفة السارقين بما سرقوا في مجلسه سرقت يا هذا، زنيت يا هذا وفعلت يا هذا.			x		215
	* كان في رفقة فمروا بلصوص قد كمنوا لهم فسقط عن الدابة فقام رجل من اللصوص ورفع الحمل على الدابة فقال له أز زكريا تاب الله عليك فأقلع اللص من حينئذ عما كان عليه.	x				408
	* استعرت من أبي عبد الله المهدوي كتابا فهممت أن أسافر به فتعذر علي السفر إلى أن دفعت له كتابه.		x			334
الغبريني (ت714هـ/1324م)، عنوان الدراية.	* أبو زكريا المرجاني الموصلي (ق 7 ه) كاشف مكان حزمة الثياب التي سرقت لغاسلة الثياب.			x		165
البادسي (حيا722هـ/1322م)، المقصد الشريف.	* الولي أبا داود مزاحم بن علي بات ليلة في رابطة فحبسه العدو (الفرنج) فيها، فلما حاولوا المسير به توقفت السلورة، فما زالوا كذلك حتى أصبحوا وهم في موضعهم... فقالوا له قم فانزل... فقال لا أنزل حتى تخلوا سبيل كل أسير عندكم من المسلمين، ففعلوا ثم راموا الحركة بالسلورة...		x			51-52
	*... وكانت دار الحاج إبراهيم مملوءة ودائع وكان النصارى يرونها نهارا، فإذا قصدوها ليلا وجدوا عليها شبه سور لا يقدرون على اقتحامه ولا يجدون له بابا...		x			61
	*... وأقلعنا من هنين ... فأصبحنا يوما على جوف بادس فنظرنا في الغبس فرأينا شيطيا حربيا قاصدا إلينا في البر فدهمنا أمر عظيم وصار بعضنا يموج في بعض... فرأيته قد مسك طوقه بيده وأخذ به كالخانق على نفسه ثم رفع يده إلى السماء قال فغشينا في الوقت ضباب لا يكاد الإنسان يرى يده، وهبت علينا ريح طيبة حركت شراع القارب فغاب عنا الشيطي وغبنا عنه.		x	x		75
	* المكاشفة بمن يلبسون الأغراض المسروقة... رجل يلبس جبة سلبها متغلبين لتجار في مجلسهم.			x		96

	*... فكان السراق يأتون ليلا فيأخذون منه ما يشاؤون فلا ينقص ذلك من رمانه، ... قال بعض السراق حملت ليلة رمانا من جنانه فلما فتحت واحدة منه وجدتها قد اسودت من العفن وتركتها وفتحت غيرها حتى أتيت على الجميع فوجدته كله فاسدا... فأتيت إلى الشيخ إبراهيم بن صالح فقلت له أنا تائب لا سرقت سرقة أبدا...		x			105
	*... ونحن لصان فلما رأيناك قاعدا رميناك بسهمين لنقتلك فهما هذان، وتقدم صاحبي قبلي إليك فسقط ميتا، فتبت إلى الله.		x			108
	* ولي اتهمته امرأة بالسرقة... فلما هم الحرس بضربه احتبست يداه.		x			113
	* فقير من خدام الولي أخذ من الزبيب فأمر بصربه بالسياط... ما أخذت في موضع خال بعيد عن العمارة في قلب الخندق لم يرني أحد إلا الله.			x		115
	* تجاوز الأسر عن طريق كرامات الحجب في وجه النصارى .		x			134
	* سارق دخل من الطاق دار الولي فكوشف به... فتاب بين يديه.			x		148
ابن قنفذ (810 هـ/1407م)، أنس الفقير.	* سريت في الليلة مع قافلة في مغازة وبين يدي دابة فعرجت لي وما شككت في قتلي وسلب مالي... فقلت يا سيدي أبا العباس خاطرك... والله ما أتممت الكلام إلا وأهل القافلة أصابهم سبب ووقفوا... وخف عوجها واتصلت بالناس.	x				07
	* أبو مدين: فلما خرجت من الشعب تعرض لي ثلاثة من الرجال فوعظتهم فأتى كلامي في قلب اثنين منهم فانصرفا...	x				16
	* أنه لما انتهب في ركب الحجاز حين قطعت عليهم اللصوص الأعراب لم يسلم إلا المفرش الذي دس فيه شاشية الشيخ مربوطة مع نفقة صالحة حدد بها رحلته.			x	x	46
	* سرق قدماي في صلاة العصر... فجاءه الولي الرجراجي... امش بهذا وطيب نفسك على من أخذ قدميك فقبلته وعجبت من ذلك (أبا علي الرجراجي عمر 779 ت)		x			78
	* ابن قنفذ انتقل من تلمسان زمن مجاعة والطريق على حالة من الخوف... لجأ إلى خبر أبي مدين	x				105

	شعب بالدعاء.					
ابن مرزوق(ت781هـ/1379م)، المناقب المرزوقية.	*وحدثني غير واحد من أهل تلمسان وأهل العباد كان يسرق الفاكهة من جنان العباد...حتى انتهى إلى موضع الإجاصة وهي الكمثري، فقال: فأردت أن أهزها فلصقت يدي بالشجرة، فطمعت الخلاص...فدعا لي بصدق التوبة، فأدركت من أدركهم.	x	x			163
	*أنّ جماعة من الشباب من أهل العباد، قالوا: ليس في العباد أطيب فاكهة من جنان سيدي فلان...ثم عزموا على ذلك فتوجه بعضهم وقطعوا من الرّمان ما استطاعوا، وجعلوه في كساء أحدهم وأرادوا حمله فلم يستطيع، فانتقصوا حتى لم يبق شيء، فلم يقدر على القيام، فلما كان من الغد جاء الشيخ وقال لهم كفيتمونا مؤونة القطع، ثم قال لهم خذوا أجرتكم، فأعطاهم منه، ودعا لهم فانصرفوا تائبين.	x	x			164
	ثم إنّ بعض أهل العباد قطع سفرجلة واحدة، وأراد الخروج، فلم يجد مسلكا، فلم يزل كذلك حتى ألقاها، وخرج، فلقيه الشيخ بعد ذلك، وقال له: امض إلى سفرجلتك فخذها، قال: فقبلت يده، واستغفرت، وانصرفت، فأخذتها وجئت بها.		x			164
المازوني(ت833هـ/1429م)، صلحاء شلف.	* وإذا بلصين عمد أحدهما إلى البرنس فاختطفه من الوصيف وهم أن يهرب فقيده الله فلم يستطع أن يتحرك.		x			148
	* ... فعمد أخوه لرمانة منها وجعلها في طرف كسائه، وعقد عليها بخيط ليرفها لابنه المريض... فحللت الخيط فلم أجد شيء...قال عادت للمحل الذي جاءت منه.		x			158-159
	* ضريح الشيخ سيدي واضح... يعتصم أهل تلك النواحي في أوقات النهب.			x	x	174-175
	* مجلس الفقراء يتوب فيها اللصوص.	x				277
	* أبي يعقوب قبره ببني حلوان بساحل مازونة مشهور متبرك به يترع لحماه في أوقات النهب والفساد وشن الغارات.			x	x	286
ابن صعد (901هـ/1496م)، روضة	* مخلوف بن مسعود بن سعد بن سعيد المزيلي ... أن روضه كان لا يقدر أحد أن يسرق منه		x			

النسرين.	شيئا... إذا دخل له خونة قام له ثعبان عظيم.					125
	*... فبينما نحن في أثناء الطريق وإذا بجماعة من فرسان العرب المعروفين بقطع الطريق فما تعرضوا لنا ولا التفوا إلينا... فتذكرنا بركة الشيخ وعظيم كرامته.			x	x	166-167
	* رجل من مفسدي العرب معروف بأخذ أموال الناس دعا عليه الولي محمد بن عمر الهواري... فإذا الرجل أبيض الثياب أخذه على فرسه وضربه بالأرض.	x	x			121-122
	* فأصبحنا من الغد مسافرين على أفضل حال... فبينما نحن أثناء الطريق وإذا بجماعة من فرسان العرب المعروفين بقطع الطريق فما تعرضوا لنا ولا التفتوا إلينا... بركة الشيخ.			x	x	77-78
	* لولي سرق لص ثيابه... تقف يد اللص عن الحركة... فجاء اللص بالثياب ووضعها مكانها ويده يابسة...		x			123
ابن مريم(ت1014هـ/1605م)، البستان.	* ذكر أن سراق دخلوا روضته يسرقونه فوجدوا السفرجل فرفعوا فيه شوامي... وأرادوا الخروج فلم يجدوا طريقا... وأتوا الشيخ فتابوا على يديه.		x			26
	* بعض الشطار قال دخلت في بعض الليالي أنا وبعض أصحابي الجامع الكبير... فلما جاء الشيخ سيدي أحمد المقصورة... فلما قدمت رجلي للدخول فبقيت معلقة في العراء لا أستطيع وضعها بالأرض ساعة فتبت.		x			34
	* قال الشيخ إبراهيم أنه حين صعد إلى الحج وذهب له ببرقة حمار فصرت أستغيث بالشيخ سيدي الحسن... فرأيت الشيخ عيانا بصورته ولباسه فصاح على العرب الذين حازوا حماري.		x			75
	* روضة الولي... دخلها رجل من غنادر البادية... تعرض له ثعبان.		x			84
	* قال الملالي رأيت بخطه أيضا عن بعض الصالحين أن من نزل منزلا وجمع أثقاله وخط على مواليها خطا وهو في داخل الخط وقال في داخله ثلاثا الله الله الله ربي لا أشرك به شيئا لم يضره لص ولا عدو ولا غيره ويكون هو وأثقاله في حرز الله وهو مجرب.			x		140
	* عثمان بن موسى المسعودي العامري كان طاغيا جدا لا يبالي بأخذ الأموال وذبح الرجال... إن اللص قد قضى الله الحاجة فيه أمس.	x	x			232-233
	* إبراهيم تازي: ... لقينا جماعة من الخيل		x	x		

	قاصدين لقطع الطريق وتعرضوا لنا فجزناهم ولم نلتفت إليهم فغل الله تعالى أيديهم وبقوا بـــاهتين ينظرون إلينا حتى غبنا عنهم.					236
	* كاشف محمد بن أحمد بن محمد الشريف المليتي بعودة رداء ابنته الذي سرقه لص.		x			269- 270
	* مكاشفة بإرجاع اللص لأغـــراض الخيـــل... ببركته.			x	x	270
	* سرق سرج من داره... فقال نجـــده إن شـــاء الله... فوجده جارنا.		x			270
المجموع		17	29	13	07	66

الجدول رقم29: يوضح حضور الكرامة الصوفية في ردع آفة اللّصوصية

قبل الولوج لتحيل معطيات الجدول نحاول تقديمها في شكل بياني لتسجيل التعليق عليها:

أنواع الكرامات						
	الدعاء	المكاشفة	منع اللصوص من الحركة	كرامات أخرى	التبرك	تسليط الحيوان على اللّصوص
التكرار العددي	17	13	13	12	07	04
النسبة	%26	%20	%20	%18	%10	%6
المجموع	66			100%		

جدول رقم 30: حضور الكرامة الصوفية في مواجهة اللّصوص.

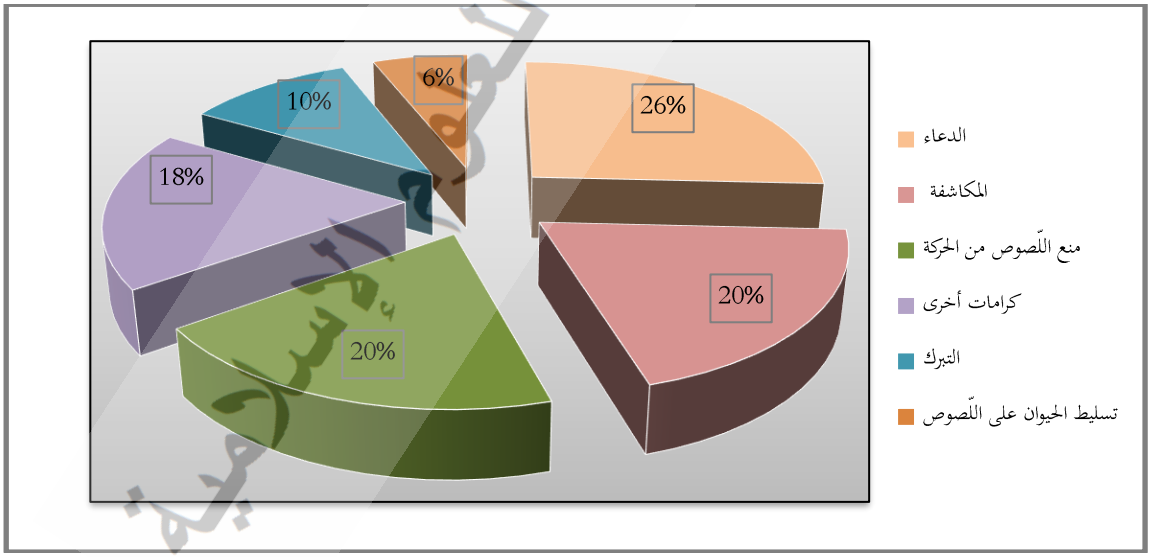

الشكل رقم20: حضور الكرامة الصوفية في مواجهة

***التعليق والتحليل:**

- توزّعت اللّصوصية وقطع الطّريق حسب المدونة المنقبية، في مختلف الفترات الزمنيّة بين مدن المغرب الأوسط بجايّة، تلمسان وبين المدينة والبادية، واختلفت مواضع السّرقة بين الأسواق والمنازل والطرق والبساتين، وحتّى داخل المساجد[1].
- اختلفت أصناف المتعرضين للتّلصُّص بين العامة والخاصة، حتّى الأولياء من الصوفيّة تعرضوا لها أو ممن ينتمون إلى الفقراء (المريدين)، لذلك يمكن أن يصنّف أدب المناقب أنّه من المصنّفات الأولى لمجتمع المغرب الأوسط خاصّة تلك الفئات الّتي تدرج ضمن المهمشين[2].
- اختلفت أشكال التّعامل مع اللّصوص واسترجاع المسروقات بين الدّعاء والوعظ بمعدل(26%)، يغلب عليها طابع المكاشفة حيث مثل حضور المكاشافات ما نسبته(20 %)، منها مكاشفة أبو زكريا المرجاني الموصلي (ق 7هـ/13م)[3] لمكان رزمة ملابس لغاسلة ثياب سُرقت منها في زحام بسوق البحر"**بجايّة**" كانت قد لجأت إليه فيها، فاتجه الولي مباشرة للمكان الّذي خبأ فيه السّارق على سبيل المكاشفة، واعتبر تعرّض المرأة للسّرقة عدم اهتمامها بغسل ثياب الفقراء فكان هذا على سبيل العقاب لها[4] من منظور الولي، شكل من أشكال الوعظ ودعوة من الولي للاهتمام بالفقراء، وفي كثير من الأحيان ما يلبث أن يتحول السّارق إلى سلك المريدين بدعاء الولي له والتّوبة على يديه، فبعد ما سرق أحد النّاس جنان ابن مرزوق (ت 781هـ/1379م) بالعبّاد وأدركه فتاب على يده وهو من الصّالحين[5]، توبة نقلته من حيز العامّة إلى مستوى الصّالحين، وهذا كان مصير سرّاق دخلوا روضة أحمد بن موسى الشّريف الإدريسي (ت950هـ/1543م) يسرقون السّفرجل فكلّما أرادوا الخروج لم يجدوا الطّريق حتّى الصّباح فأتوا الشّيخ وتابوا على يديه[6]، الكرامة الّتي كانت سبب في توبة السّراق رغم أنّهم حاولوا سرقة الرّوضة ليلا ونتيجة لما وقع في أنفسهم عادوا إلى الشّيخ وتابوا، فالكرامة تمارس سلطة على مقترف الذّنب وكانت بمثابة رادع لهم، حتّى أنّ أحد الشّطار ممّن عرف بالسّرقة والتّمرس فيها دخل مع بعض أصحابه الجامع الكبير بتلمسان ووصل إلى مقصورة الولي أحمد بن الحسن الغماري(ت 874هـ/1470م) فلّما قدّم رجله نحوه بقيت معلّقة في الهواء لا يستطيع أن يضعها على الأرض فتاب وهرب من تلك النّاحيّة[7].

---

[1]-ابن مريم، البستان، ص34.

[2]-محمد حسن، المدينة والبادية، 631/2.

[3]-الغبريني، عنوان الدراية، ص 165.

[4]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-ابن مرزوق المناقب المرزوقيّة، ص 163.

[6]-ابن مريم، المصدر السابق، ص 26.

[7]-المصدر نفسه، ص 34.

➢ أخذت الكرامة صورة أخرى من خلال النّصوص المنقبيّة تتجاوز أخبار المسالمة إلى العنف، لكنّه عنف مقدّس نابع من سلطة الولي باعتباره يعكس الذّات الإلهيّة[1]، جسدها تجمد اللّصوص عن الحركة بحضور الولي أو جزء من أجسادهم منها كأيدي أو الأرجل وقد كان حضورها بمعدل معتبر 20%[2]، الأمر الّذي كفل لها القبول داخل المجتمع، حيث يمارس الولي سلطة العقاب، والملاحظ أنّ هذا النّوع من العقاب يظهر بصورة جليّة حينما يكون المتعرّض للسّرقة خارج عن حيّز المتصوّفة أي تمسّ العامّة من النّاس ولا تمّس ذاته، فيسلّط الحيوانات المتوحشة[3] الذي تكرر ذكرها أربع مرات ما يقارب6%، لإخافة مرتكب جناية اللّصوصية فروَضة الولي مخلوف بن مسعود بن سعد بن سعيد المزيلي، كان لا يقدر أحد أن يسرق منها كلّما اقترب منها بعض الخونة قام لهم ثعبان عظيم لا يستطيع أحد مدافعته[4]، كانت كرامة الولي محمد بن عمر الهواري(ت834هـ/1439م)المتمثّلة في الخلوة والاتجاه إلى الله بالدعاء في أحد المفسدين العرب الّذي أخذ مال بعض أصحابه سببا في وفاة هذا المفسد، رغم أنّ الولي كان قد أرسل إليه رسول يعضّه ويطلب منه إرجاع المال لكنّه أساء السّيرة في الرّسول، فغضب عليه الولي ودعا عليه فتحقّقت دعوته ومات أبشع ميتة[5]، وجاءت كرامته هنا قائمة على التّجسيد إذ تجسّد فيها رجل في لباس أبيض وأمام النّاس ضربه من على فرسه فإذا هو ميّت بلا روح مفرطخ دخل رأسه في جوفه من شدّة ضربه وهي صورة تعكس الجانب العنيف للأداء الكرامي للولي، كرامة تبيّن التّدرج في تسليط العقاب على المفسدين.

➢ ساهم رواج الحكايات الكراميّة في بثّ الأمن في كثير من الطّرق التّجاريّة الّتي يخترق مجالها أهل الحرابة وتخويف النّاس وإفساد تجارتهم، على سبيل حضور بركة الوليّ في المجال حيث مثل حضورها ما قارب (10%)، فاستجارة النّاس بهم جعلتهم يشكّلون سلطة غير عاديّة على رقابة المجال المغربي[6]، وتعطي صورة الولي الكاريزماتي القادر على التّحكم في المجال برؤيّة غيبيّة إلى حد ما، سلطته أثرت أكثر من تأثير المراسيم السّلطانيّة ضدّ هؤلاء وأساليبهم القائمة على الرّدع بالسّجن والصّلب وضرب العنق.

---

[1]–سميّة مزدور، الأزمة والولايّة في المغرب الأوسط (6-10هـ/12م-16م)، نشر ضمن مغرب أوسطيات، منشورات اقرأ، قسنطينة، ط1، 2013م، ص14.

[2]–ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص164.

[3]–حضور الحيوان في النص الكرامي يكون لخدمة الصوفي ومساعدته لتحقيق أغراضه وقيمه الصوفيّة، أو لتمثيل رغباته المسقطة، وكثيرا ما تعطي الكرامات الحيوان روحا ووعيا تجعله كائنا شبيها بالإنسان، راجع: فريدة مولى، التأويل الرمزي للخطاب الصوفي، مجلة الخطاب الصوفي، ع7، 2017، ص 38.

[4]–ابن صعد، روضة النسرين، ص125، ابن مريم، البستان، ص84.

[5]– ابن صعد، المصدر نفسه، ص 121،122، راجع أيضا التمبكتي، نيل الابتهاج، تح: عبد الحميد عبد الهرزمة، منشورات كليّة الدعوة الإسلاميّة، ط1، طرابلس، 1989، ص516.

[6]–ياسر الهلالي، التراتب الاجتماعي في الباديّة المغربيّة، نشر ضمن كتاب الأسرة البدويّة في تاريخ المغرب، مكتبة دار السلام، الرباط، 2006، ص 80.

➢ تصبّ أغلب الكرامات الّتي تتبع أمن الطّرق والمسافرين سواء من تجّار أو حجّاج أو تنقل الأولياء –السياحة الرّوحية– في خانة كرامات طي الأرض الّتي تقوم على تغيير العلاقة بين المسافة من جهة والزّمن من جهة ثانيّة إذ يتمكّن هؤلاء الصّلحاء من تجاوز مسافات طويلة في فترة محدودة وبجهد بسيط قد يكون بخطوة واحدة لأجل ذلك يسمّون بأهل الخطوة[1]، تعبيرا عن غياب الأمن الّذي يعيشه الإنسان المسافر في المغرب الأوسط وانتشار اللّصوص وقطّاع الطّرق، فيظهر الصّوفي القاهر لهذه الصّعاب كلّها بل يتغلّب عليها بأنجع الوسائل[2]، كأن يمشي على الماء أو يطير في الهواء. يقدّم ابن قنفذ القسنطيني(740-810هـ/1339-1407م) صورة عن غياب الأمن في الطّرق، وما يجتازها من أهوال صورة واضحة خلال رحلته إلى المغرب الأقصى[3].

➢ أهم جانب نلاحظه في سير الصّالحين هو ما يمكن أن ندعوه بأدبيّات السّفر، ذلك أنّ أقطاب التّصوّف دائما تصلهم جماعات من الفقراء المردين ليحضروا مجالسهم وينهلوا من تجاربهم الصّوفيّة ومعارفهم العرفانيّة لنشر الطّريقة[4]، لذلك كانت سلطة الولي ترافق تلك الوفود في تجاوزها للطّرق الموحشة والّتي يقطعها اللّصوص وأهل الحرابة وحتّى حمايتها من أثر الكوارث الطّبيعيّة، منها أنّ الفقراء من أصحاب إبراهيم التّازي(ت 866هـ/1462م) استأذنوه لزيارة تلمسان بعد أن قضوا زيارتهم عنده، فبينما هم في أثناء الطّريق إذ بجماعة من فرسان العرب المعروفين بقطع الطّريق فما اعترضوا لهم ولا التفتوا لهم، وكان ذلك بفضل بركة الشّيخ عظيم الكرامة[5].

➢ الصّعوبات والأخطار الّتي تواجه مواكب الحجّاج كان أصحابها يتجاوزونها ببركة الاستغاثة بأولياء الله إذ كان يباغتهم اللّصوص وقطّاع الطّرق بالغارة في مجموعات يسلبونهم متاعهم حيث يذكر ابن مريم[6]، أنّ حاجّا سرق حماره ببرقة فاستغاث بالولي الصّالح الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان (875ه/1454م) فرأى الشّيخ عينا بصورته ولباسه صاح على العرب الّذين أخذوا الحمار، صيحة عظيمة دهشوا منها وتركوا حمار الحاج كرامة تجاوز فيها الولي المكان من تلمسان إلى برقة لاستغاثة ضعيف به. فالرّوايات المنقبيّة تقدّم دلالات حول سرعة فزع الولي للمستغيثين به وغضبه من المفسدين وسرعة تحقّق

---

[1]–محمد العمراني، كتب المناقب، ص 60.

[2]–محمد مفتاح، الخطاب الصوفي في المغرب الإسلامي، ص107.

[3]–ابن قنفذ، أنس الفقير، ص 113،105.

[4]–منها تلك الوفود الّتي كانت تفد على مجالس أبي مدين شعيب، تأتي في معظمها من الباديّة والريف وتعود بتعاليم الطريقة، راجع: المصدر نفسه.

[5]–ابن صعد، روضة النسرين، ص167، النجم الثاقب، ص78، ابن مريم، البستان، ص236.

[6]–ابن مريم، المصدر نفسه، ص75.

دعائه، فيصبح مجرد التّهديد والوعيد بالولي كفيلا وذا فعاليّة في حضور السّيطرة الكاريزماتيّة، ويبعث على إعادة إنتاجها وفرضها[1].

➢ الملاحظ أنّ خطاب العقوبات الذي مارسها الصوفية من المنظور الكرامي، جاءت وفق نمطيين **العقاب نفسي**، وممارسة **العنف الجسدي** ضد اللّصوص، يرتكز أساسا على طبيعة الكرامات الصّوفيّة الّتي مارس الولي من خلالها سلطته داخل المجتمع، فنجد أنّ معظم هذه الكرامات تُرجع ذلك الفساد إلى ضعف الوازع الدّيني في نفوس العباد، فجاء تدخّلهم لإصلاح الخلل عبر خطاب التّرهيب والتّرغيب[2].توظيف العقاب النفسي والعنف قائم على الانبهار من خلال حضور الخارق، مفهوم يتطابق مع **"الهيبة"** التي تقابل هي الأخرى **"الكاريزما"** باعتبارها آلية من آليات السيطرة النفسية، فالكاريزما تعني صفة تخالف المألوف يتحلى بها شخص يمارس سلطة تنتمي إلى علم الغيبيات أو تتجاوز قدرة البشر أو تتعارض مع العادة على الأقل تجعل من ذلك الشخص يَظهر كمُنقذ[3]، شخصية تجمع بين الهيبة والمقدس هذا الأخير الذي استمد حيويته من مجالات متعددة؛ الوظيفية، الروحية والعلمية[4]، فقد كفل القبول الاجتماعي للكرامة وأصبحت سلطة ثالثة على المنحرفين خاصّة أنّها؛ صورة المقدّس الّذي يمارس فيها سلطته في أشكال مستمدّة من مدى حاجة المجتمع إليه (حالة الفقر، المرض، الأزمة النّفسيّة ...).

ويبدو أن توظيف العنف كان للضرورة وشدة خطورة الممارسة اللّصَصّية، ذلك أن من الأولياء من استنكر استعمال العنف ضدّ السّرّاق، فاستعمال عيسى بن فكرون[5] للسّكين في مواجهته للصّين أرادا أخذ برنس له أثناء صلاته، ومكاشفة الولي أبو البيان واضح[6] لذلك مع استنكاره لسلوكه العنيف اتجاههما بقوله: **"يا عيسى أعطيتك السّكين لتزيل بها الشّوك من رجلك فإذا أنت تروع بها النّاس"**[7]، في هذا السّياق تأخذ العقوبة شكل التّستر يراعي فيها الولي المستوى الاجتماعي للسّارق وحتّى طبيعة الأغراض المسروقة مثل السّرقة الّتي حدثت في مجلس أمير المؤمنين بحضور الولي أبي عبد الله بن إبراهيم الفهري والّتي تمّ بعدها استرجاع اللّآلئ المسروقة دون المساس بحرمة من سرقها[8]، رغم القيمة الماليّة للغرض المسروق والمجلس الّذي حدثت فيه، لكن العقوبة لم تتجاوز التّستر على صاحبها بفكرة من الولي.

---

[1]–نللي سلامة العامري، الولايّة والمجتمع في العهد الحفصي، منشورات كليّة الآداب بمنوبة، تونس، 2001م، ص 312.

[2]–مسعود بريكة، الفضاء الثقافي لبجاية، ص366.

[3]–عبد الأحد السبتي، النفوذ وصراعاته، ص71، 72.

[4]-Houari Touati, en relisant les Nawazil, op.cit, p77.

[5]–كان الحاج عيسى فاضلا متخلقا، عابدا مجتهدا قائما بالواجبات موفقا للطاعات، قوي العزمات ممن حج بيت الله الحرام خمسا وعشرين حجة وقبره بمقبرة من جبل الونشريس مشهور معروف بالبركات وإجابة الدعوات" راجع في ذلك: المازوني، صلحاء وادي شلف، ص154.

[6]–أبو البيان واضح بن عاصم المكناسي دفين خندق أرهيو،"الشيخ الصالح الّذي كان بنواحي شلف وقبره ووطنه وخلفه معروف بتلك البلاد إلى اليوم نفع الله تعالى به"، ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص288.

[7]–المازوني، صلحاء شلف، ص159.

[8]–الغبريني، عنوان الدراية، ص186.

***الزّاويّة الرّيفيّة والمسألة الأمنيّة:** لم يبق حضور الولي وتفاعله مع أزمة غياب الأمن على المستوى الفردي بل تعدّاه إلى المستوى الوظيفي، وذلك من خلال نشاطه داخل الزّاويّة والرّباط؛ الّذي بني أساسا على قاعدة أمنيّة جهاديّة كانت أهدافها خارجيّة، ثم تطوّرت إلى مهمة داخليّة، خاصّة مع بدايّة القرن (5ه/ 11م) حيث كثر نشاط الهجرات الهلاليّة في داخل البلاد واستفحال الهجمات النّورمانديّة على سواحلها[1].

وعليه يبقى المعطى السّياسي هو المحرّك الأساسي لدائرة الأمن وتأثيره على تحرّك الجماعات داخل مجال المغرب الأوسط، فتحرك الجماعات الزّيانيّة بعد سقوط الدّولة الموحديّة أيضا، واستخدامهم للأعراب نشّط حالة عدم الأمن، خاصّة أنّ اللاأمن دائما يطبع الفترات الّتي تسبق سقوط الدّول في المغرب الإسلامي، لذلك كان دور المرابطين وأصحاب الزّوايا إغاثة الملهوف والمحتاج ومساعدة التّجار والمسافرين ضدّ قطّاع الطّرق[2]، الدور الذي اضطلعت به في تنظيم ركب الحج والإشراف على حمايته، فأخذت الزويا في تنظيم رحلات جماعية تظم مئات بل آلاف من الحجاج لتهوين مشاق السفر، فنشأ عن ذلك ما يعرف **"بركب الحاج المغربي"**[3] الذي عرف بتدابير وتقاليد خاصة في الحركة لبيت الله أهمها ضمان حماية الحجاج، وقد تأسس على يد الإمام أبي محمد صالح الماجري(ت631هـ/1233م)[4].

الأصل في تأسيس الزّاويّة الرّيفيّة ارتباطه بالظّرفيّة الأمنيّة الّتي خلفتها القبائل الهلاليّة في محاولتها للاستقرار داخل مجال المغرب الأوسط، فكان سبب تأسيسها هو تأمين المسافرين أي أنّها كانت تقام على منافذ تجاريّة مهمة، الّتي يعترضها اللّصُوص لذلك ينسب إليها اسم **"الزاويّة الملجأ"** بعدما كان اسمها **"المدشر"**، في القرن (7هـ/13م) الّذي يقصد به البناء الصّغير المتصل بالأرض الزّراعيّة، اعتبر مأوى للمسافرين ومأمن من خطر اللّصُوص[5]، فالوظيفة الّتي انحصرت بها حتّى القرن(8هـ/14م) تمثلت بالأساس في تهدئة المجموعات الريفية والبدوية المقفرة وحماية الحضر من بطش اللصوص وقطّاع الطّرق مما يفسر اختيارهم للمسالك والممرات الاستراتيجية في بناءها[6]، وفي التّفاعل الجدلي بين المقدّس والمجال استفادت الرّبط والزّاويا في القيام بوظائفها[7]، ذلك أنّ مجال الولي محمي بفعل سلطة الكرامة. تذهب النّصوص الكراميّة لتصوير أنّ المجال المخيف يتحوّل إلى مكان آمن لمرابطة الصّوفي فيه وشيوع بركته به[8]،

---

[1]–سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص 194.

[2]–الطاهر بونابي، عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط، سلسلة الكتب الأكاديميّة لكليّة العلوم الإنسانيّة، المسيلة،3،2017/373.

[3]–محمد بكور، طريق الحج الصحراوي، ص55.

[4]–المرجع نفسه، ص56.

[5]–الطاهر بونابي، المرجع السابق،4/ 752.

[6]– محمد حسن، الفقراء والزوايا بوسط إفريقيا، ص344، غنيّة عباسي، مدينة مازونة وناحيتها في العصر الوسيط–دراسة مونوغرافيّة–، جامعة الأمير عبد القادر الإسلاميّة، قسنطينة، 2011–2012، ص 204

[7]–سعيد بنحمادة، نظام الشرطة، ص216.

[8]–آمال الدرع، الحركة الصوفية، ص334.

منها زاوية منصور بن عمر الدّيلمي الّتي يتّجه لها النّاس طلبا للأمان على النّفس والأمـــوال[1]، وزاويّـــة أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي(622هـــ/1263م) ببجاية[2]، وزاوية يعقوب بـــن يوســـف البويوســـفي (717هـــ/ 1317م)[3]، إضافة إلى زاوية سعادة الرّحماني[4]بطولقة الّتي كان من مهامها حماية النّـــاس ضـــدّ قطّاع الطّرق[5].

ووردت في كتب الفقه والنّوازل العديد من النّوازل الّتي تحثّ على إقامة الأولياء الـــرّبط لحمايـــة المسافرين وحبسها لأنفسهم للمدافعة ضدّ أهل اللّصوص وقطع الطّريق ممّن يخيفون السّبل[6]، بـــل وأصـــبح الولي بمثابة خفير للعابرين إذ يحمي القوافل والأشخاص أثناء تنقله، ذلك أنّ **الحسن الوزان** يذكر صـــعوبة تجاوز بعض المناطق ما لم يكن بصحبة الأولياء[7]، فتحوّل **الخفّارة** من قيمة ماليّة أو متاع يدفع ليـــتم عبـــور الطّريق بسلام من هؤلاء القطاع إلى قيمة معنويّة مثّلها شخص الولي عبر سلطته النّابعة من الكرامة، هاتـــه السّلطة المعنويّة المعبّر عنها **"بالمقدّس"** انتقلت في القرن (9هـــ/15م) لتمّس أغراض الولي وزاويته، وقـــبره فيصبح بمجرد وجود الزّاوية أو قبر الولي بمجال من المجلات حتّى يتحوّل إلى مجال آمن، وضعيّة ساهمت في بعث سلطة الرّباط من جديد خلال هذا القرن عبّر عنها **"بالحرمة"**[8].

وأهميّة الزّاوية في حفظ الأمن في هذه المرحلة القرن (8هـــ/14م) دليل على غياب الأمـــن وعـــدم قدرة السّلطة على تحقيق هذه الميزة لذلك اتّجهت تلك الفئات الخفيرة للولي لتحقيق الأمن ضـــدّ قطّـــاع الطّرق، وتأمين المسالك الخطيرة، هذه الصّفة الأمنيّة أصبحت صفة ملازمة للزّاوية وفي حال غيابها تفقد – الزّاوية– هيبتها، وواحدا من أهم مبررات تأسيسها.

***المفهوم الاجتماعي للتّوبة:** تطوّر سلوك الأعراب في المغرب الأوسط من حيازة المجال في القـــرن (5هـــ/11م-6هـــ/12م)إلى سلوك منهج الاستقرار بعد هذا القرن، وتطوّر معه مفهوم جديـــد ارتـــبط

---

[1]- ابن مريم، البستان، ص235.

[2]-الغبريني، عنوان الدراية، ص162.

[3]- ابن قنفذ، أنس الفقير، ص.40

[4]-من قبيلة رياح من رحمان، نشأ وهو منتحل للعبادة والزهد، وارتحل إلى المغرب ولقي شيخ الصالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحي تازة أبا إسحاق التسولي وأخذ عنه ولزمه، وتفقه عليه ورجع إلى وطن رياح بفقه صحيح وورع وافر، ونزل طولقة من بلاد الـــزاب علـــى أقاربـــه وعشيرته، ابن خلدون، العبر، 51/6.

[5]-المصدر نفسه، 51/6.

[6]-الونشريسي، المعيار، 403/2.

[7]-الثغري، مناقب التلمسانين، ص245، حسن الوزان، وصف إفريقيا، 46/2.

[8]-آمال لدرع، المرجع السابق، ص 159، مراد جدي، الفعالية الاجتماعية والثقافية للأولياء والصلحاء في حياة المجتمع الريفي المغربي الأبعاد السوسيولوجية والرمزية للأدوار والوظائف التاريخية، منشور ضمن التاريخ والمجال والمجتمع والثقافة بالمغرب مقاربات متقاطعة، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 2018، ص298، 299، حيث ارتبطت صفة الحرمة بهذه القبور حيث كانت ملجأ لاعتصام الناس من اللّصوص وقطّاع الطّرق، مثل قبر الواضح الشلفي، وقبر أبي يعقوب بن عبد الله بن محيو الهواري بني علوان بساحل مازونة وقبر أبي الربيع، راجع: غنيّة عباسي، مدينة مازونة، ص 208.

بالولي والزّاوية والتّخلي عن الحرابة؛ مفهوم **"توبة الأعراب"**، مصطلح اختصّت به المصادر الفقهيّة[1]، توبة يخرج فيها (المحارب/ التّائب)، من الانتساب لغلبة العصبيّة القبليّة إلى الانتساب إلى الدّين الإسلامي وتعاليمه عبر سلوك الطّريقة الصّوفيّة، على يد قطب من أقطابها. فقد مثل القطع مع مظاهر الخروج عن طاعة السلطة وفتح باب التوبة أمام فصائل البدو من المحاربين واندماجهم التدريجي في الحياة الاجتماعية أكبر تحدي لأهل الصلاح[2] .لذلك شكّلت الزّاويّة الحضرة الّتي تهتم بالجانب التّعليمي والدّيني والملجأ الأمني على غرار زاويّة سعادة الرّياحي في طولقة أنموذج لاندماج الأعراب داخل المنظومة الصّوفيّة، والاجتماعيّة للمغرب الأوسط[3]، خاصة أنّه كان يشتّد على قطاع الطّرق واللّصوص ممّن يخترقون ذلك المجال[4].

توبة الأعراب وإتباعهم للطّريقة الصّوفيّة كان دليلا على ضعف العصبيّة القبليّة في هاته المرحلة، وتحوّلها إلى عصبيّة دينيّة، زادت من اندماج العناصر العربيّة داخل المجال الحضري للمغرب الأوسط، منها أن المحارب التّائب يتّجه نحو قطب طريقته في المدينة ليتعلّم أصول الدّين والطّريقة[5]، ليس **اندماجا دينيا** فقط، ولكن **اندماجا داخل المنظومة الاجتماعيّة** كوسيلة لتحقيق الأمن في المجالات الّتي يعتريها اللّصوص، وتحوّلها إلى مجالات آمنة، **واندماج اقتصادي** من خلال ممارسة الزّراعة، ومنها التّوقف عن نمط العيش السّابق القائم على الخطف والغارة وحيازة الممتلكات، مفهوم التّوبة هنا يحمل عدّة تفسيرات تختلف بالاختلاف الصّورة الّتي يظهر عليها، **التّوبة الدّينيّة**: الإقلاع عن فعل السّرقة وقطع الطريق، **التوبة بالمفهوم الاجتماعي والاقتصادي**، ما تجسّد مع القبائل الهلاليّة؛ أصبحت تعبر عن الاندماج في المنظومة الحضريّة عبر سلك نمط إنتاجي بعيد عن الخطف والسّرقة، حتّى مفهوم سياسي في بعض المراحل يحيل مفهوم التّوبة فيه للولاء السياسي خاصّة إذا رفعت الدّولة يدها عن النّاس وتخلّت عن فرض الضّرائب والقبالات، خاصة وأن بعض الدارسين يفسرون نشاط اللّصوصية المرتبط بهؤلاء الأعراب يكون أكثر اشتدادا زمن فرض السّلطة للضرائب على هذه القبائل[6]، فتتّجه إلى اللّصوصية للتمرّد، لذلك لا يمكن فصل الوضع السّياسي عن الوضع الاقتصادي وانعكاسهم على المجتمع. الباحث التونسي: محمد حسن يعتبر الحرابة انتفاضة، ونتفق معه في الفترة الزّمنية التي حددها من القرن7هـ/13م، حيث أصبحت هذه القبائل تعرف الاستقرار أو شبه الاستقرار فتعبر عن تمردها بالحرابة، فتأخذ بذلك شكل التمرد الاجتماعي ضد السلطة.

---

[1]–لطفي عيسى، مغرب المتصوفة، ص 43.

[2]–المرجع نفسه، ص123.

[3]–راجع أنموذج يوسف الدهماني في المغرب الأدنى: ويمثل الدهماني أنموذجا لاندماج العرب الهلاليين في الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة بافريقيّة، إذ دفع أبو يوسف أعداد كبيرة من هؤلاء البدو إلى التوبة، هي بمثابة الانخراط الاجتماعي مع السكان المدن والقرى والتخلي عن حياة البداوة أو الحرابة، ابن الدباغ، الأنوار الجلية، ص13.

[4]–ابن خلدون، العبر، 51/6.

[5]–الطاهر بونابي، مظاهر المجال والدين، ص 130

[6]–الطاهر بونابي، عصر المتصوفة، 382/3.

هاته المعادلة حاول الولي فيها تحقيق الأمن الرّوحي من خلال نشاطه الكرامي وفعاليته الوظيفيّة الأمنية داخل نظمية الزّاوية، عبر سلطة العقاب الّتي سمحت برواج سلطة الولي داخل المجتمع. قدمت المدونة المنقبية أيضا مفهوم للتوبة آخر للتوبة، يتجاوز التوبة السياسية والتوبة الدينية إلى المفهوم الاجتماعي للتوبة بالتخلي عن الحرابة ومظاهرها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد التطرق لمختلف جوانب الموضوع، ومحاولة إعطاء صورة عن اللّصوصية في المغرب الأوسط من الناحية الاجتماعية فأن المعالجة البحثية خلصت إلى مجموعة من الاستنتاجات نسوقها في النقاط التالية:

-رغم أنّ الدراسة لم تعتمد أسلوب المقارنة الكلي بين اللّصوصية في المشرق وفي المغرب إلا أنّ الملاحظ أنّ طابع التدوين المشرقي حول الظاهرة تميز بالدقة والعمق في الوصف، وتعد الأدبيات المشرقية مصدر لا ينضب في دراسة الظاهرة من الناحية الأنثروبولوجية ومبررات ذلك ترجع للبيئة الثقافية التي طبعت المجال، بتوظيف الشعر تعبيرا عن واقعهم، عكس لصوص المغرب الذين ارتبط حضورهم بقضايا السلب، النهب، الغصب، الحرابة والتعدي.

-نستفيد من هذه الدراسة أنّ مصادر اللّصوصية بالمغرب الأوسط تتطلب التجول بين متون مصدرية عديدة، إذا حاولنا ترتيبها من حيث خدمتها للموضوع؛ فإذا كان التوجه نحو معرفة أحكامها والحدود المترتبة حولها والحكمة من تشريع العقوبات والحدود، فالمصدر الأول يتمثل في كتب الحدود والأحكام السلطانية، يضاف لها كتب الفقه والنوازل التي تنقسم مادتها لقسمين من حيث خدمتها للموضوع في شقه النظري القانوني، الواقعي، يليها كتب المناقب والتراجم فكتب الرحلة، تنفرد هاته المجموعة بوصف مشاهد ميدانية للّصوصية وقطع الطريق في العصر الوسيط، في ختامها كتب التاريخ العام التي تطبع الظاهرة بالمعطى السياسي.

-الضبط اللغوي والاصطلاحي لدلالة اللّصوصية يفيد بالفروقات بين اللّصوصية والسرقة، وأنّ اللّصوصية عامة عن السرقة تنضوي تحتها أنواع عديدة (السرقة، قطع الطريق-الحرابة- الخطف، القرصنة)، لا يتوقف تحديدها على المعطى اللغوي بل يعتمد أيضا على المؤثرات الطبيعية، السياسية، والاجتماعية في ظهورها، فنجد لصوصية، عفوية(معزولة)، لصوصية ظرفية، لصوصية منظمة، وأخرى اجتماعية (تمرد اجتماعي)، وعليه يبقى مفهومها مرتبط بالوسط الذي تظهر فيه.

-احتراف اللّصوصية يعكس الواقع نفسي اجتماعي للصوص الذي لا يمكن ربطه بسلوك الانحراف فقط، فهي ظاهرة تأخذ أبعاد أنثروبولوجية مما يدفع الدارس لها، يتناولها إلا في وسط المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والدينية، والسياسية وحتى النفسية.

-التمظهرات التي أخذتها اللّصوصية في البر، والقرصنة في البحر تؤكد أنّ جل المغذيات الظاهرة تنبثق عن الأزمة بمختلف أشكالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويدخل في نطاقها أيضا الصعوبات الجغرافية المناخية التي حفزت على انتشار آفة اللّصوصية وقطع الطّريق.

-المسألة الأمنية في المغرب الأوسط، معطى بنيوي تتشابك فيها العديد من المعطيات، وتعد دعامة قيام الدول وسقوطها باختلالها، فلا يمكن ربط الانفلات الأمني بالمعطى السياسي الذي تمثله حالة الحرب المستشرية، فانتشار اللّصوصية وقطع الطرق يعتبر هو الآخر مؤشر مهم على زعزعة الأمن داخل الدولة.

-ربط اللّصوصية بطبيعة مجال المغرب الإسلامي وانتمائه لحوض البحر المتوسط مع قراءة مختلف مشاهد اللّصوصية البرية والقرصنة البحرية، قد يفتح المجال للقول أنّ لصوصية المغرب الأوسط امتداد لظاهرة قديمة عرفها المجال، نشطت في الجبال والمفاوز والقفار، وعلى المسالك الخطرة، وعلى المسالك البحرية وسواحلها، حتى أنها عرفت امتداد إلى ما بعد العصر الوسيط.

-في ذات النقطة السابقة وبحكم انتماء لصوصية البحر في المغرب الأوسط لواقع عام عرفته المسالك البحرية للبحر المتوسط، فإن مظاهر القرصنة على السواحل سواء الإسلامية أو النصرانية تؤكد حالة الاختلال الأمني والاجتماعي التي يعيشها الطرفين، جاءت القرصنة أهم مظهر لها.

-عدم ثبات حدود المغرب الأوسط وتداول سلط سياسية مختلفة الحكم فيه، جعل المناطق البعيدة عن مركز السلطة أكثر عرضة للّصوصية وقطع الطريق، كون مراقبتها صعبة خاصة زمن الحروب، لذلك يمكن الاصطلاح على النشاط اللصّصي بها لصوصية الحدود أو لصوص الحدود، لهم ترتيباتهم في القطع، الخطف، لا تخالف نظيرتها من لصوصية المسالك، وفي المقابل فإن عدم الاستقرار السياسي على مجال المغرب الأوسط وضعنا أما حتمية دراسة وتتبع اللّصوصية في مدن المغرب الأوسط أو التي كانت تحت حكمه في الفترات السياسية المختلفة.

-إنّ الجزم التام بأنّ آفة اللّصوصية نتاج الدخول الهلالي للمغرب الإسلامي، واندفاع الجماعات البدوية لمجال المغرب الأوسط مع القرن 5هـ/11م، مع حصر أعمال الحرابة في العنصر الأعرابي دون ربطها بالظروف العامة التي يعيشها المغرب الإسلامي فيه حقيقة من التحامل والمبالغة على العنصر الوافد، لكن الواقع الذي صاحب انتشار هذه المجموعات في المرحلة الأولى وإلى غاية القرن النصف الأول من القرن 6هـ/12م، حول تلك الجماعات من الأعراب مرغمة على ممارسة السّلب والنّهب وقطع الطّرق، لصعوبة الحصول على مجال للاستقرار به والمراعي بحكم أنها مجموعات بدوية بالأساس، ويبقى نشاطها متعلق بالظرفية التي حفزت الظاهرة في مجملها(الواقع الأمني والاقتصادي داخل المغرب الإسلامي المتزامن مع دخول هذه الجماعات)، وأخرى خاصة منها ضعف الدولة ونقص عمليات الغزو التي تمارسها كون معظمها جماعات تعيش على الارتزاق العسكري.

-تفكيك بنية المشهد اللّصّصي وإعادة تركيبها، يكشف عن ثغرات خلفتها نقص المادة المصدرية وانحصارها في ذكر السرقة وقطع الطّريق دون تفصيل أحداثها لأن الحدث اللّصّصي بها في الأصل يأتي عرضا وليس محورا ثابتا في نقل الأخبار والأحداث، هذا النقص يمس الأساليب وما يرافقها من خطط للتطبيق السرقة، الفروق الواضحة من حيث السرقة الفردية والمنظمة، التركيب العددي، ومهام كل طرف عند قطاع الطرق، مع طبيعة العلاقة التي تجمع كل عضو في المجموعة.

-القراءة في خريطة انتشار اللّصوصية نجدها تتوزع على النحو التالي: الإغارة ترتبط بالنظام القبلي (إغارة المجموعات القبيلة على بعضها البعض، إغارة القبائل في حراكها على الدولة) وقطع الطّريق

بالمسالك والطّرق (على المسافرين من التجار والحجاج) أما السرقة فأكثر ما ترتبط به المدينة (المنازل، الدروب، الأسواق)، من حيث الخطورة شكلت الغارة وقطع الطريق أخطر أنواع اللّصوصية لاعتمادها على الهجوم الجماعي تظهر فيها مظاهر التعنيف بصورة كبيرة، فيما مثلت السرقة مظاهر أخف.

-إذا اعتمدنا على البادية والمدينة في التوزيع، حتى المسميات اللّصوصية يطرأ عليها تغير لكن الممارسة تظل نفسها، فالحرابة ترتبط بالبادية والريف، والسرقة بالمدينة، إلا أنّ ذلك لم يمنع من وجود تداخل بينهم فقد عرفت المدينة نوعا من الحرابة مثلتها؛ **قتل الغيلة، هجامة الليل، قتل المكابرة ومغالبة**، كما انتشرت السّرقة بالبوادي، لذلك يمكن اعتبار أشكال اللّصوصية ومدى انتشارها من المؤشرات النسبية في التمييز بين المجال البدوي والحضري.

ـــربط اللّصوصية وقطع الطّريق بالعامة وحصرها في الطبقات الدنيا من المجتمع يعد ظلما اجتماعيا، فهناك من الطبقة الخاصة من مارسها تحت مسمى "**الاختلاس**"، الذي يعكس رغبة عناصر سياسية بتسلق سلم الجاه عن طريق الحصول على المال، إما بصرف نظر الدولة عن أعمال اللصوص وقطاع الطرق على نسبة يأخذونها منهم، أو بالاختلاس المباشر للمال العام من خزينة الدولة، وقد نعتبره من مبررات التي دفعت بتهميش هذه الظاهرة كون من مارسوها هم "**لصوص دولة**".

-آثار اللّصوصية لم تتوقف على الجانب المادي من فقدان المال والمتاع، بل أكثر ما أثرت عليه الجانب المعنوي الذي مس ساكنة المغرب الأوسط في نفسيتهم، خاصة أنها فعلت مظاهر العنف والخوف داخل المجتمع.

-جهود احتواء آفة اللّصوصية مثلتها تدابير عكست مرجعيات كل طرف وأسلوبه في تحقيق الأمن النفسي والمادي للمجتمع، في مجملها أخذت الأشكال التالية؛ تدابير **عفوية** يغلب عليها الطابع الفردي في مواجهة اللّصُوص، **تدابير سلطوية** مثلتها السلطة السياسية بتفعيل تدابير أمنية ممثلة في جهاز الشرطة، والفقهية من خلال دور الفقهاء، **تدابير عرفية** عرفتها الطرق، **تدابير رمزية** مثلتها سلطة **المخيال والمقدس** من خلال نشاط الصوفية والأولياء التي في غالبها بقيت مجرد مسكنات للظاهرة ولم تقدم حلولا جذرية.

-موقف السلطة من اللّصوص، يتميز بالضبابية ذلك أن موقفها منهم في بداية الدولة تستخدم فيه خطاب شديد اللهجة وتوظف أجهزتها العسكرية والإدارية لمواجهتهم ومحاربتهم والتنكيل ببعضهم، مما يزكي مشروعها في طريق التتويج بالحكم كونها تدخل في جهاد الخارجين عن **الدولة وأهل الفساد**، في حين أنّ موقفها في آخر مراحلها يتحول إلى التعامل معهم وتوظيفهم في الحماية، في موقف متناقض بين بداية الدولة ونهايتها، إستراتيجية تؤكد أنّ موقف السلطة مبني على ما يحقق مصالحها السياسية بالدرجة الأولى.

-علاقة السلطة السياسية باللّصوصية في مرات عديدة كانت دافع قوي لتفعيل الظاهرة، فتراجع دورها في التخفيف من حدة انتشار الآفة وعدم قدرتها على حماية العامة من اللّصُوص، وما زاد الواقع سوءا

التحالفات التي جمعت السلطة مع **القبائل القطعية** مما أعطاها **شرعية غير مباشرة** في مواصلة نشاطها اللصّصي والحرابي في المجالات البعيدة عن نظر السلطة السياسية، وبقيت أطراف الدولة المجال الذي يعاني فيها ساكنة المغرب الأوسط.

-في السياق نفسه التدابير **العرفية** وإن كان بعضها نابع من **التنظيم القبلي** الذي يميز مجال المغرب الإسلامي فإن جزء منها تطور مع مرور الوقت وساهمت السلطة في تحفيز ظهوره، فظهرت مفاهيم **الخفارة، اللص الحامي**، مفاهيم تحمل بداخلها ثنائية الأمن واللّصوصية، فساهمت بدورها في تأجيج الظاهرة أكثر خاصة في نهاية القرن9هـ/15م وبداية القرن10هـ/16م، حيث تأخذ أبعاد اجتماعية عميقة.

-التجربة الصوفية في مواجهة الظاهرة، جاءت في شكل **مشروع اجتماعي** يحتوي تراجع دور السلطة المركزية، بالاستفادة من توبة اللّصوص والسرّاق، **بدمجهم في سلك المريدين** تحول بعضهم إلى أقطاب في التصوف، لكنها لم تعد إلا **تجربة محدودة** خففت من حدة نشاطهم لكن لم تقضي عليهم نهائيا.

-قدمت المصادر الفقهية والمنقبية مفهوم آخر **للتوبة** تجسد في **توبة الأعراب** بلغت أوجها مع القرن 7هـ/13م، انتشرت فيها مظاهر **الاندماج الأعرابي** داخل مجتمع المغرب الأوسط، بالتخلي عن سلوك الحرابة واعتماد الاستقرار، مما نقل مفهوم التوبة من الحيز الديني إلى المفهوم الاجتماعي **"التوبة الاجتماعية"** بسلوك تلك الجماعات النمط الزراعي في اقتصادها وتخليها عن قطع الريق.

-اللّصوصية في المغرب الأوسط إنتاج محلي لا يمكن فصله عن الأنموذج اللصّصي في مجال المغرب الإسلامي، أثرت على الواقع الأمني، وهددت استقرار المجتمع النفسي والاقتصادي، ودفعت بالسلطة للاعتراف بهم من خلال التحالف غير الرسمي معهم، في حين أنها لم ترق إلى مستوى حركات الشطار والعيارين في المشرق، إلا أنّ ذلك لم يمنع من تصنيفها أنها **رد فعل اجتماعي** على **مظاهر الأزمة** (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، النفسية والأخلاقية) التي تخبط فيها المجتمع على طول الفترات التاريخية.

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم1: مخطط يبين توظيف مدلولات مصطلح اللّصوصية في الأنواع المصدرية.

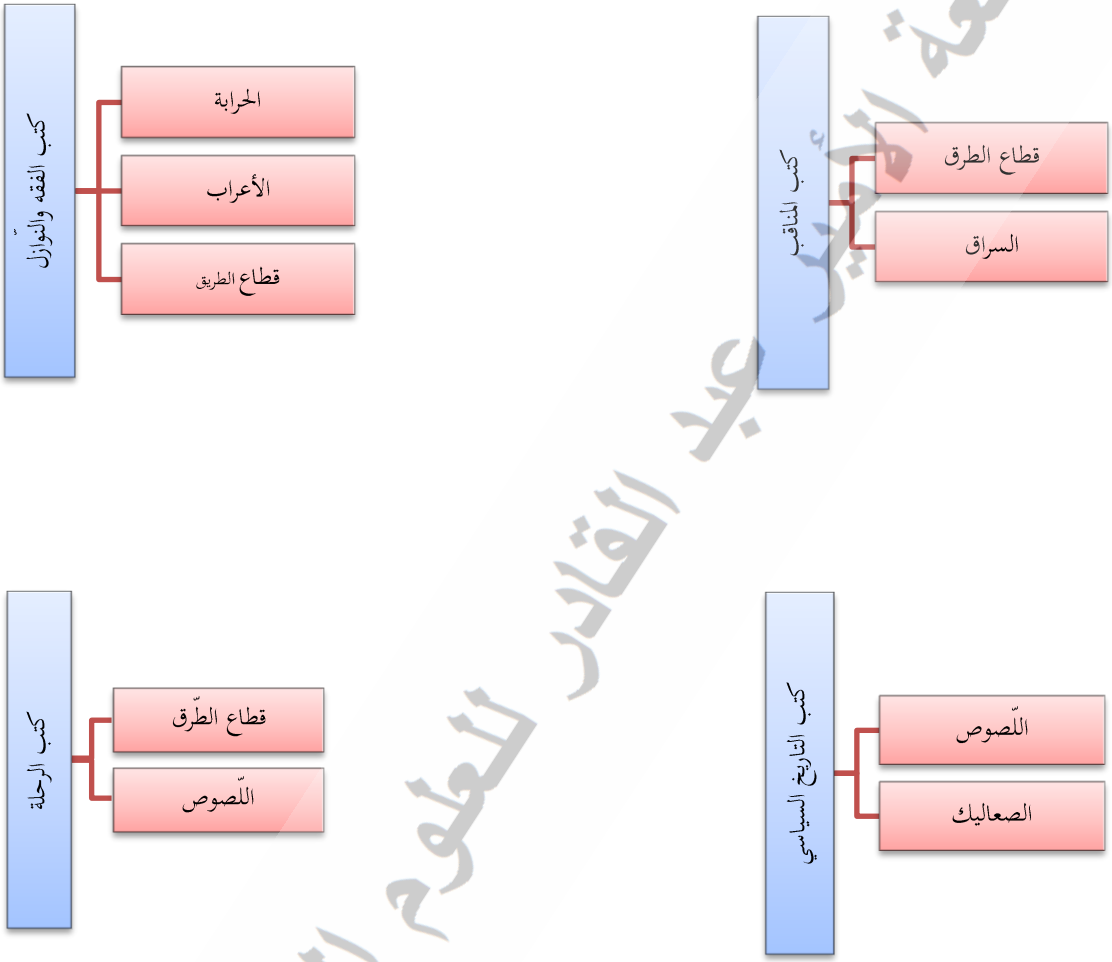

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم2: تطور حضور اللّصوصية وقطع الطّرق في المغرب الاسلامي من خلال كتب التراجم والمناقب من القرن: (6-9هـ/12-15م).

القرن	التكرار العددي
6هـ/12م	17
7هـ/13م	11
8هـ/14م	11
9هـ/15م	15
المجموع	54

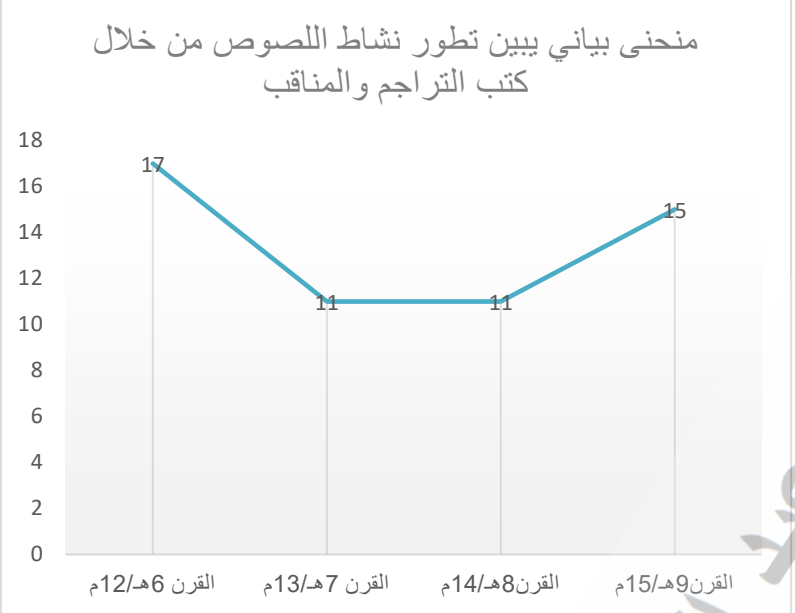

المصدر:

1- التادلي، التشوف، المصدر السابق.

2- الغبريني، عنوان الدراية، المصدر السابق.

3- الباديسي، المقصد الشريف، المصدر السابق.

4-ابن قنفذ، أنس الفقير، المصدر السابق.

5-ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، المصدر السابق.

6-المازوني، صلحاء شلف، المصدر السابق.

7-ابن مريم، البستان، المصدر السابق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم3: مخطط يوضح دورة ابن خلدون في قيام وسقوط الدولة وعلاقتها بمظاهر اللّصوصية في المغرب الإسلامي.

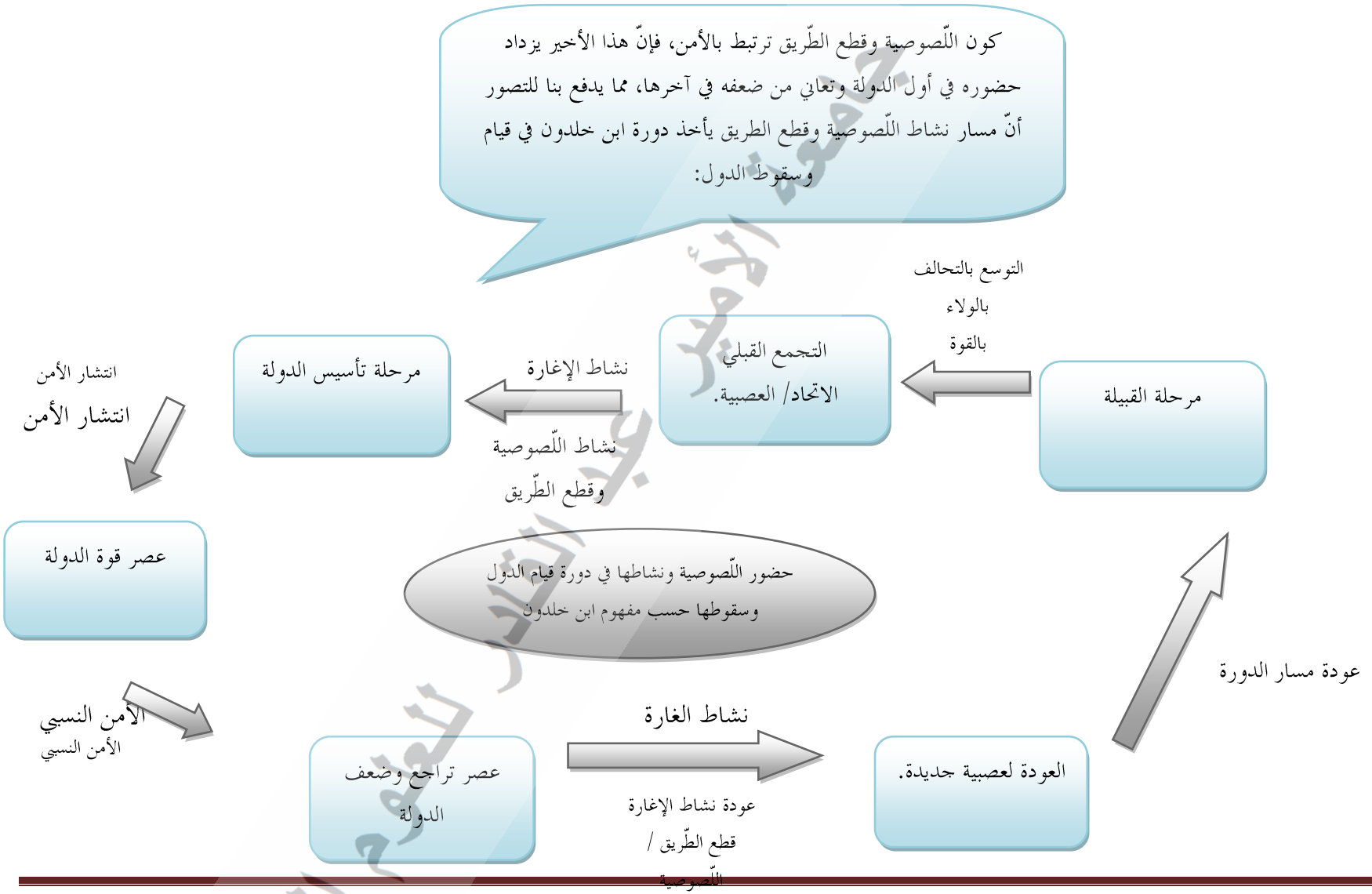

الملحق رقم4: مخطط يوضح علاقة السلطة السياسية مع الأعراب.

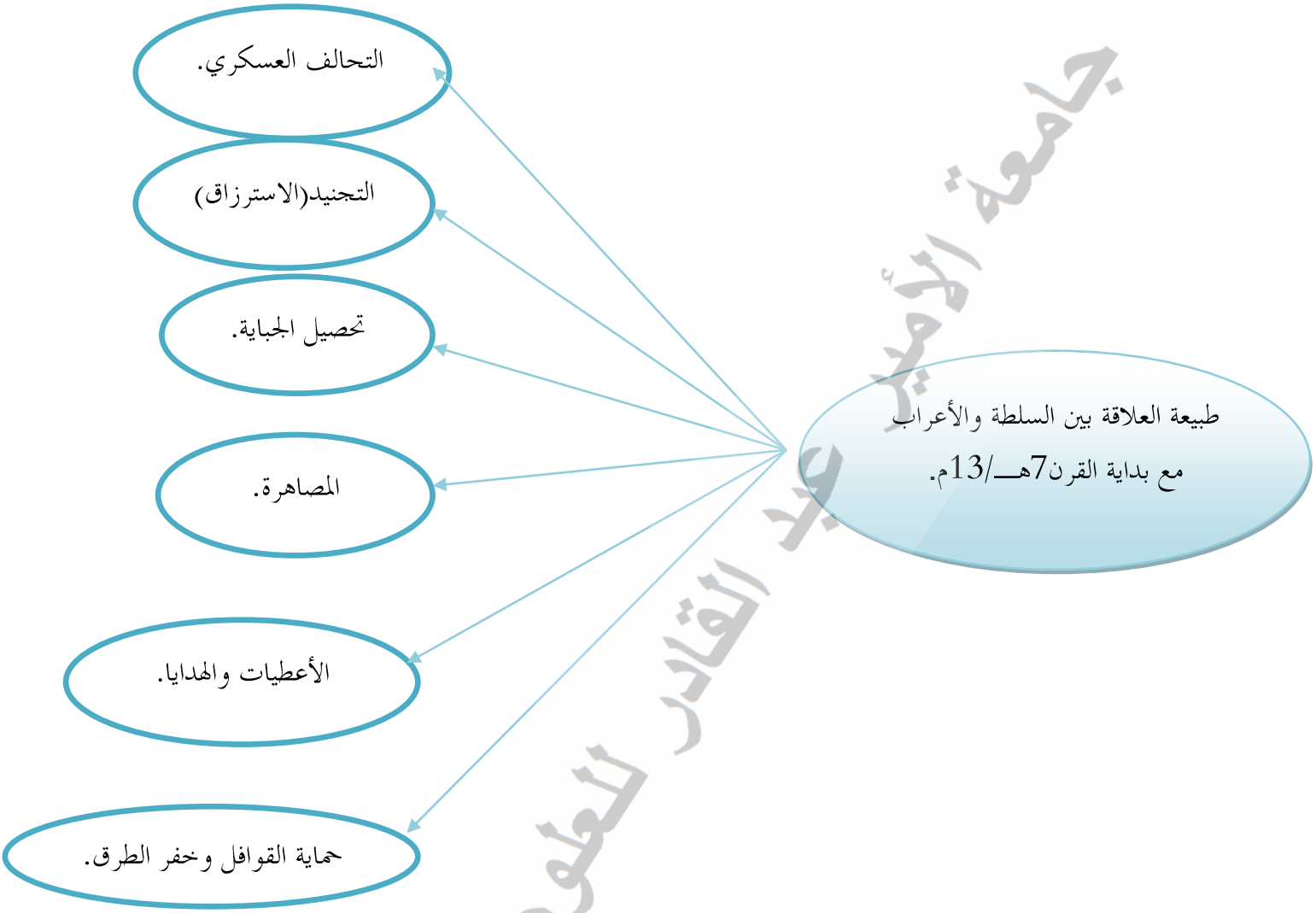

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم5: جدول يوضح طبيعة الفقر في مجتمع المغرب الأوسط

رقم	النص	المصدر
1	بسكرة ...أما سكانها فمؤدبون لكنهم فقراء لأن أراضيهم لا تنتج غير التمر	حسن الوزان، وصف إفريقيا،138/2
2	طولقة سكانها فقراء هم أيضا ومثقلون بالإتاوات من قبل الأعراب وملك تونس	نفسه، 140/2.
3	مستغانم لها ميناء صغير كثير ما تقصده السفن الأوروبية لكن أصحابها لا يحققون أرباحا مهمة لشدة فكر السكان.	نفسه، 32/2.
4	مازونة وإنما نساجون أو فلاحون وجميعهم تقريبا فقراء لأنّ الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات	نفسه، 36/2.
5	سكان جبال مطغرة يقع نحو ستة أميال من ندرومة، سكانه أشداء لكن فقراء إذ لا ينبت في جبلهم حب غير الشعير.	نفسه، 43/2.
6	جبال أغبال يسكنه أناس أنذال...وكلهم فلاحون وحطابون...يحملون حطبهم الى وهران...لكن عندما احتلها النصارى أصيب الجبليون بالفقر المدقع.	نفسه، 44/2.
7	بجاية...يعيش السكان في الفقر لأنّ الأراضي الزراعية غير خصبة	نفسه، 50/2.
8	المسيلة...يرتدون لباس رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبونهم مداخيلهم...وملك بجاية أثقل كاهلهم بالضرائب...وقد اندهشت للفقر السائد بمسيلة مروري بها...لكثرة البؤس، والفاقة السائدة بالمدينة.	نفسه، 52/2.
9	الطلبة أفقر الناس لأنهم يعيشون عيشة بئيسة في مدارسهم (تلمسان)	21/2.
10	تبحيرت... لأنّ فقرهم لا يسمح لهم بأن يستأجروا جنودا	نفسه، 15/2.
11	تسكن الهدج صحراء مجاورة لتلمسان تدعى أنكاد ليس لهم ممتلكات ولا اعانات	نفسه، 63/1.
12	والرعاة سواء منهم سكان الجبال وسكان السهول يعيشون معيشة ضنكا ويبقون في بؤس وخصاصة على الدوام.	نفسه، 88/1.
13	تبحيرت سكانها فقراء لا يقتاتون إلا الشعير والدخن ولهم بعض الكتان يصنعون منه قماشا غليضا	مرمول كربخال،إفريقيا،296/2.
14	قبائل معقل منهم ديلم يعيشون صحاري ليبيا مع الصنهاجيين الأفارقة وحيث أنهم لا يملكون شيئا خاصا بهم...يعيشون عيشة بائسة.	نفسه، 107/1.
15	أعراب صحراء برقة ببلاد البربر ومصر فقراء بؤساء لطبيعة المنطقة القاحلة والجافة.	نفسه، 112/1.

16	جبال مطغرة، يقع على بعد فرسخين من ندرومة الجنوب سكانه من بربر زناته، فرسان شجعان أشداء في الحرب فقراء لأنّ جبالهم لا تنبت سوى الشعير والخروب.	نفسه، 351/2.
17	جبال نزارة، جبل وعر قريب من مدينة هنين يسكنه البربر الفلاحون...وهم فقراء قمحهم قليل...ولهم قطعان	نفسه، 352/2.
18	جبال أغبال في عمل وهران يسكنه بربر...الباقون فيه فقراء يعيشون في رغب دائم	نفسه، 353/2.
19	المسيلة، عمرها سكان فقراء لا يتخلصون من ذل أعراب تلك الجهات وعسفها...ويتركونهم على حال من البؤس الشديد.	نفسه، 831/2.

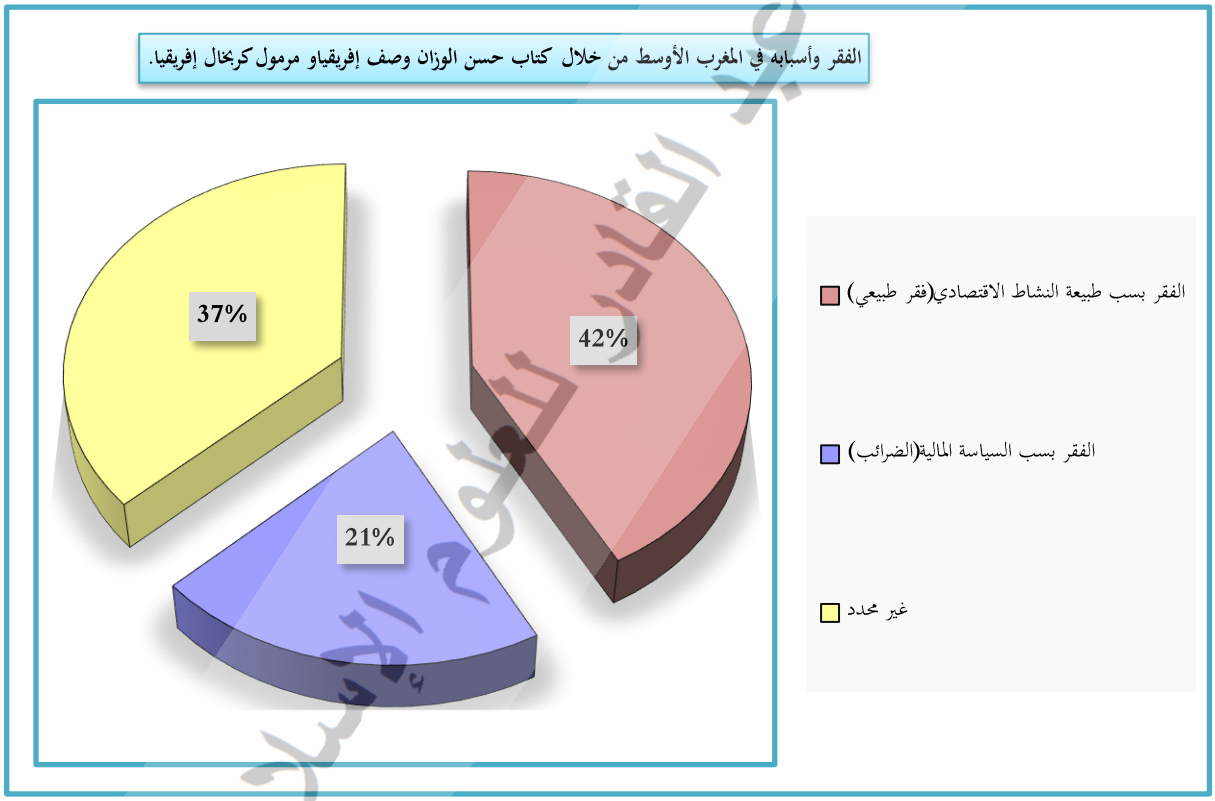

الملحق رقم6: مخطط يوضح آثار الكوارث الطبيعية على المجتمع.

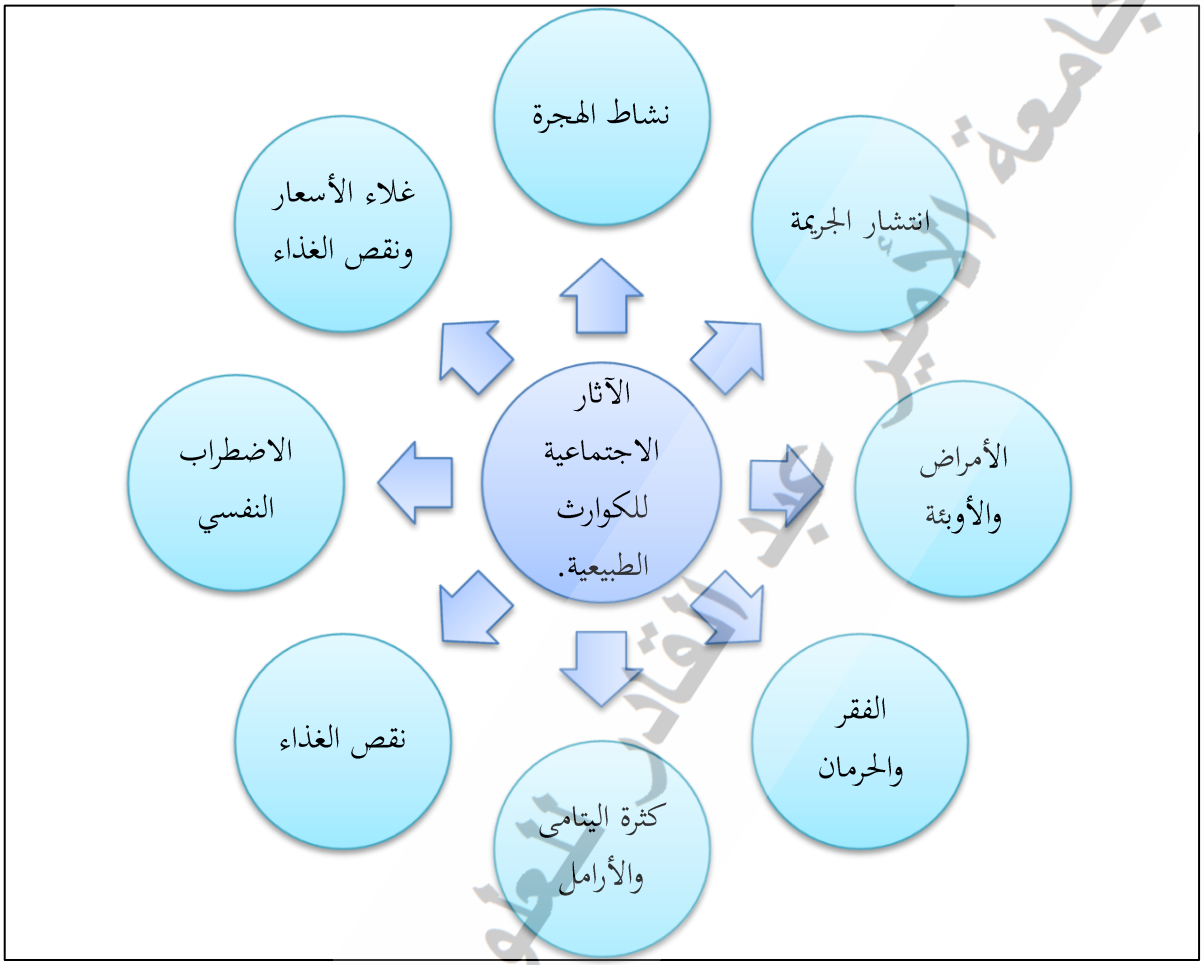

الملحق رقم7: مدرج تكراري لمعدل حضور الجوائح في المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط من القرن 5-9ه.

القرن	المجاعة	الأوبئة	الجراد	القحط	السيل
5هـ/11م	1	/	/	2	/
6هـ/12م	4	3	/	1	1
7هـ/13م	9	4	2	4	/
8هـ/14م	4	1	/	2	2
9هـ/16م	3	/	/	1	/
المجموع	30	8	2	10	3

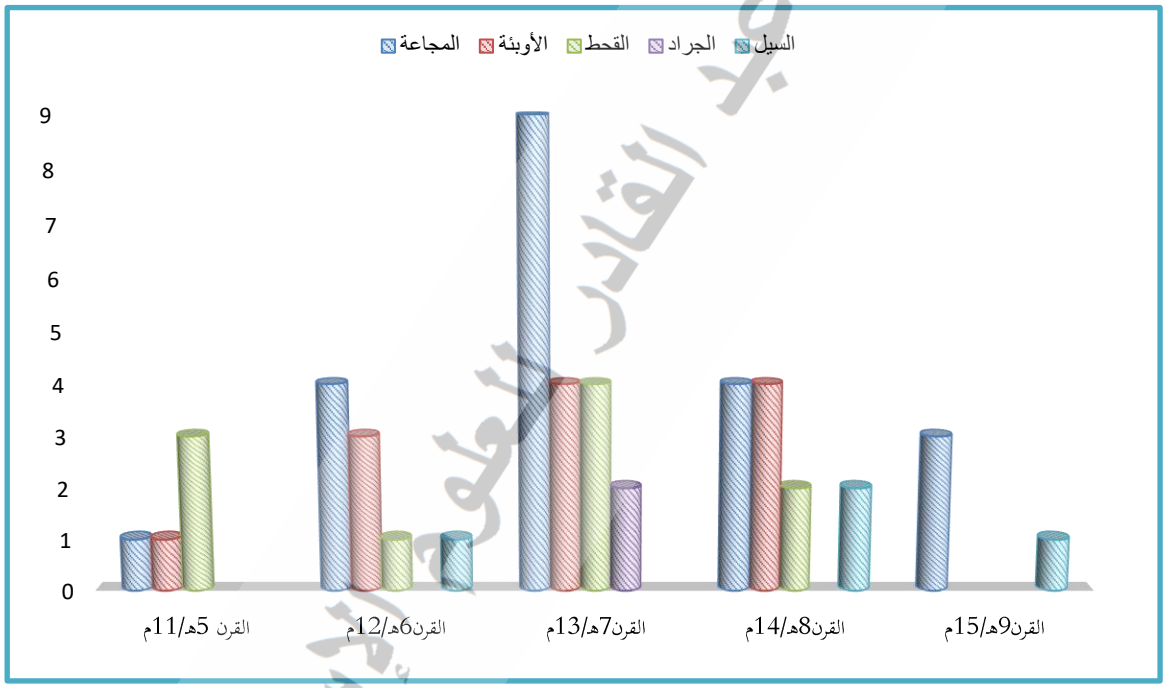

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم8: مخطط توضيحي لتركيبة المشهد اللّصَصِي في المغرب الأوسط.

المشهد اللّصَصي.

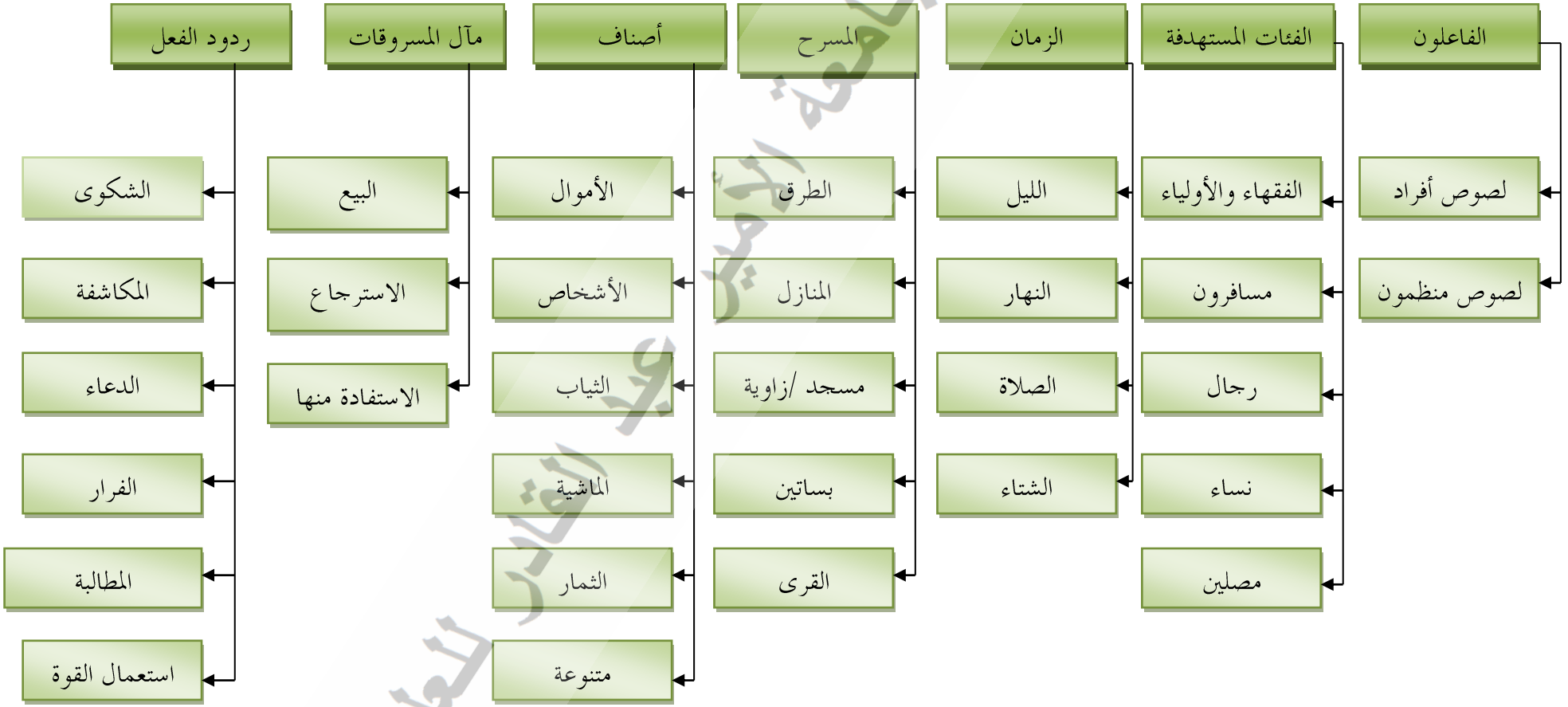

الملحق رقم9: مخطط يجسد أصناف المسروقات والفئات المستهدفة في المغرب الأوسط.

أ-أصناف المسروقات

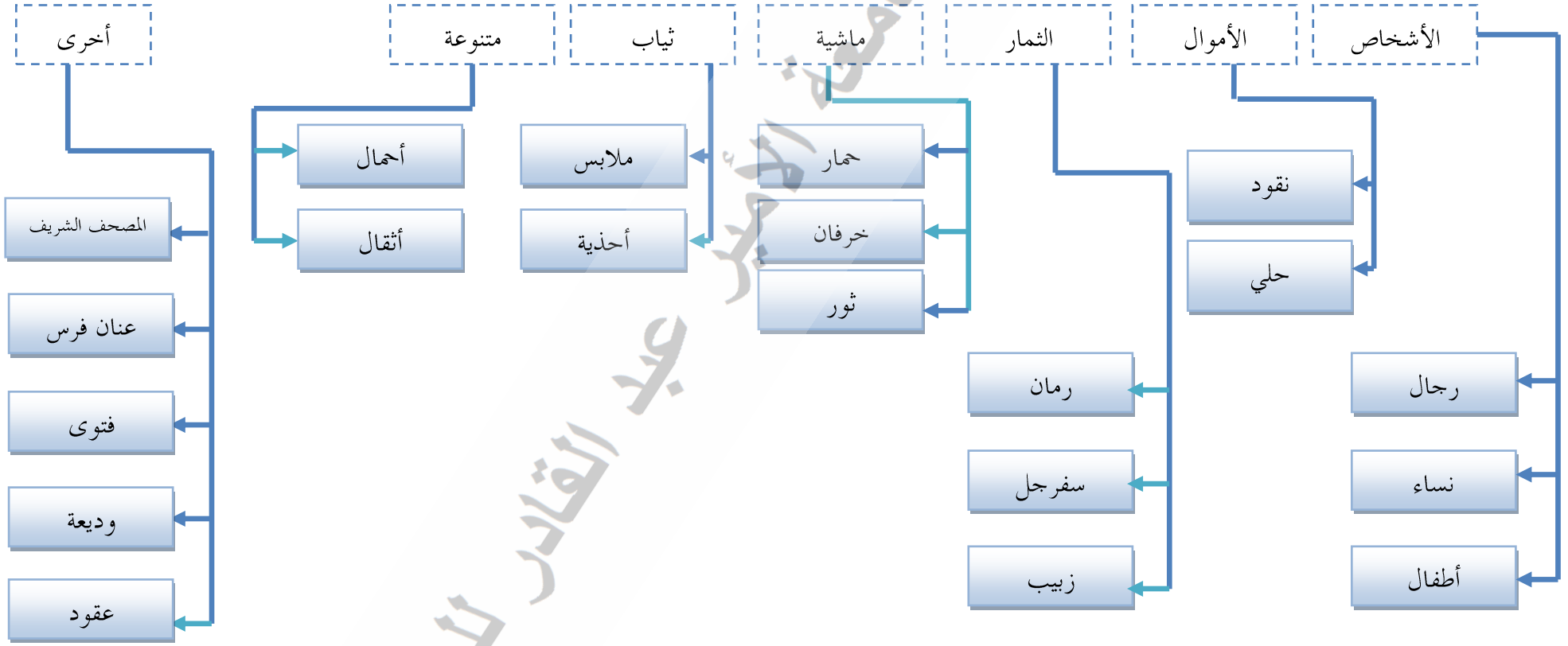

ب-الفئات المستهدفة

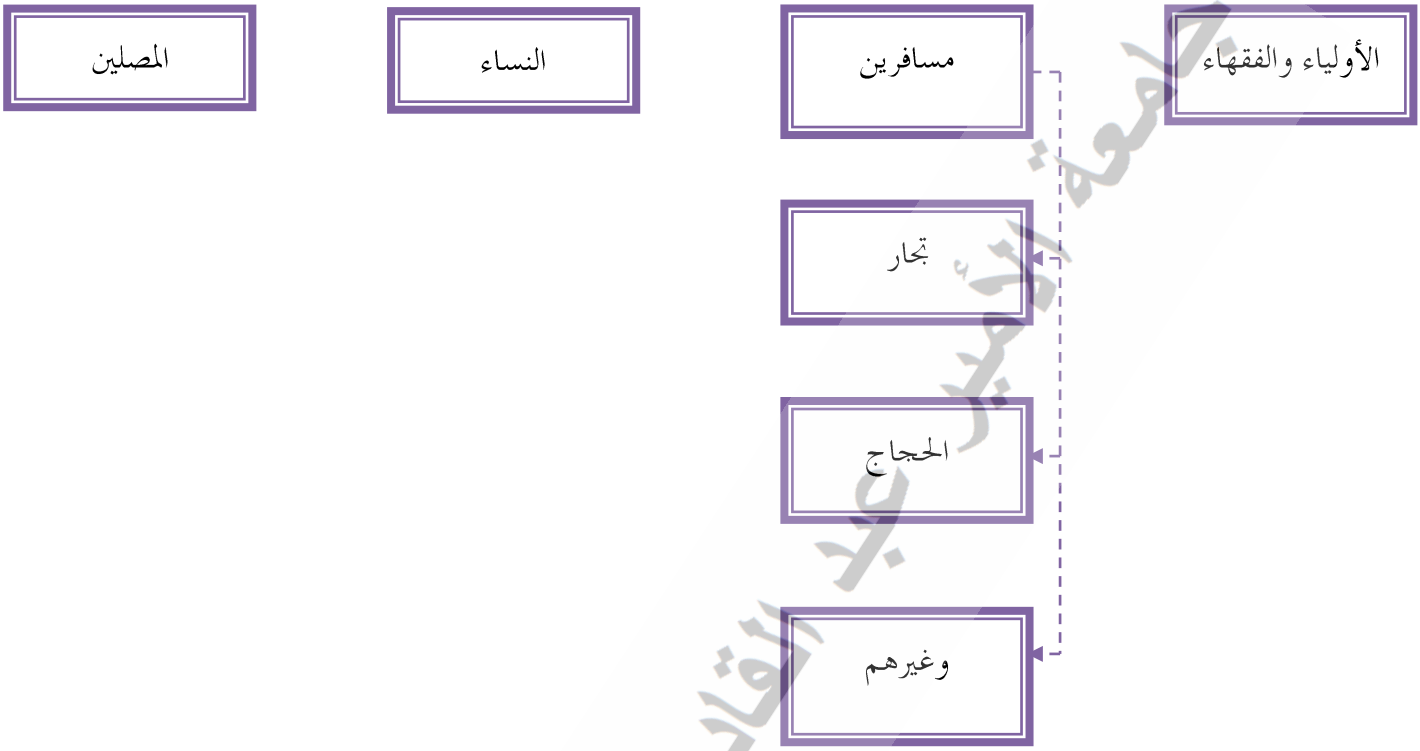

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم10: جدول يوضح أهم المسالك الخطرة في المغرب الأوسط.

المسلك	السلطة القائمة	المصدر
بونة–تونس	الموحدية	النويري، مج24/175.
فاس–تلمسان	الزياني	العبدري، الرحلة المغربية، ص45، حسن الوزان، وصف افريقيا،56/1، مرمول كرخال، إفريقيا، 292/2.
ورجلان–ريغة	حفصي – زياني	مجهول، زهر البستان، ص36.
تلمسان–بسكرة	زياني	ابن خلدون، الرحلة، ص123.
بجاية –الزاب– الجزائر	حفصي– زياني	البلوي، تاج المفرق، ص207، 205.
وهران–تلمسان	زياني	ابن صعد، روضة النسرين، ص166، النجم الثاقب، ص77، 78، ابن مريم، البستان، ص236.
الهكار–توات	زياني	ابن بطوطة، ص699.
بونة–تونس	حفصي– زياني	البلوي، تاج المفرق، ص164.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق رقم11: خريطة توضح مسالك الحج من الغرب الإسلامي إلى الحجاز

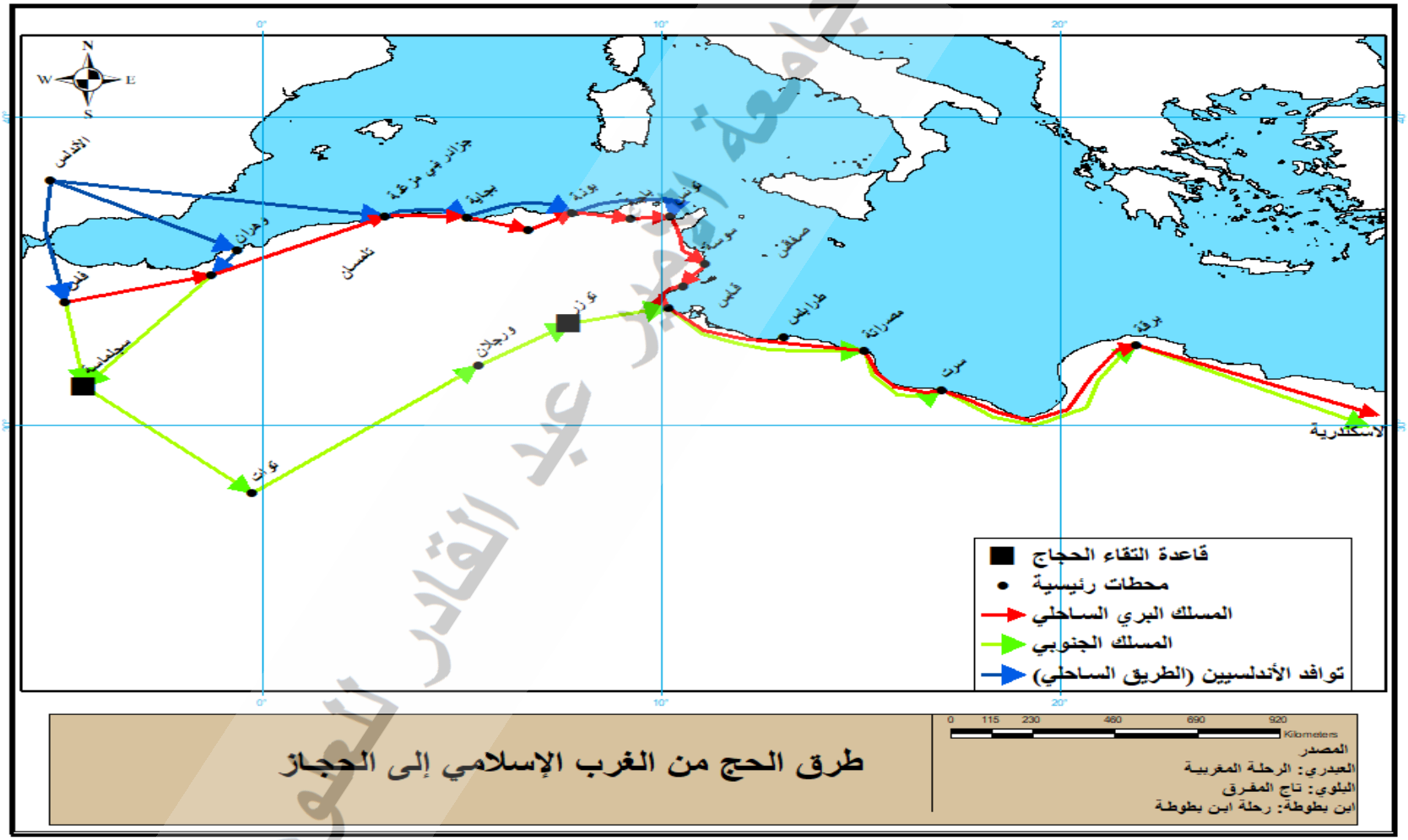

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلا

الملحق رقم12: مخطط يوضح الأخطار التي يواجهها الحجاج في طريق الحج:

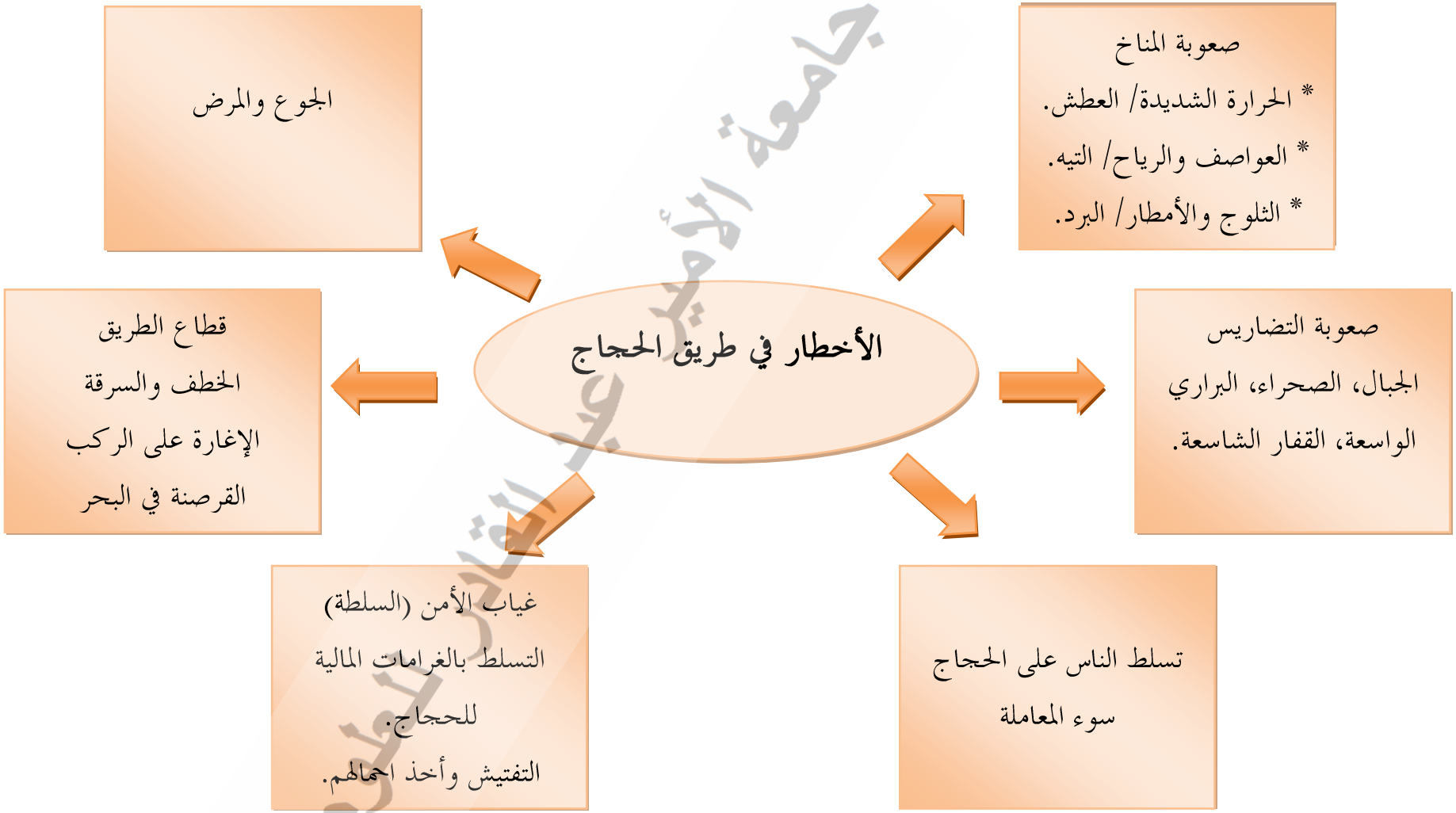

الملحق رقم13: خريطة توضح مدن المغرب الأوسط التي انتشرت بها اللصوصية

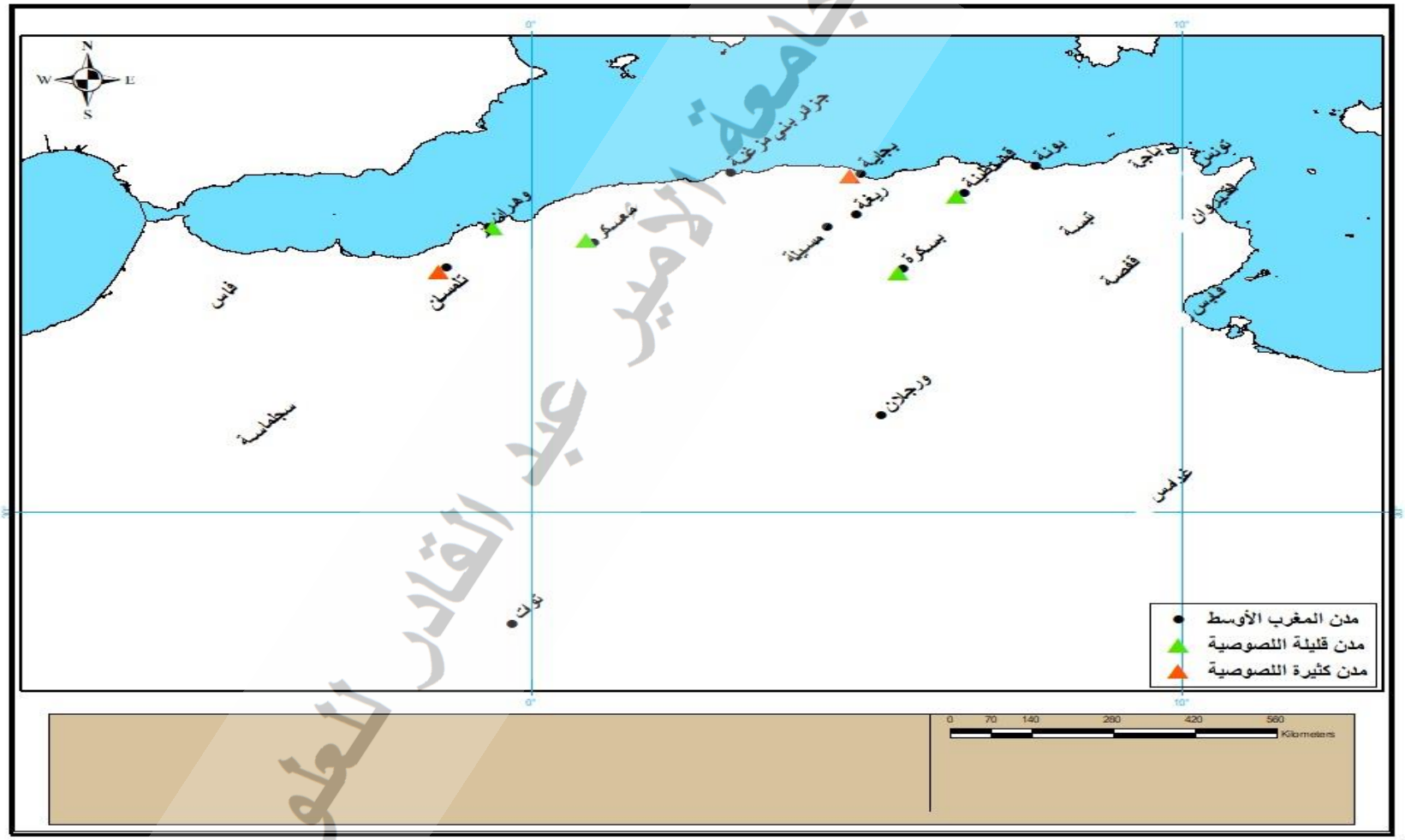

الملحق رقم 14: معاهدة تجارية بين إمارة بيزا والدولة الموحدية

اتفاقية للسلام والتجارة بين المنصور وحكومة بيشة

1 رمضان عام 582

تقديم :

في اوائل عهد المنصور وخلال حركته الى افريقية طلبت حكومة بيشة تمديد معاهدة السلام والتجارة بين الطرفين، فوافق المنصور على اتفاقية صالحة لمدة 25 سنة تحدّد شروط التعامل بين البلدين، وهي مؤرخة باوائل رمضان 582، وهذا نص الاتفاقية كما وردت عند اماري تحت رقم 5 :

نص الاتفاقية :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وعلى آله وسلّم تسليما، والحمد لله وحده[1].

الحمد لله المتعالي عن الانداد والقرناء، المتقدّس عن الصواحب والاحباء، [2] المحيط علمه سبحانه بما[3] يلتج في الارض وما يعرج في السماء،[4]، والصلاة على محمد رسوله المصطفى ونبيه الاكرم المجتبى[5]، خاتم الرسل والانبياء[4]، المبتعث بالحنيفية السمحة المجلّية لغياهب الكفر المتراكمة[6] الظلماء[4]، الناسخ برسالته الخاتمة وشريعته الدائمة كل ملة ونحلة الى يوم الدين والجزاء[4]، الموعود وعد الحق بلوغ ملك امّته ما زوي له من المشارق والمغارب والاكناف والارجاء[4]، والرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم محيي رسم الدّين بعد الدروس والعفاء[4]، ومعيده الى حالته الأولى من الوضوح والجلاء[4]، ومظهر معالم الشريعة بعدما تناولها الجهل بيد الاضمار والاخفاء[4]، وعن خليفته الاهدى وحواريّه الارضى سيدنا الامام امير المومنين ناشر علومه الباهرة الاضواء، وممشي دعوته العلية الى غايتها من الاظهار والاعلاء، ومرقيها من درجات الكمال ومراقي التّمام والاستقلال الى ارفع حالات السّموّ والنّماء، والدعاء[4] لسيدنا الامام امير المومنين[7] بن سيدنا الخليفة امير المومنين مقتفي اثرهما الصالح ببالغ الاقتفاء[4]، والمقتدي بهديهما والمهتدي بنهجهما اتمّ الاهتداء[4] واكرم الاقتداء[4]، بوفور الانصار وظهور اللّواء وعزّ الأولياء وكبت الاعداء[4]، وفتوح تتناسق، ووعود يتسابق نجازها ويتلاحق، على مرور الاوقات وتعاقب الاناء.

هذا ما امضاه امير المومنين بن امير المومنين[8] ايدهم الله بنصره وامدّهم بمعونته ــ من الصلح للقناصلة والاشياخ والاعيان[9]، والكافة من اهل بيشة وجهاتها من بلد العتيق الى قاب قرب[10] والجزائر التي هي سردانية وقرصقة[11] وابلنيزة والبة وقبرارة ومونت اقرشت وجِلْيُه وقرقونة[12]، وكل من فيها ــ هداهم الله ــ بعدما ارسلوا من زعمائهم واعيانهم «اطروان بن تدسك»[13] ــ وفقه الله ــ، واصحبوه مخاطباتهم، واستنابوه في العقد لهم وعليهم، واحالوا عليه في انهاء رغباتهم والإعلام بما عندهم، فعرّف رسولهم المذكور برغبتهم في ادامة الهدنة لهم[14]، وحرصهم على امرار ما عمّهم من نعمة الاعتلاق بذمة هذا الامر العزيز وشملهم، وقرر ما عندهم من الضراعة في حفظ عادته الجميلة عندهم، (ورب... الاحراق...)[15] لهم، وانهم ملتزمون لكل شرط يشرط عليهم، ومنهون إلى جميع ما يحلّ لهم، فأسعف ــ اعلى الله مقامه ونصر اعلامه ــ رغبتهم[16]، واجاب مسألتهم، وأمر لهم صلحهم على عادتهم وهدنتهم، وعقد لهم[17] السلم إلى مدة من خمسة وعشرين عاما من تاريخ هذا الكتاب، على الأمنة التامة، والمعدلة الشاملة العامة ؛ وأذن لهم ــ أعلى الله إذنه، ووصل إنعامه ومنّه ــ في الوصول إلى بلاد الموحدين اعزهم الله للتجارة فيها والتجهز منها، وقصرهم على أربعة بلاد من جملتها وهي سبتة ووهران وبجاية وتونس[18] ــ حماها الله ــ ولم يبح لهم النزول بغيرها ولا الاحتلال بسواها الا لضرورة من صعوبة البحر تُلجئهم إلى الإرساء[4] بساحل من السواحل دون أن يبيعوا فيه شيئا[4] أو يشتروه، أو يكلموا احدا من اهله في ذلك أو يخاطبوه، حاشا ألمريّة[19] ــ حرسها الله ــ فان لهم ان يتزودوا منها ويصلحوا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
سجل 33746

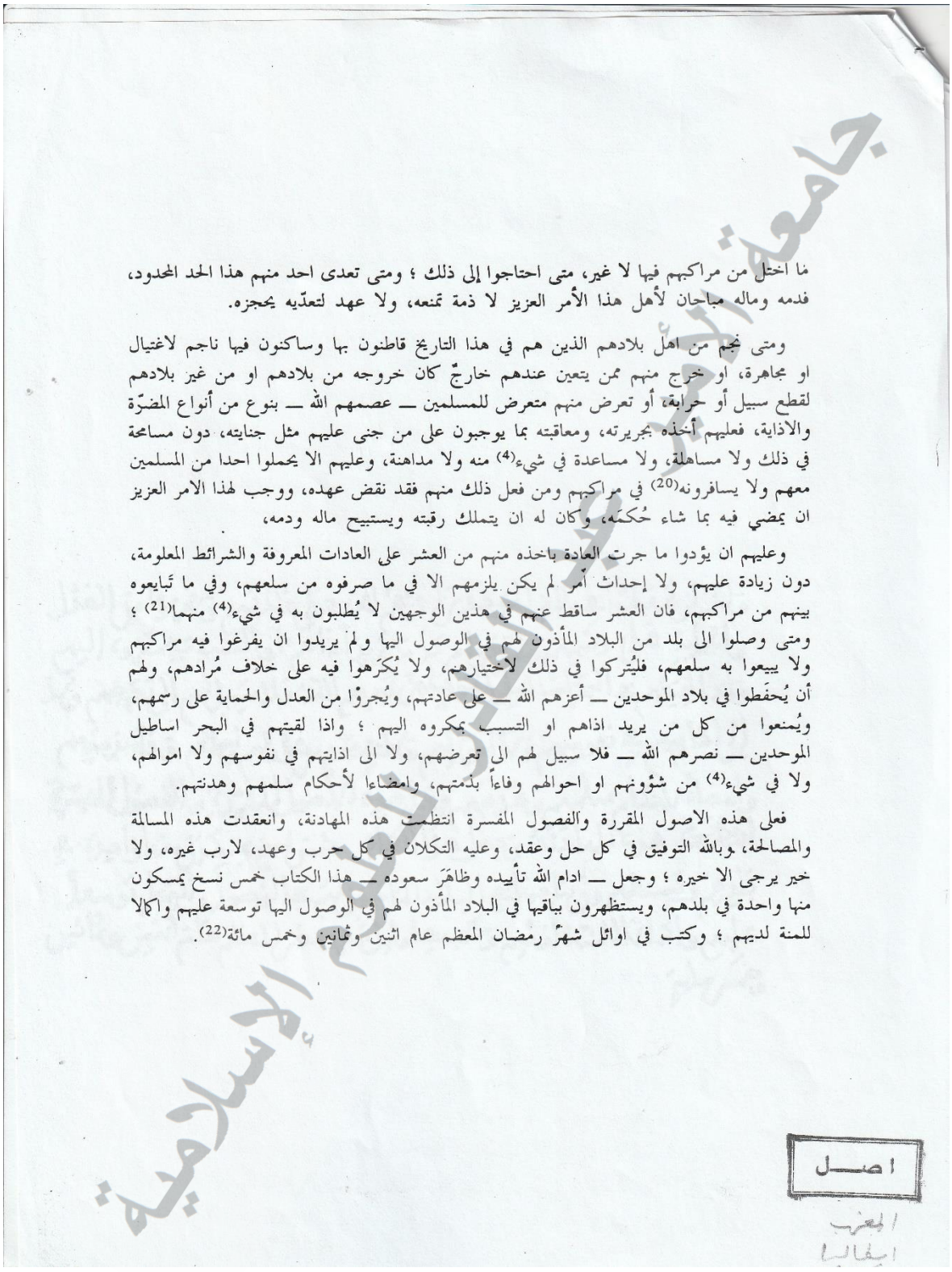

ما اختل من مراكبهم فيها لا غير، متى احتاجوا إلى ذلك ؛ ومتى تعدى احد منهم هذا الحد المحدود، فدمه وماله مباحان لأهل هذا الأمر العزيز لا ذمة تمنعه، ولا عهد لتعدّيه يحجزه.

ومتى نجم من اهل بلادهم الذين هم في هذا التاريخ قاطنون بها وساكنون فيها ناجم لاغتيال او مجاهرة، او خرج منهم ممن يتعين عندهم خارجٌ كان خروجه من بلادهم او من غير بلادهم لقطع سبيل أو حرابة، أو تعرض منهم متعرض للمسلمين ــ عصمهم الله ــ بنوع من أنواع المضرّة والاذاية، فعليهم أخذه بجريرته، ومعاقبته بما يوجبون على من جنى عليهم مثل جنايته، دون مسامحة في ذلك ولا مساهلة، ولا مساعدة في شيء[4] منه ولا مداهنة، وعليهم الا يحملوا احدا من المسلمين معهم ولا يسافرونه[20] في مراكبهم ومن فعل ذلك منهم فقد نقض عهده، ووجب لهذا الامر العزيز ان يمضي فيه بما شاء حُكمَه، وكان له ان يتملك رقبته ويستبيح ماله ودمه،

وعليهم ان يؤدوا ما جرت العادة باخذه منهم من العشر على العادات المعروفة والشرائط المعلومة، دون زيادة عليهم، ولا إحداث أمر لم يكن يلزمهم الا في ما صرفوه من سلعهم، وفي ما تَبايعوه بينهم من مراكبهم، فان العشر ساقط عنهم في هذين الوجهين لا يُطلبون به في شيء[4] منهما[21] ؛ ومتى وصلوا الى بلد من البلاد المأذون لهم في الوصول اليها ولم يريدوا ان يفرغوا فيه مراكبهم ولا يبيعوا به سلعهم، فليُتركوا في ذلك لاختيارهم، ولا يُكرَهوا فيه على خلاف مُرادهم، ولهم أن يُحفَظوا في بلاد الموحدين ــ أعزهم الله ــ على عادتهم، ويُجروْا من العدل والحماية على رسمهم، ويُمنعوا من كل من يريد اذاهم او التسبب بمكروه اليهم ؛ واذا لقيتهم في البحر اساطيل الموحدين ــ نصرهم الله ــ فلا سبيل لهم الى تعرضهم، ولا الى اذايتهم في نفوسهم ولا اموالهم، ولا في شيء[4] من شؤونهم او احوالهم وفاءاً بذمتهم، وامضاءا لأحكام سلمهم وهدنتهم.

فعلى هذه الاصول المقررة والفصول المفسرة انتظمت هذه المهادنة، وانعقدت هذه المسالمة والمصالحة، وبالله التوفيق في كل حل وعقد، وعليه التكلان في كل حرب وعهد، لارب غيره، ولا خير يرجى الا خيره ؛ وجعل ــ ادام الله تأييده وظاهَرَ سعوده ــ هذا الكتاب خمس نسخ يمسكون منها واحدة في بلدهم، ويستظهرون بباقيها في البلاد المأذون لهم في الوصول اليها توسعة عليهم واكمالا للمنة لديهم ؛ وكتب في اوائل شهرٌ رمضان المعظم عام اثنين وثمانين وخمس مائة[22].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اصـــل

المغرب
ايطاليا

المصدر: وثائق مصورة ومرقونة من الأصل مسجلة باعتبارها أصول دون الإحالة على مصادرها، رقم العلبة 22/01-703هـ/643-1304م، مديرية الوثائق الملكية، الرباط (المغرب).

الملحق رقم15: خريطة توضح المسالك البحرية الخطيرة في حوض البحر المتوسط

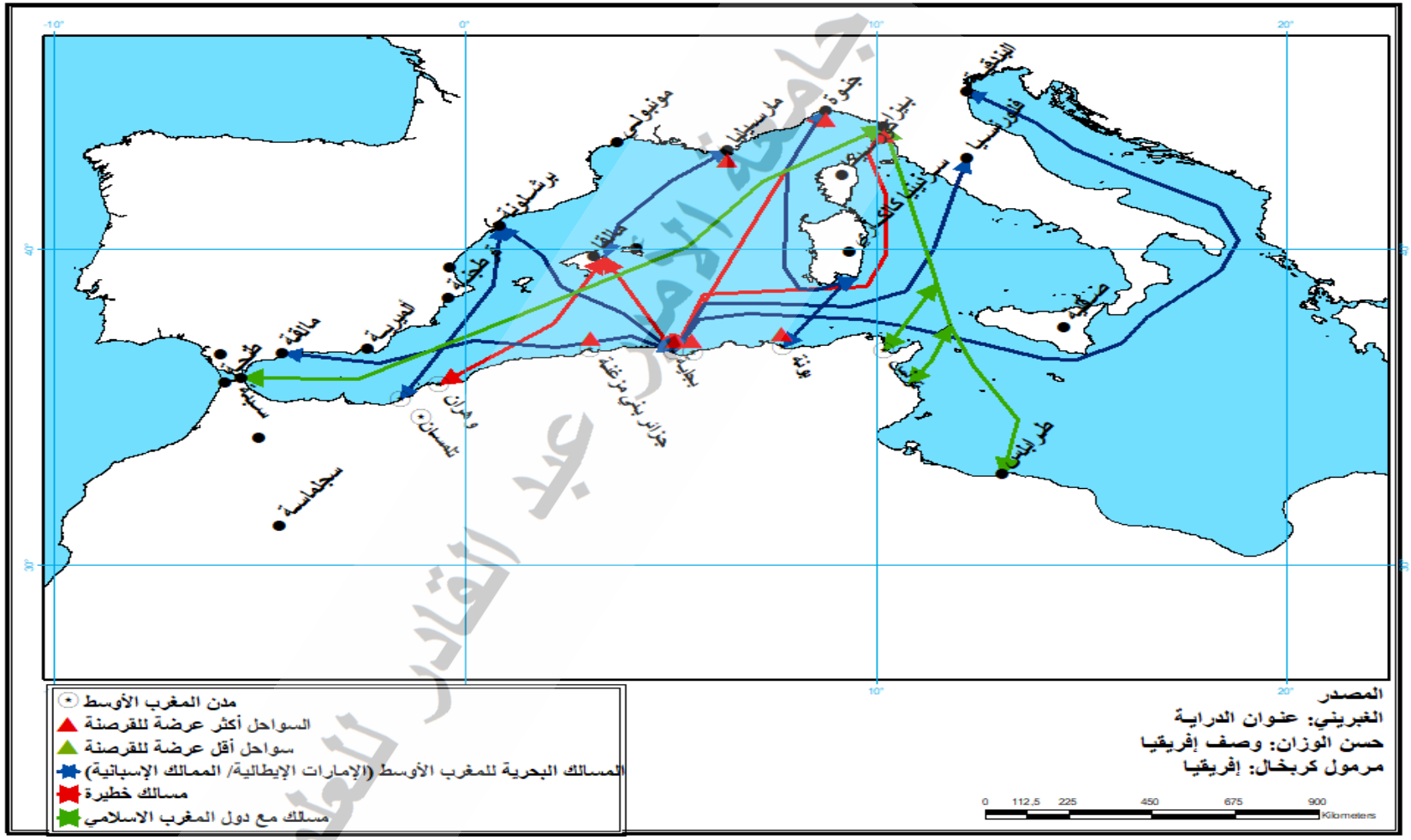

الملحق رقم16: رسالة توضح توتر العلاقات الأيوبية–الزيانية بسببتعرض سفارتهم للنهب في مجال المغرب الأوسط

الوفد المصري العائد من المغرب

يتعرّض للنهب في إمارة تلمسان [1] [709]

....[2] **أمّا عـتابُك** على شأن الرسل وما أصابهم في طريقهم، فقد حضروا عندي وأبْنتُ لهم الاستعجال حذراً ممّا أصابهم، وأريتُهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الأعراب[3]؛ فكان جوابهم: "إنّا جئنا من عند ملك المغرب[4] فكيف نخاف"، مغترّين بشأنهم يحسبون أنّ أمره نافذ في أعراب قبائلنا؛ وأمّا **الهدية**[5] فرُدّت عليك، أمّا **دهن البلسان**، فنحن قوم بادية لا نعرف إلاّ الزّيت، وحسْبُنا به دُهناً، وأمّا **المماليك الرماة** قد افتتحنا بهم إشبيلية وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد[6]، والـــسلام[7].

المصدر: أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن، دراسة وتحليل لرسائله، ص252.

الملحق رقم17: مقتطف من رسالة عبد المؤمن بن علي إلى أهل بجاية يوصيهم بإقامة الحـــدود وحفـــظ الشرائع

وآمرُ بالنظر في الربوب وتمييزها والهجوم على بائعيها ومُدْمِني شربها ومستعمليها؛ فيُراق مُسْكرُها، ويقطع مُنْكرُها؛ ولْيُعمد إلى مَن عمل المسكر الحرام عامدا، وشَرِبَهُ مدمناً عليه ومُعاهِدا، ولم تَرُعْهُ الحدود، ولم تُقَيِّدْهُ القيود، ولم يَعِظْهُ الاعتبار، ولم ينفعْه الادّكار؛ فيُمحى أثرُه، ويحذف خبرُه، فالخمرُ أمُّ الكبائر وجماعُ الاثم وكاسفةُ شمس العقل، والبلاغةُ على كلّ قبيح من الفعل، والفاتحةُ كلَّ مرتجٍ من أبواب العصيان، وهي رجسٌ من أعمال الشيطان.

وآمرُ بالكشف عن التلصُّص والجراية، والتولجُ في مكان من الريب والغواية، والاجتماع على السير الجاهليّة من الملاهي على فنونها وأنواعها وضروبها واختلاف آلاتها وما يتبعها من المناكر الناشئة عن أصل الجهالة والافعال المنافية للشريعة الصادرة على أهل الزراعة والضلالة من الرجال المفسدين، والغُواة المضلّين، ومن النساء المفسدات، المتفنّنات في طرق الغوايات؛ فاكشفوا عن هذه الاصناف وأثيروهم عن مكامنهم، ونَقّبوا عليهم في مظانّهم؛ فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنّة باستصحاب حاله، وتماديه على الاحضار في محلّ باطله ومحاله، فيحكم كتابُ الله ـ جلّ اسمُه ـ عليه، وتطاع سنّة نبيّه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فيه.

المصدر: مجموع رسائل موحدية، تح: ليفي بروفانصال، ص 133-134.

الملحق رقم18: حضور فقهاء المغرب الأوسط في مسائل السرقة والحرابة من خلال نوازل المازوني.

	فقهاء المغرب الأوسط	فقهاء المغرب الأدنى	غير محدد	المجموع
التكرار العددي	29	05	06	39
النسبة%	%72	%13	%15	%100

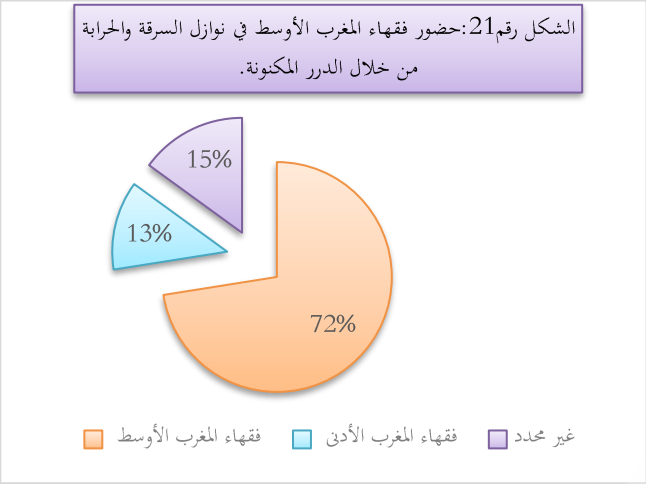

الشكل رقم21:حضور فقهاء المغرب الأوسط في نوازل السرقة والحرابة من خلال الدرر المكنونة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثبت المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثبت المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا. المصادر المخطوطة.

***ابن أبي البركات يحى بن عبد الله(ت888هـ/1483م):**

1-بشائر الفتوحات والسعود في أحكام التعزيرات والحدود، نسخة مخطوطة، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم103.

***التمبكتي أحمد بابا(1036هـ/1627م):**

2-أجوبة في شأن العقوبات العرفية، نسخة مخطوطة، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم5813.

***الدلائي محمد المنساوي بن أحمد بن محمد(ت1136هـ/1723م):**

3-مسألة في كثرة السؤال زمن المسغبة، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، رقم 342/6.

***ابن هيدور أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الفاسي(ت816هـ/1413م):**

4-ماهية الأمراض الوبائية، نسخة مخطوطة، الخزانة الحسنية، الرباط، رقم9605.

ثانيا.الوثائق.

5-**"اتفاقية للسلام والتجارة بين المنصور وحكومة بيشة 1رمضان عام 582هـ/"**، وثائق مصورة ومرقونة من الأصل مسجلة باعتبارها أصولا دون الإحالة على مصادرها، رقم العلبة، 22/01-703هـ/643-1304م، مديرية الوثائق الملكية، الرباط(المغرب).

ثالثا.المصادر المطبوعة.

***ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي(ت729هـ/1328م):**

6-الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

7-الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصورة، ط2، الرباط، 1972.

***ابن الأثير أبو الحسن علي(ت606هـ/1209م):**

8-الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1987م، مج5.

***ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف الخزرجي(ت807هـ/1404م):**

9-تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2001.

***الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد (حيا 548هـ/1154م):**

10-المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخذوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبع بريل، ليدن، 1863.

11-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، مج1.

***ابن الأزرق أبي عبد الله(ت896هـ/1490م)**

12-بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي سامي النشار، دار السلام، ط1، مصر، 2008، ج2.

***الباديسي عبد الحق بن اسماعيل(حيا722هـ/1322م):**

13-المقصد الشريف والمترع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح: سعيد أعراب، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1993.

***البرزلي أبو القاسم بن أحمد(ت841هـ/1437م):**

14-جامع مسائل الأحكام لما نزل بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت،2002.

***البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب(ت463هـ/1071م):**

15-البخلاء، تح: باسم عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2000.

16-التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، تح: باسم عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، ط1، بيروت.

***ابن بطال الركبي أحمد بن سليمان(ت633هـ/1235م):**

17-النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب،تح: مصطفى عبد الحفيظ سالم،دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، 1988، ج1.

***ابن بطوطة محمد بن عبد الله(ت779هـ/1377م):**

18-رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1992.

***البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م):**

19-المسالك وممالك (الجزء الخاص ببلاد المغرب)، تح: زينب الهكاري، مطابع الرباط نت، ط1، الرباط، 2012.

20-المسالك والممالك، تح: أندريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

***البلوي خالد بن عيسى(حيا767هـ/1365م):**

21-تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح: الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المحمدية(المغرب)، ج1و2.

***البيذق أبو بكر علي الصنهاجي(ق6هـ/12م):**

22-أخبار المهدي ابن تومرت، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

***التجاني أبو محمد عبد الله(ت718هـ/1318م):**

23-رحلة التجاني، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتب، تونس، 1981.

***التمبكتي أحمد بابا بن أحمد التكروري(ت1036هـ/1627م):**

24-نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد الهرزمة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989.

***التنسي عبد الله محمد(ت899هـ/1494م):**

25-تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعياد، منشوراتANEP، الجزائر، 1985.

***ابن تيمية تقي الدين أبو العباس(ت728هـ/1327م):**

26-السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تقديم: عبد السميع جباري، موفم للنشر، ط2، الجزائر، 1994.

***الثغري عبد الله بن محمد بن يوسف التلمساني(ق8هـ/14م):**

27-مناقب التلمسانيين، تح: قندوز بن محمد الماحي، سلسلة أعلام وتاريخ وحضارة تلمسان، الجزائر.

***الجاحظ أبو عثمان عمرو بن محبوب الليثي(255هـ/868م):**

28-البخلاء، تح: طه الجابري، دار المعارف، ط5، القاهرة.

29-الحيوان، تح: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1965.

***ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي التميمي(597هـ/1200م):**

30-أخبار الحمقى والمغفلين، تح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت،1990.

***ابن جبير محمد بن أحمد(ت614هـ/1217م):**

31-رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت.

***ابن الحاج أبي عبد الله محمد التجيبي(ت529هـ/1134م):**

32-نوازل ابن الحاج التجيبي، تح: أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ط1، تطوان، 2018.

***ابن حوقل أبو القاسم النصيبي(ت367هـ/977م):**

33-صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996.

***أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن الزياني(ت791هـ/1388م):**

34-واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1862.

***ابن خلدون أو زكريا يحى بن محمد الحضرمي(ت780هـ/1378م):**

35-تح: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ج2.

***ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت808هـ/1406م):**

36-التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تح: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004.

37-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001.

38-المقدمة، تح: محمد رجب، دار ابن الجوزي، ط1، مصر، 2010.

39-تح: عبد السلام شدادي، منشورات، CNRPAH، الجزائر، 2006.

***ابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي(ت776هـ/1374م):**

40-مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح: حياة قارة، دار الأمان، ط1، الرباط، 2015.

***ابن الدباغ القيرواني(ت699هـ/1300م):**

41-الأسرار الجلية في المناقب الدهمانية، تح: عبد الكريم الشبلي، كونتراست للنشر، ط1، تونس، 2015.

***الدجلي أحمد بن علي(ت838هـ/1434م):**

42-الفلاكة والمفلكون، مطبعة الشعب، ط1، مصر، 1905.

***ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي(595هـ/1198م):**

43-البيان والتحصيل في الشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تح: أحمد الحبابي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1999، ج16.

***ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي(520هـ/1126م):**

44-الفتاوى، تح: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1987، مج1.

45-المقدمات والممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ج3.

***ابن رشيق أبي علي الحسن القيرواني(ت463هـ/1071م):**

46-العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2000.

***الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري(894هـ/1488م):**

47-شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تح: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993.

***ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي(ت627هـ/1230م):**

48-التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي يعزى السبتي، تح: أحمد توفيق، دار أبي رقراق، ط4، الرباط، 2014.

***سحنون أبو سعيد عبد السلام التنوخي(ت240هـ/854م):**

49-فتاوى ابن سحنون، تح: مصطفى محمود الأزهري، دار ابن عفان، ط1، مصر، 2011.

***السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي(ت):**

50-في آداب الحسبة، Publication De l'institut Des Hautes Marocaines, t. Xxi, paris

***الشماخي أبو العباس أحمد(ت928هـ/1521م):**

51-السير، تح: محمد حسن، المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2009، ج2.

***ابن الشماع أبو عبد الله محمد(861هـ/1457م):**

52-الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب،1984.

***ابن صاحب الصلاة عبد الملك ن محمد(ت594هـ/1198م):**

53-المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط4، بيروت، 1987.

***ابن صعد محمد بن أحمد بن أبي الفضل الأندلسي(ت901هـ/1499م):**

54-روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح: يحي بوعزيز، المؤسسة الوطنية للإشهار، الجزائر، 2004.

55-النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تح: محمد أحمد الدياجي، دار صادر، بيروت، 2011.

***ابن الصباغ محمد بن أبي القاسم (ت بعد733هـ/1333م):**

56-مناقب أبي علي سالم التباسي تلميذ أبي الحسن الشاذلي(ت642هـ/1244م)، تح: أحمد الباهي، كونتراست للنشر، ط1، تونس، 2012.

***ابن الصيرفي أبي بكر يحيى بن محمد(ت557هـ/1161م):**

57-الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية، تح: محمد علي دبوز، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2018.

***ابن طاووس أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد(ت664هـ/1265م):**

58-فرج المهموم في تأريخ علماء النجوم، منشورات الرضى قم، إيران، 1943.

***ابن الطواح عبد الواحد(ق8هـ/14م):**

59-سبك المقال في فك العقال، تح: محمد سعود جبران، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، ط2، طرابلس، 2008.

***ابن عبد الملك أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي(ت703هـ/1303م):**

60-الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1984، (السفر الثامن/ القسم1).

***ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (حيا 712هـ/1312م):**

61-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1980، ج2

62-تح: إحسان عباس، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ج4.

63-البيان المغرب (قسم الموحدين)، تح: محمد الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.

***العبدري أبي عبد الله محمد بن مسعود (ت بعد 700هـ/1300م):**

64-الرحلة المغربية، علي إبراهيم كروي، دار سعد الدين للنشر، ط2، دمشق، 2005.

***ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي(ق6هـ/12م):**

65-رسالة في الحسبة، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: لفي بروفنصال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

***العقباني محمد بن أحمد التلمساني(ت871هـ/1466م):**

66-تحفة الناظر وغنيمة الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي شنتوف، ع15، 1966/1965.

***الغبريني أبو العباس أحمد(ت714هـ/1314م):**

67-عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

***ابن عرفة أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي(803هـ/1401م):**

68-المختصر الفقهي، تح: حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الحبتور للأعمال الخيرية، ط1، دبي، 2014.

***ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين اليعموري(ت799هـ/1396م):**

69-تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومنهاج الحكام، تح: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، طبعة خاصة، بيروت، 2003، ج2.

***الفكون عبد الكريم بن محمد القسنطيني(ت1073هـ/1662م):**

70-منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1987.

***القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت671هـ/1272م):**

71-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد الحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2006، ج10.

***القزويني أبو عبد الله زكريا بن محمد(682هـ/1283م):**

72-آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

***القزويني أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة(275هـ/888م):**

73-سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

***القلصادي أبو الحسن علي بن محمد(ت891هـ/1486م):**

74-رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

***القلقشندي شهاب الدين أبو العباس أحمد(ت821هـ/1418م):**

75-صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ج5.

***ابن قنفذ أحمد بن حسن القسنطيني(ت810هـ/1408م):**

76-أنس الفقير وعزّ الحقير، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.

***ابن القطان حسن بن علي المراكشي (منتصف القرن7هـ/13م):**

77-نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي المكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990.

***كربخال مرمول(ق10هـ/16م):**

78-إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط، 1984.

***المازوني أبو يحي موسى بن عيسى المغيلي(833هـ/1429م):**

79-مناقب صلحاء الشلف، تح: عبد القادر بوباية، الرشاد للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 2017.

***المازوني أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى المغيلي(ت 883هـ/1478م):**

80-الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: حساني مختار،دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

***مالك بن أنس الأصبحي(ت179هـ/795م):**

81-المدونة الكبرى رواية سحنون بن سعيد التنوخي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1994.

82-الموطأ، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1997، مج2.

***الماوردي أبو الحسن علي بن محمد البصري(450هـ/1067م):**

83-الأحكام السلطانية، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 2006.

84-تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق المَلك وسياسة المُلك، تح: محي هلال السرحان وحسين الساعاتي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

85-نصيحة الملوك، تح: خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، ط1، الكويت، 1983.

86-مجموع، أشعار اللصوص، تح: عبد المعين الملوحي، منشورات دار أسامة.

87-**مجهول**، إخوان الصفا وخلان الوفا، مركز النشر المكتب الإسلامي.

88-مجهول (كان حيا 764هـ/1362م):

زهرة البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ج4.

89-مجهول(ق6هـ/12م):

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

90-**مجهول:** الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديث، ط1، الدار البيضاء، 1979.

91-**مجموع** رسائل موحدية من إنشاء الدولة المؤمونية، جمعها: ليفي بروفنصال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941.

92-**مجموع** رسائل موحدية جديدة، تح: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، القنيطرة(المغرب)، 2001(سلسة نصوص ووثائق رقم2).

***ابن مرزوق أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني(781هـ/1379م):**

93-المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولنا أبي الحسن، تح: مريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

94-المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008.

***المالطي عبد الباسط بن خليل بن شاهين المصري(ت920هـ/1514م):**

95-الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، نشره: روبار برنشفيك، la rose éditeurs، باريس، 1936.

***ابن المدجن عبد الله بن الصباح الحاج(توفي في النصف الثاني من القرن8هـ/14م):**

96-أنساب الأخيار وتذكرة الأخيار، تح: محمد بن شريفة، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، 2008.

***ابن مريم عبد الله محمد المليتي(ت1014هـ/1605م):**

97-البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، المكتبة الثعالبية، ط1، الجزائر، 1910.

***المقري أبو العباس أحمد بن محمد عبد الله التلمساني(1041هـ/1631م):**

98-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، مج1/

***الملالي أبو عبد الله عمر(حيا897هـ/1492م):**

99-المواهب القدسية في المناقب السنوسية، تح: علال بوبريق، بوسعادة، 2011.

***النديم أبو الفرج محمد(438هـ/1047م):**

100-الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1906.

***النميري إبراهيم بن عبد الله(ت774هـ/1374م):**

101-فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تح: محمد شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990.

***النويري شهاب الدين أحمد (ت 733هـ/1332م):**

102-نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج24.

*** الوسياني أبو ربيع سليمان بن عبد السلام(ق6هـ/12م):**

103-سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، وزارة التراث والثقافة، ط1، مسقط، 2009

***الوزان الحسن بن محمد (ت بعد 957هـ/1559م):**

104-وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983، ج2/1.

***الونشريسي أحمد بن يحي بن محمد(ت914هـ/1511م):**

105-المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981.

***ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله(ت626هـ/1228م):**

106-معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1993، مج2 و5.

107-معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج4.

رابعا. المراجع العربية والمعربة.

108-إحسان محمد الحسن، علم الاجتماع العسكري، دار وائل للنشر، ط2، عمان، 2016.

109-استيتو محمد، **الفقر والفقراء** في المغرب نماذج في المغرب نماذج من القرنين 16و17م، منشورات الزمن، المغرب، 2006.

110-بدر الدين علي، **الجريمة والمجتمع**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

111-بركات النمر المهيرات، **جغرافيا الجريمة (علم الإجرام الكارتوجرافي)**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2000.

112-برونشفيك روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن15م**، تر: حمادي ساحلي دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج2.

113-بعزيق صالح، **بجاية في العهد الحفصي (دراسة اقتصادية واجتماعية)**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006.

114-بلوخ مارك، **مهنة المؤرخ**، تر: حسين إسماعيل، مدونة الإحيائية الجديدة، Neorvivalism.com

115-بنحمادة سعيد، **سوسيولوجيا القيم**، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2022.

116-نظام الشرطة بالغرب الإسلامي (نسقية المؤسسات والممارسات الأمنية)، منشورات الزمن، الرباط، 2017.

117-بنميرة عمر، **النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 2012.

118-بوبريك رحال، **زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي**، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، 2012

119-بنمليح عبد الإله، **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2004.

120-بوتشيش إبراهيم القادري، **المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقية في تاريخ المنظور لهم من الأسفل**، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2004.

121-**الإسلام السري في المغرب العربي**، سينا للنشر، ط1، مصر، 1995.

122-**اضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 2002.

123-**مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1997.

124-بوطالب إبراهيم وآخرون، **تاريخ المغرب**، تر: محمد الغرايب وآخرون، مكتبة التاريخ، ط1، المغرب، 2018.

125-بوطالب محمد نجيب، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، ط1، بيروت، 2002.

126-البغدادي عبد القادر بن عمر(ت1030ه/1033م)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1.

127-بوقاعدة البشير، **الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين296هـ/909م-547هـ/1152م (دراسة تاريخية)**، ميم للنشر، الجزائر، 2015.

128-بولقطيب حسين، **جوائح وأوبئة مغرب الموحدين**، مطبعة النجاة، الدار البيضاء.

129-بونابي الطاهر، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7هـ/12-13م**، دار الهدى، الجزائر، 2004.

130-**عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط**، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية، المسيلة، 2017، ج3-4.

131-**مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة، 2017.

132-بورقية رحمة، **الدّولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1991، ص96، 97.

133-التادلي الصومعي، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزي**، تح: علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996.

134-تيتاو حميد، **الحرب والمجتمع خلال العصر المريني 609-869هـ/1212-1465م (إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية)**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، 2009.

135-الجبوري أحمد إسماعيل، **الحضارة والنظم الإسلامية**، دار الفكر، ط1، الأردن، 2013.

136-جدلة إبراهيم، **المجتمع الحضري فإفريقية في العهد الحفصي**، طبع مطبعة قطيف، قفصة، 2010.

137-جسوس محمد، **قضايا منهجية في البحث السوسيولوجي**، تر: نجيب خالدي، منشورات الجمعية المغربية لعلم الاجتماع، ط1، الرباط، 2019.

138-جاك لوغوف، **التاريخ الجديد**، تر: محمد الطاهر المنصوري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007.

139-عبد الجابري محمد، **العقل الأخلاقي العربي (دراسة نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية)**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2001.

140-**فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم النظرية الخلدونية في التاريخ الإسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، بيروت،1994.

141-الجنيدل حمد بن عبد الرحمن، **دراسة للفكر الاقتصادي عند أحمد بن علي الدجلي من خلال كتابه الفلاكة والمفلكون أي الفقر والفقراء**، معاذ للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1992

142-جنبوبي محمد، **الأولياء في المغرب**، منشورات كنال أوجوردوي، المغرب، 2004.

143-حبيدة محمد، **بؤس التاريخ مراجعات ومقاربات**، دار الأمان، ط2، الرباط، 2016.

144-**المدارس التاريخية من المنهج إلى التناهج**، دار الأمان، الرباط.

145-حجازي مصطفى، **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط9، 2009.

146-حضر مهدي قادر، **الأمن في مصر في العصر الأيوبي(567-655هـ/1161-1255م)**، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، أربيل، 2011.

147-حركات إبراهيم، **المجتمع الإسلامي** والسلطة في العصر الوسيط، أفريقيا الشرق، المغرب، 1998.

148-حسين عبد الغني إسماعيل، **ظاهرة الكدية في الأدب العربي (نشأتها وخصائصها الفنية)**، مكتبة الزهراء، ط1، القاهرة، 1991.

149-حسين عليوى ناصر الزيادي، **جغرافية الجريمة مبادئ وأسس**، دار الحصاد، ط1، دمشق، 2015.

150-الحريري محمد عيسى، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 1987.

151-خليف يوسف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1978.

152-دبيش لطفي، **الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية-قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالة والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس هجري**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2011.

-153دوس فرنسوا، **التاريخ المفتت من الحوليات الى التاريخ الجديد**، تر: محمد الطاهري المنصوري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2009.

154-دوفوكو شارل، **التعرف على المغرب(1883-1884م)**، تر: المختار بلعربي، دار الثقافة، ط1، الدر البيضاء، 1999.

155-رابطة الدين محمد، **مراكش زمن الموحدين جوانب من تاريخ المجال والإنسان**، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، 2016.

156-زنيبر محمد، **المغرب في العصر الوسيط(الدولة-المدينة-الاقتصاد)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 1999.

157-السبتي عبد الأحد، **بين الزطاط وقاطع الطريق (أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار)**، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2009.

158-النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2007.

159-الشامي فاطمة قدورة، **الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية وصدر الإسلام**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2009.

160-شروتر دانييل، **تجارة الصويرة المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب(1844-1886م)**، تر: خالد بن الصغير، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الرباط، 1997.

161-شلدون واتس، الأوبئة **والتاريخ (المرض والقوة والإمبريالية)**، تر: أحمد محمود عبد الجواد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، مصر، 2010

162-أبو ضيف مصطفى، **القبائل العربية في عصري الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

163-الطاهري عبد الحق، **الدولة الموحدية أسس الشرعية والمشروع السياسي**، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015.

164-**نظام الحكم عند الموحدين الوسائل والمؤسسات**، أفريقيا الشرق، المغرب، 2018.

165-طاهري أحمد، **عامة قرطبة في عصر الخلافة دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي**، منشورات عكاظ، المغرب، 1989.

166-الطبيب مولود زايد، **علم الاجتماع السياسي**، منشورات جامعة السابع أبريل، ط1، ليبيا، 2007.

167-طرفي محمد نبيل، **ديوان اللّصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي**، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2004.

168-طحطح خالد، **البيوغرافيا والتاريخ**، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، 2014.

169-**الكتابة التاريخية**، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، 2012.

170-طحطح خالد واليعقوبي خالد، **التاريخ من الأسفل**، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2019.

171-عبيد هشام، **تونس وأولياؤها الصالحون في المدونة المناقب الصوفية**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2016.

172-العروي عبد الله، **مفهوم التاريخ (الألفاظ والمذاهب والمفاهيم والأصول)**، المركز العربي الثقافي، ط4، المغرب، 2005.

173-**مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2000، ج2.

174-العربي إسماعيل، **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1980.

175-عزاوي أحمد، **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، القنيطرة، 2001.

176-**الغرب الإسلامي من خلال القرنين 7و8هـ (دراسة وتحليل لرسائله)**، مطبعة الرباط نت، الرباط، 2006، ج1و2.

177-عز الدين أحمد موسى، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1983.

178-**النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري**، دار الشروق، بيروت، 1983.

179-عطيف ابراهيم بن يحيى، **آثار الخوف في الأحكام الفقهية**، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، 2000، مج1.

180-عماري الحسين، **المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن15-18م**، مطبعة وورك بيرو، مراكش،2009.

181-عطوان حسن، **الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول**، دار الجيل، ط4، بيروت، 1997.

182-العياشي، **رحلة العياشي**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006.

183-غبرنلات وآخرون، **التاريخية الجديدة والأدب**، تر: لحسن أحمامة، المركز الثقافي للكتاب، ط1، المغرب، 2018.

184-غزالة العيد، **الفقراء والمهمشون بإفريقية في العهد الحفصي**، الدار المتوسطية للنشر، ط1، تونس، 2021.

185-**الفقر والفقراء في مدينة تونس في القرنين 8-9هـ/14-15م من خلال نوازل البرزلي**، مؤسسة GLD للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2021.

186-فاليرين دومنيك، **بجاية ميناء مغاربي(1067-1510م)**، تر: عمارة علاوة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ج1و2.

187-فتحة محمد، **النوازل الفقهية والمجتمع (أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن6 إلى 9هـ/12-15م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1999.

188-فرّو قيس ماضي، **المعرفة التاريخية في الغرب (مقاربات فلسفية وعلمية أدبية)**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، الدوحة، 2013.

189-فوانو لوي، **وجدة والعمالة مونوغرافية وجدة وقبائل شرق المغرب (بنو يزناس-الزكارة-بنو بوزك والمهايا-السجع-أهل أنكاد-أولاد سيدي الشيخ)**، تر: محمد الغرايب، مطابع الرباط نت، الرباط، 2014، ج2و3.

190-فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ج2.

191-فهمي حسين، **العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة (دراسة في التاريخ الاجتماعي)**، دار المنتخب العربي، ط1، لبنان، 1993.

192-الفاتحي حميد، **الفقهاء في المغرب المريني (محاولة في إعادة تركيب مضامين التراجم)**، منشورات الزمن، المغرب، 2018.

193-القبلي محمد، **الدولة والولاية والمجال**، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987.

194- ــــــــــــ، **حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط (مقدمات أولية وقضايا)**، نشر الفنك، الدار البيضاء، 1998.

195-القبلي محمد وآخرون، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط1، الرباط، 2011.

196-قريان عبد الجليل، **التعليم في تلمسان في العهد الزياني**، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011.

197-كمال أبو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1997.

198-الكوثراني وجيه، **تاريخ التأريخ(اتجاهات-مدارس-مناهج)**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط2، الدوحة، 2013.

199-كيليطو عبد الفتاح، **الأدب والارتياب**، دار توبقال، ط2، المغرب، 2013.

200-لطفي عيسى، **بين الذاكرة والتاريخ في التأصيل وتحولات الهوية**، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015.

201- **مغرب المتصوفة**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ط2، تونس، 2018.

202-لطّيف محمد عادل، **الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط**، زينب للنشر، ط1، تونس، 2019.

203-لواتي دلال، **عامة القيروان في عصر الأغالبة**، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2015.

204-مجموعة مؤلفين، **المعلمة**، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب، 1992.

205-محمد حمودي وأشرف صالح، **اللّصوص والقراصنة في عصر الحروب الصليبية زيارة إلى تاريخ السلب والنهب**، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت،2019.

206-محمود إسماعيل، **المهمشون في التاريخ الإسلامي**، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2004.

207-محمودي أحمد، **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.

208-محمد حسن، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999، ج1و2.

209-محمد أبو زهرة، **الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

210-محمد محمود الجوهري وآخرون، **علم الاجتماع الجريمة والانحراف**، دار المسيرة، ط1، الأردن، 2016.

211-المطيرات عادال، **أحكام الجوائح في الفقه الإسلامي وصلتها بنظرتي الضرورة والظروف الطارئة**، منشورات جامعة القاهرة، مصر، 2001.

212-معتوق جمال، **مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي(أهم النظريات المفسرة للجريمة والانحراف**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2016.

213-معلوف أمين، **ليون الإفريقي**، تر: عفيف دمشقية، دار الفرابي، ط2، بيروت، 1997.

214-المغراوي محمد، **الموحدون وأزمات المجتمع**، جذور للنشر، ط1، الرباط، 2006.

215-مفتاح محمد، **الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي (مقاربات وظيفية)**، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2014.

216-بن ميلاد لطفي، **إفريقية والمشرق المتوسطي من أواسط القرن5هـ/11م إلى مطلع القرن10هـ/16م**، المغاربية للطباعة وإشهار الكتب، ط1، تونس،2011.

217-منصور عبد الوهاب، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1986.

218-مونسلو ألون، **دراسة تفكيكية للتاريخ**، تر: قاسم عبده، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2015.

219-موليراس أوغست، **المغرب المجهول(اكتشاف الريف)**، تر: عز الدين الخطابي، دار النجاح الجديدة، المغرب، 2007.

220-بن موسى جميلة، **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن9م إلى 11م**، منشورات بلوتو، ط1، الجزائر، 2011

221-الناجي محمد، **جند وخدم وسراري الرق في المغرب**، تر: محمد الغرايب، منشورات فاليا، ط1، المغرب، 2018.

222-النجار محمد رجب، **الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981

223-النشاط مصطفى، **السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط**، المجلس الأعلى لحقوق الإنسان، 2012.

224-الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954

225-نللي سلامة العامري، **الولاية والمجتمع في العهد الحفصي**، منشورات كلية الآداب بنوبة، تونس، 2001.

226-النفاتي عادل، **المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب حفريات في أدب الرحلة القرن16**، أفريقيا الشرق، المغرب، 2015.

227-عبد الهادي البياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس(ق6هـ-8هـ/12-14م)**، دار الطليعة، ط1، بيروت، 2008

228-_____**المناخ والمجتمع بالمغرب والأندلس خلال العصر** الوسيط **إسهام في دراسة الطقوس والذهنيات**، إصدارات المجلة العربية، المملكة العربية السعودية، 2015.

229-الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري**، تر: حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1962، ج

230-هبة علي حسين، أخبار اللّصوص، في الأدب القديم، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2021.

231-هاشم العلوي القاسمي، **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع هجري/منتصف القرن العشر ميلادي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1995.

232-هوبكنز، **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى**، تر: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1980.

خامسا. المراجع الأجنبية.

*** Allaoua Amara:**

233-La mer et les milieux mystiques d'après la production hagiographique du Maghreb occidental (xii^e-xv^e siècle), REMM. (www.academia.edu)

234 -*Communautés rurales et pouvoirs urbains au Maghreb central (VII-XIV^e siècles)*, REMMM126. (www.academia.edu)

***Antonin plarier:**

235-Le banditisme rural en Algérie à la période coloniale (1871-1920), histoire, université panthéon-sorbonne, paris1, français,2019

***Atallah Dhina:**

236-Les états de l'occident musulman aux xii^e,xiv^e et xv^e siècles ,office de publications ,Alger,

***De Mas latrie :**

237-Relations et commerce de l'Afrique septentrion avec les nations chrétiennes au moyen Age, librairie de firmin_didot, paris,1886.

***Eberhat Isabelle:**

238-Notes de route Maroc-Algérie-Tunisie, Textes réunis par: Victor Barrucand, édité par les Bourlapapey, bibliothèque numérique romande, 1908.

***Elise Voguet:**

239-*le monde rural du Maghreb central (xiv^e-xv^e siécles) réalités sociales et constructions juridiques d'après les Nawazil Mazuna*, publication de la sorbonne, paris, 2014

240-Chef de tribus et Mourabitoun des élites rurales du Maghreb médiéval, MEFRM. . (www.academia.edu)

241-Dissidence affirmée ou rjet codifié de la umma Badawi et arab les Nawàzil Mazuna, Alfa. Maghreb et sciences sociales, 2006. (www.acaemia.edu)

242- *Appropriation et distributions de biens fonciers: l'enjeu politique et économique des terres mortes « mawat » au Maghreb médiéval à la fin du Moyen Age*, Revue Nord_N°18 série collection Art et Archéologie, 2013.(www.academia.edu)

***Eric Hobsbawm:**

243-Primitive Rebels (bandit, Mafia, Millenarians, Anarchists, sicilian fasci, the city Mob, Rital, sermons et Oaths, published by the university of Manchester at the university press, first publised,1959.

244 -*Bandits*, Revised Edition, pantheon Books, New york, 1981.

*Fernand Braudel:

245-Misère et banditisme au 16esiécle, Annales économies, sociétés, civilisation, 2eannée, N.2,1947.

*Furetière Antoine:

246-Dictionnaire universel, (www. Furetière.eu).

-oxford learner's pocket dictionary, new ediction,2003.

***Georges Marçais :**

247-Les Arabes en berbérie du xie au xvie siècle, thèse pour le doctorat et lettres (présentée à la Faculté des lettres de l'université paris, paris, 1913

***H. Bruno et G.H.Bousquet:**

248-Contribution al 'étude des pactes de protection et d'allance chez les berbères du Maroc central, Hespéries, tome XXXIII,1er-2e trimestres, librairie la rose, paris,1946.

*Houari Touati:

249-En relisant les Nawazil Mazouna Marabout et chorfa au Maghreb centralau xve siécles, studia islamica, n°.69, 1989.

***Jacques Berque :**

250-L'intérieur du Maghreb (xve-xixe siècle), éditions Gallimard, 1978.

*Louis Alonso Hernandez :

251-Culture et Marginalité aux XVIe siècles, librairie C. Kluicksick, Paris, 1973.

***Panos Sophoulis:**

252-Banditry in The Medieval Balkans (800-1500), palgrave macmillan, USA, 2020.

*** Rahma Bourqia:**

253-Vol, *pillage et banditisme dans le Maroc XIXe siècle*, Hesperis-Tamuda, vol. xxix, fase.2,1991.

سادسا. الرسائل الجامعية.

254-أحمد عبد الرزاق عبد العزيز، **الفقراء في القاهرة في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين**، أطروحة ماجستير، جامعة الزقازيق، مصر، 2011.

255-أحمادو تال ديالو، **النقل ووسائله بالغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتب فقه المال**كية، أطروحة دكتوراه، جامعة الزيتونة، تونس، 2006.

256-بريكة مسعود، **الفضاء الثقافي لبجاية دراسة سوسيولوجية في تركيبة الوسط العلمي للبجائيين النصف الثاني من القرن6-10هـ/12-16م**، أطروحة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2019/2018.

257-بشاري لطيفة، **التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العشر هجريين 13م**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 1987/1986.

-بصديق عبد الكريم، **البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين(6-9هـ/12-15م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018/2017.

258-بكاي عبد المالك، **الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن7-10هـ/13-16م**، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014/2013.

259-بنعبد النبي بلقاسم، **السرقة واللّصوصية بالبلاد التونسية في الفترة الاستعمارية(1881-1956م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة صفاقس، تونس، 2016.

260-بوداوية مخبوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد الدولة الزيانية**، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006/2005.

261-بورملة خديجة، **التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس الى التاسع الهجري**، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2018/2017.

262-بوقجوطة فؤاد، **القرصنة البحرية بين الممارسة الدولية والقانون الدولي**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر1، الجزائر، 2013/2012.

263-الجناحي حسام محمد بلبول، **نشأة السجون وتطورها في بلاد المغرب العربي حتى نهاية عصر المرابطين541هـ**، رسالة ماجستير، جامعة المستنصرية، العراق، 2005.

264-حفيان رشيد، **الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014/2013.

265-حيمي عبد الحفيظ، **نظام الشرطة في المغرب الإسلامي(2-6هـ/8-12م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بله، وهران، 2015/2014.

266-خليلي بختة، **الفقر بالمغرب الإسلامي مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين و15/13م واقعه وآثاره**، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر،2016/2015

267-بن خيرة رقية، **الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين(ق11-12م) دراسة في ظاهرة الانحراف**، أطروحة دكتوراه، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2017/2016.

268-دحماني سهام، **النظام الضريبي للدولة الزيانية(633هـ/1236م-962ه/1554م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2018/2017.

269-الرميح محمد بن مطلق، **النوازل الفقهية المالية من خلال كتاب المعيار المعرب (دراسة نظرية وتطبيقية)**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2011.

270-زاير أبو الدهاج، **العقيدة والدولة في المغرب الوسيط فلسفة السلطة وحركة التاريخ**، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2013/2012.

271-بن ساعو محمد، **التجارة والتجار في المغرب الإسلامي(7-10هـ/13-16م)**، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة1، باتنة، 2014/2013.

272-سكاكو حورية، **التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنين(6-10هـ/12-16م) دراسة مقارنة**، رسالة ماجستير، جامعة أبي البكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013.

273-شقطمي هناء، **الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكنونه في نوازل مازونه**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013/2012.

274-الطويل محمد، **النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط**، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1997/1996.

275-العابد وردة، **السجن والسجناء في الأندلس الإسلامية(138-479هـ/756-1086م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2018/2017.

276-عباسي غنية، **مدينة مازونه وناحيتها في العصر الوسيط-دراسة مونوغرافية-**، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012/2011.

277-عشي علي، **التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ/8-16م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة1، الجزائر، 2017/2016.

278-بن فريحة عبد المالك، **القبائل العربية ومكانتها في الدولة الزيانية**، رسالة ماجستير، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015/2014.

279-قدور عبد القادر، **الوجود المغربي بالسودان المغربي في القرنين9و10هـ/15-16م**، رسالة ماجستير، جامعة أبو البكر بلقايد، تلمسان.

280-لدرع أمال، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني**، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة2، 2006.

281-مباركية عبد القادر، **التجار والتجارة المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء من خلال المصادر الإباضية الوهبية من القرن3هـ/9م إلى القرن10هـ/16م**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2012/2011.

282-مزدور سمية، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588-927هـ/1192-1520م)**، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009/2008.

283-المطرفي محمد بن سليم، **جغرافية اللّصوصية في مدينة مكة المكرمة**، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

284-مقاوسي صليحة، **الفقر الحضري أسبابه وأنماطه**، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008/2007.

285-نميش سميرة، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني**، رسالة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013.

286-بن النية رضا، **أشراف المغرب الأوسط خلال العهد الزياني(633-962هـ/1236-1555م)**، أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 2018/2017.

سابعا. الكتب الجماعية والمقالات.

287-أمعيط نور الدين، **إشكالية المصطلح الاقتصادي في الكتابة التاريخية بالمغرب والأندلس (المصطلحات الضريبية خلال القرنين5و6هـ/11و12م أنموذجا)**، منشور ضمن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس قضايا وإشكاليات)، شمس برنيت، ط1، الرباط، 2019.

288-براص محمد، **صورة البادية المغربية عند الإخباريين المغاربة: الناصري أنموذجا**، منشور ضمن المجال البدوي المغربي الخصوصيات والتحولات، منشورات مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية، ط1، المغرب، 2007.

289-بصديق عبد الكريم، **ظاهرة الغصب واللّصوصية ببلاد المغرب الأوسط وأثرها على الحراك الاجتماعي في العهد الزياني**، مجلة عصور، مج20، ع1، وهران، 2021.

290-بكور محمد، **طريق الحج الصحراوي صلة وصل بين المغرب والمشرق**، منشور ضمن الكتابة التاريخية مقاربات ونماذج، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2018.

291-بلاغ عبد الرحمن، **الحرف والمهن المرافقة لمسلك القوافل في المغرب الأوسط مراكز المسالك الصحراوية أنموذجا**، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع4، 2013.

292-بلهواري فاطمة، **العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن 4هـ/10م**، دورية، كان التاريخية، ع10، 2010.

293-بعزيق صالح، **مدينة بجاية وتونس في العهد الحفصي نموذج أم أنمذجان** (أشغال الملتقى الدولي حول بجاية من 30-31أكتوبر2012م)، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، 2013.

294-بنحمادة سعيد، **المجال الحيوي للأولياء بالمغرب (الأدوار الدينية والعسكرية والاجتماعية)**، نشر ضمن كتاب التصوف السني في تاريخ المغرب، منشورات الزمن، الدار البيضاء، 2014.

295-بنمليح عبد الإله، **تهميش الرقيق في بلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط (الفعل وردود الفعل)**، نشر ضمن كتاب دراسة المجالات المهمشة وتاريخ المغرب، منشورات المختبرات: مختبر المغرب والعوالم الغربية)، ط1، الدار البيضاء، 2011.

296-**الانتحار في تاريخ المغرب الوسيط**، منشور ضمن الوفيات والموت مقاربات تاريخية وأنثروبولوجية، مطابع الرباط نت، الرباط، 2017.

297-بنعبد النبي بلقاسم، **عرف الطريق في البلاد المغاربية**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل للبحث العلمي، ع21، 2016.

298-بوتشيش إبراهيم القادري، **من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين نظرات في تجديد الأدوات المنهجية للمؤرخ**، نشر ضمن دراسة المجالات المهمشة وتاريخ المغرب، منشوات المختبرات: مختبر المغرب والعوالم الغربية، ط1، الدار البيضاء، 2011.

299-**إسهامات علماء القيروان في فقه القضاء الجنائي خلال العصر الوسيط**، منشور ضمن العلوم والتقنيات بإفريقية في العهدين القديم والوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2012

300-بوصلاح حياة، حوادث الغصب بالمغرب الأوسط وأثرها على المجتمع الريفي القرنين8-9هـ/14-16م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج16، ع4، الجزائر، 2020.

301-بونابي الطاهر، **أهمية المخطوطات المناقبية في كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع3/2، الجزائر، 2005/2004.

302-بوزغار دليلة، **التكييف الفقهي للسرقة العلمية وضرورة الإعلام به**، مجلة الشريعة والاقتصاد، ع11، 2017.

303-بوزادي عبد الحكيم، **التشريعات في العصور القديمة من خلال القرآن الكريم (أحكام القصاص والسرقة أنموذجين)**، مجلة الباحث، تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، مج9، ع2، الجزائر، 2017.

304-بولعراس لخميسي، **تجارة السلاح في المغرب الإسلامي قراءة في الممنوع**، مجلة دراسات وأبحاث، ع31، 2018.

305-بولقطيب الحسين، **العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي خلال العصر الوسيط**، مجلة أمل، ع6، المغرب، 1995.

306-**النشاط الاقتصادي لبعض حواضر الغرب الإسلامي أواخر القرن الخامس وبداية السادس هجريين**، نشر ضمن كتاب أشغال الندوة الدولية المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1988.

307-بولنوار بوديسة، **المنهج النقدي عند ابن رشيق المسيلي القيرواني**، مجلة حوليات الآداب واللغات، ع8، المسيلة، 2017.

308-التازي عبد الهادي، **موقف المغرب من القرصنة الدولية في العصر الوسيط**، نشر ضمن كتاب أعمال ندوة القرصنة والقانون الأممي(الدورة9)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1986.

309-تيتاو حميد، **المشهد الزراعي بالمغرب الأقصى أواخر العصر الوسيط (متغيرات ظرفية وتبادلات بنيوية)**، نشر ضمن كتاب الفلاحة في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، الرباط، 2019.

310-التمسماني خلوق عبد العزيز، **الظروف العامة للّصوصية في مغرب القرن التاسع عشر ومشكلة الأمن بطنجة**، مجلة دار النيابة، السنة الأولى، المغرب، 1984.

311- الحداد حميد، مظاهر من سوء التدبير المالي في الغرب الإسلامي الاختلاس وما إليه، منشور ضمن دراسات في تاريخ المغارب المعاصر، نشر مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ع12، المغرب، 2015

312-جاك بيرك، **في مدلول القبيلة بشمال إفريقيا**، منشور ضمن الأنثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف فلق، دار توبقال، ط2، المغرب، 2007.

313-جدلة إبراهيم، **المجموعات القبلية البدوية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء العهد الحفصي**، نشر ضمن كتاب أشغال الملتقى الدولي الثاني حول: القبيلة-المدينة-المجال في العالم الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2003.

314-جدي مراد، **الفعالية الاجتماعية والثقافية للأولياء والصلحاء في حياة المجتمع الريفي المغربي الأبعاد السوسيولوجية والرمزية للأدوار والوظائف التاريخية**، منشور ضمن التاريخ والمجال والمجتمع والثقافة بالمغرب مقاربات متقاطعة، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 2018.

315-حركات محمد حسن، **العامة بمدن إفريقية في العهد الحفصي**، نشر ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، بيت الحكمة، ط1، تونس، 1999.

316-زكريا إبراهيم الزميلي ومحمد عدوان، **الإعجاز الشرعي في حد السرقة والحرابة**، مجلة الجامعة الإسلامية، مج4، ع1، القدس، 2006.

317-الزناتي أنور محمود، **اختلاس المال العام في الأندلس(138-897هـ/765-1492م)**، مجلة عصور الجديدة، وهران، 2022.

318-زنيبر محمد، **تجارة القوافل في المغرب**، نشر ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984.

319-زيروخ زين العابدين، **الفقراء والسلطة بالمغرب خلال الحكم السعدي**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1، مج22، ع1، الجزائر، 2021.

320-السبتي عبد الأحد، **أخبار المناقب ومناقب الأخبار**، نشر ضمن كتاب التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 1988.

321-السعداوي أحمد، **المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين 8-9هـ/14-15م**، REVUE DE L'INSTITUT DES LETTRES ARABES,T.58,n°175,1995

322-سعيداني خليل، **الهنود في اسطغرافية الولايات المتحدة الأمريكية**، نشر ضمن كتاب المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، منشورات المختبرات: مختبر المغرب والعوالم المغربية، ط1، الدار البيضاء، 2011.

323-صبحي صالح، **الحماية من القرصنة في نظر الشريعة**، نشر ضمن كتاب أعمال ندوة القرصنة والقانون الأممي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1986.

324-صبيوي مديحة، **مداخل التجديد في الكتابة التاريخية عند عبد الأحد السبتي نموذجا**، نشر ضمن كتاب تقاطعات التاريخ والأنثروبولوجيا والدراسات الأدبية، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، 2018.

325-الشكري أحمد، الصحراء والتجارة الصحراوية بعيون الفرنسي ريموند موني، كلية الآداب بنمسيك، الدار البيضاء، 2013.

326-طالب عبد الكريم كاظم القرشي، **الظاهرة الاجتماعية عند إيمل دوركايم (تحليل اجتماعي)**، مجلة دراسات اسلامية معاصرة، ع6، 2012.

327-الطويل محمد، **عودة إلى القبائل الهلالية**، مجلة أمل، ع5، المغرب، 1992.

328-العايش حمزة، **الأمانة العلمية عند العلماء المسلمين**، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج11، ع1، 2019.

329-عبد الرحمن بشير، **القرصنة غربي المتوسط(القرن2-5هـ/8-11م)**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، 2012.

330-عدالة مليكة، **ظاهرة الفقر بالأندلس في العصر الموحدي**، مجلة عصور، ع25/24، الجزائر، 2015

333-عزاوي أحمد، **الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين 6-8هـ/12-14م)**، سلسلة ندوات 7، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، الدار البيضاء، 1999.

334-عمارة علاوة، **النشاط التجاري للساحل الشرقي**، مجلة معالم، تصدر عن جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، ع9، قالمة، 2008.

335-عمارة علاوة، **الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع10، قسنطينة.

336-عمراني محمد، **كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية**، مجلة أمل، ع35، المغرب، 2005.

337-عمري عبد القادر، **جريمة السرقة بين الشريعة والتشريع الجزائري**، مجلة الدراسات القانونية، مجلة الدراسات القانونية، مج3، ع1، الجزائر، 2017.

338-علواني صالح، **موقعة سبيبة457هـ/1065م جيدران الجديدة**، نشر ضمن أعمال ملتقى القصرين ذاكرة وتاريخ، تونس، 2009.

339-غباش موني، **المقدس والعنف**، مجلة يتفكرون، تصدر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ع5، الرباط، 2015.

340-فتحة محمد، **الامتحان المتبادل في علاقة الولي بالسلطان**، نشر ضمن كتاب السلطة العلمية والسلطة السياسية بالمغارب، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، 2012.

341-فياض محمد السيد، **عناصر النهب واللّصوصية في مصر في العصر الفاطمي(358-567هـ/968-1171م)**، مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، مج23، ع1، مصر، 2015.

342-القبلي محمد، **حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى فيما بين منتصف القرن الثاني عشر ونهاية القرن الثالث عشر**، منشور ضمن جوانب من تاريخ المجال والسكان بالمغرب، مؤسسة عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1998.

343-قدور أحمد، **تأثير المدن الكبيرة على الشبكة الحضرية في العهد الموحدي (أنموذج المغرب الأقصى)**، نشر ضمن كتاب المدينة في تاريخ المغرب العربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، 1988.

344-قدوري الطاهر، **مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في المغرب الإسلامي (دراسة مقارنة)**، مجلة عصور الجديدة، مج10، ع2، وهران، 2020.

345-قريان عبد الجليل، **الواقع والآثار في العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي خلال العهد الزياني(633-962هـ/1235-1554م)**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، تصدر عن جامعة محمد بوضياف، ع13، المسيلة،2017.

346-كرارز فوزية، **مسالك الحجاج المغاربة من خلال بعض الرحلات المغربية الرحلة الحجازية**، نشر ضمن مؤتمر طرق الحج في إفريقيا، مركز البحوث والدراسات الإفريقية-جامعة إفريقيا العالمية، 2016.

347-الكراي القسنطيني، **الفقر والفقراء في تونس (1945-1948)**، نشر ضمن المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، بيت الحكمة، تونس، 1999.

347-كعوان فارس، **ظاهرة اللّصوصية وقطّع الطريق بمنطقة سطيف (من لصوصية السلب والنهب إلى ظهور اللّصوص الشرفاء أواخر القرن19م)**، مجلة الحوار المتوسطي، ع3، 2019.

348-المتوكل هشام، **اللصوص في المغرب الإسلامي خلال العصر الموحدي (أثر الأزمات على الانحراف السلوكي)**، دورية كان التاريخية، ع49، 2020.

349-محمد نبيل بن عبد الله سبيل، **حد السرقة في الشريعة الإسلامية**، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، ع12.

350-محمد بن عبد العزيز سعد اليمني، **القرصنة البحرية دراسة فقهية مقارنة**، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، مج2، ع55.

351-المحواشي منصف، **الحرابة في حياة البدو في إفريقية (مقاربة إناسية-سياسية)**، نشر ضمن كتاب الأزمات في تاريخ المغرب الكبير، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2011.

352-مزدور سمية، **الأزمة والولاية في المغرب الأوسط(6-10هـ/12-16م)**، نشر ضمن كتاب مغرب أوسطيات، منشورات اقرأ، ط1، قسنطينة، 2013.

253-مفتاح محمد، **الواقع والممكن في المناقب الصوفية**، نشر ضمن التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 1988.

354-مولى فريدة، **التأويل الرمزي للخطاب الصوفي**، مجلة الخطاب الصوفي، ع7، 2017.

355-بن ميلاد لطفي، **قافلة الحج المغربي: تحولاتها وأبعادها خلال القرون الأخيرة في العصر الوسيط**، بونة للبحوث والدراسات، ع14/13، الجزائر، 2010.

356-عبد النبي نجلاء، **القرصنة اللاتينية في شرق حوض البحر المتوسط على عهد سلاطين المماليك**، مجلة المؤرخ، ع9، مصر، 2001.

357-النكادي يوسف، **خصوصيات وتحولات المجال الريفي في بلاد المغرب خلال القرن الخامس هجري، نشر ضمن كتاب المجال البدوي المغربي (خصوصيات وتحولات)**، مكتبة دار السلام، ط1، الرباط، 2007.

358-الهلالي محمد ياسر، **التراتب الاجتماعي في البادية المغربية**، نشر ضمن كتاب الأسرة البدوية في تاريخ المغرب، مكتبة دار السلام، ط1، الرباط، 2006.

359-لمحة عن **العقوبات العرفية للّصوصية في المجال القروي المغربي خلال العصر الوسيط وبداية العصر الحديث**، نشر ضمن كتاب الأعراف بالبادية المغربية، مكتبة دار السلام، ط1، الرباط، 2004.

360-**نظرة الحضريين للبدويين في أواخر العصر الوسيط صور وتجليات**، نشر ضمن كتاب تقاطعات التاريخ والأنثروبولوجيا والدراسات الأدبية، دار أبي رقراق، ط1، الرباط، 2018.

361-وقيدي محمد، التاريخ بين العلم والمنهج، مجلة أمل (التاريخ ومسؤولية المؤرخ)، ع21، 2000.

ثامنا. المعاجم.

362-الجوهري أبي نصر إسماعيل بن حماد(ت393هـ/1002م): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009.

363-الخليل بن أحمد الفراهدي(ت175هـ/786م): **العين**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003.

364-الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق(ت1205هـ/1790م): **تاج العروس في جواهر القاموس**، تح: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1979، ج18.

365-الزمخشري جار الله(ت538هـ/1143م): **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998.

366-ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكريا(ت395هـ/1004م): **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر، 1979.

367-الفيروزبادي أبو طاهر مجيد الدين(ت817هـ/1436م): **المحيط**، مطبعة الرسالة، بيروت.

368-ابن منظور أبو الفضل جمال الدين(ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1906.

369-المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004.

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس:

أولا-فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

1-الآيات القرآنية:

الرقم	الآية	السورة	الصفحة.
1	قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ .... نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾	يوسف	19
2	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّارِقُ ... وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾	المائدة	18/16
3	قَالَ تَعَالَى: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾	التوبة	24
4	قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ... إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾	الحجرات	24
5	قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ ...فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾	المائدة	36
6	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ ... وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾	النساء	178
7	قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا ...فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	المائدة	237

2-الأحاديث النبوية:

الرقم	الحديث الشريف	الصفحة.
1	"لا يُقطَع الخَائن ولا المنتَهِبُ ولا المختَلِسُ"	16
2	"رفع القلم عن ثلاثة: النائم حتى يستيقظ والصغير حتى يبلغ، والمجنون حتى يفيق".	17
3	"عفي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه".	17
4	"لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".	19
5	"ناس من أمتي عرضوا عليّ يركبون ظهر هذا البحر، الملوك على الأسرّة"	183
6	"غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله".	183

ثانيا-فهرس الجاول والأشكال.

1-الجداول:

الرقم	العنوان	الصفحة
1	مصطلح اللّصوصية في المعاجم.	16
2	مدلول السّرقة في معاجم اللّغة.	16
3	حضور مدلولات اللّصوصية في النصوص المصدرية.	26
4	توزيع مدلولات اللّصوصية على الأنواع المصدرية.	27
5	أشهر المؤلفات المشرقية حول اللّصوصية.	44
6	حضور الممارسة اللّصَصية في النصوص المصدرية.	46
7	النشاط العسكري(الحروب) وعلاقته باللّصوصية وقطع الطّريق في المغرب الأوسط(5-9هـ/11-15م).	76

8	حضور مظاهر التخريب في المرحلة الأولى للهجرة الهلالية(5-6هـ/11-12م) نحو المغرب الإسلامي.	81
9	مظاهر التعسف في فرض الضرائب من خلال نوازل المازوني.	94
10	علاقة ممارسة اللّصوصية بظاهرة الفقر من خلال وصف إفريقيا للوزان.	99
11	المجالات الجغرافية التي نشطت بها اللّصوصية وقطع الطّريق في المغرب الأوسط.	108
12	بعض الكوارث الطّبيعية التي عرفها المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط (5-9هـ/11-15م).	115
13	طبيعة اللّصوصية في المغرب الأوسط.	122
14	المستهدفين من طرف اللّصوص وقطّاع الطّريق في المغرب الأوسط.	128
15	أوقات نشاط السّراق واللّصوص في المغرب الأوسط.	131
16	الأماكن التي نشطت بها ممارسة اللّصوصية.	133
17	أنواع المسروقات التي يسرقها لصوص المغرب الأوسط.	141
18	أشكال ردود الفعل الأولية اتجاه السّرقة واللّصوصية في المغرب الأوسط.	143
19	طرق التصرف في المسروقات التي يسرقها اللصوص في المغرب الأوسط.	145
20	الحالة الأمنية لطرق المغرب الأوسط من خلال المصادر الإخبارية.	154
21	نشاط اللّصوص على المسالك التجارية من خلال كتب الرحلة.	161
22	واقع حجاج المغرب الإسلامي في الطرق والمسالك من خلال المصادر الرّحلية.	166
23	الصعوبات التي تعترض الحجاج على المسالك والطرق.	167
24	نماذج عن الآثار النفسية للّصوصية.	194
25	مجموع المؤشرات الدالة على الآثار النفسية للّصوصية في المغرب الأوسط.	195
26	أشكال الخفر في الطرق والمسالك في المغرب الأوسط.	227
27	حضور اللّصوصية في نوازل المازوني "الدررالمكنونة".	234
28	أعداد حضور اللّصوصية في نوازل المازوني "الدررالمكنونة".	234
29	حضور الكرامة الصوفية في ردع آفة اللّصوصية.	247
30	عدد الحضور الكرامي في مواجهة اللّصوصية.	247
31	ملحق رقم 5: جدول يوضح طبيعة الفقر في مجتمع المغرب الأوسط.	266
32	ملحق رقم 10: جدول يوضح أهم المسالك الخطرة في المغرب الأوسط.	273

2-الأشكال:

الرقم	العنوان	الصفحة

1	دائرة نسبية لتوزيع مدلولات اللّصوصية في المصنفات التراثية	25
2	دائرة نسبية لتوزيع مدلولات اللّصوصية على الأنواع المصدرية.	26
3	دوائر نسبية لحضور مدلولات اللّصوصية في كل نوع مصدري.	27
4	حضور الممارسة اللّصَصية في مصادر التاريخ الإسلامي.	44
5	دائرة نسبية حضور مظاهر التخريب في المرحلة الأولى للهجرة الهلالية(5-6هـ/11-12م) نحو المغرب الإسلامي من خلال كتب التاريخ السياسي.	80
6	توزيع أشكال الأطراف الفاعلة في اللّصوصية في المغرب الأوسط.	119
7	الفئات المستهدفة من طرف اللّصوص في المغرب الأوسط.	125
8	أوقات نشاط أعمال اللّصوصية في المغرب الأوسط.	128
9	أماكن نشاط ظاهرة اللّصوصية في المغرب الأوسط.	130
10	أنواع المسروقات التي يسرقها لصوص المغرب الأوسط.	137
11	ردود الفعل الأولية اتجاه اللّصوصية في المغرب الأوسط.	140
12	أوجه التصرف في المسروقات التي يسرقها اللّصوص في المغرب الأوسط.	142
13	دائرة نسبية لأشكال خطاب الأمن على المسالك من خلال المصادر الإخبارية.	151
14	منحنى بياني لتطور نشاط اللّصوص وقطّاع الطّرق على المسالك من خلال كتب الرحلة.	157
15	الصعوبات التي تعترض الحجاج على المسالك.	163
16	الآثار النفسية للّصوصية في المغرب الأوسط.	190
17	مدرجين تكرارين للمؤشرات الدالة على الخوف والعنف في ممارسة اللّصوص في المغرب الأوسط.	190
18	دائرة نسبية لأشكال الخفر في الطّرق والمسالك.	221
19	لحضور اللّصوصية في مصنف الدرر المكنونة.	228
20	حضور الكرامة الصوفية في مواجهة أعمال اللّصوصية.	241
21	ملحق رقم01: مخطط يوضح توظيف مدلولات مصطلح اللّصوصية في الأنواع المصدرية	255
22	ملحق رقم03: يوضح دورة ابن خلدون في قيام وسقوط الدولة وعلاقتها بمظاهر اللّصوصية	257
23	ملحق رقم04: مخطط يوضح علاقة السلطة السياسية مع الأعراب	258
24	ملحق رقم06: مخطط يوضح آثار الكوارث الطبيعية على المجتمع	261
25	ملحق رقم07: مدرج تكراري لمعدل حضور الجوائح في المغرب الإسلامي	262
26	ملحق رقم08: يوضح تركيبة المشهد اللصّصي في المغرب الأوسط	263
27	ملحق رقم09: يوضح أصناف المسروقات والفئات المستهدفة من طرف لصوص المغرب الأوسط	264
28	ملحق رقم12: الأخطار التي يواجهها الحجاج في طريق الحج	268

29	ملحق رقم18: حضور فقهاء المغرب الأوسط في مسائل السرقة والحرابة من خلال نوازل المازوني	275

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس العام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس العام

الموضوع	الصفحة
الشكر	
الاهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ-ل
الفصل الأول: السياق الدلالي والتراثي لظاهرة اللّصوصية	
أولا-اللّصوصية مفاهيم ودلالات.	14
1-المصطلح عند أهل اللغة.	14
2-الدلالة الاصطلاحية للّصوصية.	15
3-اللّصوصية في النصوص الأجنبية.	19
4- التعريف الإجرائي.	22
5- اللّصوصية في مرادفاتها والصيغ المؤشرة عليها -منجز إحصائي تحليلي-	23
ثانيا-أشكال اللّصوصية.	33
1-السّرقة الفردية (لصوص المناسبات).	34
2- اللّصوصية المنظمة.	36
3-الخطف.	39
ثالثا-اللّصوصية في تراثيات العصر الوسيط.	40
1-أدب التدوين حول اللّصوصية.	40
2-مشتملات النّص اللّصَصي في مصادر المغرب الإسلامي (منجز احصائي).	45
3-التهميش واللّصُوصية.	58
رابعا-اللّصوصية في تصور الدراسات المعاصرة (الرؤية الأنثروبولوجية أنموذجا).	64
الفصل الثاني: نشاط اللّصوصية في المغرب الأوسط بين المغذيات الطبيعية وإكراهات أزمات المجتمع.	
أولا-المعطى السياسي لانتشار اللّصوصية.	72
1-الانفلات الأمني وسيادة الفوضى.	72
2-الهجرة الهلالية بين الفاعل والمفعول به.	77
ثانيا-اللّصوصية والشطط الضريبي.	90

ثالثا-افرازات تدني المستوى المعيشي بين فئات المجتمع.	95
رابعا-أثر المجال في نشاط سلوك التلصُّص.	104
1-جغرافيا المكان والعمل اللّصَصي.	104
2-العلاقة بين الكوارث الطبيعية ومؤشر اللّصوصية.	111
الفصل الثالث: تمثلات اللّصوصية في مجتمع المغرب الأوسط.	
أولا: تفكيك بنية المشهد اللّصَصي في المغرب الأوسط	121
1-الفاعلون: أطراف معزولة أم عصابات منظمة؟	121
2-الفئات المستهدفة.	128
3-الزمان.	131
4-المسرح.	133
5-أدوات الجريمة وأساليبها.	136
6-أصناف المسروقات.	141
7-ردود الفعل المباشرة (المصاحبة لفعل السرقة).	143
8-مآل المسروقات وأشكال التصرف فيها	145
ثانيا-جوانب مجالية حول أنشطة التلصُّص بالمغرب الأوسط.	147
1-في الفضاء القبلي.	147
2-على المسالك والطرق التجارية.	152
3-السرقة في المراكز الحضرية.	168
ثالثا-التصنيف الفئوي لسلوك التلصُّص في مجتمع المغرب الأوسط.	170
1-النخبة واللّصوصية:	171
أ.الاختلاس في الوسط السياسي.	171
ب.السّرقة في الوسط العلمي.	174
2-واقع اللّصوصية في أوساط فئات المجتمع:	175
أ.النساء.	176
ب.أهل الذمة.	177
ج.العبيد.	178
رابعا: أثر المجال ومتغيرات عالم ما بعد الموحدين في بروز وجه جديد للّصوصية(القرصنة البحرية).	181

الفصل الرابع: الآثار المجتمعية للّصوصية وجهود مواجهتها.	
أولا-آثار اللّصوصية على مجتمع المغرب الأوسط.	193
1-الآثار النفسية.	193
2-الآثار الاجتماعية.	201
3-الآثار الاقتصادية.	203
4-الآثار السياسية.	207
ثانيا-جهود مواجهة الظاهرة بين المدافعة والاحتواء.	209
1-المبادرات الفردية.	209
2-سُلط المنطقة في مواجهة الظاهرة:	214
أ.في مرحلة القوة.	215
ب.في مرحلة الضعف.	220
4.دور الخطاب النخبوي في احتواء ظاهرة اللّصوصية.	231
أ.أنموذج الفقهاء من خلال النوازل.	231
ب-أنموذج المتصوفة بين الخطاب الكرامي ونشاط الزاوية	240
الخاتمة.	257
الملاحق.	262
ثبت المصادر والمراجع.	284
الفهارس.	313
الفهرس العام.	317

الملخص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الأطروحة:

انبثقت عن التحولات التي عرفتها الكتابة التاريخية في مسار **التاريخ الاجتماعي**، تطورات مست البحث التاريخي سواء في شقه المنهجي أو المعرفي، خاصة بعد بروز **مدرسة الحوليات** التي أعطت متنفس أكثر لخوض غمار طروحات تاريخية جديدة، وأصبح طرق مواضيع الجريمة، الخوف، العنف، اللّصوصية يمثل صلب تاريخ الذهنيات والعقليات، باعتبارها ظواهر أفرزها واقع اجتماعي طبعته ظرفيات معينة، منها **ظاهرة اللّصوصية** التي لم يعد البحث فيها حكرا على علم الاجتماع بل سمحت المقاربات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية بدراستها في حقل التاريخ الاجتماعي وفق تصورات وطروحات جديدة.

سمح الاطلاع على ظاهرة اللّصوصية في المغرب الأوسط بملاحظة أنّ نشاط الظّاهرة قد تشاركت فيه جملة من المغذيات السياسية، الاقتصادية، وأخرى الاجتماعية بما فيها حتى الدوافع النّفسية؛ ساهمت الظرفية السياسية التي عرفها المغرب الإسلامي بدخول الجماعات الهلالية مع حلول القرن 5هـ/11م، وما أحدثته من تغيرات تزامنت مع واقع سياسي محتدم الصراع داخل البيت الصنهاجي، بتحولات في البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجال، فالمجال لم يعرف الاستقرار الدائم من ناحية السلطة المركزية حيث تداولت عليه عديد السلطات(المرابطية، الموحدية، الزيانية)، مما كان له بالغ الأثر على **الواقع الأمني** الذي تأثر بمظاهر السلب والنهب كما استفحلت فيه ظاهرة اللّصوصية وقطع الطريق، وفي سياق الكشف عن مسببات التلصُّص وقطع الطريق لا يمكن التغاضي عن طبيعة المجال الجغرافي الذي تفرض مظاهره صعوبة التحكم في حدوده الواسعة سياسيا ويواجه المتنقلين فيه أخطار متنوعة، في المقابل كانت هي المظاهر التي سهلت المهمة اللّصوص وقطاع الطّرق.

من أجل تفكيك وتحليل هاته المعطيات ورصد آثارها النفسية والاجتماعية، جاء عنوان هاته الأطروحة الموسومة بـ**"اللّصوصية في المغرب الأوسط من القرن 5-9هـ/11-15م (دراسة اجتماعية)"** التي تهدف لإخراج دراسة ظاهرة اللّصوصية من دائرة الانحراف الأخلاقي السلوكي، للبحث في مكنوناتها ومرجعياتها، وأشكال تمثلاتها الميدانية في العصر الوسيط.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط –اللّصوصية –قطع الطريق –اللاأمن –الإغارة.

Résumé :

Les transformations connues par l'écriture historique au cours de **l'histoire sociale** ont émané des développements touchants à la recherche historique que ce soit dans son aspect méthodologique ou épistémologique, notamment après l'émergence de **l'école des annales** qui avait donné plus de débouchés pour approfondir de nouvelles propositions historiques. L'étude du crime, la peur, la violence, le banditisme représente le noyau de l'histoire de mentalités, comme des phénomènes produits par une réalité sociale imprimée par certaines circonstances, dont **le phénomène du banditisme** dans lequel la recherche ne se cantonne plus à la sociologie mais les approches anthropologiques et sociologiques ont permis de l'étudier dans le champ de l'histoire sociale selon de nouvelles perceptions et prépositions.

L'examen de phénomène du banditisme au Maghreb central a permis de constater que l'activité du phénomène avait un certain nombre de facteur politiques, économiques, et sociaux, et aussi des motifs psychologiques. La circonstance politique qui règne sur le Maghreb islamique, avec l'avènement des tribus hilaliennes et l'intrusion du V^{e} siècle de l'hégire /XI siècle de notre ère. Elle l'a entrainé à des changements qui coïncident avec une réalité politique de conflit intense au sein de la maison Sanhadjitte, a contribué des transformations a la structure sociale et économique du l'espace qui n'avait pas connu la stabilité durable du cote du pouvoir centrale, ou on le trouve gouvernè par plusieurs états (Almoravides, Elmouhedes, Zayanides), cela avait un énorme impact sur **la réalité de sécurité** influence par les manifestations du pillage, ainsi que le phénomène de brigandage. Dans le cadre de dévoilement, les causes de voyeurisme et brigandage il n'est pas possible de négliger la nature de l'espace géographique dans lequel les caractéristiques de surface imposent des difficultés pour contrôler politiquement ses larges frontières, et ceux qui y voyagent sont confrontés à divers dangers, et en contrepartie elles avaient facilité la mission des bandits et stimulaient leurs activités.

Afin de désassembler et d'analyser ces donnes et observer leurs effets psychologiques et sociaux, cette thèse intitulée « **Le banditisme au Maghreb centrale du V^{é} -IX^{e} AH XI^{e}-XV^{e} (étude sociale)** » vise à sortir l'étude du phénomène du banditisme du cercle de la déviance morale, comportementale, pour rechercher son potentiel, ses références, et les formes de ses représentations dans la réalité à l'époque médiévale.

Mots clefs :le Maghreb centrale, le banditisme, le pillage, non sécurité, l'incursion.

Abstract

The transformations of historical writing in the course of **social history** have brought about developments in historical research, both in its methodological and cognitive way, especially after the emergence of **the Annales School**, which gave an outlet to go through new historical presentations. Addressing the is voyeurism sues of crime, fear, violence, and banditry have become at the heart of the history of mindsets, as phenomena created by a social reality characterized by particular circumstances, including banditry, in which research is no longer exclusive to sociology but has allowed anthropological and sociological approaches to study it in the field of social history according to new perceptions and presentations.

Exposure to the banditry phenomenon in central Maghreb allowed observing that the phenomenon's activity had involved a variety of political, economic, and social nutrients, including even psychological motivations. The political situation in the Islamic Maghreb contributed to the entry of the Hilali groups by the 5th AH/11th AD, and the changes they brought about that coincided with a raging political reality within the Sanhaji House. The area did not know the lasting stability in terms of central authority, where several authorities (Almoravides, Almohades and Zianides) deliberated on it, which had a profound impact on **the security reality affected** by looting and banditry. In the context of detecting the causes of voyeurism and banditry, the nature of the geographical area where the surface's manifestations impose difficulty in controlling its wide borders politically and where travelers face a variety of risks, has facilitated and stimulated the task of thieves and bandits.

In order to deconstruct and analyze these data and monitor their psychological and social effects, the title of this thesis entitled **"Banditry in the Middle Maghreb from the 5th AH to the 9th AH century / 11-15 AD (a social study)"** aims to study the phenomenon of banditry out of the circle of behavioral moral deviation, to investigate its components, references, and forms of field representations in the Middle Ages.

Keywords: Middle Maghreb, banditry, block the road, insecurity, raid.

People's Democratic Republic of Algeria.

Ministry of Higher Education and Scientific Research.

Emir Abd Elkader University of Islamic Sciences-Constantine-

Faculty of Arts and Islamic Civilization.

Department of History.

Serial Number: .....

Registration Number: .....

Banditry in the Middle Maghreb from the 5th AH to the 9th AH century / 11AD-15 AD a social study

Thesis submitted for the degree LMD Doctorate in Human Sciences -History-

Specialty: The History of The Middle Maghreb and its Civilization in The Medieval Ages.

Presented by:

Afaf Gharzoul.

Supervision Dr:

Ibrahim Ben mehaia.

Members of the jury.

Name and surname	Scientific level	The Original University	Rank
Abdel jalil Gueryen	Professor	Emir Abd Elkader University-Constantine-	President
Ibrahim Ben mehaia	Professor	Emir Abd Elkader University-Constantine-	Spervisor and rapporteur
Nacira Azroudi	Lecture-A-	Emir Abd Elkader University-Constantine-	Discussion Member
Messaod Brika	Lecture-A-	Mohamed lamine Debaghin University-setif2-	Discussion Member
Asia Sahli	Lecture-A-	20Augast 1955 University-Skikdda-	Discussion Member
Ridha Bennia	Lecture-A-	Mohamed lamine Debaghin University-setif2	Discussion Member

University Year:2022-2023AD/1443-1444AH